



جامعة أم القرى (مكة المكرمة)
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

**عوامل تحريف رسالة المسيح عليه السلام
حتى المجمع المسكوني الثامن
عام ٨٧٩م**

رسالة مقدمة لنيل درجة (الماجستير)

٤٠٤٠٠٠

إعداد

بسمة أحمد محمد جستنية

إشراف

د. عثمان عبدالمنعم عيش



العام الجامعي

١٤١٧ - ١٤١٨ هـ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- أولاً : عنوان الرسالة : عوامل تحريف رسالة المسيح عليه السلام حتى المجمع المسكوني الثامن عام ٨٧٩ م .
- ثانياً : موضوعات البحث : يتكون البحث من مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة .
- فالمقدمة في بيان أهمية الموضوع ومنهج البحث فيه وخطته .
- والباب الأول موضوعه المسيح عليه السلام وتاريخ النصرانية حتى عام ٨٧٩ م وفيه ثلاثة فصول : الفصل الأول عن بني إسرائيل عند مبعث المسيح عليه السلام ، والفصل الثاني : عن حياة المسيح عليه السلام وقيامه بدعوته ، والفصل الثالث عن النصارى والنصرانية من رفع عيسى عليه السلام حتى عام ٨٧٩ م .
- أما الباب الثاني فعن العوامل الداخلية وأثرها في تحريف رسالة المسيح عليه السلام ويشتمل على أربعة فصول تضمنت بيان أثر كل من : بولس وفقدان النصوص الأصلية للنصرانية والفرق النصرانية والمجامع المسكونية في تحريف رسالة المسيح عليه السلام .
- أما الباب الثالث والأخير فموضوعه دراسة العوامل الخارجية وأثرها في التحريف العقدي ويشتمل هذا الباب على ثلاثة فصول :
- بينت فيها أثر كل من الإضطهاد الديني والوثنيات القديمة والمذاهب الفلسفية في تحريف العقيدة النصرانية .
- ثالثاً : من أهم نتائج وتوصيات البحث مايلي :
- (١) يعتبر بولس من أهم عوامل التحريف لرسالة المسيح عليه السلام بحكم يهوديته الأولى وتنصره بغية هدم المسيحية وبحكم ثقافته وعدم مقاومة الحواريين له لتوجيه دعوته إلى الأماكن البعيدة .
 - (٢) لقد أدى ضياع إنجيل المسيح عليه السلام إلى فقدان النص الأصلي للديانة مما أدى إلى تحريفها دون أن يكون هناك ما يرجع إليه تفادياً لهذا التحريف .
 - (٣) أدى الإضطهاد اليهودي والروماني إلى ضياع الإنجيل الحق وظهور الفرق وشيوع الرهينة وماتج عن ذلك من تحريفات .
 - (٤) تضمنت الأناجيل النصرانية التحريفات العقيدية التي نتجت عن تأثير الوثنيات والفلسفات وأقرتها المجامع المسكونية حتى أصبحت النصرانية المعاصر منفصلة تماماً عن رسالة المسيح عليه السلام .
 - (٥) أو صي بتوظيف المعلومات التي تضمنتها الرسالة والنتائج التي وصلت إليها في مقاومة التنصير بين المسلمين وفي دعوة النصارى للإسلام ، وقد ألحقت بالرسالة مجموعة من الفهارس الضرورية والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق .

عميد الكلية



المشرف



الطالبة



كما أشكر صاحب الفضيلة الأستاذ الدكتور عثمان عبدالمنعم عيش ، المشرف على هذه الرسالة على رعايته الأبوية ، وعلى وقته الثمين الذي أنفقه في الإشراف والتوجيه والنصح وتصحيح العبارات ، وما تحمله من عناء حتى أنجزت هذه الرسالة ، ومهما قلت قلن أوفيه حقه ، فأدعو الله أن يجزيه على ذلك الجزاء الأوفى .

ولا يفوتني أن أوجه شكراً خاصاً مشفوعاً بأبلغ عبارات الإمتنان إلى زوجي ورفيق دربي ، الذي وفر لي الكثير من الجهد والوقت والمؤنة . وإني لمدينة له بكل حرف في هذا البحث ، أرجو أن يلقاه حسنات مضاعفة عند الله تعالى .

وفي الختام أشكر أصحاب الفضيلة أعضاء لجنة المناقشة الذين تكبدوا الوقت الثمين لقراءة البحث ومناقشته . والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، ولم يكن له كفواً أحد .

وأشهد أن لا إله إلا الله أدلة وحدانيته ظاهرة، وبراهين أسمائه الحسنی وصفاته العلی باهرة، سبحانه ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (طه ٨).

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، أرسله ربه ﴿بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (آل عمران ١٩).

فصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته، واستن بسنته إلى يوم الدين.

أما بعد، فقد خلق الله البشر، وفطرهم على دين واحد هو الحنيفية السمحة والتوحيد الخالص ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ (الروم ٣٠).

وهذا الدين إنما قوامه التوحيد المطلق لله رب العالمين بإخلاص العبادة له وتنزيهه سبحانه عن الشريك والصاحبة والولد، وتنزيهه عن كل ما لا يليق بذاته العلية، وصفاته الجليلة. إلا أن البشرية لم تستقم على الدين الحق ولم تلتزم به، بل انحرفت عن الطريق السوي، فمنهم من اتخذ لله نداً، ومنهم من ادعى له ولداً، فكان من رحمة الله أن بعث الرسل إلى البشر يصححون ما انحرف من عقيدتهم، وما أعوج من أمرهم ويهدونهم إلى الصراط المستقيم، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء ٢٥).

فكانت تعاليم الأنبياء والرسل عليهم السلام الظل الظليل الذي هياه الله ليفيء الناس إليه، وينعموا به جيلا بعد جيل، والمنارات الساطعة التي تظهر معالم الحق، وتضع أبصار الناس وبصائرهم على طريق الهدى والنور.

وقد بذل الرسل عليهم السلام كل جهد ممكن في سبيل هداية البشر، ومع هذا فقد تنكب الناس الطريق السوي، وأعرضوا عن تلك التعاليم والدعوات، واغرقوا في الانحراف بالكفر والشرك.

وكان من أولئك المنحرفين عن منهج الله ودينه بنو إسرائيل، فقد أوغلوا في الإنحراف والتحليل من أوامر الدين ونواهيه. وكان من انحرافاتهم في زمن موسى عليه السلام أن طلبوا منه ان يجعل لهم إلهاً كغيرهم من عبدة الأصنام^(١)، قال عليه السلام ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ (الأعراف ١٣٨).

وعندما ذهب موسى عليه السلام لبيقاته مع ربه صنعوا عجلاً لأنفسهم واتخذوه إلهاً ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حَلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَاصِرٌ﴾ (الأعراف ١٤٨).

وتكرر منهم هذا الانحراف - أعني الشرك في العبادة والاعراض عن دعوة الانبياء عليهم السلام - مرات كثيرة في تاريخهم، وكل من يطالع أسفار العهد القديم يجد هذا سمة لازمة لهم في فترات متطاولة من تاريخهم.

وكان آخر ما أشرق عليهم من نور الهدى الإلهي ماجاء به عيسى عليه السلام، حيث دعاهم إلى عبادة الله عليه السلام وحده كما دعا إلى ذلك سائر الأنبياء قبله فقال لهم كما يحكي القرآن عنه ﴿يَنْبِيَّ إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (المائدة ٧٢)

(١) قيل هم قوم كانوا من لحم، وقيل هم من الكنعانيين الذين أمر موسى عليه السلام بقتالهم. ر. تفسير

تلك كانت رسالة عيسى عليه السلام الحقيقية التي دعا قومه إليها، وآمن بها الخواريون، واعلنوا ذلك صراحة، إذ قالوا لعيسى عليه السلام كما أخبر القرآن الكريم: ﴿ءَأَمِنَّا بِاللَّهِ وَآشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران ٥٢).

وبعد رفع المسيح عليه السلام نزل بأتباعه مانزل، وحل بهم محل من الاضطهادات من قبل اعدائهم ، ودخل فيهم المنافقون وأهل الأهواء ، إلى غير ذلك من العوامل التي قلبت دين المسيح عليه السلام من دين سهل ميسر بسيط إلى دين غاية في التعقيد، وانحرف عن الأصل الأصيل في رسالات الله وهو توحيد الله بالعبادة إلى اضعاف الألوهية على عيسى عليه السلام والقول بالتثليث، وماتلا ذلك من انحرافات كثيرة .

وهذا الانحراف الدخيل على دين المسيح عليه السلام واضح لكل ذي عينين لايماري ولا يجادل فيه إلى مغرض أو جاهل ،حيث استبدل النصارى بعبادة الله عز وجل عبادة المسيح وبالتوحيد التثليث ، وبنبوة المسيح وبشريته بنوته وألوهيته ، وببساطة الديانة تعقيدها.

كما وقعوا فيما وقع فيه من قبلهم من اليهود بتضيع كلام الله وتحريفه ،قال عز وجل ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّوْا أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ (المائدة ١٤)

وقال الله عز وجل ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ (البقرة ٧٩).^(١)

وقد اخبرنا الله عز وجل بهذه الافتراءات التي افترها النصارى عليه ،وعابهم بذلك وحذرهم من مغبتها، فقال عز وجل ﴿وَقَالَتِ الْنَّصْرِيُّوْا ابْنُ اللَّهِ ذَلِكُ قَوْلُهُمْ

(١) الآية وردت في اليهود ، ولكن العبرة هنا بعموم اللفظ لانخصوص السبب لانطباق الأمر على

بَأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾
(التوبة ٣٠) .

وقال ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَمْزِضِ جَمِيعًا﴾ (المائدة ١٧)

وقال ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ وَمِمَّنْ إِلَهٌ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (المائدة ٧٣).

وبهذه التحريفات صنعوا لأنفسهم ديناً جديداً لا يمت بأدنى صلة لدين المسيح عليه السلام ، وسجلوا أصول تلك التحريفات في أسفار ورسائل اضمفوا عليها صفة القداسة ، وخلطوا فيها الحق بالباطل والغث بالسمين والطيب بالخبث ، وكذبوا على الله تعالى وعلى أنبيائه كما كذبوا أيضاً على الناس بما يروجونه من أن تلك الكتب "العهد القديم والجديد" تتضمن كلام الله تعالى ووحيه إلى أنبيائه وغيرهم من أدعياء الوحي عندهم.

وإذا كان الباحث يقف متحيراً مذهباً من ذلك الحجم الهائل من التغيير والتبديل الذي طرأ على ديانة المسيح عليه السلام ، وذلك التعقيد الذي أصاب تلك الديانة السهلة الميسرة ، فإن هذا يزول إذا عرفنا أن هناك عوامل وأسباباً عديدة ادت إلى تحريف رسالة المسيح عليه السلام وخرجت بها من التوحيد إلى التثليث وإلى تقرير شرائع لم يأت بها المسيح عليه السلام ولا حواريوه المخلصون.

١- موضوع الرسالة وأهميته :

إن دراسة العوامل التي أثرت في تحريف رسالة المسيح عليه السلام أمراً من الأهمية

يمكن حيث تحقق هذه الدراسة الأهداف الهامة الآتية :

أولاً - يستطيع الباحث من خلالها الكشف بالبرهان عن حقيقة دعوة المسيح ﷺ ، وحقيقة ما عليه النصارى الآن وأنه لا يمت إلى رسالة المسيح ﷺ بصلة .

ثانياً- إظهار براءة نبي الله عيسى ﷺ مما افتراه عليه النصارى لتبقى صورته مشرقة وضاه كما هي صورة سائر أنبياء الله ﷺ .

ثالثاً- تحذير المسلمين من الوقوع فيما وقعوا فيه النصارى حتى لا يصاب ديننا ما أصاب دينهم من التحريف .

رابعاً- الكشف عن حقيقة النصرانية المعاصرة ، وتجليه ما طرأ على هذا الدين من انحرافات ، وذلك يساعد الدعوة المسلمين في دعوتهم للنصارى أنفسهم ليفتحوا أعينهم ويصروا نور الاسلام ووضاءته ويدركوا حقيقة ما هم عليه من ديانة، انخرق بها أصحابها عن طريق النبوة الصحيحة .

وواضح أن تحقيق هذه الأهداف وغيرها له أهميته البالغة في مجال الدعوة إلى الإسلام، والدراسات المقارنة بين الأديان، وبذلك تتضح أهمية هذه الدراسة ودوافعي إليها .

لهذا استخرت الله ﷻ وعزمت على الكتابة في هذا الموضوع ليستبين وجه الحقيقة ناصعاً ويذهب الباطل بزيفه ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ (الرعد ١٧).

وعنونت لرسالتي بـ " عوامل تحريف رسالة المسيح ﷺ حتى اجمع المسكوني الثامن عام ٨٧٩م " . وحددته بهذا اجمع لأنه اجمع الذي انشطر بعده النصارى إلى فرقتين كبيرتين ، وهما الكاثوليك والأرثوذكس .

٢- الدراسات السابقة :

إن رسالتي هذه ليست أول بحث في موضوع تحريف رسالة المسيح عليه السلام ،
فقد سبقني بعض الباحثين بالكتابة في جوانب من هذا الموضوع .من ذلك :

١- أهم عوامل انحراف النصرانية :

وهي رسالة تقدم بها الطالب " إبراهيم خلف التركي " لنيل درجة الماجستير
في قسم العقيدة , من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ، عام ١٤٠٢ هـ .

وقد حدد العوامل في انحراف النصرانية فيما يلي :

- مدخل في ضياع الإنجيل الصحيح .

- تأثير الفلسفة اليونانية والأفلاطونية الحديثة .

- بولس ودخوله في النصرانية .

- المجامع وآثارها .

- الإضطهاد اليهودي والروماني .

- دور الرهبنة .

ومع تقديرنا لما بذله الباحث من جهد ، إلا أننا نرى أنه لم يستوعب بدراسته
جميع عوامل التحريف ، وإنما كتب أهمها من وجهة نظره .

وكان حديثه مجملاً حيث إنه لم يفصل القول في الربط بين عامل التحريف
وأثره في تحريف رسالة المسيح عليه السلام .

هذا إلى جانب قصور البحث فيما يتعلق بالوفاء بالمصادر اللازمة للكتابة في
هذا الموضوع .

كما أفردت بعض تلك العوامل بالدراسة ، فمن ذلك ما كتبه الطالب "
وهيب البكري " ، بعنوان :

٢- بولس وتأثيره في المسيحية:

وهو بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في كلية الدعوة والاعلام، قسم
الدعوة جامعة الامام محمد بن سعود الاسلاميه ، عام ١٤٠٥ هـ .

وقد اعتمد الباحث في دراسته على مصادر عديدة أجنبية وعربية أثرت
البحث.

وقدم دراسة وافية عن بولس ونشأته وشخصيته والبيئة التي نشأ فيها وتنصره
ورحلاته واعماله .

كما قدم دراسة وافية كذلك عن تأثيره في تحريف النصرانية والعقائد التي
نادى بها .

وان كان حددها: في إلغاء الشريعة ، الصلب للفداء الغفران الخطايا ، وألوهية
المسيح. مع أن تأثيره في تحريف النصرانية كان أبلغ من هذا بكثير ، كما سيتضح
ذلك من خلال الدراسة .

وقد أفدت كثيراً من تحليلاته التي قام بها عن تنصر بولس واسبابه . ومع قيمة
هذا البحث في ذاته ، إلا أن صاحبه قد اقتصر على عامل واحد من عوامل
التحريف ، وهو بولس ، ودراسة عامل واحد - مهما كانت قيمتها - لاتغني عن
استيعاب جميع عوامل تحريف النصرانية بالبحث والدراسة .

٣- المجمع النصرانية وأثرها على اعتقاد النصارى :

اعداد الطالب الجليلي محمد يوسف الكباشي. وهي رسالة تقدم بها للحصول
على درجة الماجستير من كلية أصول الدين قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة ، في
جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤٠١-١٤٠٢هـ.

ولم يقتصر في بحثه في الحديث عن المجمع فقط بل قدم دراسة عن بولس
وتأثيره، والاضطهاد وتأثيره في النصرانية .

ومع أنني أفدت كثيراً من بحثه في الفصل الذي كتبه عن المجمع ، نظراً
لتعمقه في بحث موضوع المجمع وآثارها باعتباره الموضوع الأصلي في رسالته - مع
ذلك فواضح مما تقدم أنه لم يستوعب جميع عوامل التحريف بالدراسة .

وكما قلت من قبل إن دراسة بعض عوامل التحريف لاتغني عن استيعابها
جميعاً بالبحث والدراسة .

٤- النصرانية من التوحيد إلى التثليث :

وهي في الأصل رسالة علمية تقدم بها الطالب محمد أحمد الحاج لنيل شهادة الماجستير ، من كلية أصول الدين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، بعنوان " التوحيد في النصرانية وما أصابه من تحريف " ، واختصره إلى المسمى المذكور . وطبعه في كتاب عام ١٤١٣ هـ ، ونشرته دار القلم في دمشق .

وواضح من العنوان أن الباحث اقتصر في دراسته لانحراف النصرانية على انحرافها من التوحيد إلى التثليث ، في حين أن مواضع الانحراف فيها كثيرة ، حيث شمل هذا الانحراف كل العقائد والتشريعات النصرانية .

ومع أن الباحث تكلم خلال بحثه عن مصادر الانحراف في النصرانية ، إلا أنه اقتصر على بيان تأثير كل من : الفلسفة والوثنيات وبولس والمجمع في تحريف العقيدة النصرانية من التوحيد إلى التثليث فقط .

وواضح كذلك أن مثل هذه الدراسة المتخصصة في أحد جوانب التحريف لاتغني عن دراسة جميع عوامل التحريف ، وبيان أثرها التحريفي لمختلف عقائد النصرانية وشرائعها .

ولعل هذا العرض للدراسات السابقة في قضية تحريف النصرانية يكشف لنا في وضوح الحاجة الماسة إلى دراسة جامعة لجميع عوامل تحريف رسالة المسيح ﷺ في مختلف جوانبها ، على أن تكون في نفس الوقت دراسة متعمقة قدر الإمكان ، وبحسب الطاقة - متعمقة لبيان أثر كل عامل من تلك العوامل ، وهو ما أرجو أن تكون الدراسة قامت به وفاء لهذه الحاجة .

٣- صعوبات البحث :

والواقع أن كل عمل علمي جاد يتحمل صاحبه في سبيل إتمامه صعوبات عدة، وقد كان هذا شأني في الإعداد لهذه الرسالة وكتابتها . وتتمثل هذه الصعوبات فيما يأتي :

- إن أول ما يواجهه الباحث الذي يكتب في هذه الموضوعات هو قلة توفر المصادر ، وصعوبة الحصول عليها ، ومع ذلك فقد حرصت على جمع أكبر قدر ممكن من المصادر العلمية ، وبذلت في سبيل ذلك جهداً كبيراً ، حيث قمت بجمع المصادر العربية للبحث بنفسي ، من مكاتب مكة والمدينة والرياض ، ثم سافرت إلى القاهرة لهذا الغرض ، فجمعت من مكباتها الكثيرة ما وجدته فيها مما يفيد بحثي ، ثم حصلت وبطريق المراسلة لمكاتب بيروت ودمشق وعمان على ما فيها من مصادر البحث .

- وكذلك امدني المعهد البابوي للدراسات العربية في "الفاتيكان" بأعداد من دوريته القيمة "إسلاميات مسيحيات" .

- أما المراجع الأجنبية فقد حصلت على الكتب الفرنسية من الأستاذ الدكتور " محمد محمد حسانين" في القاهرة ، أما الكتب الإنجليزية فقد أرشدني إليها الدكتور " عمر الفاروق" أستاذ مادة الأديان بجامعة الملك عبدالعزيز ، وحصلت عليها من الولايات المتحدة عن طريق المراسلة . وهذه المراجع لم تسبق ترجمتها ، فعملت على ترجمتها على نفقتي الخاصة .

- نظراً لندرة المعلومات المتعلقة بالعصور النصرانية الأولى التي تشملها الدراسة ، والتي شهدت نشأة النصرانية وتطورها ، وعوامل تحريفها - نظراً لندرة المعلومات التي تتضمنها المصادر التاريخية عن هذه الفترة ، فقد اقتضت كتابة الباب الأول الخاص بهذا الجانب من الرسالة جهداً كبيراً في الحصول على هذه المعلومات ، وفي تحقيق وجهات النظر المتعددة بين المؤرخين الغربيين في تصوير هذه الفترة وأحداثها ، والحكم عليها وتصويب ما قد يكون بينهم فيها من أحكام خاطئة .

- وأرجو أن يسمح لي هنا بتسجيل ما تحمته من مصاعب الجمع بين وظيفتي كمعيدة في جامعة الملك عبدالعزيز ، وما تقتضيه تلك الوظيفة من جهد القيام بالتدريس ، وبين ما بذلته من الجهد في جمع المراجع وكتابة البحث طوال عامي ١٤١٤-١٤١٥هـ ، حيث لم يصدر قرار ابتعائي إلى جامعة أم القرى كباحثة متفرغة إلا في عام ١٤١٦هـ . وفي هذا العام والعام التالي ١٤١٧هـ قمت بالجهد الأكبر في إتمام هذه الرسالة ، والحمد لله .

هذه اجمالاً أهم الصعوبات التي واجهتني في كتابة هذا البحث .

٤- منهج البحث :

أما عن منهجي في البحث فقد اتبعت فيما تضمنته الرسالة من حقائق تاريخية لاسيما الباب الأول الخاص بدراسة حياة المسيح وقيامه بدعوته ، والتأريخ للنصرانية - اتبعت في ذلك المنهج التاريخي الذي يعتمد على تقصي الحقائق من مصادرها الأصلية ، ووضعها في إطارها التاريخي الصحيح .

أما دراسة عوامل التحريف وبيان أثرها ، فقد اتبعت في ذلك المنهج التحليلي في شرح كل عامل منها ، وتحليل نتائجه في التحريف .

ثم سرت في كتابة هذا البحث وفق الخطوات المنهجية الآتية :

أولاً- استقيت المعلومات التاريخية من المصادر الأصيلة في التاريخ العام ، كذلك المصادر الأصلية في التاريخ النصراني سواء كانت تلك المصادر عربية أم أجنبية . ومن دوائر المعارف الموثوقة مثل : دائرة المعارف البريطانية ، ودائرة معارف القرن العشرين ، ودائرة معارف للبستاني ، كما هو مذكور في ثبت المصادر بالتفصيل .

ثانياً- رجعت في ذكر الأقوال المسندة إلى أصحابها إلى مؤلفاتهم ، ولم أنقلها من المؤلفات الوسيطة التي تنقل عنهم .

ثالثاً- فصلت القول في بيان تأثير كل عامل من عوامل التحريف فيما نتج عنه من تحريفات عقدية أو تشريعية ، مستشهدة على ما أذكره بالشواهد التاريخية ، والنصوص القولية المعتمدة ، ولم أكتف بالإجمال في ذلك حتى لا يكون ربطنا بين عامل التحريف ونتائجه مجرد دعوى لا يقوم عليها دليل .

رابعاً- نظراً لضياع النصوص الأصلية لإنجيل عيسى عليه السلام ، ولعدم وجود المصادر التاريخية الموثوقة في نقل حقائق ديانة المسيح عليه السلام قبل تحريفها ، فقد اعتمدت في ذلك على القرآن الكريم باعتباره الوثيقة الصحيحة الوحيدة التي تتضمن حقائق الدين النصراني ، وغيره من رسالات الأنبياء السابقين .

خامساً- استشهدت على كثير من وقائع التحريف ، وذكر العوامل المؤثرة فيه بأقوال الغربيين ، الذين يعنون بالبحث العلمي الدقيق ، دون تأثر بالعوامل الدينية أو غيرها ، وكان استشهادي بالمصادر الإسلامية في هذا الجانب على سبيل الاعتضاد بها ، لا الاعتماد عليها .

سادساً- في بيان تأثير الوثنيات القديمة في تحريف العقائد النصرانية بينت العوامل التاريخية التي جمعت بين المجتمعات الوثنية والنصرانية ، وساعدت على تأثر النصارى في عقائدهم بتلك الوثنيات .

سابعاً- في ذكرى لتأثير الفلسفة في انحراف العقائد النصرانية لم أعن بعرض آراء المدارس الفلسفية السابقة عليها ، ولكني وجهت عنايتي لعرض الآراء الفلسفية للفلاسفة الذين دخلوا في النصرانية في عهدها الأولى ، وكان لآرائهم الفلسفية أثرها البالغ في تحريف النصرانية في تلك العصور .

ثامناً- ما استفدته بالمعنى من المصادر أو تصرفت في نصه أشير إليه في الهامش بقولي راجع ، وأرمز لذلك بحرف "ر" .

تاسعاً- استخدمت الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد النسخة البروتستانتية، وهي التي أحيل إليها ، وإذا نقلت عن غيرها أشير إليه ، كما جعل النص المنقول من الكتاب المقدس بين قوسي تنصيص وأشير في الهامش إلى موضعه من الكتاب المقدس.

عاشراً- ذكرت في الهامش الإسم المشهور للكتاب أو المرجع ، واختصره إذا كان طويلاً ، وإذا كان مسمى الكتاب عند أكثر من مؤلف فيأني أميزه بذكر لقب المؤلف ، ويمكن للقاريء الوقوف على المعلومات المرجعية الكاملة للكتاب في قائمة المراجع ، وذلك طلباً للاختصار لكثرة المصادر والمراجع المستخدمة في الرسالة .

حادي عشر - لم أعرف بجميع الأعلام الواردين في الرسالة نظراً لكثرتهم ، ولأن الكثير منهم لا يتعلق بالتعريف بهم غرض من أغراض الرسالة الأساسية .

٥- خطة الرسالة :

لقد قسمت بحثي إلى مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة وهي:
المقدمة ، وهي التي بين أيدينا وتتضمن بيان موضوع الرسالة وأهميته ،
 ودواعي الكتابة فيه ، والدراسات السابقة على الموضوع ، وصعوبات ومنهج
 البحث ، وأخيراً خطة الرسالة .

الباب الأول وعنوانه: "المسيح عليه السلام وتاريخ النصرانية حتى سنة ٨٧٩م".
 ويشتمل على تمهيد وثلاثة فصول : أما التمهيد ففيه تعريف بكلمة "نصرانية"
 ثم الفصل الأول ، وعنوانه " بنو إسرائيل عند مبعث المسيح عليه السلام "، وشمل
 الحديث عن بني إسرائيل عند مبعثه عليه السلام من ناحية البيئة التي نشأ فيها، والوضع
 السياسي والاجتماعي والديني في تلك الفترة . والطوائف اليهودية القائمة عند
 مبعثه، وأخيراً الحديث عن وضع الهيكل ووضع رجال الدين عموماً .

الفصل الثاني وعنوانه: "حياة المسيح عليه السلام وقيامه بدعوته" وتحدثت فيه عن
 البشارة بالمسيح عليه السلام وولادته ونشأته من خلال المصادر التاريخية والنصرانية، ثم
 بعثه وقيامه بالدعوة، ومآلقاه من مصاعب في دعوته وأخيراً نهاية أمره عليه السلام .

وقد ختمت هذا الفصل بالحديث عن المسيح عليه السلام ودعوته كما يصورها لنا
 القرآن الكريم، وكما ذكرها علماءنا المسلمون .

أما الفصل الثالث والأخير في هذا الباب فهو بعنوان " النصراني والنصرانية
 من رفع عيسى عليه السلام حتى سنة ٨٧٩م".

وينقسم هذا التاريخ إلى ثلاث مراحل :
 المرحلة الأولى من رفع عيسى عليه السلام إلى تدمير القدس سنة ١٣٥م وتحدثت
 فيها عن الجماعة الأولى أو الاتباع حالهم بعد عيسى عليه السلام .

وفيها عرضت لبدايات الاضطهاد الذي تعرضت له الجماعة الأولى . وما كان من أمر بولس وانصاره ومخالفته لهم - أي للجماعة - في عرض تاريخي ساعد في تحديد العقائد النصرانية التي ظهرت في هذه المرحلة .

المرحلة الثانية من تدمير القدس سنة ١٣٥م إلى مجمع نيقية سنة ٣٢٥م . وفيه عرضت للوضع السياسي والديني في تلك الفترة وما ظهر وتأصل فيها من عقائد .

أما المرحلة الثالثة والأخيرة وهي المرحلة التي تمتد من مجمع نيقية ٣٢٥م إلى سنة ٨٧٩م وفيها كذلك تحدثت عن الوضع السياسي والديني في تلك الفترة وما ثبت من عقائد وما زاد عليها وأصبح سمة للنصارى والنصرانية عموماً .

أما الباب الثاني، وموضوعه "العوامل الداخلية وأثرها في تحريف رسالة المسيح عليه السلام" .

وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول، وعنوانه "بولس وأثره في انحراف النصرانية" وفيه تحدثت عن بولس ودخوله في النصرانية ودوافعه، ودعوته، وتأثيره في النصرانية فيما نادى به من عقائد وشرائع محرفة أصبحت سمة من سمات النصرانية الحالية.

الفصل الثاني، وعنوانه "فقدان النصوص الأصلية للنصرانية وأثره في الانحراف العقدي"، وشمل الحديث عن انجيل عيسى عليه السلام وفقدانه، وكذا الانجيل التي يعتمدها النصارى اليوم وفقدان سندها وأثبات تحريفها وتناقضها من خلال مصادرهم وما يذكره دارسو النصرانية الغربيين .

الفصل الثالث، وعنوانه "الفرق النصرانية وأثرها في تحريف النصرانية"، وتحدثت فيه عن الفرق التي ظهرت في تاريخ النصرانية في حدود الفترة التي شملتها الدراسة، سواء الموحدون منهم أو المنحرفون وأهم هذه الفرق وأثر ظهورها وآرائها في تحريف النصرانية ومانادات به من عقائد .

أما الفصل الرابع والأخير ، وموضوعه " المجامع النصرانية المسكونية وأثرها في تحريف العقائد " : وقد تكلمت فيه عن المجامع المسكونية التي يزعم النصارى اجتماع رؤسائهم واساقفتهم واجماعهم على تقرير العقائد التي خرجوا بها . وتقع هذه المجامع في الفترة من ٣٢٥ م إلى ٨٧٩ م ، وتضم هذه الفترة ثمانية مجامع تحدثت عن كل منها وما تقرر فيه من عقائد محرفة .

أما الباب الثالث والأخير ، وموضوعه " العوامل الخارجية وأثرها في تحريف رسالة المسيح عليه السلام " ويشتمل على ثلاثة فصول : الفصل الأول ، وعنوانه " أثر الإضطهاد في تحريف النصرانية " وخصصته للحديث عن الاضطهادات التي واجهها النصارى وأثرها في تحريف النصرانية . وذكرت مصادر الاضطهاد الثلاثة : اليهود والرومان ثم النصارى أنفسهم بعضهم لبعض انتصاراً للعقائد التي ينادي بها أصحاب كل مذهب أو فرقة .

وذكر هذا الفصل ضمن العوامل الخارجية على اعتبار الغالب حيث إن اضطهاد اليهود والرومان وما آل إليه أمرهم مع النصارى هو مما ووجه به النصارى من قبل اعدائهم الخارجيين .

الفصل الثاني ، وموضوعه " أثر الوثنيات القديمة في تحريف النصرانية " وفيه ذكرت الظواهر العامة التي خضعت لها الوثنيات عموماً وما خضعت له النصرانية من تلك الظواهر .

ثم تناولت بالبيان أثر الوثنيات القديمة في تحريف العقائد والشعائر النصرانية ، وذلك بذكر العقائد والشعائر النصرانية المحرفة بالتفصيل ، مع بيان المؤثرات الوثنية في ظهور كل منها .

أما الفصل الثالث والأخير في هذا الباب فموضوعه " أثر الفلسفة في تحريف العقيدة النصرانية " ولم أعن في هذا الفصل بالتأريخ للمدارس الفلسفية السابقة على ظهور النصرانية ، ولكنني تحدثت فيه عن بداية اتصال الفلسفة بالفكر اليوناني وأشهر الفلاسفة الذين تأثر بهم النصارى .

ثم عرضت لأهم فلاسفة النصارى في القرون النصرانية الأولى وآرائهم وما ظهر في آرائهم من ملامح التأثير الفلسفي في العقائد النصرانية التي ظهرت .

وأخيراً جاءت خاتمة الرسالة ، وقد ضمنتها خلاصة وافية لما تضمنته الرسالة من نتائج . وقد ألحقت بهذا العمل مجموعة من الفهارس تضمنت - إلى جانب فهرس الموضوعات -

- فهرساً للآيات القرآنية .

- فهرساً للأعلام ولم اسجل فيه الاسماء التي تتكرر كثيراً مثل الحواريين

وبولس .

- فهرساً للمدن والبلدان .

- فهرساً للفرق والجماعات .

- فهرساً للمراجع المستخدمة في البحث .

هذا وأحمد الله تعالى على ما وفقني إليه في كتابة هذه الرسالة ، وأعاني عليه . وأسأله سبحانه وتعالى أن يكتب لي من الأجر بقدر ما بذلت في عملي من الجهد ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم . وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الباب الأول
المسيح عليه السلام وتاريخ النصرانية
حتى سنة ٨٧٩م

وفيه تمهيد وثلاثة فصول :

تمهيد : تعريف كلمة " نصرانية " .

الفصل الأول : بنو إسرائيل عند مبعث المسيح ﷺ .

الفصل الثاني : حياة المسيح ﷺ وقيامه بدعوته .

الفصل الثالث : النصارى والنصرانية من رفع عيسى ﷺ حتى

سنة ٨٧٩م

تمهيد تعريف كلمة نصرانية

النصرانية لغة: قيل نسبة إلى نصرانة وهي قرية المسيح عليه السلام من أرض الجليل وتسمى هذه القرية ناصره ونصوريه والنسبة إلى الديانة نصراني وجمعه نصارى ^(١).
النصرانية اصطلاحاً: هي دين النصارى الذين يزعمون انهم يتبعون المسيح عليه السلام وكتابهم الإنجيل .

وقد أطلق على اتباع الديانة النصرانية في القرآن الكريم نصارى ^(٢) ، وأهل الكتاب ^(٣) ، وأهل الإنجيل ^(٤) ، وهم يسمون انفسهم بالمسيحيين نسبة إلى المسيح ويسمون ديانتهم "المسيحية".

وأول ما دُعيَ النصارى " بالمسيحيين " في انطاكية حوالي سنة ٤٢ م ، ويرى البعض أن ذلك أول الأمر كان من باب الشتم . ^(٥)

ولم ترد التسمية بالمسيحية في القرآن الكريم ولا في السنة ، كما أن المسيح حسب الإنجيل لم يسم أصحابه وأتباعه بالمسيحيين . وهي تسمية لاتوافق واقع النصارى لتحريفهم دين المسيح عليه السلام ، فالأولى أن يطلق عليهم نصارى ، أو أهل الكتاب .

فلذا فإنني خلال ذكري للنصارى إنما أسميهم بهذا الاسم ، وإذا ورد ذكرهم فإنني أطلق عليهم اسم "نصارى" ، وعلى ديانتهم "النصرانية" ما لم يكن ذلك ضمن نص منقول فإنني أنقله كما كتبه صاحبه ، فإن كثيراً من الكتاب يستخدمون كلمة "المسيحيون" أو "المسيحية".

(١) ر. النصرانية والإسلام ٣٦ نقلاً عن المفردات للراغب الأصفهاني ص ٤٩٥ القاموس المحيط ص ٦٢٢

(٢) انظر البقرة آية (٦٢، ١١٣، ١١٤) .

(٣) انظر آل عمران (٦٤) والنساء (١٧١) .

(٤) المائدة آية (٤٧) .

(٥) قاموس الكتاب المقدس ، ٨٨٩ .

الفصل الأول

بنو إسرائيل عند مبعث المسيح عليه السلام

١- الموطن والأمة :-

ولد عيسى عليه السلام بأرض الجليل من مناطق فلسطين - أو "جليل الأمم" كما سمّاها الإسرائيليون فيما بعده لأنها كانت إقليماً مفتوحاً لجميع الأمم الشرقية والغربية - في مدينة بيت لحم والتي تبعد قرابة ١٠ كم جنوبي (القدس) ^(١).

ولذا من المهم التعريف بجغرافية هذه المنطقة والأحداث التي مرت بها قبل بعثة عيسى

عليه السلام.

ومعنى "الجليل" بالعربية الدائرة، ويعنون بها الإحاطة، لأنها اتسعت للكثير ممن يحال بينهم وبين الإقامة في بلاد أخرى من فلسطين، ولاسيما الجنوب حيث اليهودية ^(٢).

تقع الجليل في الجزء الشمالي من فلسطين، بين البحر الأبيض المتوسط، وبحيرة طبرية - جنوب ما يعرف بلبنان - وكانت طبرية هي العاصمة السياسية لهذه المنطقة، أمّا قراها التي اشتهرت في الإنجيل فهي: كفرناحوم، والناصرة حيث نشأ عيسى عليه السلام، وناين، ومجدل ^(٣).

(١) ر. معجم الحضارات السامية، هنري عبود، ص ٢٥٣، ٣٢٠، ومتى ١:٢، لو ٤:٢، وانظر. عيسى، جينيير،

ص ٩٤-١٠٠ حيث ناقش اختلاف الكتاب في ترجيح مكان ولادته الناصرة أو بيت لحم.

(٢) النصرانية، شاهين، الفكر الاسلامي في الرد على النصارى، الشرفي، ٢٢، ٢٤ المسيح انسان ام اله، مرجان، ٤٣،

عبرية المسيح، العقاد، ٢٨-٣٥

(٣) ر. معجم الحضارات السامية ٣٢٠، ٨٣٥.

وتاريخ فلسطين تاريخ حافل، ففي الألف الثالثة ق.م هاجر إلى هذه المنطقة -والتي سميت فلسطين فيما بعد - افواج من القبائل العربية، فكان الفينيقيون - وهم شعب سامي منبته لا يزال غير محدد بصورة دقيقة - أسبق الجماعات هجرة إلى هذه المنطقة. وقد وجدوا على شاطئ البحر المتوسط شمال غرب فلسطين مكاناً جيداً للإستقرار فأقاموا به وانشأوا أهم مدنهم صيدا وصور .

والى الجنوب من الفينقيين نزلت قبائل عربية اخرى اشهرها " الكنعانيون" حوالي سنة ٢٥٠٠ ق.م .

واستقرت هذه القبائل على ضفة الأردن الغربية نحو البحر المتوسط في المنطقة الوسطى من فلسطين ، وسمت هذه المنطقة باسمهم ، فأصبحت تدعى " أرض كنعان" (١).

وقد شملت أرض كنعان مدناً عدة أهمها السامرة ، والتي أصبحت فيما بعد وحوالي عام ٨٨٠ ق.م عاصمة مملكة اسرائيل. (٢)

وفي سنة ١٢٠٠ ق.م نزلت بالساحل المطل على البحر المتوسط جماعات من جزيرة " كريت" وكانت تسمى قبائل " فلسطين" نزلت بين " يافا" و" غزة" واختلط الكنعانيون بهم ، وأطلقوا عليهم اسم "فلسطينيين" وأصبحت المنطقة كلها تعرف باسم فلسطين (٣).

وفلسطين هي المنطقة التي يذكر أهل الكتاب أن ابراهيم الخليل عليه السلام هاجر إليها ، مع العلم أنهم لم يذكروا أنه هاجر بسبب أذى قومه له ومحاولتهم قتله بعد أن دعاهم إلى عبادة الله. وفي فلسطين رزق باسحق عليه السلام ، ورزق اسحق بيعقوب عليه السلام وهو اسرائيل الذي ينسب إليه بنو اسرائيل. (٤)

(١) ر. دراسة تحليلية لإنجيل مرقس تاريخياً وموضوعياً ٢٦-٣٦ ، اليهودية ، شلي ٤١ ، معجم الحضارات السامية ٣٢٠ ،

(٢) ر. معجم الحضارات ٤٥٤

(٣) اليهودية ، شلي ٤

(٤) اسرائيل كلمة عبرية مركبة من كلمتي "اسر" و"ايل" اسر ومعناها القوة والغلبة ، وايل معناها الإله أو الله ، ومعناها في نصوص العهدين القديم والجديد يصرع أو يجاهد الإله -تعالى الله عن ذلك -، وترد كذلك بمعنى قوة الله . أما مفهومها الإسلامي كما ذكره المفسرون فهو بمعنى عبد الله أو صفوة الله . والقرآن الكريم أقر الإسميين ليعقوب عليه السلام وقد أطلق هذا الإسم كذلك على المملكة الشمالية لفلسطين . ر. بنو اسرائيل وموقفهم من الذات الإلهية ، ١٢٩ ، وفتح القادير ١/٧٣ -

وظل بنو اسرائيل - أبناء يعقوب بن اسحق عليهما السلام - في أرض فلسطين يتنقلون في جنباتها على عادة الرعاة، ويعيشون فيها حياة البداوة ، كما قال عَلِيٌّ حكاية عن يوسف السَّلِيلِ **﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ ﴾** (يوسف ١٠٠) .

واستمر بهم هذا الحال الى أن انتقلوا الى مصر واستوطنوها زمن يوسف السَّلِيلِ، حتى خرجوا منها بعد ذلك بزمن طويل مع موسى السَّلِيلِ بعد أن أوحى الله تعالى إليه **﴿ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ ﴾** (الشعراء ٥٢) ، فخرج بهم ، وكان أن حكم الله عليهم بالتيه بعد ذلك وذلك جزاء تخاذلهم عن قتال أهل الأرض المقدسة ^(١) .

وصل موسى إلى أرض " موآب " شرق الأردن ، وصعد إلى قمة جبل قبالة "أريحا"، ونظر إلى الأرض التي أشار إلى بني اسرائيل بدخولها ، ومات موسى السَّلِيلِ على أرض " موآب " ولم يدخل الأرض المقدسة ^(٢) .

(١) ر. دراسات في الأديان ، ٣٢ ، ٣٣ ، دراسة تحليلية ٤٦ ، ٤٧ . وقد اختلف في تحديد الأرض المقدسة فقبيل هي أريحا وقيل هي الطور وما حوله وقيل الشام وقيل دمشق وفلسطين وبعض الأردن ، وقيل هي بيت المقدس . ر. تفسير ابن جرير ١٧٢/٦ وابن كثير ٣٦/٢

(٢) ر. عدد ٣٤ / ٢-١٥ ، تاريخ الأقباط ٤٣/٨

وهو ما يؤكد حديث النبي ﷺ الذي أورده البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : (ارسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام فلما جاءه صكه فرجع إلى ربه وقال : ارسلني إلى عبد لا يريد الموت ، قال : ارجع إليه فقل له يضع يده على متن ثور فله بمى غطى يده بكل شعرة سنة ، قال : أي رب ثم ماذا ؟ قال : ثم الموت ، قال فالآن ، قال فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر . قال أبو هريرة رضي الله عنه ، فقال رسول الله ﷺ : لوقا كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب) البخاري (٢٥٦-) محمد بن اسماعيل . صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري لابن حجر ، تحقيق محب الدين الخطيب ، ط ٥ القاهرة ، دار الريان ، ١٤٠٧ ، ح ٥٨/٦ كتاب أحاديث الأنبياء رقم ٣٤٠٧ باب وفاة موسى وذكره بعده وانظر ٢٤٥/٣ حديث ١٣٣٩ كتاب الجنائز .

وتفرد الطبري بقوله بدخول موسى عليه السلام الأرض المقدسة . انظر تفسير الطبري ، ١٠ / ٢١٩٨ وابن كثير ٤١/٢ ،

وخلف موسى ﷺ يشوع - كما يسميه أهل الكتاب - " يوشع بن نون " (١) ﷺ -
الذي اختاره موسى قبل موته لقيادة بني اسرائيل ، وهو الذي عبر بهم الى أرض كنعان -
فلسطين - بعد انقضاء التيه المحكوم على بني اسرائيل وذلك في حدود القرن الثالث عشر ق.م.
وكان هذا أول استقرار لبني اسرائيل واستيطان لفلسطين . (٢)

ومرت حياة بني اسرائيل في فلسطين بثلاثة عهود متميزة :

١- عهد القضاة : وكان حكام اليهود فيه في هذه الفترة قضاة من الكهنة ، ولم يكن في
بني اسرائيل ملوك في تلك الأيام ، وقد دون تاريخ هذه الحقبة في سفر القضاة .

٢- عهد الملوك : وهو العهد الذي بدأ فيه الحكم ملكياً ، وقد قص الله علينا خبر أول
ملوكهم ، في قوله ﷻ ﴿ ألم تر إلى الملائم بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا
ملكاً نقتل في سبيل الله ﴾ (البقرة ٢٤٦) فجعل الله ﷻ عليهم طالوت ملكاً ، ويسمى في
كتبهم شأؤول ، وخلفه داود في زعامة اليهود .

واتخذت مدينة القدس عاصمة للملك ، ثم خلف النبي داود ﷺ ابنه النبي سليمان ﷺ
في ملكه وكان عهدهما أزهى العهود التي مرت على بني اسرائيل .

٣- عهد الإنقسام : زوال ملك بني اسرائيل ، وهو العهد التالي لسليمان ﷺ ، حيث
انقسمت مملكته الى مملكتين : مملكة يهوذا في الجنوب وعاصمتها القدس ، ومملكة اسرائيل في
الشمال وعاصمتها نابلس في الجليل .

(١) دلّ على نبوته حديث أبي هريرة مرفوعاً " أن الشمس لم تحبس لبشر الا يوشع ليالي سار الى بيت المقدس " أخرجه أحمد

٣٢٥/٢ وفي رواية أخرى قال فيه " غزا نبي من الأنبياء... الحديث " وفيه قصة تتفق مع حبس الشمس في الحديث السابق مما

يدل على أن المراد بهذا النبي هو يوشع بن نون عليه السلام . وأكد هذا الحافظ بن حجر في الفتح ٣٢/٦ ، وابن كثير البداية

وكان بين الدولتين عداً و قتال ، وكان يحدث في بعض الفترات من تاريخها توافق وتعاون وكانت تقع على الدولتين حروب من قبل جيرانهم ، كما أن الدولتين وقع من حكامهما وشعبيهما عبادة للأصنام في كثير من تاريخهما. (١)

ثم تسلط الأعداء عليهم ، ثم كان زوالهم وذلك أولاً : باستيلاء الآشوريين على دولة اسرائيل عام ٧٢٢ ق.م والقضاء عليها ، ثم سقطت دولة يهوذا في الجنوب بيد الفراعنة عام ٦٠٣ ق.م تقريباً. (٢)

ثم جاء بعد ذلك حاكم بابل الكلداني بختنصر واسترجع منطقة الشام وفلسطين وطرده الفراعنة منها ، ثم زحف مرة أخرى على دولة يهوذا التي تمردت عليه فدمرها ودمر معبد اورشليم وساق شعبها مسبياً إلى بابل . وهو ما يسمى بالسبي البابلي . وكان في هذا نهاية هذه الدولة التي تسمى يهوذا ، وذلك في حدود عام ٥٨٦ ق.م .

ثم سقطت دولة بابل في يد الفرس في عهد ملكهم قورش سنة ٥٣٨ ق.م سمح لليهود بالعودة الى بيت المقدس وبناء هيكلهم وعين عليهم حاكماً منهم من قبله . (٣)

واستمر حكم الفرس من ٥٣٨ — ٣٣٢ ق.م ، ثم زحف على بلاد الشام وفلسطين الإسكندر المقدوني اليوناني واستولى عليها ، وأزال حكم الفرس ، ودخلت منطقة اليهود تحت حكم اليونان من نهاية القرن الرابع عشر ق.م الى منتصف القرن الأول ق.م ، حيث زحف بعد ذلك على البلاد القائد الروماني بومبي سنة ٦٤ ق.م وأزال حكم اليونانيين عنها فدخل اليهود تحت حكم الرومان وسيطرتهم ، وفي زمانهم ولد المسيح عليه السلام. (١)

(١) ر. دراسة تحليلية ٥٥ — ٥٧ ، تاريخ الأقباط ١٥٨/٨ وما بعدها ، موجز تاريخ العالم تأليف جماعة من المؤرخين السوفيت

٢- الحالة السياسية والاجتماعية :

خضعت فلسطين للسياسة الرومانية منذ سنة ٦٣ ق.م - فانتهجت في أول الأمر نظام الحماية ، وأوكلت ظاهر السلطة إلى ملك محلي من اليهود لضمان ولائه . وتجدر الإشارة إلى أن من اليهود من استقبل حكم الرومان بصدور رحب وتعاونوا معهم في حكم البلاد ، اما البعض فقد اعتبروا وجودهم أمراً يجب محاربهه ومن هذه الجماعة ظهرت أحزاب ساهمت في تطور النصرانية .

وفي عصر اغسطس امبراطور روما (-١٤ م) أحاطت الإمبراطورية الرومانية في تلك الفترة بالبحر المتوسط كله وبلاد أوروبا الواقعة غرب نهر الراين الى البحر الأسود ، وحكمت الأناضول "تركيا" وبلاد الرافدين والشام ، ومصر والشمال الأفريقي كله .

أي أن المجتمع النصراني ولد في مكان التقى فيه عالمان : الشرق والغرب ، والساميون والرومان والإغريق واليهود وغير اليهود .^(١)

وقد تولى الحكم في منطقة فلسطين رجل متهود هو "هيردوس الأكبر" فحكم من (٣٧ - ٤ ق.م) ثم مال بث رومه في سنة ٦م ان اخضعت البلاد كلها لحكمها المباشر ، فضمت مقاطعتي اليهودية في الجنوب ، والسامرة في الوسط ضمن ولاية واحدة .

وبعد موت هيرودوس الأكبر خلفه ابناؤه الثلاثة على حكم فلسطين معتمدين من قبل الحكومة الرومانية ، فاحتفظ انتيباس (حكم من ٤ق.م - ٣٩ م) - أحد أبناء هيرودوس الأكبر - بمقاطعته المشتملة على منطقة الجليل في شمال فلسطين ، والتي كانت عاصمتها طبرية على مقربة من الناصرة حيث نشأ عيسى عليه السلام كما ذكرنا^(٢) ووقعت مشارف الشام في حصة فيليب (٤ق.م - ٣٤م)^(٣) .

(١) ر. تاريخ الكنيسة في العهود الأولى ص ٣ .

(٢) ر. ص ٢ من البحث

(٣) الفلك الإسلام في الدعاة النبوية ، ٢٤ ، الناصرة ، ٢٣ ، ٢٢ ، ٢١ ، ٢٠ ، ١٩ ، ١٨ ، ١٧ ، ١٦ ، ١٥ ، ١٤ ، ١٣ ، ١٢ ، ١١ ، ١٠ ، ٩ ، ٨ ، ٧ ، ٦ ، ٥ ، ٤ ، ٣ ، ٢ ، ١ .

وقد حكم أرخيلالوس منطقة اليهودية والسامرة (٤ق.م — ٦م) ويشمل ذلك منطقة بيت المقدس.^(١)

وتولى الإمبراطورية الرومانية بعد اغسطس الامبراطور الروماني طيباروس ودام ملكه ثنتين وعشرين سنة.^(٢)

وقد خضعت منطقة فلسطين وماحولها تحت حكم هؤلاء لعديد من الاضطرابات ، أما هيرودوس الأب فلم يكن محبوباً من الشعب نظراً لخضوعه للرومان من جهة ، ولطغيانه من جهة أخرى ، وظل رجال الدين يرون فيه الوثني المحبذ للهلنستية^(٣) ، وفي عهده تم هدم الهيكل الذي بناه اليهود زمن عزرا وجدد بناءه إلى الأسس التي كانت له زمن سليمان^(٤) .

وقد عرف بالعنف والشراسة ، وكان لا يتردد في قتل أي شخص تخوم حوله الشبهات ، أو يهدد بقلب نظام الحكم ، وكان يضطهد أعضاء السنهدرين* بطريقة بشعة لمجرد شعوره بشيء من النفوذ والتسلط منهم .

ومات وقد ترك مملكته منهاراً اجتماعياً واقتصادياً مقسمة سياسياً بين أبنائه الثلاثة ، وقد ساهم ذلك في اشعال الثورات والاضطرابات بعد موته ، وقامت في البلاد أحزاب وطوائف مختلفة من اليهود ما بين مغالية ومعتدلة ، وقد أسهم كل ذلك فيما حدث من تدمير اورشليم سنة ٧٠ م^(٤) .

أما عهد أرخيلالوس الذي حكم اليهودية فكان من السوء بحيث كثرت شكوى اليهود ضده للإمبراطور الروماني ، الذي عزله وولى مكانه بيلاطس البنطي الروماني الأصل والياً على اليهودية سنة ٢٦م واستمرت ولايته عشر سنوات ثم عزل عنها وكان على الجليل وقتها

(١) ر.الفكر الإسلامي ، ٢٤ ، النصرانية ، شاهين ، ٢٣ ، ٢٦ - ٢٩ ، ٣٥ ، عقرية المسيح ، ٢٨ - ٣٥ ، تاريخ مختصر الدول لابن

العري ص ٦٦

(٢) تاريخ مختصر الدول لابن العري ص ٦٦

(٣) معجم الحضارات ، ٨٩٢ ، ٨٩٣ ، والمدخل الى العهد الجديد ، ٢٥ ، وانظر التعريف بالهلنستية ص ١١ من البحث .

* انظر ص ٢٦ .

(٤) تاريخ مختصر الدول لابن العري ، ٦٦ ، the rise of christianity ص ٢١ .

انتيباس^(١) الذي كان أشد من أخيه ، وهو الذي قتل يحيى بن زكريا عليه السلام بسبب فتواه بتحریم زواجه من امرأة لا تحل له^(٢) .

ونقل صاحب العهد الجديد أن عيسى عليه السلام سماه بالثعلب لذكائه^(٣) . وفي تلك الفترة ترك كثير من الشعب اليهودي تمسكه بالناموس وتأثروا باليهود الذين اندمجوا في الأمم الخاضعة للإمبراطورية ، والذين يفتدون إلى فلسطين والقدس للحج ، حتى قادة الدين أنفسهم تخلوا عن مراكزهم وتمسكهم بالناموس ، وهو مادعا الفريسيين^(٤) إلى المناذاة بالعودة إلى الشريعة ، وزاد من ترقب الآسنيين^(٥) للمسيح الموعود ..^(٦)

وحدثت اشتباكات عدة بين الرومان ووفود الحجيج القادمة إلى القدس ، وامتدت الإشتباكات إلى أماكن كثيرة لاسيما بين السلطات وبين جماعة سموا " بالغيورين " تميزوا بتعصب وطني في رفض المستعمر الاجنبي ودفع الجزية ، وتعصب ديني في محاولة تطهير الهيكل من غير اليهود .^(٧)

وكانت منطقة فلسطين في حالة هيجان وثورة ضد السلطات الرومانية ، كما ذهب إلى هذا أكثر الدارسين ، لاسيما في عهد طيباريوس* في حين نجد بعض الدارسين يرى خلاف ذلك.

(١) يقال له هيروودوس في العهد الجديد .

(٢) تاريخ مختصر الدول ٦٧ ، المدخل إلى العهد ٢٦

(٣) المدخل إلى العهد الجديد ٢٦ ، ولو ق ١٣ : ٢٢

(٤) انظر ص ١٨ من البحث

(٥) انظر ص ٢٣ من البحث

(٦) تاريخ الفكر المسيحي ١٠١ - ١١٠

(٧) تاريخ الفكر المسيحي ١١٠ - ١١٢ ، ٢١٦ ، ر. في ذلك أعمال الرسل ٢١ : ٣٨ ، ٥ : ٣٦ - ٣٨

* طيباريوس ، يليه س قيصر امبراطور رومانى (١٤ - ٣٧) كان مكروما ومحبوياً لدى هيروودوس انتيباس ، معجم الحضارات

وباستثناء الصدوقيين المتعاونين مع المستعمر الروماني كانت الأحزاب الأخرى ضد الرومان في نزاع مستمر وعنيف. (١)

ونتيجة لكل هذه الاضطرابات تعمقت فكرة انتظار المخلص الموعود ، وهو ماصعد من حدة الاضطهاد بينهم وبين الرومان. (٢)

وقد ولد المسيح ^{عليه السلام} في أواخر عهد هيروودوس الأكبر وعاصر فترة حكم أبناؤه فيما بعد بكل ماتلك الفترة من الأحداث .

وكانت الحالة السياسية في فلسطين في عصر المسيح من أسوأ ما يكون ، وأبلغ منها في سوء الحالة الإجتماعية ، فبسبب السلطة المطلقة التي كانت بيد الحكام ضاع النظام مع القانون، فحدث تفاوت كبير بين الحكام والمحكومين ، فكانت الثروة والترف والطغيان في ناحية ، والفقير والهوان في ناحية أخرى ، إضافة الى الضرائب التي كانت تجبى لحساب روما ، وانحصر هدف رجال الدين في جمع الأموال وخلا المجتمع من الترابط والتآلف ، وانتشرت العصية بين الناس وظهرت الفوارق الطبقيّة. (٣)

٣- الحياة الفكرية والدينية:

كانت الثقافة الغالبة للامبراطورية الرومانية هي الثقافة الهلينية* ، ولذا اتصف أكثر سكان هذه الامبراطورية المترامية الأطراف بالإنتماء الى ثقافة واحدة ، وتقاربت أجناس البشر مع كثرة اختلافاتهم الدينية والثقافية والجنسية تقارباً كبيراً .

(١) تاريخ الفكر المسيحي ٢١٣ - ٢١٥ وانظر تاريخ اوروسيوس ٤٢٠ ، وانظر Tyson من ٣٣ - ٤٠ .

(٢) تاريخ الفكر المسيحي ١٢٩ ، ١٣٠ .

* الهلينية هي فكر كان نتاج العصر الذي وقع بين خروج الاسكندر الأكبر من اليونان لغزو العالم (٣٢٣ ق.م) حتى سقوط الممالك اليونانية على يد الدولة الرومانية (٣٠ ق.م) وتختلط فيه الفلسفات اليونانية بالمعتقدات والأفكار غير اليونانية لشعوب آسيا الوسطى والبحر المتوسط ، وكان على رأس هذا الفكر مدرستان من أكبر مدارس الفكر قاطبة وهي (الايقورية والرواقية) المعجم الفلسفي ٣٦٨ .

(٣) ر.النصرانية ، شاهين ٢٣ ، ومشكلات العقيدة النصرانية ، ٤٤ ، دراسة تحليلية ، ٩٥ .

وكانت للدولة الرومانية لغتان رسميتان :

أولهما اللاتينية - لغة ايطاليا القديمة - وهي أم اللغات الأوروبية الرومانية اليوم : أي الإيطالية والأسبانية والبرتغالية والرومانية والفرنسية .

وثانيها : اللغة اليونانية وكانت هذه اللغة هي المقدمة لعلاقتها بالحضارة اليونانية القديمة وآدابها وفلسفتها ، ولعلاقتها بالاسكندر الكبير ، وحركة الهلينية والتهلين .

واتخذت الادارة الرومانية اللغة اليونانية لغة رسمية في أقاليمها الشرقية أي الواقعة شرق ايطاليا ، واتخذت الادارة اللغة اللاتينية لغة رسمية في أقاليمها الغربية أي الواقعة غرب ايطاليا وبلاد الشمال الافريقي الى المغرب الأقصى .^(١)

وكانت جمهرة كثيرة من أهل الجليل يتكلمون الأرامية ويلفظون العبرية بلهجة عامية.^(٢)

ونتيجة للظروف السياسية التي مر بها اليهود انتشروا في العالم أجمع حتى أصبحت لغة فلسطين يجهلها الكثير وصارت اليونانية متداولة ومألوفة كالآرامية تماماً .^(٣)

ولم تكن منطقة فلسطين منعزلة عن العالم الخارجي بحيث تتجنب تأثير الشعوب السريانية والكلدانية التي عاشت بجوارها ، وقد تأثرت بصلاتها المستمرة بالفاتحين الاغريق واليونان الذين بسطوا نفوذهم على مصر والشام ، وتأثير وفود الحجيج التي تفد الى القدس من أبناء الجالية اليهودية التي هاجرت الى أطراف الدولة اليونانية واستقرت بها ، كل ذلك أدى الى تشرب بني اسرائيل بالكثير من الأفكار الخارجية خلال القرون الثلاثة السابقة للتاريخ النصراني .^(٤)

(١) مذكرات الأديان .

(٢) النصرانية ، شاهين ٢٩ ، عبقرية المسيح ، ٥٣ - ٥٦ .

(٣) الكنيسة المسيحية في عصر الرسل ٢١ ، ٢٢ نقلاً عن رسائل الرسل .

(٤) كتاب يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ، ٧٩ ، ٨٠ ، الفكر الإسلامي في الرد على النصراني ، ٢٩ .

وكانت الفلسفات الفكرية التي كان يتحدث بها المنقفون في الامبراطورية الرومانية شائعة في بلاد الجليل ، وحيث اختلط الغربيون والشرقيون كثيراً قبل عصر الميلاد ببضعة قرون وأكثرها الفيثاغورية والأبيقورية والرواقية^(١) ، وهي مذاهب تتصل بسلوك الانسان وعقيدته ، مما كان له أكبر الأثر في النصرانية^(٢) كما سنوضح فيما بعد^(٣) اضافة الى البيئة السورية والفينيقية والتي كانت آنذاك مصباً لكثير من الروافد والتيارات الفكرية والعقدية والاساطير^(٤) .

وشوهدت في روما والاسكندرية ونابلس وبيت المقدس كل عبادة يدين بها البشر وغلبت عقائد الشرق على عقيدة روما واتباعها وجاءت النصرانية بعد ذلك فلم تكن استثناء من تلك القاعدة بعد انحرافها كما سنوضح ذلك فيما بعد . وان كان واند يرى أن الطابع الوثني لم يكن له مثل ذلك التأثير الغالب في القدس بصفة خاصة^(٥) . والكاتب يرى ان هذا الوضع سيفسر لنا وضع النصرانية فيما بعد من ناحية السهولة التي استطاعت ان تكيف نفسها مع احتياجات غير اليهود .

وزحف على العالم الروماني نحل متعددة من فارس وآسيا الصغرى ومصر وغيرها ، وشوهدت آثار العبادة المثرائية – الفارسية – في أقصى الدولة الرومانية من المغرب^(٦) .

كذلك اقتربت نحلة ايزيس المصرية بنحلة ميثرا الفارسية في غزو بلاد الرومان واليونان فسامها اليونان (ديمتر) ونحلوها صفتها المصرية وهي صفة الأمومة^(٧) . وشاعت عبادتها بين الرومان الذين اشتهروا بتقاليد الأسرة . وكان للمراسم السرية التي تلازم كلاً من نحلة ايزيس وميثرا أثر كبير في تشويق الناس الى انتحالها .

(١) انظر تفصيل هذه المذاهب ص ٣٤٩ .

(٢) محاضرات في مقارنة الأديان ، إبراهيم خليل ، ١٧ ، وانظر النصرانية ، شاهين ، ٢٨ ، ٢٩ .

(٣) انظر ص ٣٥٧ .

(٤) كتاب يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ، ٨٠ ، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، ٢٩ .

(٥) ص ٤

(٦) النصرانية ، شاهين ، ٢٥ ، ٢٦ .

(٧) ر . النصرانية ، شاهين ، ٢٦

يضاف الى ذلك وجود النحلة الأورفية في ذلك العصر وهي في الأصل نحلة يونانية لكنها ما لبثت ان اصطبغت بالصبغة الشرقية في التقشف والأخوة الروحية وتحريم اللحم وعدم شرب الخمر الا في مواسم القربان ، هكذا كان اشياعها في عصر ميلاد المسيح .
وقد كان أتباع هذه النحلة يزعمون ان (اورفيوس) زعيم النحلة يزور عالم الموتى ويعود منه وجعلوا لهم موعداً يجزنون فيه على موته وموعداً يحتفلون فيه ببعثه وهذا ما يشبه الاحتفالات الخاصة بموت وبعث (أدونيس) اله الربيع - حسب زعمهم - .

ومن هنا لاحظ علماء مقارنة الأديان أن (آتون) الاله المصري و (أدونيس) الاله اليونان و (وأدوني) بمعنى السيد أو الرب باللغة العبرية وهو اسم لاله عند اليهود كل هذه الأسماء ترجع الى مصدرها المصري القديم^(١) وكل تلك كانت مصادر عدة مؤثرة في النصرانية .

ومن عجائب هذا العصر — عصر المسيح — ان الاعتقادات الوثنية في الامبراطورية الرومانية لم تعد تتمتع بقوتها القديمة وكان العصر عصر الشكوك والتساؤلات الدينية عند كثير من الوثنيين في الدولة والمثقفين منهم خاصة .

وزعم غير واحد من المؤرخين ان من أكبر أسباب ضعف الوثنية ظهور الفلسفة الرواقية والافلاطونية الحديثة .

ولعل من أسباب ذلك أيضاً تعرف الشعوب والقبائل على بعضها البعض وماتج عن تعرفهم على أديان الشعوب والملل ، وماتتصف به هذه الأديان من وجود التشابه والاختلاف .

ويرى بعض المؤرخين ان ذلك جعل كثيراً من الروحانيين ومعاصريهم يرغبون في دين عالمي يجمع بين الشعوب والقبائل وان تحقيق ذلك كان من مقاصد الفلسفة الهلينية فكان هناك فراغ روحاني كبير^(٢) .

(١) انظر تاريخ المسيحية ٢٨ - ٣٠ ، اديان العالم ٣٠ - ١٦١ ففيه عرض مفضل للاديان في المناطق المجاورة والبعيدة ، ومحاضرات في النصرانية ، ابراهيم خليل ١٧ ، ١٩ - ٢١ ، عبقرية المسيح ، ٣٦ - ٤٢ ، ٤٣ - ٥٢ ، ودراسة تحليلية ٩٤ -

٩٨ ، مشكلات العقيدة النصرانية ، ٤٢ - ٤٤ ، المناظرة الأولى ، الجوهري ص ٩

(٢) مذكرات الأديان ، وانظر history and thought of the early church ، ص ٩ .

أما عن وضع اليهود الديني في تلك الفترة ، فقد تأثر هذا الوضع بالشعوب التي جاورها، وفي هذا يقول صاحب بوتقة النصرانية : " ان اليهودية السائدة في زمن المسيح لا يظن انها كانت متطابقة مع ديانة العهد القديم أو مجرد تطوير لديانة اسرائيل القديمة^(١) .

ويذكر القس فهيم عزيز^٢ أن الفكر اليهودي قد حدث فيه تغير ضخم في موقف الشعب بعد السبي من جهة فكرتهم عن الله، فكانت تجربتهم المرة قبل السبي تكمن في الاصنام وعبادتها، ثم نبذت هذه الفكرة في بابل ، وظهرت آثار عقيدة زرادشت واضحة بين اليهود^(٣)، بل إن اليهود لم يستطيعوا التخلص من آلهتهم المتعددة إلا بعد فترة طويلة أي بعد انتهاء السبي البابلي .^(٣)

ويضيف الى ذلك بعض الباحثين تأثير الوثنية الفرعونية وعقائدها ، والكثير من عقائد المصريين وشعائرهم^(٤) .

وان كان هناك من الكتاب من حدد التأثير باليونانية في اليهود الذين استقروا في الاسكندرية، في حين ان الذين بقوا في فلسطين بقوا على عاداتهم وتقاليدهم ولغتهم^(٥)، ويخالفه في هذا القول الباحث الغربي فرند حيث يرى ان الحضارة الاغريقية جذبت اليهود وفي فلسطين نفسها بدأت نصوص التوراة تحف حدثها عندما ازدهرت التجارة اليونانية^(٦) .

ومن قرأ نصوص التوراة تتأكد له وثنية بني اسرائيل ، من عبادتهم للأصنام في يوشع بن نون والقضاة ، وعبادتهم للأوثان في عصر ملوكهم بنصوص من أسفارهم^(٧) .

(١) بوتقة النصرانية ٢٣٦ وانظر دور اليهود في إفساد العقيدة الإلهية ، ص ٩٧

(٢) المدخل الى العهد الجديد ٤٩ ، ٥٠ ، وكذا The rise ١٥

(٣) ر . التوراة بين الوثنية والتوحيد ، ٤٣ ، ٥٢ .

(٤) دور اليهود ٤٥ ، ٤٦

(٥) الديانات والعقائد ، ٢ / ٣١٨

(٦) The rise ص ١٦

(٧) بنو اسرائيل وموقفهم من الذات الإلهية ، ص ٣٨٥ ، ٣٩٧ - ٤٠٤ وانظر مواطن الاستشهاد في الأسفار خروج ٣٢ :

٥١ ، تث ٤ : ٤-٣ ، عد ٢٥ : ٣١ ، مز ١٠٦ : ١٩ - ٢٩ ، هوشع ٩ : ١٠ ، يشوع ٢٤ : ٢٣ ، قضاة ٢ : ١٩ ، ١٠

- ١٣ ، ٣ : ٥-٧ ، سفر الملوك الثاني ٨ : ١٧-١٨ ، اخبار الأيام الثاني ٢١ : ٦ و ١١ -

أما الدكتور فتحى الزغبى فقد تتبع فى دراسته لتأثر اليهودية بالأديان الوثنية وديانات الشرق الأدنى القديم فى بلاد الرافدين وسوريا وديانات مصر القديمة وديانات اليونان والرومان ، ثم تحدث عن قنوات الاتصال بين اليهود وأصحاب الديانة الوثنية عن طريق اتصال اليهود بمصر ، واتصالهم بشعوب فلسطين ، واتصالهم بالفرس مما أدى الى تأثر اليهود بهم لاسيما فترات السبي والاضطهاد ، وفيها تمّ اختلاط اليهود بالشعوب الوثنية .

وتبع هذا الإختلاط زواجهم من الوثنيات وذكر مظاهر الاتجاه الوثنى لدى اليهود فى عصر موسى والتي بينها القرآن الكريم : « اجعل لنا الهاً » (الأعراف ١٣٨) ، « وَأَخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُورٌ » (الأعراف ١٤٨) ، « لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً » (البقرة ٥٥) ، وكان هذا من العوامل التي ساعدت على تأثرهم بالأديان الوثنية القديمة " (١) .

ذاك كان عرضاً لوضع اليهود الدينى بشكل عام عند بعثة المسيح عليه السلام ، مما سيكون له أكبر الأثر عند حديثنا عن تأثير العقائد الشرقية على النصرانية كما سنوضح ذلك .

٤ - الطوائف اليهودية عند ظهور المسيح :

إن أهم فرق اليهود فى هذه الفترة — مبعث المسيح عليه السلام — لدى الباحثين المعاصرين : السامريون ، والصدوقيون ، والفريسيون ، والقمرانيون ، والآسانيون (٢) وكلها باستثناء السامريين فرق ظهرت فى الفترة الوسيطة بعد الأسر البابلي (٣) .

ويرى بعض الكتاب ان معظم فرق اليهود التي ظهرت قديماً وفي الفترات المتأخرة انقرضت دون ان تترك أثراً مكتوبة كثيرة حتى يعرفها المتأخرون معرفة دقيقة ، وان أكثر فرقتين عرف عنها بشيء من التفصيل هما : الفريسيون والقمرانيون .

(١) ر . تأثر اليهودية بالأديان الوثنية ١٠١ - ١٥٧ ، ١٥٩ - ٢١٩ ، ٢٧٩ - ٣١٠ ، ٣٨٠ - ٤١٩ ، وانظر قاموس الكتاب

المقدس ، ٥٩٤ ، ٥٩٥

(٢) ر . التاريخ اليهودي ٢٦٤ - ٢٦٨ ، اليهود تاريخ وعقيدة ٢٠٤ - ٢١٢ ، دور اليهود ٨٧ - ٩٤ ، المسيح ، عبود ٤٥ ،

النصرانية ، شاهين ١٣ ، المسيحية ، شليبي ٢١٨ - ٢٢٤ ، رسائل الرسل وأثرها فى تحريف المسيحية ، ٦٨ - ٨٢

(٣) ر . مذكرات الأديان .

أما الفريسيون فالمعرفة بهم جاءت عن طريق الحاخامات الذين حافظوا على كثير من أخبارها ، وخاصة في دواوين كتب التلمود .^(١) وأما المعرفة بجماعة القمرانيين فتعود الى اكتشاف مخطوطات البحر الميت ، فصارت بهذا الاكتشاف من فرق اليهود المعروفة بعد أن ظلت لحوالي ألفي سنة لا يكاد يعرف عنها شيء^(٢).

ولكل فرقة من الفرق اليهودية السابقة مذهبها حول الاعتراف بأسفار العهد القديم والأحاديث الشفوية المنسوبة إلى موسى المضمنة في التلمود أو انكار بعض هذه الأصول ورفض الأخذ بما فيها من أحكام وتعاليم ، ولكل منها مذهبه في انتظار المسيح الموعود^(٣) .
وفيما يلي عرض لهذه الفرق * بما يعرف بها ومعتقداتها بشكل عام في الفترة التي بعث فيها المسيح .

السامريون : -

السامريون نسبة الى منطقة السامرة في فلسطين ، وكانت السامرة مدينة تمثل عاصمة مملكة اسرائيل ، ثم غلب اسم السامرة على شعب تلك الدولة ، فصار يطلق عليهم " سامريون " وهي أقدم الفرق المذكورة آنفاً ويقال لها أيضاً : الفرقة الشمالية لأن أتباعها كانوا في شمال فلسطين . وهم خليط من اليهود والآشوريين كانوا يسكنون مملكة اسرائيل القديمة .^(٤)
وكان يهود دولة يهوذا يعتبرون السامريين فرقة خارجة عن اليهودية .^(٥)
ومن أهم ما يميز به السامريون في عقيدتهم :
١ - إيمانهم بموسى عليه السلام وإنكارهم نبوة من عداه من بني إسرائيل .

(١) التلمود هو القانون أو الشريعة الشفهية التي كان يتناقلها الحاخامات الفريسيون من اليهود سرّاً ، ثم دونوها لخوفهم عليها من الضياع ، وأطلق عليها اسم " المشناة " ، ثم شرحت فيما بعد هذه المشناة ، وسمي الشرح " جمارا " . وهو يتضمن مبادئ فاسدة وخطرة . ر. الكنز المرصود ٤٧-٤٩ ، دراسات في الأديان ، الخلف ، ٨٧ ، ٨٨ .

(٢) ر. مذكرات الأديان

(٣) انظر البرهان للسكسكي ٨٩ ، ٩٠ ، المسيحية الفاوي ، تاريخ الفكر المسيحي ١ / ٢٢٤ ، ٢٤٥

* للتوسع في معرفة الفرق الأخرى ر. التاريخ اليهودي العام ٣٢٤ ، اليهودية ، شلي ٢١٨ - ٢٢٥ ، وعن التوحيد ٢٠٤ - ٢٠٨ ، الشرقي ٢٥ ، ٢٨ ، الكتب السماوية ١٤٧ - ١٤٩ ، الملل والنحل ١ / ٢١٤ - ٢١٩ ، قصة الديانات ٤٠٨ - ٤١٠ ،

النصرانية ، شاهين ٢٠

(٤) ر. السامريون واليهود ، ١٥ ، التوراة السامرية ، ٤ ، أطلس الكتاب المقدس ، ١٧ .

٢- اعترفهم بالتوراة فقط ، ويضيفون إليها سفر يوشع بن نون عليه السلام ، وينكرون ماعدا ذلك من الأسفار والكتب التي يعزوها اليهود إلى الأنبياء وغيرهم ، كما لا يعترفون بالتلمود ولا يقبلونه .

٣- إعتقاد أن الجبل المقدس هو جبل " جرزيم " ^(١) وهذه كانت من أهم نقاط الاختلاف بين اليهود والسامريين .

٤- إيمانهم بيوم القيامة ، وفي هذا يتميزون عن بقية اليهود الذين لا يتضح في عقيدتهم وكلامهم الإيمان بالبعث والجنة والنار . ^(٢)

ويقال ايضا إن السامريين اعتقدوا بعض الإعتقادات الباطنة التي حرموا إباحتها لغيرهم ، وهذه ملاحظة هامة ، لأن أخبار النصارى تقول إن الفرق النصرانية الباطنية التي يقال لها الفرق الغنوصية جاءت من قبل السامريين ، الذين ادعوا اتباع المسيح عليه السلام على حد تعبير الدكتور عمر الفاروق . ^(٣)

وهم يؤمنون بالخلاص الروحاني على يد المسيح المنتظر ، أو الرسول الموعود ، ويعتقدون أنهم وحدهم جديرون باسم الإسرائيليين ، إذ هم الذين ينتسبون إلى يعقوب عليه السلام . وقد استمرت السامرية إلى يومنا هذا ، وإن كانوا فرقة صغيرة في أرض فلسطين . ^(٤)

الصدوقيون :-

اتباع صدوق الذي يقول أهل الكتاب انه كان يتولى الكهانة في عهد سليمان عليه السلام ، وهم من أقوى فئات اليهود بعد الأسر البابلي اقتصادياً وسياسياً بسبب نفوذهم في الهيكل . وكانت علاقتهم مع الدول الأجنبية الحاكمة الفارسية ثم الرومانية من أحسن العلاقات ، وكانت تراعي مصالح الحكام الأجانب في كثير من الأمور .

وهي من أكثر يهود فلسطين تأثراً بالفلسفة الهلينية ، بل ان الكاهن الصدوقي جاسون (١٧٥ ق.م - ١٧٢ ق.م) الذي كان كاهناً أيام حكم المملكة السلوقية أراد أن يحول بيت المقدس الى مدينة هللينية ويغير اسمه الى انطاكية القدس ، ويؤسس فيه معاهد ومدارس هللينية . ^(٥)

(١) جبل قرب مدينة نابلس ، أقام عليه السامريون هيكلهم ، واعتبروه قبلتهم في الصلاة بخلاف ما يدعيه اليهود الآخرون من أن

الجبل المقدس هو جبل صهيون في القدس . ر . أطلس الكتاب المقدس ١٥ ، التوراة السامرية ، ١٥ .

(٢) ر . السامريون واليهود ، ١٢٢ .

(٣) ر . مذكرات الأديان .

(٤) ر . النصرانية ، شاهين ، ١٩ ، المسيحية نشأتها وتطورها ، ٤٣ .

(٥) ر . مذكرات الأديان .

كانت الصدوقية فرقة صغيرة من حيث عدد أتباعها ولكنها كبيرة من حيث ثروتهم ونفوذهم في الاقتصاد والسياسة .

أما عن عقائدهم فقد لاحظ بعض الباحثين ان هناك تشابهاً بين اعتقادات الصدوقيين واعتقادات السامريين ، إلا ان الصدوقيين اهتموا كثيراً بالهيكل والعبادات التي تقام فيه لأنهم كانوا المشرفين عليه.

ومن وجوه التشابه بينهم وبين السامريين ان الصدوقيين رفضوا كتب الأنبياء الذين جاؤوا من بعد موسى عليه السلام ، وقالوا ان التوراة وحدها هي مصدر اليهود ولم يعترفوا بالتلمود ، ولا بالروايات الشفوية التي يرويها غيرهم . وهم لا يؤمنون بالبعث والآخرة والثواب والجزاء فيها ، وعرفوا بالتساهل في الشرائع . ومع انهم رفضوا روايات اليهود الشفوية وكتب الأنبياء الا انهم كان لهم كتاب خاص دونوا فيه فتاواهم وقضاياهم وأحكامهم . وأظهروا الارتباب في أخبار آخر الزمان ، وما تعلق بمبعث المسيح عليه السلام ، وتجاهلوا ولم يعجبهم اهتمام الطوائف بهذه الأمور ، وعندما ظهرت النبوة في آل عمران وأرسل الله المسيح عليه السلام بادر الصدوقيون الى تكذيبهم ومحاربتهم ونصرة أعدائهم ، وكان أشد أعداء المسيح من الصدوقيين منهم حنانيا وقيافا^(١).

الفريسيون :-

ويعتبرون من أهم الفرق كلها ، لأنها تنتسب الى اليهودية المتأخرة - يهودية الحاخامات - التي يدين بها جل اليهود بعد مبعث المسيح عليه السلام .

والفريسيون كلمة آرامية تعني المعتزلة ، لأنهم فارقوا الجماعة ولم يكونوا على رأس جمهور الأحرار ، وقيل غير ذلك^(٢) . ويرى بعض الباحثين ان الفريسيين كانوا جزءاً من الطائفة الحاصدية ثم اعتزلوها^(٣).

(١) ر . مذكرات الأديان . ر . النصرانية ، شاهين ١٣ ، ١٤ ، المسيحية نشأتها وتطورها ، ٤٢ .

(٢) ر . الموسوعة النقدية ص ١٥٧ .

(٣) ر . الموسوعة النقدية ص ٩٥ .

وقد ملكوا مناصب نفوذ وقوة في مجلس السبعين الذي ترأس على شئون اليهود واليهودية ضد الأسر البابلي الى تدمير الهيكل سنة ٧٠ م . وهذا مايفسر قوة تأثيرهم قبل مبعث المسيح بسبب المناصب القوية التي تولوها .

واستمر نفوذهم ولم ينقطع ، ولما ولد المسيح عليه السلام كان الفريسيون من أقوى فئات مجلس السبعين ، وزاد نفوذهم كثيراً أيام الحكم الروماني عندما لم يشتركوا في الثورة الكبرى ضد الرومان من سنة ٦٦ - ٧٠ م .

وبعد فشل اليهود وتدمير الهيكل اقتربوا من الرومان ، واستأذنهم في تأسيس معهد فريسي لتعليم اليهودية في جنوب فلسطين ، وأصبح هذا المعهد من أهم مراكز اليهودية بعد تدمير الهيكل ، ومن أهم الجامعات العلمية ^(١) . وذهب البعض الى أن الفريسيين كانوا هم الزعماء المفكرين للشعب اليهودي زمن عيسى ^(٢) ، وان كان بعض الباحثين يرى أنه لم يكن بين أفرادها من هم في رتبة الرؤساء والوجهاء ^(٣) .

وهم يؤمنون بالأنبياء والرسل المتأخرين الذين جاؤوا بعد سيدنا موسى وهارون عليهما السلام ، وآمنوا بوجود الملائكة والشياطين والبعث والحساب والجزاء ، واختلفوا في مسائل القضاء والقدر ، ووقفوا منها موقفاً شبيهاً بموقف المعتزلة عند المسلمين .

وقد آمنوا بروايات شفوية ينسبونها إلى سيدنا موسى عليه السلام تقابل التوراة وتفسيرها ، وهي التلمود ، لكنهم مع إيمانهم هذا اعتقدوا أن رواية الفريسيين هي الرواية الصحيحة وهي التي يجب على اليهود الأخذ بها . واستوجبوا تقليد عامة اليهود للحاخامات أصحاب هذه الرواية ، بل إنهم جعلوا الحاخامات هم مراجع الدين وأقاموهم مقاماً أعلى من الكهنة ^(٤) .

(١) مذكرات الأديان .

(٢) The rise ص ١٤

(٣) النصرانية ، شاهين ١٤

(٤) مذكرات الأديان .

وقد كانوا في ذلك ينتظرون المسيح المخلص في عالم الروح ، أي مسيحاً ليس له سلطة الدولة^(١).

ولم يرفضوا الهيكل وإنما جعلوه أمراً ثانوياً في دين اليهود ومن غير الضروريات ، ولم يكن ذلك تقيلاً لشأنه ولكنهم رأوا أن التمهيد لمحيي المسيح الذي ينتظرون لا يكون الا بالدراسة والعبادة وتطبيق الشرع في حياتهم اليومية ، ولذلك رفضوا قبول بعض الفرق لضرورة الجهاد كأساس للاستعداد لمحيي المسيح .

ويرى الباحثون ان الفريسيين اتسموا بكثرة الاختلاف في الأقوال الفقهية ، وهو ما أدى الى التساهل في واقع التطبيق عندهم^(٢) . وكانوا في عصر الميلاد ينقسمون الى فريقين : فريق يتبع الحكيم (هلل*) الذي قدم الى فلسطين من بابل ، والفريق الآخر يتبع الحكيم (شمائي**) وهو أقرب الى التحرج لدرجة رفض الراغبين في دخول الدين من غير اليهود .

ويرجح بعض الباحثين ان معلمي المسيح في صباه كانوا من الفريسيين^(٣) . وقد رفضوا الهلينية وعلى العكس من ذلك تشربوا قدراً كبيراً من مذهب الثنائية الفارسي ومذهب مناجاة الأرواح أو اتصال أرواح الأحياء بأرواح الأموات والعلم الآخروي^(٤) . ولعلنا نلاحظ تأثير هذا على بولس فيما بعد حيث كان منهم .

كانت العداوة بين الفريسيين والنصارى الأوليين عداوة شديدة كما سنعرف ، وكانوا من أهم الفرق اليهودية التي أعلنت محاربة المسيح ~~العلي~~ بكل مألديها من وسائل^(٥) .

(١) النصرانية ، شاهين ١٥

(٢) مذكرات الأديان .

(٣) النصرانية ، شاهين ١٥ ، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، ٣٣ .

(٤) تاريخ وفكرة الكنيسة القديمة ، ٤ .

(٥) مذكرات الأديان

* هَلَل : حَبر يهودي ولد في بابل حوالي سنة ٧٠ ق.م ، وكان صاحب مذهب خاص به وعين رئيساً للسندرين ، حاول في

تعليمه ان يبلور روح النصوص الدينية فوق بسبب ذلك معارضاً لشمائي . معجم الحضارات ، ٨٨٥

** شمائي : حَبر يهودي كان معاصراً لهَلَل ومنافساً له في السندرين تميز بتقيده الحربي بالنصوص الدينية وترأس مدرسة وقتت

القمرانيون :

وجدت هذه الجماعة في وادي قمران على الشاطئ الشمالي الغربي من البحر الميت الوادي، وهو ليس بعيداً عن بيت المقدس ، بل هو من أقرب مناطق البحر الميت من القدس الشريف.

وجماعة وادي قمران حسب ما قال الباحثون في المخطوطات - مخطوطات البحر الميت - لا تسمى نفسها بتسمية طائفية خاصة ، ولذا أشكل على الباحثين ان يعينوا الطائفة الكتابية التي انتسبوا اليها .

ومن الواضح انهم لم يكونوا من الصدوقيين ولا من الفريسيين ، فان كتب جماعة وادي قمران تسمى الفريسيين بالمرتدين أو المنافقين ، بل أن مغايرة جماعة وادي قمران للصدوقيين والفريسيين معاً مع كثرة أتباع الجماعة وانتشارهم في مدن اليهود ، جعل الباحثين يعيدون النظر في رأيهم السابق في الفريسيين من حيث انهم كانوا يعتبرون الفريسيين الطائفة الغالبة على اليهود قبيل ظهور المسيح .

وتتحدث هذه الجماعة عن نفسها أحياناً بأنهم يمثلون جنود الله المرابطين أو كتبية الله ، ويعتقدون بموسى ويوشع بن نون عليهما السلام ، ويبيتون على الاستعداد الدائم للجهاد في سبيل الله وكانوا يستفتحون برسول آخر الأيام ، الذي ينتصرون به على جميع الأمم .^{(١)(٢)}

وأحياناً يسمون أنفسهم بالفقراء ؛ ولذا زعم بعض الباحثين ان جماعة وادي قمران هي الجماعة الايبونية وهي من الطوائف اليهودية التي كانت في عصر المسيح^(٣) .

(١) انظر مذكرات الأديان . The odor H.Gaster The dead sea scriptures

The dead sea scroik in English G. vermes .

(٢) وهذا يتفق مع ما كان يقوله اليهود للأوس والخزرج ، كما قال الله تعالى ﴿ ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما

معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ﴾ (البقرة ٨٩)

(٣) انظر التعريف بهذه الجماعة الفكر الدين اليهودي ، ٢٣٦ - ٢٤٠ ، الموسوعة النقدية ٤٣ .

الا ان ذلك يشكل من وجوه منها ان الباحثين لم يجدوا في وادي قمران حتى الآن - حسب قولهم - أخباراً تخبر بصراحة عن مجيء المسيح بن مريم بل تدل كتبهم على انهم كانوا ينتظرون مبعث المسيح وانه لم يظهر .

وذهب كثير من الباحثين المعاصرين الى ان هذه الجماعة تمثل الطائفة اليهودية التي عرفت باسم الأساة أو الاسانيين^(١) The E ssemens حيث ان المؤرخ يوسيفوس يصف الاسانيين بوصف يقارب الى حد كبير من وصف جماعة وادي قمران .

وذهب فيلون الإسكندري الذي عاصر يوسيفوس الى ان موسى نظم العديد من تلاميذه في جماعات سماهم بالاسانيين ، ولعل جماعة وادي قمران وجماعاتها الشقيقة من جملة الجماعات الموسوية الأولى^(٢) .

ومما يدعوا الى التحفظ في هذه الأمور ان طوائف اليهودية منذ القرن الثاني ق.م حتى تدمير الهيكل الثاني سنة ٧٠م كانت كثيرة ومتنوعة ومتنازعة الأمر الذي يجعلنا لانستطيع التأكيد على انتسابها للفرق التي يذكرها العلماء ، لاسيما والاسانيون لم تكتشف كتب لهم حتى تتم المقارنة.

وكانت حرمة الشرع الموسوي عندهم عظيمة وأوجبوا على جميع أتباعهم دراسة الشرع دراسة دقيقة وصحيحة على أيدي أئمتهم .

وهم يؤمنون بالملائكة و القضاء والقدر والبعث والحساب ، ويوافقون في كل هذا الأصول الصحيحة التي دعا اليها الأنبياء والمرسلون عليهم السلام ، وهو خير دليل على أفضليتهم على طوائف اليهود الآخرين وامثالها في غير وادي قمران .
ويبدو انه كان لهم - من خلال نصوصهم - اتباع كثيرون في بيت المقدس ، وفي سائر مدن اليهود في فلسطين في ذلك الوقت .

وذهب بعض الباحثين ان جماعة النصارى الأولى التي كانت في بيت المقدس تحت رئاسة يعقوب العدل وبطرس ويوحنا الحواري^(٣) - منذ رفع المسيح عليه السلام حوالي سنة ٦٤ م - كانوا على

(١) انظر توحيد وانبياء ٥٤٨ و التعريف بهم ص ٢٣ .

(٢) مذكرات الأديان .

(٣) انظر التعريف بها ص ٥٦ وما بعدها .

صلة وثيقة بجماعة وادي قمران ، والتشابه بين جماعة وادي قمران والجماعة النصرانية الأولى في بيت المقدس والشام كبير .

وأشار بعض الباحثين الى التشابه بين يعقوب العدل - امام النصارى الأول بعد رفع المسيح - والمعلم أو الهادي العدل المذكور في مخطوطاتهم.

ومن المهم ان نذكر ان جماعة وادي قمران اعتبرت وجودها في البادية وجهاً من وجوه استعدادها لقبول المسيح عليه السلام ورسول آخر الزمان الذي يأتيهم من قبل البادية وذلك كما يصرحون عملاً منهم بقول النبي إشعياء ^(١) .

ويرى كثير من الباحثين ان هناك علاقة ما بين النبي يحيى عليه السلام وبين هذه الجماعة . ^(٢)

الآسنيون :-

يرى بعض الباحثين ان هذه الفرقة كانت على أيام ظهور المسيح من أهم فرق اليهود وأكثرها نشاطاً، حتى ان من يكتب عن الفكر الديني الاسرائيلي ابان ظهور النصرانية لا يخلو من ذكر هذه الفرقة بين الفرق .

ولكن المعلومات عن هذه الفرقة يكتنفها الغموض من البداية ، لندرة من كتب عنهم من القدماء ، فهي لا تتجاوز عشرين فقرة لدى المؤرخ يوسفوس ، كذا الحال بانسبة للكتابات النصرانية القديمة ^(٣) .

وقد ذكرت عند الحديث عن الطائفة القمرانية ان كثيراً من الباحثين ذهب الى ان الكتابات التي عثر عليها في وادي قمران هي من تراث الآسنيين .

(١) وهو قولهم عن إشعياء أنه قال : " صوت صارخ في البرية أعدوا طريق الرب ووطنوا في المغارة سبيلاً لإلهنا كل وطاء يرتفع

وكل جبل وتل ينخفض ويصير المعوج مستقيماً والعراقيب سهلاً فيعلن مجد الرب ويراه كل بشر جميعاً لأن فم الرب تكلم ،

ر . اشعيا ٤٠ : ٣-٥

(٢) مذكرات الأدب .

والشائع بين العلماء ان الكلمة (الاسينيون) معناها الأطباء وان أصلها آرامي هو كلمة (آسيا) بمعنى الطبيب والمداوي أو كما يقول العرب (الآسي) وهناك أقوال أخرى^(١).

ويعمل أكثر الباحثين الى الربط بين كون الاسينين اطباء وبين المسيح ومعجزاته . ويبدو انهم ماكانوا يبيحون للعالم الخارجي ان يعرف عنهم الكثير .

والظاهر انه كانت لهم فلسفة دينية واخلاقية عملت فيها تيارات أجنبية غير يهودية منها الفلسفة الفيثاغورية ، ومنها التنظيم الديني المجوسي الفارسي القائم على تقديس النور وربطه بالخير ، ومنها رواسب وبقايا من العقائد المصرية الفرعونية لاسيما مايتصل منها بتقديس الشمس الى جانب المعتقدات النابعة من كتب اليهود المقدسة بطبيعة الحال^(٢) .

هذه كانت أهم الفرق الرئيسية لليهود عند ظهور المسيح عليه السلام، وسوف نرى عند دراستنا للمسيح عليه السلام ودعوته تأثير هذه الطوائف وعلاقتها بالمجتمع النصراني الأول.

وأحب ان أشير هنا الى النذريين أو المنذورين الذين وهبوا أنفسهم ونذروها لحياة القداسة وخدمة الله ، ولم يكونوا طائفة منظمة مثل أصحاب النحل بل كانوا أحاداً متفرقين وهؤلاء تكاثروا قبل مولد المسيح لأنه وافق نهاية الألف الرابعة من بدء الخليقة على حسب التقويم العبري ، وهو الموعد الذي كان منتظراً لبعثة المسيح الموعود ، وكان النبي يحيى عليه السلام (يوحنا المعمدان) يعتبر علماً من أعلامهم.

وهؤلاء النذريون عمرت قلوبهم بالإصلاح ، فكانوا قوة ذات بال في عصر الميلاد ، وخاصة انهم يؤمنون بانهم رواد الدعوة الى المسيح ويتزقون ظهوره دون ان تحيط بهم طائفة معينة أو مذهب محدود^(٣).

(١) ر. الفكر الديني اليهودي ، ٢٢١ .

(٢) ر . الفكر الديني اليهودي ٢٢١ - ٢٣٥ ، النصرانية ، شامين ١٦

(٣) ر. النصرانية ، شامين ٢٢ .

٥- الهيكل ورجال الدين :-

الهيكل هو الذي بناه سليمان عليه السلام ليكون مقرا للعبادة ، ثم جاء البابليون بعد حوالى أربعة قرون وهدموه ، ثم أمر "قورش" الفارسي بإعادة بنائه سنة ٥٣٦ م ، وجاء الملك " هيرودوس " بعد خمسة قرون فجدد بناءه ، وتم ذلك أو كاد في عصر الميلاد .
أما عن وضع الهيكل وسلطان الكهنة في عصر الميلاد فكان ينتظمهم تنظيم طبقي يتكون من طبقة عليا هم رجال الدين ، وطبقة دنيا هم الكتبة أو فقهاء الشريعة .

أما عن طبقة رجال الدين فكانت تعمل على انتظام العبادة في المعبد وتشرف على تقديم الذبائح وان كانت لا تعني بدراسة الشريعة او تعليمها ، بل توجه كل اهتمامها الى حفظ النصوص وممارسة الطقوس ، وخاصة في الحفلات السنوية التي تفد فيها على القدس أفواج من الحجيج . وكانوا حريصين على تأثيرهم في الشعب الا أنهم كانوا في نفس الوقت تابعين للرومان خاضعين لحكمهم ^(١) .

وأما الكتبة أو فقهاء الشريعة فكانوا يسجلون الأشعار الدينية لطالبيها ، وانكبوا على شرح الكتاب المقدس أحيانا ، وهم في عملهم هذا - شرح الكتاب المقدس - لم يسلموا من التأثر بالمذاهب الثنوية والنظريات اليونانية في الاله والكون والانسان ^(٢) ، بل ان بعض الكتاب ذهب الى أنهم كانوا مسؤولين عن التفسيرات الدقيقة للتوراة ^(٣) .
ولم يكن لهؤلاء الكتبة نصيب من وظائف الهيكل ، وكانوا جميعا من الفريسيين اذ هم الذين يعترفون بالأسفار الحديثة ويعتمدون عليها في العبادات والمعاملات ^(٤) .

وقد تداعى سلطان الكهنة في عصر الميلاد اذ كثر عددهم ووجد منهم ألوف بغير علم و بغير عمل يتعاطون صناعة الكهانة ويقتسمون النذور فيما بينهم ، وكان كثير من الكتبة والفقهاء يشتركون في العلوم الدينية ولكنهم لا يحسبون من رؤساء الدين الأصليين أو التابعين للهيكل ، فشاع بين الناس إهمال الكهان - المتتمين للهيكل - والإقبال على العلماء غير الرسميين لسؤالهم والإقتداء بهم فأصبحت الكهانة التقليدية والشعائر الهيكلية ^(٥) .

(١) ر . الفكر الإسلامي ، ٢٤ ، ٢٥ ، النصرانية ، شاهين ، ٢٠ ، ٢١

(٢) ر . النصرانية ، شاهين ، ٢ ، الفكر الإسلامي ، ٢٥

(٣) The rise ص ٢٦

(٤) ر . النصرانية ، شاهين ، ٢١ ، الفكر الإسلامي ، ٢٥

(٥) ر . النصرانية ، شاهين ، ٢١

ويذكر في ذلك أحد الباحثين أن الحاخامات والمعلمين مارسوا نفوذاً هائلاً بين معظم طبقات الشعب واعتبروا وسطاء بين الناس والرب صانعين للمعجزات^(١).

ولما ولد المسيح كانت وظائف الهيكل محصورة في مجلس (السنهدرين*) وقد سلب هذا المجلس في عصر المسيح حق الحكم في الجرائم الكبرى ، وكانت أحكامه في تلك الأيام معلقة على اقرار الحاكم الروماني يرمها وينقضها حيث يشاء . وكان موقفهم مما يشاع في ذلك الوقت عن قرب ظهور المسيح المنتظر هو عدم الترحيب بذلك ، لما في ذلك من الإعتراف بفساد الزمن كله ، وفي هذا اتهام لهم بالفساد^(٢).

تعقيب

وهكذا حفلت البيئة اليهودية - قبيل عهد عيسى عليه السلام وعند ظهوره - بظهور أحداث سياسية وطوائف دينية معينة على نحو ما شرحنا آنفاً ليس في فلسطين فحسب حيث كان يعيش معظم اليهود، بل شمل تأثير تلك الأحوال والطوائف الجاليات اليهودية في المهجر وبلاد الشرق الأدنى والأوسط وحوض البحر المتوسط .

وقد دفعت هذه الأوضاع بعض فئات يهود المهجر الى التخلي عن ديانتهم الأصلية ، وأصبح معظمهم في مجتمعات منغلقة على نفسها .

وقد تضافرت هذه الأحداث كلها لتهيئة النفوس لقبول فكرة انتظار مجيء المسيح الموعود ، وكان هذا الأمل يقوى - عند اليهود - كلما كانت الأحداث مخيبة لآمالهم ، فكان هذا الأمل في المسيح المخلص يتأرجح بين الظهور والإختفاء ، حيث كانوا يتعلقون به في فترات الاضطهاد ، ويضعف عندما ينالون شيئاً من الاستقلال والسيادة .

وكانت الأذهان في ذلك الحين - ولهذا السبب - مستعدة لقبول الدعوة الجديدة دعوة

المسيح المنتظر.

(١) early church ص ٤

* السنهدرين أو السنهدريم أو السنهدريم كلمة من أصل اغريقي معناها الاجتماع أو المحكمة اطلق على محكمة اليهود ، أفراده من الصدوقين ومنهم الكهنة الكبار وانضم اليهم الفريسيون بصورة لاحقة، وفي مطلع العصر الميلادي كان أعضاؤه يتألفون من واحد وسبعين عضواً ، وكان جمالاتيل استاذ بولس من أشهر أعضائه . معجم الحضارات ، ٤٩٥ و ر.ص ٢٠ من البحث في

الهامش جمالاتيل وشمالي و ر . النصرانية ، شاهين ٢١

(٢) ر . النصرانية ، شاهين ٢١ ، المسيحية نشأتها وتطورها ٤٤٤ ، دعوة التوحيد ٢٠٣

اضف الى ذلك ان نصوص التوراة كانت تتضمن البشارة برسول بعد موسى عليه السلام ،
ولم يكن اليهود - الذين آمنوا بالخلاص - يفتقون الا في تعيين ذلك الرسول المنتظر وفي كونه
واحداً أو أكثر من واحد ^(١).

اضف الى ذلك ان كل جماعة من هذه الجماعات كانت تنتظر وتؤمن بمجيء المخلص
بحسب مفاهيم مختلفة ومتنوعة . وحاولت كل جماعة ان ترسم صورة لمسيحها المنتظر فرآه
بعضهم المخلص لشعب اسرائيل من سلطة أعدائها ، ورآه البعض الآخر كسيد للبر ، ورآه
آخرون كالمطهر والمخلص الذي يظهر ليس شعبه فحسب بل الأمم أيضاً من خطاياهم ومن
اختلاطهم بالشعوب الأخرى .

وانتشرت هذه العقائد وغيرها قبل المسيح انتشاراً عظيماً وعلى نطاق واسع بين اليهود
ووصلت ذروتها أيام المسيح نفسه ^(٢).

واستجابة لهذا الرجاء الذي استشرقته القلوب - نتيجة لما نزل بالناس من أحداث وما مر
بهم من ظروف قاسية - ظهر كثير من المسحاء الأدياء - قبل المسيح بن مريم عليها السلام وأثناء حياته
وبعد رفعه - كل منهم يزعم أنه المخلص الموعود . وقد ازداد عدد هؤلاء في الأربعين سنة
الأخيرة - منذ أواخر حكم هيرودوس الأكبر - أي من سنة ٣٠ ب.م الى سنة ٧٠ ب.م
ويوسيفوس المؤرخ اليهودي يقدم لنا سلسلة طويلة لعدد كبير من الأشخاص الذين ادعى كل
منهم بأنه المسيح المنتظر الذي يخلص شعبه من ربقة المستعمر ^(٣) .

وقد تفاوتت استجابة الناس لهؤلاء المسحاء الأدياء ، وقد قاوم الرومان هؤلاء المسحاء
نظراً لما تضمنه مفهوم الخلاص من عمل على التخلص من ربقة الحكم الروماني ، والعودة

(١) ر. في ذلك الفكر الإسلامي ، ٣١ ، ٣٢ - عقيدتا التثليث والصلب ، ١٣ - قصة الديانات ، ٣٨٥ - التفكير الديني

٤٠٦ ، اليهود سعفان ١٦٥ - ١٦٧ - بذل المجهود ١٠٣ - بنو اسرائيل وموقفهم ٥٩٨ - الفكر الديني اليهودي ، ١٠٠ -

الكنز المرصود ص ٧٠ - تاريخ المسيحية ٢٨ - المسيح انسان ام إله ٢٩ / ١ ، ٢٨ - early church ص ٣ ، المدخل الى العهد

باليهود الى التمسك بالشرعية حفاظاً على هويتهم الخاصة وكونهم شعب الله المختار^(١). ولعل هذا يفسر لنا رد فعل الرومان تجاه المسيح عليه السلام كما سنوضح ذلك .^(٢)

وليس مما يعنينا تتبع تفاصيل أخبار هؤلاء المسحاء الأدياء ومواقف الناس منهم، وإنما يعنينا أخبار المسيح عيسى بن مريم عليه السلام الذي جاء بالخلاص الديني الذي يترتب عليه الخلاص الدنيوي والأخروي .

والسؤال هو : هل وجد اليهود في ظهور المسيح عيسى بن مريم ورسالته التي جاء بها ما يحقق آمالهم في الخلاص على يديه ويؤكد انه المسيح الحقيقي والمخلص الموعود ؟ هذا ما سوف تتكفل به الدراسة لموقف اليهود من المسيح ودعوته بعد عرضنا لتاريخه وتاريخ دعوته عليه السلام في المبحث التالي .

(١) ر. تاريخ الفكر المسيحي ١٢٩ - ١٣١

(٢) انظر ص ٤١ ، ٤٢ .

الفصل الثاني

حياة المسيح^(١) وقيامه بدعوته

اختلف الناس حول شخصية عيسى عليه السلام في التاريخ اختلافاً بيناً، وصل في أحد طرفيه الى انكار وجوده في التاريخ واعتباره مجرد اسطورة خيالية ، وفي الطرف الآخر الى اعتباره ابن الله بل هو اله الكون ، وبين الطرفين من وقف بين الحدين ما بين محب وكاره ومادح وقادح وغال وجاف.^(٢)

والثابت أنه كان رجلاً حقيقياً لا مجرد خيال وأسطورة . وأنه نبي من أنبياء بني اسرائيل^(٣)

والقرآن الكريم بين لنا حقيقة هذا النبي الكريم ودعوته وانه نبي من انبياء بني اسرائيل دعى الى الله عز وجل وبلغ رسالة ربه .

وفيما يلي تعريف به عليه السلام وبدعوته ، ثم أورد بعد ذلك أقوال علماء النصارى فيما يتعلق بعيسى عليه السلام ونشأته ومعجزاته ودعوته وما آل اليه أمره عندهم .

وسأبدأ هذا الفصل بالحديث عن معتقدات النصارى أنفسهم حول هذا الموضوع وما ذكره الكتاب الغربيون المتخصصون والمؤرخون ، وفيه أشير الى ماورد من أقوال العلماء عند التعارض في أقوالهم .

(١) قيل سمي مسيحاً لكثرة سياحته في الأرض ، وقيل لأنه كان مسيح القدمين لأخمص لهما ، وقيل لأنه كان إذا مسح أحداً من ذوي العاهات برىء ، وقيل لأنه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن . ر. النصرانية والإسلام ، الخلف ، نقلاً عن المفردات للراغب الأصفهاني ، وانظر تفسير ابن كثير ٣٢٠/١ ، والنصارى يقولون سمي مسيحاً لأنه جاء للخدمة والفداء . ر. قاموس الكتاب المقدس ، ٨٦٠ .

(٢) انظر تفاصيل الاختلاف حول شخصية عيسى عليه السلام ووجودها عيسى ، جنينير ص ٥ ، ومانقله صاحب رسائل

الرسائل من نقول عن العلماء في ذلك ٢-٧

(٣) انظر المسيح جنينير ص ١

١- البشارة بالمسيح عليه السلام وولادته ونشأته :-

من بين الأناجيل المعتمدة لدى النصارى كان إنجيل " لوقا " هو الإنجيل الذي ذكر بشارة مريم وما يرتبط بولادتها لعيسى عليه السلام باستفاضة ^(١) .
 وذكرها متى باختصار جداً ، ^(٢) وذكرها يوحنا ذكراً جانبياً ^(٣) ، أما مرقس في إنجيله ، وبولس في رسائله فقد سكتنا عن هذه القصة ولم يذكرها .

وحاصل ما ورد في إنجيل لوقا ان الملاك * لما بشر مريم بأنها ستحبل بالمسيح قال لها : ان اسمه سيكون يسوع وانه يدعى ابن العلي وان الرب سيعطيه كرسي أبيه داود ... ولا يكون للملكه نهاية وان المولود منها يدعى ابن الله ^(٤) ، ويرى النصارى ان المسيح وحقيقته ومعجزاته حفل بها الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ^(٥) .

وقد ناقش العلماء المنصفون - المسلمون والغربون - هذه النصوص الواردة في بشارة لوقا وغيرها بما يظهر بطلانها ^(٦) .

هذا عن البشارة به ، أما عن تحديد يوم مولده فقد اعتمد كتاب النصارى في ذكره على ماورد عند كتاب الأناجيل من أحداث تاريخية حصلت في الفترة التي عاصرها عيسى

(١) لوقا : ١١ : ٢٦ - ٤٥

(٢) يلحظ أن بعض علماء الغرب زعموا أن الإعجاز في ولادة المسيح عليه السلام أسطورة من أساطير الديانات الوثنية . ر .

قصة الحضارة ٢١٤/٣ ، معالم تاريخ الإنسانية ، ٦٩١/٣ ، المسيح إنسان أم إله ، ٤٥ - ٤٩ .

(٣) متى ١١ : ٢ - ٣ ، يوحنا ١ - ٩ ، ٢ : ١٢

(٤) ر . لوقا : ١١ : ٢٦ - ٤٥ ، انظر ميلاد المسيح في المسيح ، شنودة ١ / ٥٩ - ٩٢ و ر . النصرانية ، شاهين ٤٣ ، ، حياة مريم

، شلبي ١١٦ .

(٥) ر . للتبشير في نوبات العهد القديم ، ١٤ ، ٣٧ ، ١٣٩

(٦) ر . رسائل الرسل ١٥ ، ١٦ ، التفكير الديني ٤٠٧ ، المسيح ، الرشموي ١٤ - ١٧ ، اظهار الحق ١٥٤/١ - ١٥٥ ، النصرانية

، شاهين ٦٣ ، يا أهل الكتاب تعالوا ، ٧٣ - ٧٧

الكنيسة^(١) ، ومن هنا حاول علماء النصارى أن يقفوا على تحديد السنّة التي ولد فيها حيث لم يرد في الأناجيل تصريح مباشر بتحديد سنة مولده^(٢).

ونقل كليمنت آراء مختلفة في هذا الموضوع كانت منتشرة في أيامه . واتفق المؤرخون ان ميلاد المسيح متقدم على السنة الأولى للميلاد ببضع سنوات ولم يولد في السنة الأولى حسب رقم التقويم الميلادي^(٣) ، وأرجع بعضهم عدم المعرفة الدقيقة لمولده انه ما أصبح مشهوراً عندهم الا بعد موته^(٤).

وينسب المسيح عند النصارى الى داود وكان متى ولوقا هما الوحيدان اللذان ذكرا سلسلة النسب^(٥) ، أمّا من عداهما مثل يوحنا ؛ فلم يذكر ذلك ، واكتفى مرقس بذكر أنه ابن داود^(٦).

ولكن متى ولوقا عندما تعرضا لذكر نسب المسيح وقع كل منهما في عدة أخطاء خطيرة ، والمقارنة بين ما ذكره كل من متى ولوقا عن نسب المسيح تسفر عن عدد من الملاحظات والأخطاء التي لا تخفى ، وان كان بعض المؤرخين يحاول تأويل اختلاف شجرتي النسب في الانجيلين بما يتواءم مع النظرة اللاهوتية والناستوتية إلى المسيح^(٧).

(١) ر. لوقا ١ : ٥ ، ٢٦ ، متى ٢ : ١ ، ١٦ ، لوقا ٢ : ١ - ٦ ، لوقا ٣ : ١ - ٢ ، ٢٣ ، ور . Tyson ص ٣٥٥

(٢) ر . تاريخ الفكر المسيحي ١٦٥ - ١٦٨

(٣) كانت الأمم تؤرخ بسني ملوكهم أو مملكتهم الى أن رأى دانيس الصغير أحد كهنة كنيسة روما (ت ٥٤٠) أن الأولى بالمسيحيين أن يؤرخوا بمولد المسيح . وقد بدأ من أول كانون الثاني بدلا من ٢٥ كانون الأول ، وأجمع المؤرخون أنه لم يصب بتعيين سنة المولد حيث انه افترض أن المسيح ولد سنة ٧٥٤ لتاريخ روما ، مع أنه من المؤكد ومن مراعاة تاريخ موت أرخيلانوس وفيليبس ابني هيرودوس ومدة ولاية كل منهما أن أباهما هيرودوس توفي سنة ٧٥٠ لروما ، فالمسيح اذن لم يولد سنة ٧٥٤ بل سنة ٧٤٩ قبل موت هيرودوس ، ويحتمل أنه ولد سنة ٧٤٧ . ر . تاريخ سورية ، المطران يوسف الدبس ، ٢٩٣/٣ . ر . تاريخ الفكر المسيحي ١٦٥ ، والنصرانية ، شاهين ٢٩ . ور . اختلاف العلماء في تحديد مولده قصة الحضارة ٣/٣٠٣ ، تاريخ

الكنيسة ٢٧ ، الآثار الباقية ١٧ - ١٩ ، النصرانية والاسلام ٢٤١ - ٢٤٤

(٤) Tyson ص ٣٥٣

(٥) ر . متى ١ : ١ - ١٧ ، لوقا ٣ : ٢٣ - ٣٨

(٦) مرقس ١٢ : ٣٥ ور . يسوع كما في مرقس ص ١٣٩

(٧) تاريخ يوسفوس ٣٤ ، ٣٥

وقد وقعوا في تناقض واضح فيما يقررون ان المسيح ابن مريم دون ان يمسخها رجل ،
يعودون ويقررون جرياً وراء اسطورة المسيح المخلص أن عيسى من نسل داود ، ولو كانت مريم
من ذرية داود فينسبون المسيح الى داود من جهة أمه لكان الأمر مفهوماً ، ولكن المدهش انهم
يربطون بين عيسى وداود عن طريق يوسف النجار ^(١).

ويؤكد هذا النقد موريس بوكاي حيث يقول :”الحق ان عيسى هو ابن مريم ولد من غير
أب ... وأما شجرتا النسب التان ذكرهما متى ولوقا فلا علاقة لهما بالمسيح أصلاً .. وهما
يذكران نسب يوسف النجار ، ويوسف النجار لا علاقة له بالمسيح ولا بمريم لا من حيث النسب
ولا غيره ، فمريم من سبط هارون وهي لاوية بينما يوسف النجار من سبط يهوذا ، وطبقاً
لشريعة موسى لم يكن مسموحاً الزواج من سبط آخر“ ^(٢).

أما عن نشأته وحياته الأولى ، فليس هناك أي معلومات في الأناجيل عن ذلك ، سوى
حبراً ورده متى ^(٣) أن أمّه ذهبت به من فلسطين الى مصر خوفاً من هيروودوس حاكم اليهود
الذي عزم على قتل جميع الأطفال الذين ولدوا في ذلك العام بناء على ما أخبره من قبل منجمين
بجوس بولادة ملك اليهود ، ولم يرجع هو وأمه الا بعد موت هيروودوس ^(٤).

وخبر آخر أورده لوقا ^(٥) انه بعد ولادته سعدت به أمه الى اورشليم ، وعن تعلمه
وتعليمه في الهيكل حين كان عمره اثني عشرة سنة الى أن بلغ ثلاثين سنة ^(٦).

(١) ر . المسيح انسان أم اله ٥٢ - ٥٨ ، دراسة تحليلية ٧٧ - ٨٢ ، المسيح ، وصفي ١٤ ، ١٥ ، المسيح ، شنودة ، ٧٣ / ١

(٢) دراسة في الكتب المقدسة ، ١٠٥ ، رسائل الرسل ، ٣٨ ، شفاء الغليل ، ٤٢ - ٤٤ ، المسيح في مصادر العقائد المسيحية ،

٨٠ ، ٨١ ، ٧٨ - ٨٣ ، الكتب السماوية ٤٥١ - ٤٦١ ، اظهر الحق ، ١٥٥ / ١ .

(٣) متى ٢ : ١٩ ، ور . موجز الحياة الدينية من الفرعونية حتى المسيحية ، ٥٦ .

(٤) اثبت رؤوف شليبي عدم دخول عيسى مصر ر . آلهة في الأسواق ٢٧١ ، ٢٧٢ ،

صرح ول ديورانت ان تلك القصص التي تذكر عن مولد المسيح وعن سجود الرعاة والمجوس له وعبادتهم اياه وعن مذبحه

الأطفال الأبرياء والفرار الى مصر فالتقاد بمجموع على انها افتراء سخيف ٣ / ٢١٤ ، العقائد الوثنية ص ٧٨ - ٩٩ ، وحكم

نورس الحمامي للانجيل بأن متى غلط وأن ما حكاها لوقا هو الصحيح ، ر . اظهر الحق ، ١١٧ / ١

(٥) لوقا ٢ : ٢٢ - ٢٤ ، ٣٩ - ٤١

وان كان بعض المؤرخين لا يعترف بمصداقية الأناجيل في البحث عن حياة عيسى عليه السلام^(١).

وقد نقل ديورانت الزعم بأنه ذهب الى الهند وتلقى تعاليم بوذا هناك ، الا أن اكتشاف وثائق البحر الميت عام ١٩٤٧ ألقى الضوء على جانب من تلك الفترة - فترة نشأة المسيح - فدفع بعض العلماء الى القول أنه في تلك السنوات كان تلميذاً للاسنيين وأقروا بوجود مماثله بين تعاليمه وألفاظه وبين نظيرتها التي وجدوها للاسنيين^(٢).

وقد حاول العلماء ان يستنبطوا جانباً من تلك الفترة اعتماداً على ما ورد في الأناجيل من أخبار تلك الحقبة التي ارتبطت بأمه ويوسف النجار . فذهبوا الى أنه نشأ في قرية الجليل وبالتحديد في الناصرة ابان حكم اغسطس ، ووعى وكبر وكان يعمل بيديه سواء في الزراعة أو غيرها .

ويضيف الى ذلك توينبي انه كان ابن نجار ، وربما هو نفسه أصبح نجاراً ، وعرف ممتهنوا النجارة في زمنه كطبقة متعلمة^(٣).

وذهب جينيبير الى أنه حفظ التوراة في المعابد اليهودية وكان يتكلم الأرامية والعبرية ، ويجهل اليونانية وافكارها ، وهو يخالف ما ذكره القس أنه كان يتحدث اليونانية مع الأجانب^(٤).

وقد نشأ بين رجال القضاء الذين لم يكونوا مرتبطين لا بالفريسية المتطرفة ولا بالاسينية الانفصالية ، وان كانت المبادئ الاساسية لهذه الطوائف ليست خافية عليه .

ويرى بعض الباحثين انه من المرجح معرفته للفريسيين في الناصرة ، ولعله تأثر بعدد من آرائهم الا انه قطع صلته بهم حين غادر قريته للالتحاق بيوحنا المعمدان في الصحراء ، وأقام ضمن مريديه ، وبدا كأحد من تلاميذه ، بل ان الأناجيل تشير الى شيء من هذا^(٥).

ولا يستبعد ان يكون حتى بعد انفصاله عنه وقيامه بالدعوة اعتبر نفسه امتداداً له ، وتوسيعاً لرسالته ، وان كان بعض الكتاب يرى غير ذلك ، وقد اكتسب معرفة جيدة بالعلوم

(١) حياة الحقائق ٦٢ ، المسيحية نشأتها وتطورها ، ٣٦ ، ٣٧ ، الفكر الإسلامي ، ٣٣ ، عيسى ، جينيبير ، ٩٦

(٢) قصة الحضارة ، ٢١٥ / . وحقيقة التبشير ، ٩ - ١٠ ، رسائل الرسل ، ٤٤ ، النصرانية ، شاهين ٤٧

(٣) ر . ر عيسى ، جينيبير ، المقدمة ، بوتقة النصرانية ٢٢٥ ، عيسى ١٥٧ ، جينيبير ، ١٥٩ ، ٢٢٥ ، الفكر الإسلامي ، ٣٣

(٤) الانجيل كيف كتب ص ٩٠

(٥) ر . ر . متى ، ١١ : ٧ - ٥ ، لوقا ٧ : ٢٤ - ٢٨

اليهودية ، وكان متمكناً من التلمود العبري وتفاسيره التقليدية ، وعلى معرفة بالتعاليم الأخلاقية والدينية اليهودية . وانتشر وذاع صيته في مدينة الخليل ، وامتزج با لشعب بعد ان قام يبشر بدعوته (١) .

٢- بعثته عليه السلام ودعوته :-

يذكر أصحاب الأناجيل أن المسيح بعث في سن الثلاثين ، وقد خالف في هذا بعض الكتاب النصارى (٢) .

وتذكر الأناجيل أن عيسى صلى الله عليه وسلم جاء من الناصرة واعتمد من يوحنا في الأردن ونزل عليه الروح القدس مثل حمامة .

يقول مرقس : " كان يوحنا يعمد في البرية ويكرز بمعبودية التوبة لمغفرة الخطايا ... وفي تلك الأيام جاء يسوع من ناصرة الجليل واعتمد من يوحنا في الأردن ، وللوقت وهو صاعد من الماء رأى السموات قد انشقت ، والروح مثل حمامة نازلاً عليه " . وبعد ان ذكر مرقس هذه القصة أورد أن المسيح خرج بعدها الى البرية ، وبقي بها أربعين يوماً مع الوحوش يجرب من الشيطان ٣ - حسب زعمهم - والملائكة تخدمه ثم بدأ دعوته (٤) .

وفي لوقا أن يوحنا المعمدان كانت دعوته في السنة الخامسة عشر من سلطنة طيباريوس ، كما يذكر ان يوحنا قد سجن وان المسيح بدأ دعوته فيما بعد (٥) .

وقد اختلفت الأناجيل فيما بينها في ايراد هذه القصة ما بين زيادة ونقصان (٦) .

(١) بوتقة النصرانية ٢٢٥ ، الفكر الإسلامي ، ٣٣

(٢) ذكر فروديك في كتابه حياة المسيح نقلاً عن ايرانيوس انه بعث في الخمسين من العمر . ر. رسائل الرسل ، ٥٤

(٣) هذه الدعوى من النصارى أن الشيطان أخذ المسيح يجربه مرفوضة لامعنى لها ، كما أنه ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم

أن الله قد أعاد المسيح وأمه من الشيطان ، فقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله

عليه وسلم يقول : " مامن بني آدم مولود إلا يمسسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان غير مريم وابنها ، ثم

يقول أبو هريرة رضي الله عنه « وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم » (آل عمران ٣٦) . ر. صحيح البخاري مع الفتح ٤٦٩/٦ ،

كتاب أحاديث الأنبياء ح ٣٤٣١ .

(٤) ر. مرقس ١: ٤-١١ ، وانظر متى ٤ : ٣- ١٠ ، والمسيح في البشائر ، ٥٩ ، ٨٨ .

(٥) لوقا ٣ : ١ - ٢٠

وتذكر الأناجيل أنه بدأ دعوته فكان يعظ الناس في أماكن تجمعهم ، ويتجول في سائر المدن اليهودية ، ومن الكتاب من ذهب الى ان نشاطه كان مركزاً في منطقة الجليل (١) .

وقد أجرى الله على يديه معجزات باهرة ، وتذكر الأناجيل أشياء كثيرة من العجائب والخوراق على يديه مثل تكثير الطعام وشفاء المرضى والمشي على الماء ، واحياء الموتى من القبور ، وغير ذلك مما يطول ذكره (٢) .

ويصرح في ذلك يوحنا بأن معجزات المسيح لم تذكر الأناجيل الا بعضاً منها اذ لو ذكرت جميعها لم يسعها العالم (٣) .

ولاشك أنه قول فيه من المبالغة فعلى فرض ان المسيح قضى فترة رسالته التي لا تبلغ أربع سنوات كاملة ، على أقصى تقدير (٤) - حيث كانت مدة دعوته حسب الأناجيل الثلاثة الأولى لا تزيد عن سنة واحدة اذ لم يذكروا خلال دعوة المسيح الا عيداً واحداً أما انجيل يوحنا فذكر ثلاثة أعياد - ولهذا يرى كثير من علماء النصارى ان مدة دعوته كانت ثلاث سنوات ، وهو يصنع آيات ومعجزات من المؤكد انها لو كتبت جميعها فإن العالم يسعها وكان أتباعه خلال هذه المدة ومن خلفهم بعده ينحسرون في الإثنى عشر حوارياً ، وآخرين يبلغ مجموعهم مائة وعشرين فقط كما في أعمال الرسل (٥) .

(١) Tyson ٦٣

(٢) ر . متى ٨ : ٣ - ٤ و مرقس ١١ : ٤٠ - ٤٩ و لوقا ٥ : ١٢ - ١٤ ، ودراسات في انجيل متى ١٢٧ ، رحلة بين أرجاء

الكتاب المقدس ، ٢٨ ، متى ٩ : ٢٨ - ٣٠ ، و مر ٨ : ٢٢ - ٢٦ ، متى ١٤ : ١٧ - ٣١ ، و مرقس ٦ : ٣٨ - ٤٤ و لوقا ٩ :

١٢ - ١٧ و يوحنا ٦ : ٩ - ١٣

(٤) يوحنا ٢١ : ٢٥

(٤) ر . تاريخ الكنيسة يوسيبوس ٤٨

(٥) أعمال الرسل ١ : ١٥ .

وتروي الأسفار أن المسيح اختار من بين السابقين الأولين من أتباعه ومن أكثرهم ملازمة له اثني عشر رجلاً كلفهم بتبليغ رسالته الى بني اسرائيل^(١) ، ومن ثم أطلق عليهم اسم الرسل وهم : بطرس^(٢) كبير الحواريين وأخوه اندراوس^(٣) ويوحنا^(٤) وأخوه يعقوب الكبير ابنا زبدي^(٥) ويعقوب الصغير ابن حلفي ، وأخوه يهوذا ومتى العشار^(٦) وتوماس^(٧) وفيلبس^(٨) وبرثولماوس^(٩) وسمعان النشيط أو الغيور^(١٠) ويهوذا الاسخريوطي^(١١) ، ويذكر بعض الكتاب ان هؤلاء الحواريين كان لهم سلطة رئيسية في الجماعة الأولى أعلى من الرسل^(١٢) .

وقد ظل هؤلاء مخلصين لرسالته ، صادقين ما عاهدوا المسيح عليه ما عدا يهوذا الاسخريوطي الذي خانته وأرشد الفريسيين والرومان الى مقره وسهل لهم صلبه حسب زعمهم^(١٣) .
وحيثما اجتمع نحو مائة وعشرين من كبار أتباع المسيح تحت رئاسة بطرس كبير الحواريين ووقع اختيارهم على اثنين يكمل أحدهما عدد الحواريين الاثني عشر وهما : يوسف بارسابا الملقب " يوستس " ومتياس ثم ضربوا القرعة فخرج سهم متياس فاختير حوارياً بدلاً من الخائن يهوذا الاسخريوطي .^(١٤)

(١) متى ١٠: ٢-٤ ، لوقا ٦: ١٣-١٦ .

(٢) انظر ص ٥٨ هامش ٢ .

(٣) ر تاريخ الكنيسة ، يوسيبوس ١١٢ ، وقاموس الكتاب المقدس ١٢٢ - ١٢٣

(٤) انظر ص ٥٨ هامش ٣ .

(٥) تاريخ الكنيسة ، يوسيبوس ٧٨ ، قاموس الكتاب المقدس ١٠٧٥ وانظر ص ٥٨ هامش ١ من هذه الرسالة .

(٦) قاموس الكتاب المقدس ٨٣٢

(٧) قاموس الكتاب المقدس ٢٢٦ - ٢٢٧

(٨) قاموس الكتاب المقدس ٧٠٢

(٩) قاموس الكتاب المقدس ١٦٧

(١٠) قاموس الكتاب المقدس ٤٨٣

(١١) قاموس الكتاب المقدس ١٠٨٩ - ١٠٩١

(١٢) Tyson ص ٢٧٩

(١٣) الاسفار المقدسة ، وافي ٧٦ ، ٧٧ و ر . دور اليهود في افساد العقيدة الالهية ١١٠ ، ١١١

(١٤) ر . قاموس الكتاب المقدس ٨٣٥ ، أعمال الرسل ١: ١٥ - ٢٦ .

وهؤلاء استجابوا لدعوته ، ومن بين هؤلاء خمسة فقط تنسب اليهم الأسفار المقدسة كما سنوضح وهم : بطرس ، متى ، ويوحنا ، ويعقوب بن حلفي الصغير ويهوذا الملقب تداوس بالاضافة الى بولس. (١)

وتروي أسفار الديانة أيضاً ان المسيح عليه السلام اختار من بين أتباعه والملازمين لصحبته بجانب الاثني عشر حوارياً، سبعين رجلاً كلفهم بالتبشير بالمسيحية في قرى الجليل ، وأطلق على هؤلاء اسم التلاميذ . وبجانب هؤلاء الرسل والتلاميذ كان هناك من صاحب هؤلاء الرسل والتلاميذ ، وكان لهم أثر في المسيحية .

ومن بين هؤلاء التلاميذ اثنان تنسب اليهما بعض أسفار الديانة المسيحية وهما برنابا ومرقس ، ومن بين من تبعهم هو لوقا (٢) .

ولقد بدأت دعوة المسيح عليه السلام في وقت اشتدت فيه الفتن والإضطرابات بين الناس كما ذكرنا ، وأخذت العداوة والبغضاء بينهم كل مأخذ ، كما ساءت العلاقة بين الأفراد والطوائف والجماعات ، ولذلك فإن حالة المجتمع في ذلك الوقت قد بلغت حداً من الانحطاط والانحدار لم تبلغه من قبل سواء من الناحية الدينية أو الاجتماعية.

وما جاء به المسيح عليه السلام هو احدى مراحل الرسالات الالهية الى الناس ليعبدوا الله وحده ويطيعوه ويتقوه ، وهكذا فإنه عليه السلام جاء يدعو الى توحيد الله ، والتبشير بقرب ملكوت الله (٣) وان من وحده فهو قريب من ملكوت الله وأنه ما هو الا رسول دعا الى عبادة المعبود الحق وهو الله تعالى (٤) .

ومن نظر في الاناجيل التي تحوي دعوة عيسى عليه السلام ونشاطه وتحركاته ومواعظه يتيقن انه عليه السلام لم يؤسس ديانة جديدة بل كان يلتزم بشريعة موسى عليه السلام، ويدعو الى الالتزام بها (٥) ويحرم الخروج عليها ، وبهذا أيضاً أوصى تلاميذه الذين أرسلهم الى الدعوة في القرى (٦) وبين لهم

(١) أنكر ابن حزم أن يكون هؤلاء الحوارين هم المنصوص عليهم في القرآن الكريم . ر . الفصل ٢ / ٨٩ .

(٢) الاسفار المقدسة ، وا في ٨٣

(٣) مرقس ١ : ١٤ - ١٥

(٤) متى ٢ : ٣١ - ٣٢ و مرقس ١٢ : ٢٦ و لوقا ٢٠ : ٣٧

(٥) متى ٥ : ١٧ - ١٩ ، لوقا ١٢ : ١٤ ، متى ٢٣ : ١ - ٣ ، ٤ : ٤

(٦) متى ١ : ١٠ .

ان هدفه الأول أن يجمع هؤلاء اليهود المتفرقين على طريق واحد هو طريق الحق^(١).

وكان يدعو الى الاتصال بالله دون وساطة أحد من الكهنة ، فقد كان الكهنة والفريسيون كما أشرنا يقومون في تلك الفترة بدور الوساطة^(٢).

وقد بشر في دعوته بنبي يأتي من بعده^(٣) ، كما تضمّنت دعوته التأكيد على قواعد الناموس الموسوي^(٤).

وشملت دعوته كذلك جوانب روحية واجتماعية وأخلاقية : فكان يدعو الى الايمان وتعظيم جانب الروح وترك مظاهر الشهوات والماديات^(٥) ، والزهد في الدنيا ومتاعها وتركية النفوس وتطهيرها^(٦) ، وانكار الذات والتخلص من الأنانية ومساوئها^(٧).

ومن تعاليمه في الزواج والطلاق ماورد في اجابته للفريسيين حين سأله ليخرجوه هل يحل للرجل ان يطلق امرأته ليحربوه فأجاب وقال لهم بماذا أوصاكم موسى فقالوا موسى أذن أن يكتب كتاب طلاق فتطلق فأجاب يسوع وقال لهم : من أجل قساوة قلوبكم كتب لكم هذه الوصية ... من طلق امرأته وتزوج بأخرى يزني عليها ، وان طلقت امرأة زوجها وتزوجت بآخر تزني^(٨) ، ويفهم من مواضع أخرى عدم جواز الطلاق الا لعلّة الزنا^(٩).

(١) متى ٢٣ : ٣٧

(٢) ر. متى ٢٣ : ١٢

(٣) ر. يوحنا ١٤ : ١٦ - ١٧

(٤) متى ٢٢ : ٣٦ ، ١٩ : ١٠ - ١٣ ، ١٢ : ١ - ٥ ، ١٥ : ١ - ٩ ، يوحنا ٧ : ١٩ - ٢٤

(٥) مرقس ٣ : ٢٨ - ٢٩ ، مرقس ٨ : ١٥ - ١٨

(٦) متى ٦ : ١٩ - ٢١

(٧) مرقس ٨ : ٣٤ - ٣٨

وكان يحذر من حياة الخيلاء والكبرياء^(١) ، ويدعو الى الوفاء في الحلف^(٢)، والمحبة والتسامح^(٣) والبعد عن الرياء^(٤).

وهو في كل هذا لم يؤسس ديانة جديدة كما قلنا بل كان شأنه في دعوته شأن الانبياء السابقين من بني اسرائيل من بعد موسى عليه السلام^(٥).

وقد ذهب بعض الكتاب كذلك الى أنه لم يؤسس كنيسة* النصارى وانما سعى الى تجميع واعادة اليهود إلى دعوة الحق^(٦) ، وبعضهم يرى انه هو الذي أسسها^(٧) وحاول بعض آباء الكنائس ان يفترضوا أنه في دعوته أطاع التعاليم المكتوبة عند الفريسيين وأنكر التلمود ، وهو موقف الصدوقيين ولكن هذا القول قوبل بالنقد من قبل نقاد النصارى الغربيين^(٨).

والثابت عندهم ان المسيح قد اصطدم مع الفريسيين أكثر من مرة لاسيما وأنهم أخذوا يعنون بدعوة غير اليهود الى اليهودية ، جاء في انجيل متى ” الويل لكم أيها الكتبة الفريسيون المنافقون فانكم تطوفون البحر لتكسبوا يهودياً واحداً فاذا تهود جعلتموه أهلاً لجهنم وذلك بكتمان الحق ومنعه من معرفة الدين الصحيح“^(٩).

وذهب بعض الكتاب الى أن تعاليم كانت موجهة الى الريف الفلسطيني ، وجاء دعمه الرئيسي من أهل الريف غير المتعلمين ، ولعل ذلك مما يتواءم مع ما ذكر عن جماعة وادي قمران واستقرارها في البادية ، وأثبت وجود أفكارٍ مشتركة بين هذه الطائفة والمسيح عليه السلام^(١٠).

(١) مرقس ١٢ : ٣٨ - ٤٠

(٢) متى ٥ : ٢٣ - ٢٧

(٣) متى ٥ : ٤٣

(٤) متى ٦ : ٥ - ٧

(٥) وانظر في دعوته وحقيقتها الأزهر سنة ٥٧ ج ١٤٠٥ هـ رجب - ابريل ١٩٨٥ م محمد عزت الطهطاوي

* كنيسة وبالغريسيون وتعين أشخاص مدعوين أو جماعة مدعوة وردت في العهد الجديد بمعنى محفل أعمال الرسل ٧ : ٣٨ ،

١٩ : ٣٢ ، ٣٩ ، ٤١ ، دراسات في انجيل متى ١٣٠

(٦) الفكر الاسلامي ص ٣٤ وانظر متى ١٦ : ١٥ ، ١٨ ، ومتى ١٨ : ١٧ ، ١ ، كورنثوس ١ : ٢ ، ٢ ، كورنثوس ١ : ١

(٧) الأمور المتيقنة عندنا ١١٧ ، ١٢٣ ، ١٢٤

(٨) بوتقة النصرانية ٢٢٦

٣- موقف اليهود من دعوته :

عند عرضنا لتاريخ اليهود ذكرنا انه تاريخ طويل حافل وقع عليهم في آخره إذلال وشتات طويل بسيطرة واستيلاء الآشوريين عليهم ، ثم الفراعنة فالبابليين ثم الفرس فالأغريق وأخيراً الرومان ، ومن ثمّ تولد لدى اليهود أمل كبير أن يرسل لهم مسيحاً خصيصاً يخرجهم مما هم فيه ويعيد لهم على الأرض مملكة داود وسليمان الا أنهم اصبوا بخيبة أمل عندما جاءهم المسيح عليه السلام يزين لهم ملكوت السموات ، ويعدّهم وعداً حسناً في الدار الآخرة ، وأدرك رجال السطوة والنفوذ منهم أنّ مكائنتهم الى نهاية ونفوذهم ضائع لا محالة ^(١).

وكانت دعوة المسيح تحارب اتجاهين تأصلاً عند اليهود وهما : شغفهم بالمادة ، وإهمالهم الناحية الروحية فيهم ، وادعائهم انهم شعب مختار وادعاء أحبارهم أنهم الصلة بين الله وبين الناس .. ^(٢)

ولشدة ما كان ارتياح اليهود وغضبهم عندما شهدوا عيسى يكتسح أمامه كل ما يعتزون به من ضمانات اذ يعلم الناس ان الله ليس من المساومين وان ليس هناك شعب مختار ، وانه لا يستطيع اختصاص البعض بالرعايات ^(٣) بل انه كان ينتقد كهنة اليهود ومشايخهم في الجامع وفي الهيكل أحياناً لخروجهم على تعاليم موسى ^(٤) لهذا ولغيره أعلن اليهود عداؤهم لعيسى ^(٥).

وهكذا حين ابتدأ المسيح دعوته جن جنون اليهود وتحركت فيهم العوامل الموروثة من العداة للأنبياء والشغب عليهم فوقفوا في وجه المسيح .

وقد اختلف الكتاب في تصوير موقف اليهود من دعوته فنقل بعضهم في الأناجيل أنه ولد في جو من الاضطهاد وبالتالي لم يكفل هذا الجو لمبادئه التي جاء بها الظهور والإنتشار ، فقد كانت بيئة ساد فيها خليط من ثقافات متعددة ، واتجاهات فكرية ودينية متعارضة لم تهئ لرسوخ الدعوة التي جاء بها ، وان الصورة الوحيدة التي تحمل شيئاً من التقدير هي صورة عطف السذج من عامة الشعب ^(٦).

(١) دعوة التوحيد ، ٢٩٧

(٢) المسيحية ، شلبي ٥٣

(٣) المسيحية ، شلبي ٥٣ ، الماسونية ١٥ .

(٤) نصرانية عيسى ١٣٩

(٥) انظر التاريخ اليهودي ٣٣٨ ، ٣٣٩ محاربة اليهود للنصارى ، ومتى ٢٦ : ٣ - ٥

(٦) يأهل الكتاب تعالو ، ٨٣

ويظهر من قراءة انجيل مرقص أنه كان له تأثير في بلاد اليهود^(١)، فقد ذاعت شهرته منذ أول معجزة^(٢)، وجاءوا من الجليل ومن القدس والأردن وتبعوه أينما ذهب^(٣)، بل ان حماسهم دفعهم الى اهمال الطعام والشراب، وأحيانا أخرى كانوا يطلبون منه الاتيان بخوارق لإرضاء رغباتهم^(٤).

وذكر مرقس في انجيله أن عدد هذه الجماعات يقدر بحوالي ٥٠٠٠، و٤٠٠٠ في رحلة أخرى، وهذا الأمر لا يخفى على السلطة في بلدة صغيرة^(٥). وتذكر الأناجيل أنه اختار اثني عشر رجلا من اتباعه جعلهم هم حواريه وأخص أصحابه.

أما عن موقف السلطات من دعوته فقد ذكرنا سابقاً عند الحديث عن البيئة السياسية التي بعث فيها عيسى، ان تلك الفترة التي بدأ فيها عيسى عليه السلام بالدعوة كانت فترة قلق واضطراب وعدم استقرار^(٦).

وكان الصراع بين الرومان - الدولة الحاكمة المستعمرة - وبين اليهود - الدولة المحكومة المستعمرة - صراعاً قوياً، ونتيجة لهذا نشطت الأحزاب الدينية والسياسية القديمة وتعمق الشعور في الرغبة ببعثة مسيح مخلص.

وفي نفس الوقت كانت السلطة الرومانية تقف في وجه كل الحركات الوطنية والنصرانية - الداعية الى مسيح مخلص - ولعلّ هذا مايفسر حسب وجهة نظر بعض علماء النصرانية عدم كلام عيسى عليه السلام عن مسيحيته اعنى دوره كمخلص، بل انه كان يمنع تلاميذه من ان يتكلموا في ذلك^(٧).

(١) مرقس ١ : ٢٨

(٢) مرقس ١ : ٣٣

(٣) مرقس ٣ : ٧، ٢ : ١٣ ن ١٠ : ٤٦ و ر. عيسى ٢٥١ والفكر الاسلامي ٣٤ - ٣٩، وبوتقة النصرانية النصرانية ٢٢٦

(٤) عيسى ٢٥٢

(٥) عيسى ٢٥٢

(٦) انظر ص ٢٨ .

(٧) مرقس ١ : ٢٤ - ٢٥، ٣٤ و ٣ : ١١ - ١٢، و ٨ : ٩ و ر. تاريخ الفكر المسيحي ٢١٤ - ٢١٦

وعلى الرغم من ذلك فقد وقف اليهود من دعوته موقف المعارض منذ اليوم الأول ، عندما لم يروا فيه المسيح المخلص الذي ينتظرونه من وجهة نظرهم ، وبدا ذلك لعملاء الرومان من الجماعات اليهودية الذين ارتابوا من خطر الدعوة ، وما يمكن ان تفضحهم به الدعوة الجديدة ، ولن يتمكنوا من أداء دور الوشاية ضد طوائف شعبهم في خدمة السادة والرومان^(١).

وهؤلاء بدورهم استطاعوا ان يوقعوا ساسة الدولة الرومانية بأن يعملوا معهم في مطاردة الدعوة الجديدة ورفضها مع أنها في جوهرها كما رأينا لم تتعرض للدولة سياسياً لابهدم والابناء ، وأصبحت السلطة الرومانية بالوشاية اليهودية في معركة مع الدعوة ولم تشهر فيها السلاح علانية وانما بالمؤامرة والخداع وتكتيل جهود القوى النائرة ضد الدعوة^(٢).

ويرى جينيبيير انهم عزموا على التخلص منه ولكنهم فضلوا خداعه لمناقضة تعاليمه لما كانوا يريدونه^(٣).

وقد اتخذت المواجهة اسلوبين : فكري ومادي :

أما الأسلوب الفكري فقد اتخذت المواجهة فيه عدة مسالك ، ظهر منها المحادلات الدينية. وقد ورد في الاناجيل الاربعة المعتمدة عند النصارى ما يؤكد اتباع هذا المسلك مع عيسى عليه السلام^(٤)، ثم التشكيك به وفي دعوته ، وتشكيك المؤمنين به وملاحقته بطرح الأسئلة من قبل الفريسيين والصدوقيين حتى يسقط في أعين سامعيه . ويكاد يكون الإصحاح الثاني عشر من انجيل متى مخصصاً لمثل هذا النوع من الألوان اليهودية في الاحراج ورد المسيح عليه السلام عليهم^(٥). وقد حاولوا ان يفتنوا الناس عنه عليه السلام عند ماصاروا يلصقون به ادعاء الألوهية أو البنوة ، وجاء ذلك المعنى في انجيل متى^(٦).

(١) التاريخ اليهودي ٣٢٧

(٢) التاريخ اليهودي ٣٢٨

(٣) المسيحية ، نشأتها وتطورها . ص ٢٥٧

(٤) ر. لوقا ٥ : ٢٧ - ٣٢ ، ١٨ - ٢٦ ، ٢٣ - ٣٩ ، ومرقس ٢ : ١١ - ١٢ ، ١٨ - ٢٢ ومتى ٢ - ٨ ، ١٤ - ١٧

(٥) متى ١٢ : ١ - ١٣ ، يوحنا ١ : ١١ ، لوقا ٤ : ٢٩ ، ١٧ : ٢٥ . ودعوة التوحيد ٢١٧ - ٢٢٢ ، محاضرات في النصرانية

٢٣ ، المسيح ، عبود ٧٨ ، تاريخ الفكر المسيحي ١ / ٢٦٢ ، عيسى ٢٥٥ ، ٢٥٦

(٦) متى ٧ : ٢١ - ٢٤ ، يوحنا ٥ : ١٦ - ٢٠

وقد اصطدم كثيراً بالصدوقيين القائمين على أمر المعبد في القدس^(١). وتنقل دائرة المعارف اليهودية انهم رفضوا معجزاته وحكموا عليه بأنه ساحر وأنه تعلم السحر في مصر^(٢). ولم يفتؤا عن تدبير المكائد له من وقت لآخر ، ومحاولة رجمه بالحجارة^(٣) امعاناً في رفض دعوته .

٤- نهاية أمر المسيح عليه السلام :

بذل اليهود مجهودات كبيرة للقضاء عليه بأي طريقة^(٤)، ولما ضاقت بهم الخيل كذبوا عليه وادعوا أنه يجرس على عدم اعطاء الجزية للقيصر وأنه يثير الشغب ضد الدولة ويدعي أنه ملك اليهود وأنه يهدف الى الاستقلال عن الحكم الروماني والتبعية لقيصر . فحملوا الوالي الروماني على ان يصدر الأمر بالقبض عليه وحكم عليه بالإعدام صلباً^(٥) وكان لهم شيء من النفوذ لدى ولاية الرومان في تلك الفترة^(٦). وقد اختلفت الأناجيل في مسألة صلب المسيح وقتله مع أن هذه الحادثة هي دعامة الإيمان في نظر النصارى واعتقادها من أصول الدين عندهم^(٧)، وقد أكد الكاتب حبيب سعيد هذا التناقض والإختلاف^(٨).

(١) بوتقة النصرانية ٢٢٦

(٢) دائرة المعارف اليهودية ١٤/٧ وفيها نصوص عدة توصل الى نفي معجزاته وولادته من عذراء انها اسطورة شائعة ر. موقف اليهود والنصارى من دعوة المسيح عليه السلام ، سارة العبادي .

(٣) متى ١٢ : ١٤-١٦ ، مرقس ٣ : ١-٦ و يوحنا ١٠ : ٣١-٣٦ ، دعوة التوحيد ٢١٧-٢٢٢

(٤) ر . بنو اسرائيل وموقفهم من الذات الالهية ٥٩٩-٦٠٥ ، الكنز المرصود ٩٩ ، ١٠٠ حيث أورد نقولا عدة في ذلك ، دور اليهود في افساد العقيدة ١٠٦ مكائد يهودية ٣٢ وانظر رسالة موقف اليهود والنصارى من دعوة الميخ عليه السلام حيث ذكرت موقف اليهود من المسيح من خلال كتبهم ومؤلفاتهم ٣٧-٧٨

(٥) تاريخ الأقباط ٥٦ ، دراسات في النصرانية ، مزروعة ٦٤ ، ٦٥ ، محاضرات في النصرانية ٢٣ ، العلمانية ٧١ ، أقانيم

النصارى ٨٦ ، ٩٠ ، المنظومة ٦٤ ، التاريخ اليهودي ٣٤٠-٣٦٣ ، يأهل الكتاب تعالوا ١١٠-١١٢

(٦) القوى الخفية ، ٧٣ ، جذور البلاء ٩٠ ، العلمانية ٧١ ، المسيحية ، شيلي ٥٤

(٧) ر . كورنثوس ٢ : ٢ ، ١ ، تيموثاوس ٢ : ٥-٦ ، رومية ٢ : ٢٤-٢٥ ، غلاطية ٣ : ١٣ ، ٢ : ٦

(٨) أديان العالم ٢٥٨

وتتلخص حادثة المحاكمة والصلب في أنه في الليلة التي صلب فيها المسيح حسب زعمهم اجتمع عيسى عليه السلام مع تلاميذه ، ثم علم اليهود بمكانه بوشاية أحد أتباعه وهو يهوذا الاسخريوطي فجاءوا وألقوا القبض عليه ، ففر التلاميذ وتركوه فأخذه اليهود الى رئيس كهنتهم وواجهوه بما يتهمون به ، الا أنهم رأوا ان الشهود لا تتفق كلمتهم فيما شهدوا به عليه ، وأخيراً سأله رئيس الكهنة أنت المسيح ابن المبارك ؟ فقال عيسى : أنا هو وسوف تبصرون ابن الانسان جالساً عن يمين القوة وآتياً في سحباب السماء ، فمزق رئيس الكهنة ثيابه ، وقال ما حاجتنا بعد الى شهود وقد سمعتم التجاديف .. فحكم الجميع عليه أنه مستحق للموت .

ثم حملوه الى الوالي الروماني بيلاطس البنطي الذي قرره بما كان متهماً به وهبوا أنه ملك اليهود ، الا ان المسيح لم يجبه بشئ فرأى بيلاطس انه لا يستحق الموت ، الا ان بيلاطس بعد ذلك ونزولاً عند رغبة اليهود حكم عليه بالموت على الصليب .

ولما صلبوه كانت الساعة الثالثة صباحاً - حسب زعمهم - وبقي على الصليب الى الساعة التاسعة عصراً حيث مات بعد أن صاح " الهي الهى لماذا تركتني " .

ثم انزل عن الصليب وأدخل قبراً بقي فيه تلك الليلة ونهار السبت و ليلة الأحد فلما جاؤا صباح الأحد وجدوا القبر خالياً ، وقيل لهم أنه قام من قبره ، ثم انه ظهر لتلاميذه بعد ذلك وبين لهم انه حي وبقي معهم - كما في أعمال الرسل - أربعين يوماً ثم ارتفع الى السماء بعد ان أوصاهم ان يذهبوا الى العالم أجمع ويكرزوا بالانجيل للخليفة كلها^(١) .

(١) ر . نهاية المسيح في انجيل لوقا ٢٢ : ٤٧ - ٥٣ ، مرقس ١٤ : ٤٣ - ٥٢ ، متى ٢٦ : ٤٧ - ٥٦ ، يوحنا ١٨ : ٢ - ١١ ،

ويسوع يقاد الى حنانيا يوحنا ١٨ : ١٢ - ١٣ ، ٢٤ - يسوع عند قيافا لوقا ٢٢ : ٥٤ - ٦٢ ، مرقس ١٤ : ٥٣ - ٥٤ ، ٦٦ -

٧٢ ، متى ٢٦ : ٥٧ - ٥٨ ، ٦٩ و ٧٥ ويوحنا ١٨ : ١٤ - ٢٧ و الحكم عليه بالموت لوقا ٢٢ : ٦ - ٧ مرقس ١٥ : ١ - ٢ ،

١١ : ٥٥ - ٦٤ ، متى ٢٧ : ١ - ١٦ ، ٢٦ : ٥٩ - ٦٦ . ور . أحداث الصلب في يسوع كما في مرقس ٣٨ - ٤٤ ، ١٥٣ ،

أديان العالم ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، المسيح انسان أم اله ١٢٥ - ١٣٤ ، دراسة في الكتب المقدسة ١١٧ - ١٢٩ ، حياة يسوع حبيب

٢٢٦ - ٢٣٥ ، المسيح ، شنودة ٢ / ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، مباحث بريئة في الانجيل ١٠٣ - ١٢٧ ، من دحرج الحجر ، ٩ - ١٧ .

وأبرز العلماء الكثير من الأمور المتناقضة في الاناجيل حول قصة الصلب وروايات الآلام وما لقيه المسيح.^(١)

والصلب لم يتبلور في حقيقة الأمر كعقيدة في حياة المسيح عليه السلام على الأرض وإنما فيما بعد.

وقد أشار ادولف هرنك في كتابه الى حقيقة خلو بعض الرسائل الهامة من ذكر الصلب والفداء، وكذا يوسيفوس المؤرخ مع قرب زمنه من زمن المسيح عليه السلام. بل ان التلاميذ أنفسهم لم يكونوا شهود عيان، جاء في مرقس " فتركه الجميع وهربوا " ^(٢) ، وقد كانت معلوماتهم فيما يختص بمعلمهم عن أخبار الغير ، فقد سمعوا انه علق على الصليب وأنه مات ودفن . ولذا فإن قضية الصلب ظلت من القرون الأولى موضع الشك والإنكار وهو ما اعترف به الكاتب المسيحي المتعصب عوض سمعان ^(٣) .

ومما يؤكد عدم القتل والصلب شهادة بعض علماء النصرانية مثل "ادوار سيوس" - أحد أعضاء الانسيتودي فرانس - في كتابه " عقيدة المسلمين في بعض المسائل النصرانية " ، ومنهم الباسيليديون حيث كانوا يعتقدون ان المسيح وهو ذاهب لحل الصلب ألقى شبهه على سيمون السيريناري وألقى شبه سيمون عليه ثم أخفى نفسه ، ومنهم السيرينيتون فقد قرروا ان أحد الحواريين صلب بدل عيسى . ونقل موسيهيم في تاريخه طوائف كثيرة من النصارى تنكر الصلب، وكذا ما ذكره آرنست بونسن في كتابه " الإسلام : أي النصرانية الحقبة " ^(٤)

وهكذا ومن المراحل الأولى المبكرة لدعوة المسيح وعناصر الرافض اليهودي لهذا الدين قوية شديدة ، ولكن الخطير في موقف القوى اليهودية في مقاومتها للتعاليم المسيحية هو هذه المرحلة التي

(١) ر. دراسة في الكتب المقدسة ١١٧-١٢٩ وغياب رواية تأسيس القربان المقدس في انجيل يوحنا ، قصة الحضارة ١ / ٢٣٦ ،

(٢) مرقس ١٤ وأنظر مقال في الأزهر حقيقة المسيح ودعوته ج ٧ ، سنة ٥٧ ، ١٤٠٠ هـ رجب

(٣) فلسفة الغفران ٨٩ - ١٢٨ نقلاً عن رسائل الرسل .

(٤) الأزهر ج ٧ سنة ٥٧ ، ١٤٠٠ هـ رجب مقال حقيقة المسيح ودعوته .

أشرنا إليها سابقاً والتي تم فيها تجنيد القوى الرسمية والسياسية في البلاد لمقاومة المسيح عليه السلام ودعوته (١).

فلاضطهاد الديني بدأ منذ اللحظة الأولى للدعوة في عهد عيسى ، بدأه اليهود بما أوجدوه من الكذب والفتن وغيره .

٥- المسيح عليه السلام في القرآن الكريم والمصادر الإسلامية :-

يذكر القرآن الكريم حقيقة عيسى عليه السلام وأمه مريم وحقيقة دعوته بما يتفق مع ما تذكره الأناجيل في بعض نقاطها ، وكما أبطل ايضاً بكل وضوح وقوة ما ورد فيها من الأمور التي لاتصح نسبتها لعيسى عليه السلام .

ولقد تكلم القرآن عن أجداد المسيح عليه السلام وصلاتهم وعن نذر أم مريم بأمه فقال عز وجل ﴿ ان الله اصطفى آدم ونوحاً وءال ابراهيم وءال عمران على العالمين ﴾ ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم ﴿ إذ قالت امرات عمران رب اني نذرت لك ما فى بطنى محرماً فتقبل منى انك انت السميع العليم ﴿ فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها اتى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنتى وانى سميتها مريم وانى اعيذها بك وذميرتها من الشيطان الرجيم ﴾ فتقبلها مريم باقبول حسن وأنتها نباتاً حسناً وكفلها نركراً كلما دخل عليها نركراً الخراب وجد عندها مرزقاً قال مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ (آل عمران ٣٣ - ٣٧) .

وقد بلغت مريم حداً عالياً من العبادة والصلاح وبشرتها الملائكة انها من المصطفين الأطهار كما بشروها بالمسيح عليه السلام أية من الآيات ونبياً من الأنبياء ﴿ واذ قالت الملكة يا مريم ان الله اصطفىك وطهرتك واصطفىك على نساء العالمين ﴾ (آل عمران ٤٢) ﴿ إذ قالت الملكة يا مريم ان الله يشرك بكلمة منه اسم المسيح عيسى ابن مريم وجيها فى الدنيا والأخرة ومن المقرين ﴾ ويكلم الناس فى المهد وكهلاً ومن الصالحين ﴿ قالت رب انى يكون لى ولد ولم

يَمْسَسْنِي بَشْرًا قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ

﴿ (آل عمران ٤٥ - ٤٧) ﴾

اذن فخلق المسيح عليه السلام بهذه الصورة انما هو اعلان للقدره الالهية التي تخلق بلا اسباب كما تخلق بالاسباب^(١).

وقد ذكر القرآن الكريم ما تعرضت له من آلام بسبب الحمل وابتعادها عن الناس حتى تمت الموت ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ﴿ (مريم ٢٢-٢٣)^(٢) . هذا هو الميلاد العذراوي والذي اعتبر منفذاً للقول بتأليهه فيما بعد^(٣).

وتمضي الآيات في عرضها لما كان من حمل مريم بالمسيح وولادته واکرام الله تعالى لها بأنواع الكرامات، ثم تسوق لنا اتهام قومها لها لما رأوها تحمله ولم يكن لها زوج ﴿ فَأُتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴾ يَا خَتَّ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَارًا شَقِيًّا ﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿ (مريم ٢٧ - ٣٣).

فالقرآن الكريم يذكر انه تكلم في المهد ليكون ذلك آية على طهر أمه وطردها للظنون والشكوك التي أثرت حولها وبما بادرها به قومها من اتهام ، والمثير للدهشة ان الأنجيل الأربعة

(١) انظر في ذلك محاضرات في النصرانية ، ٢٣ ، تفسير الرازي ٢١/٢٠٣ ، الأديان في القرآن ١٥٧ ، ١٥٨ ، البداية والنهاية

٢/٦٤ تاريخ الطبري قصة مر سم وعيسى ١/٣٤٩ - ٣٥٣ ، دراسات في النصرانية ، مزروعة ٣٥ ، ان مثل عيسى ص ٤٦ -

٦٤ ، ١٢٠ - ١٢٩ ، التوراة والأنجيل والقرآن في سورة آل عمران ٤٧ - ٦٠ ، التوراة والأنجيل والقرآن في سورة آل عمران

٤٦ - ٤٨ ، السحار ١٨ - ٢١ ، ٣٠ - ٣١ ، الاله الذي لا وجود له ١٩ - ٢٠ .

(٢) دراسات في النصرانية ، مزروعة ٣٢ ، ٣٣ ، حقيقة عيسى المسيح ١٠٩ ، المسيح انسان أم اله ٥٠ - ٥٢

(٣) المسيح انسان أم اله ١٦٧ ، حياة يسوع ٢٤ - ٣٠

ورسائل الرسل كلها لم تشر الى تكلم المسيح عليه السلام في المهد أي اشارة ^(١) مع أنه حدث عظيم وهو أمر في غاية الغرابة .

ومع شمول هذه الآيات لبيان حقيقة المسيح ، فإن القرآن بعد ذلك يشير الى أنه قص ذلك لكي يعلم من يختلف في شخص المسيح وان هذا هو المسيح وهذه حقيقة البعيدة عن دعوى بنوته لله عز وجل ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وِلْدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (مريم ٣٤ - ٣٥)

فا لله خلقه بهذه الطريقة ، ولكنه بشر مثله في ذلك الخلق مثل آدم الذي خلقه الله بلا أب ولا أم ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (آل عمران ٥٩) .

ولم يتعرض القرآن الكريم لذكر نشأة عيسى عليه السلام وحياته الأولى بعد ولادته وقبل بعثته ، وقد أشار الى أنه نشأ في كنف أمه في ربوة ، أي بلدة مرتفعة ذات استقرار وأمن وماء معين ، قال تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ (المؤمنون ٥٠) . ^(٢)

(١) وقد وردت في بعض رسائل الجاحظ " الرد على النصارى " اعتراضهم على القرآن فيما أخبر به من كلام المسيح في المهد ٣٢٤/٣ - ٣٢٧ نقلًا عن رسائل الرسل ، وانظر مناقشة العلماء لهذا في هداية الخيارى ٣٠٣ - ٣١٢ ، رسائل الرسل ٢٨ ، تفسير الرازي ٢١/٢١٧ ، والبده والتاريخ ٣/١٢٠ - ١٢٨ ، كلمة من الله ١٠٤ - ١٣٠ ، المعني ١٥ / ١٦ ، الامتاع والموانسة ٩٧/٢ ، وفيه ناقشوا تكذيب النصارى للقرآن في حديثه عن كلام المسيح في المهد وردوا عليهم فيه .

(٢) اختلف المفسرون في مكان هذه الربوة ر . تفسير ابن كثير ٢/٧٧ ، تفسير الرازي ٢٣/١٠٤ ، فتح القدير ٣/٤٨٧ ، الجامع لأحكام القرآن ، ١٢/١٢٧ ، ومؤدى الأقوال لا يخرج عن كونها في بلاد الشام اما دمشق وفلسطين وبيت المقدس . وانظر عقيدتنا التلث والصلب وفيه استنبط جانباً من نشأته من خلال آيات القرآن ٨-١٢

ولم يذكر القرآن الكريم كيف ابتدأ ولا متى بدأ المسيح دعوته^(١) ، ولكنه ذكر انه بعث في بني اسرائيل في بشارة الملائكة لمريم في سورة آل عمران ، وانه سيكون له آيات تثبت صدق دعواه ﴿وَمَرْسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُرُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران ٤٩).

فكانت معجزاته قهراً للفكر المادي الذي طغى في ذلك الوقت ، ودعوة للرجوع الى عالم الروح وتربية لهذه الروح حتى يقوى لديها الايمان بالبعث والنشور وبالتالي السعى إليها بعمل الصالحات والبعد عن الفساد والسيئات^(٢) .

وقد كانت هذه المعجزات منفذاً آخر لإدعاء ألوهيته. وقد ذكر الله تعالى أن الحواريين سألوه آية ، وانه دعى ربه فاستجاب له ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَعْيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ قالوا نريد أن نأكل منها ونطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين ﴿قَالَ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَأُمَّرًا لَّنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّامِقِينَ﴾ قال الله ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مَنكُم مِّنكُمْ فَأَيُّ آيَاتِي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ (المائدة ١١١ - ١١٥).

(١) انظر الأقوال في ذلك تفسير الرازي ٢١ / ٢١٤ ، الأديان في القرآن ١٦٠ ، ١٦١ حيث استدلا بظاهر الآية انه نبي في المهدي ، وانظر خلاف ذلك في فتح القدير ٣ / ٣٣١ ، والرازي السابق ، وانظر البدء والتاريخ ٣ / ١٢٤ حيث ذكر انه أوحى اليه وهو

ابن ثلاث عشرة سنة ورفع وهو ابن ثلاثة وثلاثين سنة .. وقد جرى المفسرون على انه بعث بعد الثلاثين تقريباً

(٢) ر . المسيحية شلبي ص ٤٠ حيث ناقش القول انه ارسل الى قوم برعوا في الطب - حيث لم يكن منتشرأ بتلك الصورة في

ومن آمن به من وصفوا بالحواريين ، وأنصار الله المخلصون لدعوة المسيح عليه السلام وقد صور القرآن الكريم موقفهم من عيسى عليه السلام صورة ناصعة مشرقة فعندما كفر اليهود بدعوته ولم يجد له نصيراً جهر بالنداء والإستنجاد فكان الحواريون هم الملبين المستجيبين ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ ﴿ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ ﴿ (آل عمران ٥٣) . وقد رفعهم الله الى منزلة عالية حين جعلهم مثلاً أعلى للمؤمنين وطلب من المؤمنين التشبه بهم واتخاذهم قدوة في الإلتصاف بالله ورسوله ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ ءَايِدُنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عُدُوِّهِمْ فَاصْبِرُوا لَهَا ﴾ ﴿ (الصف ١٤) (١) .

وأُنزل الله على سيدنا عيسى كتاباً هو الإنجيل فيه هدى ونور ، وموعظة لمن خاف الله تعالى . ﴿ وَقَفِينَا عَلَىٰ ءَأَثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَأَتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿ (المائدة ٤٦) .

وقد بلغ المسيح عليه السلام أمر ربه ، إلا أن اليهود كذبوه واتفقوا على الخلاص منه وقتله (٢) ولكن الله تعالى أراد نجاته ، قال تعالى : ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يُعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فُوقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُم بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ ﴿ (آل عمران ٥٤ ، ٥٥) .

(١) الأجوبة الفاخرة ١٨٢/١ ، دراسات في النصرانية ، مزروعة ٨٧ ، ٨٨

(٢) ر. دراسات في النصرانية ، مزروعة ٦٦ ، ٦٦ ، مشكلات العقيدة النصرانية ٤٧ ، ٤٨ ، دعوة التوحيد ٢٢٢ - ٢٢٦ ،

وقد نجاه الله منهم ومع ذلك توهموا قتله وما مقتول الا شبهه له، يقول تعالى ﴿وَقَوْلَهُمْ
 إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ
 لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٥﴾ (النساء ١٥٥ - ١٥٨).

وهو ما أجمع عليه المسلمون أنه لم يقتل ولم يصلب، وان الله نجاه من القتل بأن رفعه الى
 السماء حياً بجسمه وبروحه ولا يزال فيها حتى ينزل آخر الزمان في أمة محمد ﷺ يحكم بينهم
 بشرية الإسلام. (١)

هذا هو المسيح ﷺ في القرآن الكريم بشر خلقه الله بكلمته كما خلق من قبله آدم ﷺ
 بكلمته كن وجعله الله سبحانه وتعالى آية حيث خلقه من غير أب .

وبين الله عز وجل حقيقة دعوة المسيح ﷺ وانها واحدة من رسالات الأنبياء التي جاءتوا
 بها الى الناس تدعو الى توحيد الله توحيداً مطلقاً كاملاً ، قال تعالى : ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا
 رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴿٧٥﴾ (المائدة ٧٥) . ﴿ وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي
 وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾
 (المائدة ٧٢) . ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَى الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ
 وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ (مريم ٣٠ - ٣١) .

(١) انظر تفصيل الأقوال في نفي الصلب ، وعقيدة رفعه ﷺ ، تفسير ابن كثير ١/٥٧٤ - ٥٧٦ ، فتح القدير ١/٥٣٥ ،
 تفسير المراغي ٣/١٦٩ ، تفسير المنار ٣/٣١٦ - ٣١٧ تفسير أبي السعود ٨/٥٢ ، تفسير الألوسي ٧/٣٤ ، الجواب الصحيح
 ١/٢٥٣ - ٢٥٤ ، مجموع الفتاوى ٤/ ٣٢٨ - ٣٢٩ ، المسيحية ، شليبي ٥٤ - ٧٠ ، البدء والتاريخ ٣/١٢٦ ، ١٢٧ ،
 المسيح انسان ام اله ١٥٤ - ١٦٠ ، مختصر الصواعق المرسله ٢/٥٦٧ ، صلب المسيح ، ديدات ١٧٢ ، مقامع الصليبان ٤٤ ،
 ٤٥ ، انجيل برنابا الفصل ١٥ ، بل ان قضية الصلب ليس مما أجمع عليه النصارى وهو ما أكده الشيخ جمال الدين القاسمي وذكر
 طوائف كثيرة كانت تنكر ذلك انظر تفسير القاسمي ٥/ ١٦٩١ وانظر الأزهر ج ٤ سنة ٥٧ - ١٤٠٥ هـ ربيع الآخر / ١٩٨٥

ويقول تعالى عما يكون منه يوم القيامة من اجابته لربه : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ
 ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيْهِنَّ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ
 كُنْتُ قُلْتَهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ ما قلت لهم
 إلا ما أمرتني به أن اعبدوا اللهَ مربي وربكم وكنتم عليهم شهوداً ما دمت فيهم فلما توفيتني
 كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد ﴿ (المائدة ١١٦ - ١١٧) .

فتحلي هذه الآيات مقالة المسيح في الآخرة يوم يجمع الله الرسل ، وتفيد بصريحها انه ما
 دعا الا الى التوحيد وعبادة الله وحده لا شريك له ^(١) ، ﴿ إِنْ اللَّهَ رَبِّي وَمَرْبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا
 صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ (آل عمران ٥١) .

وانه رسول وجه دعوته لبني جنسه ، وهم بنو اسرائيل خاصة ﴿ وَمُرْسُولاَ إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ
 أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ (آل عمران ٤٩) .
 ومتبع لشريعة موسى ﷺ ومكمل لها ﴿ وَمُصَدِّقاَ لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَأَجْلًا لَكُمْ
 بَعْضُ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ [آل عمران ٥٠] ، مع التخفيف لبعض الأحكام التي شدد الله
 بها على اليهود من قبل فكانت رسالته رسالة اصلاح لما طرأ على الشريعة التي أنزلت على موسى من
 التحريف من قبل اليهود .

وجاء ليجمع بني اسرائيل على كلمة الحق لاختلافهم في شأن دينهم ﴿ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى
 بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾
 (الزخرف ٦٣) .

(١) ر . متى ٢٣ : ٩ طبعة الأرثوذكس ، ٤ : ٦ - ١١ طبعة الأرثوذكس ، مرقس ١٠ : ١٧ - ١٨ ، لوقا ١٨ : ١٨ وانظر

أقوال العلماء أضاء على المسيحية ١٣ ، مفتريات أهل الكتاب ٥٣٥ - ٥٣٨ ، دعوة التوحيد ٨٨ - ٩٢ ، المجتمع عدد ١٢٦

شوال - ١٣٩٢ - ١٩٧٣ م (البابا بولس تهنئته كمقبوة ولنا معكم كلام) .

وقد تفرق اليهود كما رأينا شيعاً وأحزاباً كل منها يريد أن يستأثر لنفسه بالدنيا فكانت حالهم هذه من أسباب تفرقهم ، ومن ثم كان لب دعوة المسيح دعوة الى التسامح والزهد والتبشير باليوم الآخر . (١)

وشملت دعوته الايمان بالكتب السابقة ، ومن جاء قبله من الأنبياء ، والبشارة بالنبي ﷺ .
﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ
وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ (الصف ٦) (٢) .

أما ما طرأ على النصرانية فيما بعد من انحرافات تضمنت الأناجيل بعضها ، فقد تناول القرآن الكريم بعضها بالإبطال كدعوى ألوهية المسيح ، وبنوته لله عز وجل ، وصلبه ، ثم التثليث فقد تناول القرآن الكريم كل هذه التحريفات بالإبطال .

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ (المائدة ١٧ ، ٧٢) ،
﴿ وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْنَاهُمْ اللَّهُ
أَنْ يُوَفَّكَونَ ﴾ (التوبة ٣٠) ، ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ (النساء ١٥٧) ،
﴿ قَاتَمْنَا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ خَيْرًا لَكُمْ ﴾ (النساء ١٧١) ، ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا
إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ ﴾ (المائدة ٧٣)

(١) انظر في ذلك المسيح ، وصفي ٢٥ - ٣٠ ، الاسلام والأديان ، أحمد عبد الوهاب ١٣٣ - ١٣٦ ، النصرانية ، شاهين ٥٣ ،

محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة ١٣ ، التفكير الديني ٤١٥ ، أضواء على المسيحية ٢١ .

(٢) المسيحية ، شليبي ٧٠ - ٨٠ ، مشكلات العقيدة النصرانية ، ٤٨ - ٥١ ، الله واحدد ام ثالث ١٦٤ ، دعوة التوحيد ١١٤ -

ولم تكن هذه كل التحريفات ، فقد طرأت على النصرانية في مراحل تطورها العديد من الأمور التي خرجت بها عن حقيقة دعوة عيسى عليه السلام ، وسوف تتكفل الفصول التالية في البابين التاليين بدراسة أهم العوامل التي أدت الى تحريفها وما آلت اليه .

الفصل الثالث

النصارى والنصرانية من رفع عيسى عليه السلام حتى سنة ٩٧٨م

يمكن تقسيم هذه الفترة الطويلة الممتدة على ما يزيد على ثمانية قرون كاملة الى ثلاث مراحل متميزة نسبيا ، وهى مراحل تختلف اختلافا بينا من حيث طولها الزمنى ، ولكن كل واحدة منها اتسمت بخصائص معينة .

المرحلة الأولى : (من سنة ٣٠ م - ١٣٥ م) ، وتمتد هذه المرحلة من رفع المسيح عليه السلام ، الى سنة ١٣٥ م والتي طرد فيها اليهود من بيت المقدس .
المرحلة الثانية : (من سنة ١٣٥ م - ٣٢٥ م) ، وتمتد من طرد اليهود من بيت المقدس ، حتى انعقاد مجمع نيقية ٣٢٥ م .
المرحلة الثالثة : (من سنة ٣٢٥ م ، مرورا ببداية القرن السابع ، حيث ظهر الاسلام ، إلى سنة ٨٧٩ م حيث اجمع المسكوني الثامن) .

أولا : المرحلة الأولى : (من رفع المسيح عليه السلام إلى تدمير القدس سنة ١٣٥ م)

ويمكن أن نسميها العهد التأسيسي ، ويمكن أيضا تقسيمها إلى فترتين ، من سنة ٣٠ م إلى ٧٠ م من رفع المسيح عليه السلام إلى تدمير الهيكل سنة ٧٠ م ، والثانية من سنة ٧٠ م إلى ١٣٥ م ، على نحو ما ذكرنا آنفا .

والملاحظ ندرة المعلومات الثابتة في الوثائق عن هذه الفترة ، سوى ماورد في أعمال الرسل ، ورسائل بولس ، وهما اقدم المصادر المكتوبة ، ثم الاناجيل الثلاثة الاولى وقد اعتمد الباحثون الغربيون وغيرهم فى مذكروه من معلومات عن هذه الفترة على هذه المصادر وغيرها مما اتيح لهم من وثائق اخرى ، ومصادر اكتشفت حديثا ، ومن هنا فقد رجعنا الى ما كتبه هؤلاء الباحثون فى تاريخ هذه الفترة الاولى .

١ - الجماعة الاولى بعد عيسى عليه السلام:

أ- حواريو عيسى عليه السلام

الحواري في اللغة هو : الذي أخلص واختير ونقي من كل عيب ويطلق على ب صاحب
والناصر (١) .

مرادنا هنا بالحواريين هم أصحاب عيسى عليه السلام وهم أخص تلاميذه والذين اتى الله عز
وجل عليهم بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ
لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمْنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ
وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ ﴾ (الصف آية ١٤١) .

فمن هنا يجب على المسلم الدارس لتلك الطائفة أن يكون على حذر ولا ينساق وراء كلام
النصارى ودارسيهم عنهم لأنهم إنما يتكلمون عنهم من خلال عقيدتهم فيهم ومن خلال
المعلومات المتوفرة لديهم وكلها مما لا يصح الاعتماد عليه لما ستبين في الفصل الخاص بالحديث عن
فقدان النصوص .

ومما يؤيد أن الحواريين كانوا على هدى عيسى عليه السلام وشريعته الصحيحة (٢) ما روى عبد
الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون
وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم أنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون
ويفعلون ما لا يؤمرون .. " الحديث (٣) .

فهذا الحديث يؤكد لنا معنى مهماً يتعلق بالحواريين وهو أنهم كانوا على عقيدة عيسى
عليه السلام ومنهجه وطريقته والتزموا ذلك بعد رفعه عليه السلام .

كما أن الواجب عقلاً أن يثبت لهم ذلك لأنهم لم يتغير عليهم شيء يمكن بسببه أن يتغيروا
عما كانوا عليه مع نبينهم عيسى عليه السلام لأنهم من بني اسرائيل ، وما يدعيه النصارى من أن صلب
اليهود للمسيح - حسب كلامهم - قد قلب موازينهم وغير من نظرتهم قول غير صحيح لأنهم
سواء قتل المسيح عليه السلام أو رفع كما هو الحق في شأنه فكلا الأمرين ليس على تلك الدرجة

(١) المعجم الوسيط ٢٠٥/١ .

(٢) يؤكد دارسي النصرانية أنه لمعرفة حياة المسيح معرفة دقيقة لابد من معرفة ودراسة الحواريين مع أننا لا نعرف عن الحواريين إلا

القليل عنهم ولا نعرف شيئاً عن مراحلهم الأولى فالمعلومات نادرة . انظر : ص ٢٣٩ الأرثوذكسية والمهرطقة في النصرانية

القديمية.

(٣) أخرجه مسلم . الإيمان باب كون النهي عن المنكر من الإيمان . ٧٠/١ .

من الغرابة بالنسبة للحواريين لأن قتل الأنبياء من قبل اليهود سجية لهم وقد قتلوا قبيل رفع المسيح عليه السلام يحيى بن زكريا عليهما السلام .

وكذلك رفع المسيح عليه السلام ليس مستغرباً عليهم إذا أثبتنا ما يدعيه اليهود من أن ايليا رفع إلى السماء حياً^(١)

فبالتالي ليس هناك أي مبرر من التغير والانحراف عن منهج المسيح عليه السلام خاصة وأنهم كانوا يعتقدون حلول بلاء قريب بهم وهو ما وقع من تدمير بيت المقدس سنة ٧٠ م على يد القائد الروماني تيطس .

لذلك كله نقول إن الحواريين بعد عيسى عليه السلام قد ألتزموا دعوته وتمسكوا بتعاليمه المبينة على شريعة موسى عليه السلام.

ب - تلاميذ المسيح في كلام النصارى .

حسب ما أورد النصارى من معلومات فإن مجموعة التلاميذ الذين ارسلهم المسيح عليه السلام للدعوة في الامصار - من المرجح انهم لم يتجمعوا في القدس الا بصفة تدريجية ، وحاولوا ان يلتصقوا بالحواريين بعد صلب المسيح وصعوده - حسب زعمهم - .

ويظهر من سفر " اعمال الرسل " ان هذه الجماعة قامت بالدعوة في القدس^(٢) - منطقة الدعوة - للوفود القادمة اليها للزيارة . وقد لاقت هذه الجماعة استحسانا كبيرا عند جماهير اليهود الوافدين عليهم باستثناء اعدائهم كالفريسيين والصدوقيين . وتكونت منهم مجموعة نطقت بالارامية والعبرية ، ومنهم من تكلم اليونانية اثر دعوتهم لجاليات المهجر^(٣) .

(١) يقول اليهود في الملوك الثاني ٢: ١١ (وفيما هما يسيران - ايليا واليشع - ويتكلمان إذا مركبة من نار وخيل من نار

فصلت بينهما فصعد ايليا في العاصفة إلى السماء وكان اليشع يرى وهو يصرخ يا أبي يا أبي مركبة اسرائيل وفرسانها ولم يره بعده) .

(٢) الفكر الاسلامي ٤١ TYSON ٢٧٩

(٣) مذكرات الاديان و Tyson ٦٣

وحسب دعوى النصارى فإن المسيح عليه السلام قد أوكل امر قيادة هذه الجماعة الى يعقوب العدل (١) ، وبطرس (٢) ، ويوحنا (٣)

وقد اختير يعقوب اماما ، ولذلك تسميه المصادر النصرانية اسقف الكنيسة الاول . (٤) وكان امام بنى اسرائيل فى عصره ، سمي بالعدل لعدالته ، وبقيت امامته ثلاثين سنة ، وكاد ان يتنصر جميع بنى اسرائيل على يديه لولا مقتله خلال هذه الفترة وطبقا لما تم اكتشافه فى اثار نجع حمادى فى مصر ، فان يعقوب كان الشخصية البارزة فى الجماعة المسيحية الاولى الذين كانوا من اصل يهودى ، وبذلك تبوأَت عائلة المسيح المكانة المرموقة فى ذلك المجتمع لقراءة يعقوب العدل وغيره ممن تولى الوعظ الرسولى - فى تلك الفترة - من المسيح عليه السلام من جهة امه .

وقد قرر الباحثون فى تراث النصرانية اهمية هذه العائلة ، حيث اعتبروا ان الوعظ والدعوة الذى كانت تقوم به هذه العائلة هو المصدر الوحيد للانجيل وذلك فى نفس الوقت الذى يقررون فيه ان كتاب الانجيل هما المصدر الثانى لتعاليمهم. (٥)

وقد حاولت هذه الجماعة برئاسة يعقوب العدل المحافظة على تعاليم المسيح عليه السلام ، والمعلومات التى تتعلق بحياته ، لكنها لم تسجلها ولم تدونها . (٦)

(١) يعقوب احد رسل المسيح الاثنى عشر ، تذكر المصادر النصرانية انه يربطه بالمسيح صلة قرابة من ناحية مريم عليها السلام وهذه القرابة سمحت بتسميته بالارامية اخا للمسيح ، وكان اول اسقف لأورشليم معجم الحضارات وقد ورد فى اكثر من موضع فى العهد الجديد ان لعيسى عليه السلام اخا هو يعقوب هذا ، وديوس وغيرهم . متى ١٢ / ٤٦ - ٤٨ و ١٣ : ٥٥ - ٥٦ ومرقس ٣ : ٣١ - ٣٣ و ٦ : ٣ ولوقا ٨ : ١٩ - ٢٠ و يوحنا ٧ : ٣ - ٥ واعمال ١٢ : ١٧ و ١٥ : ١٣ و ٢١ : ١٨ و غلاطية ٢ : ٩ - ١٢ وهذا أقلق المفسرين النصارى لانه يتنافى مع عذرية مريم ، فاقترحوا العديد من الحلول التى لا تخلو من التعسف ر . فصل

يعقوب قاموس الكتاب المقدس الكتاب المقدس ١٠٦٧

(٢) سماه المسيح " كيفا " ومعناها بالارامية الصخرة ، وترجمتها اللاتينية بيتروس وعرب فأصبح بطرس ، عاصر المسيح عليه السلام ، واختير رئيسا للكنيسة فى عهد من عهودها الاولى . معجم الحضارات ٢٢٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١

(٣) احد رسل المسيح ابوه زبدي ، وهو اخو يعقوب . اصله من الجليل كان صياد سمك ، من اوائل الذين تبعوا المسيح . معجم

الحضارات ٩٣٢

(٤) ر تاريخ يوسيبوس الطبعة الانجليزية ص ٧٢ وبوتقة النصرانية ٢٦٧ ، تاريخ الكنيسة ، يوسيبوس ٦٤ - ٦٦ .

(٥) بوتقة النصرانية ٢٧٦

(٦) Tyson ٦٣

وقد دلت بعض نصوص الاناجيل على ان المسيح عليه السلام امر هذه الجماعة الاولى بالاقامة في بيت المقدس ، وحصر الدعوى في بني اسرائيل ، ولذلك كانت دعوة الجماعة النصرانية الاولى مركزة على الهيكل ، وعلى يهود بيت المقدس الوافدين على الهيكل من الخارج .^(١)

وكان بيت المقدس عاصمة بني اسرائيل انذاك وكان يهود العالم المقيمين في الافاق يقصدونه للعبادة ، فاتصلت دعوة المسيح عليه السلام بهم .

ثم عندما انتشرت دعوته - عليه السلام - بين الامصار كان وجود الجماعة الام في بيت المقدس حجة على سيادتها الدينية في العقيدة^(٢) - عقيدة التوحيد - كما سنيين بل مارست نوعا من السيطرة على الجماعات اليهودية الأولى .

والظاهر ان اهتمام يعقوب كان منصبا على دعوة اليهود ، أما دعوة غير اليهود فكان امرا ثانويا من وجهة نظره ، أنه لم يكن من ضمن رسالة المسيح عليه السلام .^(٣)

٢ - بداية اضطهاد اليهود للجماعة النصرانية الأولى :

من المهم القول انه مرت فترة من الزمن قبل ان يبدأ الاضطهاد كحملات منظمة لمحاربة النصرانية، وذلك ان عدد النصارى في هذه الفترة لم يكن بتلك الكثرة التي يخشى منها ، فالسلطات الرومانية لم تنظر الى الجماعة الاولى واتباعها على انها طائفة منفصلة عن اليهود ، وكذلك السلطات اليهودية نفسها لأنها اعتادت على تعدد الطوائف اليهودية .

(١) ر . متى ١٥ : ٢١ - ٢٤ ، ١٠ : ٥ - ٦

(٢) ر . مذكران الأديان ، والتفكير الديني ٤٣٤ ، Tyson ٦٣

(٣) ر . اعمال الرسل ١٥ : ١٩ - ٢١

وظل رؤساء اليهود فترة من الزمن لا يعارضون قيام هذه الشيعة لصغرهما ، فلما تضاعف عددهم فى بضع سنين قلائل ، حتى زاد من ١٢٠ الى ٥٠٠٠ شخص ، كما يذكر سفر الاعمال^(١) ، استولى الرعب على قلوب الكهنة ، ومن ثم قبض على بطرس ، وغيره من الرسل^(٢) ، وجيء بهم امام محكمة السنهدرين لمحاكمتهم ، فحكموا بجلدهم ثم اطلق سراحهم .

وبعد ذلك بزمن قليل استدعى احد الذين عينوا للاشراف على جماعة المهتدين الجدد فى دعوة المسيح عليه السلام واسمه " استفانوس " للمثول امام السنهدرين ، وكان متهما بانه يتكلم بكلام تجديف على موسى وعلى الله وحكم عليه بالقتل (٣٥ - ٣٦ م) وعزم الفريسيون على استئصال الجماعة الاولى بالقوة .

واضطر جميع اتباع المسيح عليه السلام - باستثناء رؤساء الحواريين - الى الهروب من بيت المقدس الى المناطق المجاورة .^(٣)

والملاحظ انه خلال هذه الفترة كان الاضطهاد يتم نتيجة اجتهاد السلطات المحلية اكثر من كونه سياسة عامة للدولة^(٤) لان قادة اليهود ظنوا انهم انتصروا على التلاميذ ، ولكن تبين لهم انهم لازلوا يصرون على الدعوة لدينهم فعادوا لاضطهادهم اضطهادا شديدا بعد موت استفانوس^(٥) .

وقد نقلت كتب النصارى ان كهنة اليهود هم الذين حملوا راية التصدى لدعوة المسيح ، ويروى لنا كتاب الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة بعض ما فعله الكهنة فى ذلك فيقول : "

(١) ر . اعمال ٤ : ٤

(٢) اعمال ٤ : ١ - ١٨ ، ٥ : ١٢ - ١٨ ، ٨ : ١ - ٣ ، ٩ : ١ - ٩ ، ١٢ : ١ - ٤ وانظر رسالة بولس الى رومية

١٨ : ١ - ٣٣٢ : ١٢ - ١٦

(٣) ر . قصة الحضارة ١١ / ٢٤٣ ، تاريخ يوسيبوس ، الطبعة الانجليزية ٧٣ عن مذكرات الأديان ، ومختصر تاريخ الكنيسة ١ /

٤١ واعمال ٨ : ١ ، بوتقة النصرانية ٢٧٦ .

(٤) الفكر الاسلامي ٥٥ .

(٥) ر . اعمال الرسل ٨ ومختصر تاريخ الكنيسة ١ / ٤٥

اما رؤساء الكهنة فايما سمعوا بوجود المؤمنين اقتفوا اثارهم ليضطهدوهم فارسلوا الى دمشق شابا اسمه شاول^(١) اشتهر بكرهه للنصارى ، ويده رسائل الى اليهود يأمرونهم ان يسوموا المؤمنين الاذى وينكلوا بهم .^(٢)

٣ - تزايد حملات الاضطهاد وفرار المضطهدين وظهورهم كطائفة مستقلة :

بدأ الاضطهاد يأتي من السلطة الحاكمة فى البلاد . فى عهد اغرياس الاول - حفيد هيرودوس الكبير - والذى حكم اليهود من (٤١ - ٤٤ م) و اشتهر بتكهنه اثناء اقامته فى روما ، فلما صار واليا على بلاد فلسطين اراد ان يتودد الى رجال الدين من اليهود ويسترضيهم فآثر اضطهادا على النصارى ، وقبض على قوم منهم ، من بينهم الرسول يعقوب^(٣) الزبدي وقتله بحد السيف سنة ٤٤ ب . م .^(٤)

وقد أثار انتساب أعداد كبيرة من اليونانيين الى النصرانية مشاكل جديدة بطبيعة الحال ، تمثلت في وجود اليهود وغير اليهود في نفس المجموعة و خصوصاً كما يذكر النصارى حول المائدة الأفخارستية أو العشاء الربانيّ - تأسيساً بالعشاء الأخير مع عيسى عليه السلام - فكان اليهود يجدون إثماً في اقتسام الخبز والخمر مع اليونانيين .

وإزاء انتشار النصرانية بين الوثنيين ، أرسلت كنيسة بيت المقدس تلميذاً من أصل يهودي الى أنطاكية لحل المشكلات التي ظهرت - بين المنتصرين من اليهود وغير اليهود - وهو " برنابا " *

(١) انظر ص ١٠٠ .

(٢) ر . نصرانية عيسى ١٣٩ ، ١٤٠ وانظر اضطهاد بولس اعمال الرسل ٨ : ٣ ، ارض الاسراء ع ١١٥ رجب ١٤٠٨ ،

١٩٨٨ مستقبل الحوار الاسلامى المسيحى .

(٣) يعقوب الاكبر احدرسل المسيح الاثنى عشر ابن زبدي واخو يوحنا الانجيلي لحق بالمسيح عليه السلام ، وشهد اهم المعجزات

التي قام بها معجم الحضارات ٩١٦

(٤) ر . اعمال الرسل ١٢ : ١ - ٢ .

* أصله من قبرص كان من أوائل المهتدين الى الدين المسيحى ، اعتره رسل المسيح الاثنى عشر واحداً منهم ، معجم الحضارات

الذي شعر أنه لا يقدر على التحكم في الأمر . بمفرده فاصطحب معه " شاول " (١) الملقب ببولس ، حيث رأى فيه الشخص القادر على إبقاء مجموعة انطاكية على الطريق القويم. (٢) وتزعم أغرياس (٣) حملة القضاء على النصرانية ، وملاحقة أتباع المسيح عليه السلام مهما كانت صفتهم ، وأينما كانوا يوجدون كانت الاضطهادات والسجون والقاء التهم الكاذبة عليهم بهدف إيجاد المبرر للقضاء عليهم. (٤)

وإزاء تصاعد حملات الاضطهاد انتشرت الدعوة في المدن اليهودية والسامرة وغيرها على أيدي النصارى المضطهدين أنفسهم (٥) . وكذلك انتشرت في فينيقية وقبرص وانطاكية. (٦) وتذكر مصادر النصارى أن أول من قصد تبليغ دعوة المسيح إلى غير اليهود هو فيلبس حيث قصد مدينة السامرة وأخذ ييشر أهلها بالمسيح واصغت الجموع إلى كلامه، وان بطرس ويوحنا تابعا دعوة فيلبس في المدينة السامرية ولاقوا قبولا . (٧)

وانطاكية كانت أول مدينة تنصرت ، وهناك دعي التلاميذ بالمسيحيين لأول مرة سنة ٤٤ ب.م (٧) ، حيث برزت المجموعة المسيحية بمظهر الفرقة المسيحية كطائفة مستقلة . (٨)

(١) ر . ص ١٠٠ .

(٢) ر . مذكرات الاديان ، الفكر الإسلامي ، ٤٨ ، وبوتقة النصرانية ٢٧٦

(٣) يذكر صاحب الماسونية ان هيرودوس قرر هو واليهود اقامة جمعية عرفت باسم القوى الخفية لمواجهة المسيحية والقضاء عليها في الرابع والعشرين من شهر حزيران سنة ٤٣ ب.م وكان يتزعم هذه الجماعة زعيمان يهوديان : جيروم ايود و موآب لاري ، وفي أول اجتماع بهم خاطبهم هيرودوس قائلاً : " ان الغاية من جمعيتنا هي ارجاع العالم الى اليهودية وسحق تعاليم يسوع . . . " الماسونية ٥٤ ، ٦١ بتصرف .

(٤) ر . أعمال الرسل ٤ : ١ ، ٥ ، ١٧

(٥) ر . أعمال الرسل ٨ : ٤

(٦) أكثر المفسرين على أنها المدينة التي بعث إليها المرسلون المذكورون في سورة يس .

(٧) ر . أعمال الرسل ١١ : ٢٦

(٨) ر . الفكر الاسلامي ٤٨ ، سيرة رسول الجهاد ٤١ ، أديان العالم ٣٩ .

٤ - بدء الصراع بين بولس وأنصاره والجماعة الأولى وانفصاله عنهم :

لبولس هذا شأن كبير في النصرانية وتحريفها وما اضطبغت به في القرون التالية، وسأعرف به تعريفاً موجزاً تاركة التفصيل في حقيقته وحجم الدور الذي قام به ، في أول فصل من فصول هذه الرسالة حيث كان العامل الأول في خروج النصرانية وانحرافها عن أصولها الأولى .

مرّ معنا قبل قليل ^(١) أنه كان ممن مارسوا الاضطهاد الشديد للنصارى، وينسب بولس الى أسرة يهودية تمتعت بحقوق المواطنة الرومانية ، وكانت اليونانية لغته الأصلية ، وكان قبل تنصره يهودياً فخوراً بيهوديته ، وعدواً لدوداً لدعوة المسيح ، كما أشرنا ، ومضطهداً رئيسياً للنصارى.

وفي احدى مهماته ضد النصارى حدث له ما غير مجرى حياته - حسب زعمهم - حيث تحول بعدها من مضطهد للنصارى الى مؤسس لهذه الدعوة ان صحّ التعبير .

وكان السبب المباشر لهذه الواقعة والتي انتهت بإيمانه - كما يقول هو - رؤية رأى فيها المسيح عليه السلام يلومه على اضطهاده أتباعه ، فوجد فيها برهاناً على خطئه في حق عيسى الناصري، وجعلت منه رسول الأمم حسب زعمهم ^(٢).

وقد اعتبر بولس دعوة برنابا لصحبته ، في مهمته في انطاكية - كما ذكرنا انفا - اية من الله - وعقد مجمع من اجل حل هذا الاشكال - وجود الوثنيين الذين امنوا بالمسيح مع المنتصرين من اصل يهودى - ولما كان الاختتان الذى يمارسه اليهود ويمتنع عنه الوثنيون سبباً فى وقوع الخلاف بينهم فقد قرر هذا المجمع اعفاء الاممين - غير اليهود - من الختان. وتلا هذا الاعفاء التحلل من امور عديدة سنعرض لها فى الفصل الاول ^(٣) وكان هذا المجمع وما نتج عنه بداية امتلاء الكنيسة المسيحية باليونان والرومان وغيرهم ^(٤).

(١) ر . ص ٦١ من هذه الرسالة .

(٢) ر . ص ١١٠ .

(٣) ر . ص ١٣١ وما بعدها ، و١٥٥ وما بعدها .

(٤) Tyson ٦٣

و لم يحظ هذا الرأي الذي تزعمه بولس بالتأييد من الجميع ، لاسيما النصارى اليهود فى القدس ، وقام صراع ضخم بين بولس وانصاره وبين النصارى اليهود ، وطال هذا الصراع وامتد قرونا بعد بولس ولعل هذا يؤكد ان الجماعة الاولى لم توافق على الغاء الختان بشكل مباشر ، هو ما نراه فى رسائله التى كان يوضح فيها اسباب الشقاق بينه وبين النصارى اليهود - او الكنيسة المقدسية^(١) -

(١) يفهم من سفر الأعمال ان الجماعة الأولى برئاسة يعقوب وافقت على اعفاء الوثائقين من مسألة الختان ولكن هناك أمور عدة تحكم هذه المسألة :

أولاً: مانقلنا أعمال الرسل فضل الجماعة الأولى / ص ٥٨ .

ثانياً : يزعم مؤلف سفر الأعمال ان اجتماعاً تم فى القدس اشترك فيه بولس وبرنابا وبقية التلاميذ ، والذي طلب فيه بولس اعفاء الوثنيين من الختان ، ويزعم المؤلف أن التلاميذ وافقوا على هذا الطلب ر . أعمال الرسل ١٥ : ١ - ٢٠ . وهذا الاجتماع المزعوم لا نجد له أثراً فى رسائل بولس مما دفع كثيراً من الباحثين الى وضع الافتراضات والنظريات حول نسيان بولس لهذه الزيارة ، أو أن معلومات سفر الأعمال خاطئة ر . بولس وتأثيره ص ٨٨ . و ر . رسالة بولس إلى أهل غلاطية ٢ : ٨ - ١٠ ، حيث ورد فيها محافظة الجماعة الأولى على الختان والخلاف بينهم ، وبين بولس . ر . نفس الرسالة ١١ - ٢١ . وهو كذلك ينقض ما ذكره الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي من أن يعقوب العدل كان من كبار المؤيدين للأفكار البولسية . ر . قوله فى كتابه اليهودية والمسيحية هامش ص ٢٧٥

ثالثاً : يذكر الكتاب الغربيون الذين وقفوا على الدراسات التي اجريت عن لفائف البحر الميت ، والبرديات فى نجع حمادي فى صعيد مصر ما يخالف القول بموافقة الجماعة الأولى على ما ذهب اليه بولس . فبولس زار اورشليم بعد ثلاث سنوات من تحوله ورئيسها يعقوب وبطرس ، وما زارهم الا بعد أربعة عشر سنة واعترف بطرس حوارى اليهود وبولس حوارى الوثائقين ر . Tyson ص ٢٧٩ . وقد أشار الكاتب الى ان بولس شعر بضرورة ان يعرض انجيله - وكأنه كتب انجيلاً فى تلك الفترة - على الكنيسة فى اورشليم ، ولكن بطرس ويعقوب لم يعترضوا أو لم يقرروا مسألة الختان والحكم فيها ، وهو يؤكد أن النصارى الأصليين كانوا يهوداً ، واعتقاداتهم وممارساتهم الدينية منسجمة مع اليهودية ر . Tyson ص ٢٨٤ . بل إن بعض الباحثين يذكر أن تلاميذ القدس ظلوا يشعرون بالتشكك نحو بولس ، وأن يعقوب وبطرس نفياهم الى أبعد مكان ممكن عبر قيصرية الى موطنه طرسوس وظل فيها من سنة ٤٣ - ٤٤ ، ولم ينس بولس ذلك وكان احتقاره لهذين الرجلين والذين شككوا فى سلطته الدينية ، ومن ثم بدأ عمله دون الرجوع الى القدس The rise ص ٩٥ ، ١٠١ . وهو ما يؤكد جيجي ميتلي فى دراسته التي كتبها بعنوان " كتبنا

واستمر هو في دعوته واستطاع ان يؤسس مجموعة من الكنائس في المناطق التي زارها في مقابل المجموعات او الكنائس التابعة للكنيسة الام في القدس ، في المناطق المحيطة ببحر ايجا ، وبعض مدن الشام ، ^(١) وقد انفصلت هذه الكنائس شيئاً فشيئاً عن الكنيسة الام .؟

ونشوء هذه الكنائس كان يعنى انفصال بولس وانصاره عن الكنيسة الام ونشوء فرقة جديدة وديانة مغايرة لديانة النصارى الذين هم من اصل يهودى فكانت هذه الكنائس عاملاً من عوامل اتساع هوة الخلاف والافتراق. ^(٢)

ومن المهم الإشارة إلى أن شرق فلسطين لم تمسه أصلاً بعثات بولس الدعوية وهكذا بدأ افتراق ليشكل بولس وأتباعه ديانة مستقلة جديدة لها طابعها العقدي ، وظهرت النصرانية كدين مستقل في الغرب .

المقدسة " وأن الحواريين في مجمع أورشليم لم ينسخوا الختان نسخاً تاماً .ر. ماهي النصرانية ص ١٥٠ .ويشير بعض الكتاب الغربيين الى أن وصية الامتناع عن المخنوق كانت مؤقتة ليتيسر تأليف الكنيسة من أمم ويهود . ر. تاريخ سورية ، المطران يوسف الدبس ، ٣٥٠/٣ .

رابعاً : ذكر صاحب رسالة بولس وتأثيره في المسيحية وقوفه على رسالة كتبت من بطرس الى يعقوب يصف بولس فيها بأنه رسول الشيطان وقد عثر على مقتطفات من هذه الرسالة في كتاب The writing of st paul -- meeks وهي تلقي الضوء على جانب هام في علاقة بولس بالتلاميذ وخصوصاً بطرس ر . بولس وتأثيره في المسيحية ص ٩١ ، ٩٢ و نقل بعض الكتاب ان بطرس اتهم بولس بقتل يعقوب وهو ما يؤكد عدم الموافقة بين بولس ويعقوب ر . Tyson ص ٣١٤ - ٣١٦ ، الأرثوذكسية والمهرطقة ٢٠٣ ، ٢١٣ ، ويؤكد هذا أيضاً حبيب سعيد حيث يقول : كان الحواريون أول من اعترضوا على مبادئ بولس ودعوته ، لذا تركه مرقس في رحلته الأولى ، وتركه برنابا ، ثم عارضه يعقوب ، ولذا عقد المؤتمر الأول في القدس برئاسة يعقوب . ر. سيرة رسول الجهاد ، حبيب سعيد ، ٦٧ .

(١) يرى يوسيبوس ان بطرس وبولس اسسا كنيسة روما ، ويذكر الناشر للترجمة الانجليزية انه لا يمكن ان يكون بولس وبطرس

اسسا هذه الكنيسة لان رسالة بولس الى روما تبين انه كان هناك جماعة من المؤمنين فيها قبل زيارته لها وبطرس لم يصل اليها الا

بعد بولس بمدة طويلة . تاريخ الكنيسة ، يوسيبوس ، ١٠٨ ، ١٠٩ .

(٢) ر . المسيحية جينيير ، ١١٢ ، الفكر الإسلامي ، ٥٤ ، الأرثوذكسية والمهرطقة في النصرانية القديمة ، ٢٣٣ .

٥ - سرعة انتشار النصرانية وبداية المواجهة مع السلطات الرومانية: (١)

حمل دعاة النصرانية - وعلى رأسهم بولس - الدعوة الى ارجاء الامبراطورية الرومانية فكونوا فى اماكن متفرقة من البلاد جماعات نصرانية قليلة العدد فى اول امرها ، وانتقل هذا الدين الجديد من اورشليم الى حواضر الامبراطورية فبلغ رومية والاسكندرية حوالى منتصف القرن الاول ، وبين هاتين المدينتين انتشرت الكنائس فى اليونان ومقدونية واسيا الصغرى وسوريا ولم تكن تجمع هذه الكنائس وحدة دينية واحدة ، وانما كانت اشبه ما يكون بالمنتديات او الهيئات الدينية التى حفلت بها الامبراطورية الرومانية يومئذ .

واخذت النصرانية تنتشر بما تنادى به من العقائد والتعاليم التى جاء بها المسيح ^{عليه السلام} ، اضافة الى ما قرره بولس من هذه العقائد والتعاليم .

وحدد بعض الكتاب الفترة البولسية من ٣٦ م الى ٦٠ م وجغرافيتها تمتد من اسيا الصغرى الى روما . (٢)

وبدا الصراع والصدام بين تعاليم النصرانية وعقائدها من جهة والنظم والقواعد التى قامت عليها الدولة الرومانية من جهة اخرى . ويبدو ان الامراحتلط على الرومان فى اول الامر فظنوا ان النصرانية ليست إلا فرقة من الديانة اليهودية ، ولكن بدا يتضح لهم فيما بعد الفرق بين الديانتين .

وقد اختلفت نظرة المجتمع الرومانى الى النصرانية باختلاف الطبقات التى كان يضمها هذا المجتمع ، بالاضافة الى موقف السلطات الحكومية ذاتها فالطبقة المترفة نظرت الى النصرانية على اعتبار انها تهدد كيانها بما تحمله من تعاليم تدعو الى المساواة والاخذ بيد الفقراء وهى مظاهر لم يألفها الرومان فى تلك الاعصر ، اما الطبقة العليا خاصة الذين وضعوا فى مناصب تتطلب منهم الحفاظ على امن الدولة وسلامتها والذين يرتبطون بالاسلاف والذين كانوا يرون ان دياناتهم الوثنية جزء من كيان الحكومة ونظامها فكان من الصعب عليهم هجران دياناتهم وعقائدهم ،

(١) ر. هذه الجزئية اوربا العصور الوسطى التاريخ السياسى سعيد عبد الفتاح عاشور من ٢٦ - ٢٨ ، بوتقة النصرانية ٣٤٦ -

٣٤٩ ، تاريخ المسيحية ١ / ٥٣ ، المسيحية جينيير ٢١٠ ، وابعدها ، مختصر تاريخ الكنيسة ١ / ١٧٤ ، ١٧٨ ، التاريخ

اليهودى ٣٨٠ ، ٣٨١ ، دعوة التوحيد ٣٠١ - ٣١٢ ، الدولة والكنيسة ١ / ٢٨ ، اضمحلال الامبراطورية الرومانية ١ / ٣٣٧

لاسيما في تلك الفترة التي بدأت فيها النصرانية بالانتشار وكان ينظر الى المسيح عليه السلام على انه فى اسمى واعظم مقام كماسنين فى مقابل الولاء للقيصر عند الرومان .

اضافة الى ان فكرة قيام الكنيسة منفصلة عن الدولة كان امرا غريبا عن العقلية الرومانية والفكر الرومانى عموما ، ونظر الرومان الى الكنيسة داخل الامبراطورية وكانها حكومة يجب القضاء عليها قبل ان تصبح قوة عسكرية .

وقد قامت الامبراطورية الرومانية على مبدأ الاعتراف بعبادة الامبراطور القائم وهو مبدأ طبق على جميع الرعايا ولم يعف منه سوى اليهود ، وقد ذكرنا ان الرومان كانوا ينظرون الى النصرانى فى اول الامر على انهم فرقة من فرق اليهود ولكن تبين لهم فيما بعد ان النصرانية طائفة مغايرة لليهود . واخذوا يجتمعون سرا لمباشرة طقوسهم الدينية الخاصة ، كما انهم رفضوا الخدمة فى الجيش الرومانى - اقول لما تبين للرومان كل ذلك بالنسبة للنصارى بدأوا يتهمونهم باتهامات عدة .

مع عدم اغفال التقلب الفجائى لليهود احيانا ، وحسدهم للنصارى احيانا اخرى ، مع ما يصاحبه من تحمس الحاخامات للاضطهاد بناء على الوشايات اليهودية^(١) . فاتهم الوثنيون النصرانى ببذر الشقاق فى المجتمع الرومانى وجاء هذا الاتهام نتيجة تحريم زواج النصرانى بغير النصرانية وزواج النصرانية بغير نصرانى . والعمل على تشتيت الأسر وخراب البيوت .

ومما يؤكد هذا الاتهام أن حماس النصرانى فى هذه الآونة كان يدفع الواحد منهم طبقاً لتعاليمهم أن يهجر عائلته وأرضه فى سبيل ايمانه ، ويتهمونهم بالتعالى والتكبر على بقية أفراد المجتمع لأنهم كانوا يضعون الصعوبات فى وجه تناول الطعام خارج دورهم حيث ان معظم اللحوم فى الحوانيت مضمّى بها للأوثان .

وكان اظهار الشماتة من جانب النصرانى اذا ما حل بالامبراطورية مكروه . وما أذاعوه من تنبؤات صريحة من الكوارث والمحن التي تنتظر الامبراطورية - كان كل ذلك يوحى الى الوثنيين بانطباع معين عن خطر متوقع من وراء هذه الطائفة . وبهذا السلوك أدركت جموع الرومان انهم أزاء جماعة منعزلة تأبى الاشتراك فى الحياة العامة بل وتزدرئها وترفض الانخراط فيها ولا تؤدى أي

خدمة للمجتمع الذي تعيش فيه ، ومن ثم كان سخط الجموع الوثنية ومعارضتها للدين الجديد أشد من سخط الأباطرة أنفسهم في بادئ الأمر .^(١)

ولم يكن ارتياب الأباطرة الرومان في النصرانية بأقل منه عند هذه الفئة أو تلك بل أخذ يزداد بمرور الزمن حدة وصرامة ، وكانت المشكلة الجوهرية التي أقلقته بال الأباطرة وزادت من حدة النزاع بينهم وبين النصارى هي رفض مشاركة هؤلاء بقية الرومان عبادة الامبراطور وتأليهه كما أوضحت سلفاً ، وتقديم القرابين لتمثاله وحرق البخور أمامه في المناسبات العامة.^(٢)

أضف الى ذلك أنه رسخ الاعتقاد في نفس الروماني أن مدينته وامبراطوريته سيبقيان أبد الدهر . هذه كانت عقيدته الوطنية . ولكن النصراني آمن في قرارة نفسه بأن المدينة العظيمة ستدمر وإن الامبراطورية بل العالم كله سيزول ، وآمن بأن الخلود في الآخرة . وقد كانت الدولة في نظر العالم الوثني القديم الخير الأسمى والمثل الأعلى ، ففي خدمتها والولاء لها تمثلت كل الفضائل الأدبية ، وكان واجب الرجل أن يعيش ويموت في سبيل هذا المبدأ ، وقد استعار العالم الروماني عبادة الامبراطور من بعض العبادات الشرقية القديمة ، وجعلت الوثنية هذه العبادة أسمى مظاهر الاخلاص والولاء ففي الامبراطور الروماني تجسمت فكرة الدولة ورأى النصارى أن هذه العبادة وثنية لا يمكن أن تأتلف مع دينهم الجديد .^(٣) وكان أول واجب على النصارى هو أن يحافظ على طهارة نفسه وينأى بها عن أرجاس الوثنية .^(٤)

وقد كان أسمى الأشياء في نظرهم لم يكن قيصر ولا الامبراطورية الرومانية ولا الشعب الروماني ، بل كان شيئاً آخر ليس من هذا العالم - حسب زعمهم - .

لهذه الأسباب كانت النصرانية خطراً على الدولة في العرف الوثني القديم ، وذلك لأنها طعنت أسس الدولة القديمة التي زعمت أن لها الحق في تنظيم أحوال الفرد الداخلية والخارجية بما لها من قوة لا منازع لها فيها .

(١) الدولة والكنيسة ، رأفت عبد الحميد ج ١ / ٢٨ وما بعدها بتصرف .

(٢) المصدر السابق نفسه ج ١ / ٣٠ وانظر قصة الحضارة ١١ / ٣٧٢

(٣) في موكب التاريخ عشرون قرناً بقلم حبيب سعيد ص ٤ وما بعدها بتصرف .

(٤) اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها ادوارد جيون ، ١ / ٣٣٧ ، ٣٣٨ .

وهكذا نفهم السر في مقاومة الدولة الرومانية الوثنية من أباطرة وحكام وشعب وكهنة للنصرانية والنصارى . فلم تكن المسألة اذن مسألة رفض النصرانية السجود للآلهة والتقريب لها . الخ ، لكن المسألة كانت أعمق من ذلك بكثير . فقد كان الرومان يعتقدون أن أمنهم ورفاهيتهم وحياتهم وكل شيء متعلق بألهتهم ، وان هؤلاء النصارى انما هم أعداء لألهتهم . لذلك فحينما كانت تحل الكوارث والنكبات في الدولة سواء في الحروب والمعارك أو بسبب الكوارث الطبيعية كفيضانات الأنهار أو الزلازل والبراكين أو الأوبئة والمجاعات أو القحط والجذب بسبب قلة الأمطار - كانت ترتفع أصوات جميع الوثنيين على السواء . هذا بسبب أعداء الآلهة . . . وأن الآلهة غير راضية عن الدولة لتركها هؤلاء النصارى وشأنهم .^(١) ولهذا عانى النصارى معاناة قاتلة من جراء رفضهم عبادة الأباطرة وآلهة روما .^(٢)

وفضلاً عن ذلك فقد كان اليهود يقدمون قرباناً سنوياً في الهيكل من أجل الامبراطور وكان ذلك لغاية وهي المحافظة على سلامة وضعهم داخل الامبراطورية . أما النصارى فقد كان الولاء وألوهية الامبراطور عقيدة دينية لاتتفق مع العقيدة النصرانية ومن هنا نشأ سوء التفاهم بينهم وبين الرومان فلم يكن في امكان أي فريق منهما أن يرضى وجهة نظر الآخر . وفضلاً عن ذلك فقد كان هناك نصارى يشعرون أن كل عمل يومي يسهم في رخاء الدولة انما يسهم في بقاء الوثنية . وهكذا كان فريق يفكر من وجهة سياسية بينما كان الفريق الآخر يفكر من وجهة دينية.^(٣)

و أخذت الحكومة الرومانية تغير نظرتها الى النصارى وتعتبرهم فئة هدامة تهدد أوضاع الامبراطورية وسلامتها . وبدأت تعتبر اعتناق النصرانية جرماً في حق الدولة فمنعت اجتماع النصارى وأخذت تنظم حملات الاضطهاد ضدهم .

وقد كان الاضطهاد على فترات كما كان محلياً للغاية ، وكان يحدث قبل كل شيء نتيجة لتهديد السلام القائم بين الطرفين ، بحيث تنظر المسألة في إطار الحكومة الاقليمية ، وفي الغالب كان يجري الأمر لصالح الدولة ورفاهيتها .
بحيث أصبحت الأسماء النصرانية رموزاً دالة على المشاركة في الأعمال الهدامة والمقوتة ومن ثم يعتبر ذلك دافعاً للاضطهاد .

(١) ر. قصة الحضارة ١١/٣٧١ ، مختصر تاريخ الكنيسة ١٧٤/١ - ١٧٨

(٢) أوروبا في العصور الوسطى ٢١ ، ٢٢

(٣) ر . دعوة التوحيد ٣٠٧ والمنار ج٧ مج ١٦ - ٢٩ رجب ١٣٣١ هـ / ١٩١٣ م

أما أول اضطهاد عام للنصارى على مستوى الدولة فقد بدأ في عهد نيرون سنة ٦٤ م تقريباً . حيث أقدم على اشعال النار في روما ثم اتهم النصارى باحراقها وشن عليهم حملة شعواء في كل أنحاء المملكة الرومانية ، متفنناً في تعذيبهم ، مبتدعاً أبشع الوسائل في الفتك بهم . وفي عهده قتل بولس سنة ٦٨ م ، كما حكم من قبل على بطرس بالصلب سنة ٦٥ م^(١) . لذلك اضطر النصارى إلى نقل الدعوة خارج المناطق اليهودية الى الشعوب الوثنية المحيطة .

وتتابعت حملات الاضطهاد على دعاة النصارى فشملت مرقس (-٦٨) ولوقا (-٧٠) وطائفة كبيرة : يهوذا ، ومثياس وتوما وغيرهم ، حتى شمل الاضطهاد خمسة عشر اسقفاً تتابعوا على رئاسة بيت المقدس ، تمسكوا بالختان كأداة للتطهر ، وقد أسماهم يوسيبوس لذلك أساقفة التطهير والختان .

وتتابعت موجات الاضطهاد مروراً بكل أسقفية انتشرت في بلدها الدين النصراني^(٢) . وفي سنة ٦٦ م ثار اليهود على رومه ، وأيقن النصارى في القدس أن نهاية العالم قد دنت فلم يأبهاوا بالشئون السياسية ، وخرجوا وأقاموا على الضفة البعيدة من نهر الأردن انتظاراً لرجعة المسيح، وهو ما مهد لافتراق اليهودية عن النصرانية ، فاتهم اليهود النصارى بالخيانة^(٣) ، وتذكر بعض المصادر أن منطقة الأردن اتخذت فيها النصرانية اليهودية من (بيلا) ملجأ لها قبل عام ٧٠ م وازدادت الهجرة إليها فيما بعد عام ١٤٠ م^(٤) .

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ الاضطهاد للنصرانية كان له مصدران كما وضحنا : اليهود والرومان : الرومان وان لم يكن متواصلاً لكنه شكل سلسلة من الاضطهادات تتصاعد أحياناً وتخف أحياناً حتى اعترفت الامبراطورية بالنصرانية فيما بعد كما سنبين^٥ ، أما بالنسبة لليهود فإنه عداء مستمر وقائم كلما سنحت له الفرصة حتى وان لم يكن مباشراً فيساهم فيه بدور الوشاية

(١) بوتقة النصرانية ٣٤٥ - ٣٥١ ، ٦٣ / ١ مختصر تاريخ الكنيسة ، دعوة التوحيد ٣١٤ ، تاريخ المسيحية ٥٥ / ١ ، موجز تاريخ

الشرق / ١٢٠ ، تاريخ اورسيوس ٤٢٦ - ٤٢٨ ، مذكرات الأديان وانظر ص ١٢٨ .

(٢) ر . تفاصيل اضطهادهم يأهل الكتاب تعالوا ١١٢-١١٤ دعوة التوحيد ١٧٩

(٣) قصة الحضارة ٢٤٤ / ١١ ، ٢٤٥ ،

(٤) انظر الطرد بوتقة النصرانية ٢٧٧

(٥) انظر ص ٨٣ .

عند السلطات ضد النصارى ، واستمر حتى بعد الاعتراف الرسمي من قبل الدولة بالنصرانية ، بل ان البعض ذهب الى الاضطهاد التي تعرض لها النصارى على أيدي الرومان كانت بوشايات من اليهود .^(١)

ولا بد أن نضيف ملحوظة أخرى وهي أنّ جماهير النصارى الأوليين لم يقاوموا اضطهاد الرومان بل استسلموا له وربما رحبوا به واعتبروا القتل على أيدي أعدائهم استشهاداً في سبيل الله ، أطلقوا كلمة الشهيد على المقتول ، وكان الرومان يستغربون مفهوم هؤلاء النصارى للاستشهاد جداً ، بل انهم لم يستشعروا ضرورة المحافظة على دينهم ، وكان كثير من النصارى الأوليين لا يستجيزون التقية .

وانه من الواضح ان موقف النصارى من الاضطهاد هذا مما ساعد الرومان على تنفيذ قراراتهم وكيف يحفظ دين المسيح وأكثر حامليه المعروفين لديهم بالصلاح يلقون بأنفسهم الى التهلكة ؟..^(٢)

٦ - تدمير الهيكل سنة ٧٠م على يد الرومان ونتائجه :

لقد حذر المسيح عليه السلام اليهود كثيراً من مخالفة أمره وتوعدهم بالوعيد الشديد مما سينزل بهم من الكوارث ، وأنه تعالى يدمر هيكلهم الثاني والأخير ..^(٣) وقد تحقق هذا في واقع التاريخ واصاب بني اسرائيل ما حذروا منه لأن أكثرهم كفروا بالمسيح عليه السلام ونصبوا العداوة له ولأتباعه كما ذكرنا ..^(٤)

وقد تمتعت اليهودية بتسامح نسبي مع الامبراطورية الرومانية بخلاف النصارى كما وضعنا ، ثم ساءت العلاقة بينهم وبين الرومان ، ففي سنة ٦٦م تم اعدام مالا يقل عن ٣٠٠٠ يهودي من قبل الحاكم Jesus جيسوس قلووروس ، وأثيرت الأمة واتجهت نحو الثورة^(٥) ، مما أثار الحقد

(١) ر . قصة الحضارة ١١/٢٤٤ ، الماسونية ٢٦ ، ٢٧

(٢) مذكرات الأديان ، المنظومة ٣٥

(٣) انظر متى ١٠ : ٣٤ - ٣٥ ، ٢٤ : ١ - ٢ ، مرقس ١٣ : ٢ ، لوقا ٢١ : ٦ .

(٤) ٢٩٧ دعوة التوحيد ٢٩٧ .

(٥) تاريخ الكنيسة في العهود الأولى ، ١٣

الروماني فحاصروا القدس ودمروا الهيكل سنة ٧٠ م..^(١) على يد القائد الروماني تيطس في عهد الامبراطور لوسبا سيانوس حيث قضى هذا القائد على اليهود في فلسطين وخاصة القدس قضاءً شبه تام.^(٢)

ورحب النصارى بتدمير الهيكل على يديه تحقيقاً لنبوءة المسيح مما كان له أكبر الأثر في الاضطهادات التي لحقت النصارى فيما بعد والتي رحب بها اليهود انتقاماً لما أصابهم من النصارى.^(٣)

ولاشك أن عملية القتل والإبادة هذه قد نالت أكبر عدد من النصارى في ذلك التاريخ لأنه لم يكن هناك فرق بين اليهودي والمنتصر أبان تلك الفترة ، كما ان البلاء والقتل والابادة كان شبه عام لجميع المناطق التي يوجد فيها اليهود في فلسطين خاصة والمناطق المجاورة لها.^(٤)

٧ - الوضع السياسي بعد تدمير الهيكل (من ٧٠ م إلى تدمير القدس سنة ١٣٥ م) :

إن الحديث عن هذه الفترة الثانية من المرحلة الأولى يلفه الغموض الشديد ، وهي فترة من أكثر فترات التاريخ النصراني غموضاً وأشدّها صعوبة وخطورة ، حيث إنها هي الفترة التي تلت عصر التلاميذ وفيها برزت الأناجيل الكثيرة التي ظهرت في وقت متقارب من تلك الفترة . ثم انها كذلك الفترة التي برز فيها الكثير من الأقوال المنحرفة عن المسيح وديانته ، مع تضاربها وتباينها .

يقول حبيب سعيد متحدثاً عن هذه الفترة : "ومع أنه من اليسير جمع تنف من هنا وهناك عن هذه الفترة - نهاية عصر الحوارين - الا ان الأربعين سنة من ٧٠ الى ١١٠ م تبقى أكثر فترات التاريخ غموضاً وإبهاماً ، لأن هذه الفترة حفلت بكثير من معالم التغير في الكنيسة نفسها وفيها برز كثير من دعاة المسيحية المجهولين بعد بولس ، وظهر كثير من الأفكار التي حملها بلا شك المنتصرون الوثنيون من مصادر غير مسيحية وخاصة حول العقائد والممارسات المسيحية مثل الأسرار والاصوام وأشكال العبادة ودستور الكنيسة نفسه خضع لبعض التعديلات " .^(٥)

(١) التاريخ اليهودي ٣٧٦ - ٣٩٧ ، تاريخ المسيحية ٥١/١ ، ٩٩ ، ٥٣ ، ٥٤ ، عقيدتنا التثليث والصلب ٢٢ ، دعوة

التوحيد ٢٩٧ ، الفكر الاسلامي ٥٥ .

(٢) تاريخ بني اسرائيل من أسفارهم ٣٨٠ - ٣٨٣

(٣) ر . قصة الحضارة ١١ / ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، جذور البلاء ٩٠ ٩٤

(٤) النصرانية والإسلام ، الخلف ٥٥

(٥) تاريخ الكنيسة ٤٧/١

وهي فترة تمثل حلقة مجهولة في تاريخ النصرانية حتى ان نهاية جميع الحوارين وكذلك بولس تعتبر مجهولة^(١) ، بسبب ذلك البلاء الطويل من قبل الرومان الذي حل باليهود متتابعاً ومتلاحقاً منذ رفع المسيح عليه السلام الى تدمير تيطس لبيت المقدس سنة ٧٠ م.^(٢)

وفي هذه الفترة بدأت كنيسة أنطاكية تمتلئ باليونان والرومان وغيرهم فقد انفصلت بذلك عن اليهودية ، وأصبح لها طابعها اليوناني الروماني^(٣) .
وإن كان هذا الانفصال لم يحدث دفعة واحدة ، بل تم بصفة تدريجية وبدأ أكثر وضوحاً في مستهل القرن الثاني .

ومع بداية القرن الثاني كانت البولسية تمثل النصرانية المدعومة بغالبية في روما . ولما كان هؤلاء النصارى يعرفون اليهود ومدى تعصبهم لجنسهم ودينهم فإنهم أبغضوهم ، حتى مع تدينهم بالنصرانية ، وبذلك نشأت العداوة بين النصارى من أصل يهودي وبين النصارى من أصل وثني ، وأدى ذلك الى انفصال الدين الجديد - النصرانية الجديدة - عن العهد القديم وشريعته اليهودية^(٤) .
وأدى هذا مع ما كان من دعائم دعوة بولس إلى الفصل بين ديانة موسى وعيسى عليهما السلام وبالتالي الفصل بين ما يسمى بالعهد القديم والعهد الجديد في التشريع .
وسوف نرى فيما بعد ان هذا الوضع ساعد على فقدان النصوص القديمة الخاصة بالنصرانية، ومن ثم احلال العقائد والشرائع التي تلائم الوضع الجديد .

ويمثل الاضطهاد حدثاً مهماً في تاريخ النصرانية ، حيث اعتبر الحد الفاصل بين اعتبارها طائفة من جملة الطوائف اليهودية ، وبين اعتبارها طائفة مستقلة .

وفي هذه الفترة كان اضطهاد دومتيانوس (٩٠ أو ٩٥ م) ، وقد بلغ هذا الحاكم ما بلغ من سبقه من رغبة النصرانية في السيطرة على العالم بما تعتقده من انتظار المخلص وحلول مملكة الرب ، فأمر في الاضطهاد وقتل الكثيرين ، ومن نكل بهم يوحنا الانجيلي^(٥) .

(١) تاريخ المسيحية ٣/١

(٢) تاريخ بني اسرائيل من أسفارهم ٣٨٧

(٣) التفكير الديني ٤٤٠

(٤) ر. الأرثوذكسية والمهرطقة ٢٣١ ، بوتقة النصرانية ٢٧٧ .

(٥) تحفة الأريب ص ١١٢ ، مختصر تاريخ الكنيسة ١٦٨/١ ، ١٦٩ ، تاريخ اوروسوس ٤٣٥ .

وتتابعت موجات الاضطهاد في كل بلد انتشرت فيه النصرانية ، " أفسس " وفيها استشهد تيموثاوس سنة ٩٧ م ، حيث ضربه اليهود والرومان حتى مات ، ثم أساقفة أزمير وأثينا وليون وقرطاجة والاسكندرية .^(١)

ثم اضطهاد تراجان سنة ١٠٦ ، وقيل من ٩٧ - ١١٧ م . وقد أصدر أوامره الى ولايته بأن يقضوا على النصرانية ويمنعوا اجتماعاتهم التي كانوا يعقدونها ليقوموا الصلاة ويحتفلوا بأعيادهم ، فسامهم الولاة أبشع أنواع العذاب والتنكيل وقتلوا منهم ألفاً مؤلفة ، وقد استخدم هذا الامبراطور ساحة الملعب الروماني في اعدام النصارى بإلقائهم الى الوحوش تمزقهم ، وممن ذهبوا ضحية هذه الوحشية كرونوس البطريك القبطي الرابع ، والقديس أغناطيوس أسقف أنطاكية وكثيرون * ، وقتل في عهد سمعان خليفة يعقوب العدل .^(٢)

ثم اضطهاد ادريانوس سنة ١٢٤ م .^(٣) وأصبحت القدس في عهده كأنها مدينة اغريقية حيث سيطر الاغريق أو جماعات منهم عليها ، وقد اشتد الاضطهاد في عهده على المنتصرين من اليهود .^(٤)

وفي عهده تجمع مجموعة من اليهود وأمروا عليهم رجلاً يسمى بركوكبا وزعموا أنه المسيح المنتظر فخرج بهم على الرومان ، فما كان من الامبراطور الروماني ادريان حوالي عام ١٣٠ الا أن أرسل اليهم حملة كبيرة وأمرها بتدمير جميع المحلات التي يمرون عليها واستمر في ذلك سنتين حتى دمر بلاد اليهود وقضى عليهم، وسوى الأرض مكان الهيكل وبنى محله معبداً لكبير آلهة الرومان المشتري معبود الرومان في ذلك الوقت، وحرّم على اليهود الدخول الى بيت المقدس الا يوماً واحداً

(١) انظر تفاصيل الاضطهاد في كتاب يأهل الكتاب تعالوا ١١٦-١١٨ .

* ذكر رءوف شليبي ان يعقوب العدل قُتل في هذا العهد وهو يخالف ما ذكره غيره أنه قتل سنة ٦٢ راجع كتاب يأهل الكتاب

تعالوا ١٢٦

(٢) ر . تحفة الأريب ١١٢ ، الفكر الإسلامي ٥٧ ، تاريخ المسيحية ٦٠/١ ، دعوة التوحيد ٣١٥

(٣) ر . كتاب يأهل الكتاب تعالوا ١٢٦

(٤) (٤) مذكرات الأديان .

السنة (١) ، بعد دفع غرامة مالية كبيرة والوقوف على جدار بقي قائماً من سور المعبد وهو الجزء الغربي منه وهو الذي يسمى حائط المبكى (٢).

واضطر الجميع الى ترك القدس وتفرق النصارى واليهود بعد هذا الحادث في الأرجاء المحيطة بالبحر المتوسط على ما فيه من مدارس وفلسفات (٣) مما سيكون له أكبر الأثر - فيما بعد - لتحريف النصرانية .

وبعد تدمير القدس وطرد بني اسرائيل سنة ١٣٥ فقد المنتصرون من اليهود مركزهم واشرفهم على الجماعات الأخرى وأصبح من شبه المستحيل أن يحافظ الصالحون من النصارى على سلامة الدعوة فلا مركز بعد ذلك ، بل ظهرت بعد ذلك مراكز عدة ، كما سنعرف في المرحلة الثانية التي مرت بها النصرانية .

وكان لتدمير الهيكل وطرد اليهود من بيت المقدس بعد أن ساءت العلاقة بينهم وبين الرومان أثر كبير جداً في فصل النصرانية عن أصولها الموسوية حيث كان هذا الهيكل هو مركز الدعوة النصرانية الأولى ، ومن ثم فإن تدميره ساعد على استقلال المراكز الأخرى كالاسكندرية وأنطاكية وروما ، وكانت الاسكندرية بالذات مركز المذاهب النصرانية الهلينية المائلة الى الانفصال عن اليهودية أو القائلة به .

وكان منع الرومان لدخول اليهود بيت المقدس منعاً شاملاً يشمل نصارى بني اسرائيل أيضاً ، ولذلك لم تستطع كنيسة بيت المقدس - متنصرى بنى اسرائيل - أن تعود الى القدس فانتهى أمرها وصارت كنيسة بيت المقدس الجديدة مكونة من نصارى من غير بني اسرائيل أسقفهم الأول يقال له مرقس وهو غير مرقس صاحب الانجيل لأن ذلك من بني اسرائيل .

وانفصال النصرانية عن أصولها الأولى كما ذكرنا آنفاً أمر في غاية الخطورة ومن أكبر أسباب ضياع رسالة المسيح عليه السلام من المتأخرين .

(١) تاريخ بني اسرائيل من أسفارهم ٣٨٧ ، ٣٨٨

(٢) أبحاث في الفكر اليهودي ٣٦ - ٣٨

(٣) تاريخ وفكرة الكنيسة القديمة ص ١٥٧ ، The rise ١٣٠ - ١٣١

ومن أصرح الآيات الناطقة بلسان حالها الدالة على ان الله تعالى لم يرد أن يجعل ملة المسيح عليه السلام ديانة عالمية مستقلة، ضياع الكتاب الأصلي المنزل، وهو ما حدث في النصرانية من وقت مبكر من آثار الاضطهاد .

وكان في هذا العصر - عصر التوحيد - بعد جماعة بيت المقدس بعض الجماعات التي مثلت كلمة التوحيد ودافعت عنها وهو ما سنتعرض له عند حديثنا عن الفرق .^(١)

٨ - العقائد النصرانية في المرحلة الأولى من وجهة نظر النصارى :

ذكرنا فيما سبق ما يتعلق بجواريسي المسيح عليه السلام من وجهة نظرنا و الجماعة الأولى بعد عيسى عليه السلام ، وانفصال بولس عنها وتأسيسه لكنائس عدة ومامرّ بهم من عهود واضطهاد حتى الطرد الثاني من القدس سنة ١٣٥ م .
ولأهمية تلك الفترة فإننا سنذكر هنا ما يتعلق بتلاميذ المسيح من وجهة نظر النصارى .

يرى النصارى أن الجماعة الأولى ساهمت - وبشكل غير مباشر - في تطور بعض المعتقدات والطقوس التي ظهرت فيما بعد .^(٢)
وعندهم أن التلاميذ لم يشهدوا حادثة الصّلب والقيامة ولكنهم صدّقوا ما أخبروا به عن هذه الحادثة ، الغير متوقعة وهو ما وُلد لديهم رفضاً داخلياً لهذا الصّلب ، حيث أنه لا يتماشى مع ما دعى اليه عيسى عليه السلام من قرب حلول ملكوت الرب .

ويرى بعض الكتاب ان التلاميذ لم ينظروا الى عيسى في حياته كمسيح ، ولم يمارس دوره كمسيح في حياته ، لكنه بعد صلبه وقيامه تعمق هذا المفهوم في نظر التلاميذ كمبرر لصلبه.^(٣)
وحاولوا أن يوجدوا هذا التبرير في تعظيم الايمان القائم على الاعتقاد والثقة بمعلمهم ، وهو ما أدى شيئاً فشيئاً الى تكوين مفاهيم معينة ترتبط بالمسيح وتعاليمه ، وقد تلازم هذا مع طول مدة انتظارهم لرجوع عيسى عليه السلام .^(٤)

(١) مذكرات الأديان وانظر رسائل الرسل ١٦٠ - ١٦٧ ، المسيح ، عبود ٨٣ ، و.ر. ص ٢٦١ .

(٢) كتاب يأهل الكتاب تعالوا ٩٠ ، ٩١ ، المسيح جينير ٤ - ٦

(٣) Tyson ، ٢٧٩ ، واند ١٢

وهم في كل هذا لم يخرجوا عن الطابع اليهودي ، ولم يرفضوا الممارسات اليهودية وان كانت لم تعد يهودية خالصة .

بل ان الجماع اليهودية ظلت لفترة أهم الأماكن التي يبتثون فيها دعوتهم - وقبلوا الكثير من أعياد اليهود وان كانوا قد غيروا أشكالها فيما بعد ، وأخذوا عنهم أساليبهم في إدارة الجماع وتنصيب جماعة من الكبراء - قساوسة - لتولي شؤون الجماعات .

وقد داومت الجماعة الأولى على زيارة الهيكل ، وكانوا يجتمعون في بيت أحدهم يجددون الآمال ويتناولون الطعام ، وهو ما ولد تأثيراً خفياً نتج عن المشاركة في تناول الطعام حول المائدة ، وتذكر شخص معلمهم وتقليد حركاته ، وترديد الكلمات المباركة التي كان يرددتها .^(١)

وتغلب إيمانهم بشخصه الذي على أي تعليم آخر ، ولأن ذلك لم يكن معروفاً في الأوساط اليهودية فقبول بالرفض ، وسبب لهم بعض المقاومة ونظر إليهم على أنهم خارجون عن الجماعة اليهودية وبدأوا في اضطهادهم .

ومع تأخر رجوع المسيح ، وتزايد اضطهاد اليهود لهم ادعى التلاميذ في هذا التراث الشفوي امورا ونسبوا الى عيسى الذي وطوروها منها انه النفخة او الناموس او الروح والكلمة ، ورفعوه فوق الاشياء ، ونظموا هذه الامور بصورة تبرز الصورة الجديدة التي نتجت عن تاخر اليوم .

ومما يذكره النصارى ندرة الكتابات في تلك الفترة ، وان كان لا يستبعد -عندهم - أن تكون هناك كتابات جدلية من أوائل النصارى ضد المخالفين لمحو التفسيرات التي تخالف رأيهم التي تكونت حول المسيح ، لكنها فقدت لأن الكنيسة تخلصت منها في وقت مبكر كما أنه للأسف لا يستطيع التعرف على محتوياتها إلا من خلال خصومهم .

وقد كان العهد القديم هو الكتاب المقدس الذي عرفه النصارى الأوائل الذي كان يوافق الترجمة اليونانية المستخدمة بصورة خاصة في الأحياء اليهودية .

(٤) Tyson ٢٧٩ .

(١) المسيحية جينير ١١٩ ، الفكر الإسلامي ٤٨٠ ، المسيح جينير ٦ - ٨ ، العبادة المسيحية ، الاثمنديت الياس ، ١٩ .

ومما يقرره علماء النصارى أن المسيح لم يكتب شيئاً ولم تذكر الأناجيل أنه كتب سوى مرة واحدة " كان يكتب بإصبعه على الأرض " (١)، وكان يبلغ دعوته شفاهة . (٢)

وقد أطلق هؤلاء المنتصرون من اليهود على أنفسهم مصطلح أكليسيا ecclesia وهي تعني الكنيسة ولكنها بالنسبة لهم في ذلك الوقت كان عبارة عن مسمى تجمعهم ، ولم تكن تعني كنيسة بالمفهوم الذي عرفت فيما بعد . (٣)

وظهرت في صفوف اوائل النصارى مراسيم يمكن أن يطلق عليها طقوس الأسرار من التعميد ، وتناول القربان ، وهو ما تكون في كنيسة اورشليم وأصبح سمة لها .

وبدأت هذه الأفكار تنتشر شيئاً فشيئاً لا سيما في البيئة الهلينية - بيئة يهود المهجر - الذين نقلوا هذه المفاهيم عند عودتهم الى ديارهم ، وساهم بولس في هذه البيئة بدور فعال ، وكان أول ما بدأ به هو الدعوة إلى بنوة المسيح لله ثم تبرير عملية الصّلب المزعومة التي أرقت التلاميذ حيث أن صلب المسيح كان نهاية غير متوقعة لديهم ، فجاء بولس وفسرها لهم بأنه صلب فداء للبشرية بتفسير جعل صورة المسيح تتكامل لديهم بعد أن انتشرت فكرة عودة المسيح وقيامته . (٤)

وفي البيئة الهلينية انتقل هذا المفهوم وطوّر في اطار الديانات الموجودة في تلك البلاد ، بما يتواءم مع الديانات الوثنية في تلك البيئات ، مما أدى الى ضياع حقيقة شخص عيسى الناصري، وشيئاً فشيئاً غلوا في المسيح حتى رفعوه عن مقام البشرية . (٥)

وقد ارتبط بمفهوم البنوة مفهوم آخر يرى العلماء أن بولس أسسه كفكرة جديدة في النصرانية وهو القول بالتجسد (٦)، فالله - تعالى عن قولهم - ظهر في الجسد هو المسيح ابنه ،

(١) يوحنا ٨ : ٦

(٢) لا يفهم من هذا أنه أمي لأنه لو كان كذلك لعد من خصائصه كما هو الأمر بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم .

(٣) Tyson ٢٧٩

(٤) انظر ص ١٣٨ .

(٥) المسيحية جينير ١١٩ ، الفكر الإسلامي ٤٨ ، المسيح جينير ٦ - ٨

(٦) انظر ص ١٣٢ .

المسيح افتدى البشرية بصلبه من لعنة الخطيئة الموروثة ، وهو ما لم يستخدمه الحواريون في كلامهم عن الله .^(١)

وطورت طقوس التعميد والقربان ، ضمن ديانات الأسرار والخلاص الوثنية ، ونجد في عبارات بولس فكرة القربان المقدس والعشاء الرباني كجزء من شعيرة ترتبط بعيسى المسيح ."

ومرّ معنا الغاؤه للختان وما قرره مجمع اورشليم في شأنه ، ونجد في رسائله أنه استبدل به المعمودية ، ثم القول بعمومية الرسالة ، وتبع ذلك تحليل أمور كثيرة ورد تحريمها في التوراة ، وتحريم أمور أحلت ، وهو مارفضته الجماعة الأولى في القدس ، ولهذا قد شكل بولس وأتباعه تنظيمًا عقدياً ميزهم عن الجماعة الأولى . لاسيما والكنائس التي أسسها بولس لم تكن تضاهي الكنائس التي استطاعت الجماعة الأولى أن تؤسسها .

وبعد حادثة اورشليم تضخم أعداد المنتصرين من الوثنيين ، وتعرضت الكنيسة الأولى للتقلص ومن ثم الزوال ، ولم يبق بعد ذلك من حقيقة عيسى المسيح إلا اسمه الذي قيل أنه ورد في النبوءات ، وسلسلة من المعجزات الخارقة التي نُقِلَ عنه القيام بها ، ورواية صلبه التي فسرت بأنها سر الخلاص ، وغدت انطاكية ورومية وبعدها أفسس من أهم المراكز في التغيرات التي طرأت على النصرانية .

وحاول بولس وأتباعه ان يوالفوا بين دينهم وبين وضع أهل البلاد التي انتقلوا إليها لأن العقائد الأولى في تصورهم لم تكن تقنع أهل تلك المناطق .^(٢) ولا أن تتغلب على ما اعتادوا عليه في مدارسهم وسالف معتقداتهم .

وان الناظر في تاريخ هذه الفترة يجد انها أفرزت افرازات خطيرة جداً في الديانة النصرانية حيث ظهرت المذاهب والأقوال العديدة .

(٦) انظر ص ١٣٢ .

(١) اعمال الرسل ١٤ : ١١ - ١٢

(٢) المسيح جينبير ٦ - ١١ ، وتاريخ المسيحية ٤٦/١

والملاحظ ندرة المعلومات التاريخية التي تتحدث عن الكنائس النصرانية في الجليلين الذين كانا بعد تدمير الهيكل سنة ٧٠ م. وما كتب استخلصه كاتبه من الانتاج الفكري المكتوب باليونانية ، وان كان من العسير التأكد من تاريخ تأليف هذه الوثائق بصورة دقيقة .

ولم يحفظ التاريخ شيئاً من انتاج الكنيسة الفلسطينية المكتوب بالآرامية ، على خلاف الكنائس اليونانية .

وشهدت هذه الفترة كتابة المئات من الأناجيل والعديد من الرسائل المنسوبة الى بولس ، كما اهتمت الجماعات النصرانية بنشر كتابات تعبر عن حقوق السلطة الكنسية.. وفي هذه الفترة كانت كتابات أكليمندس الروماني ورسالته الأولى أواخر سنة ٩٦ م ، ورسائل اغناطيوس أسقف انطاكية نحو سنة ١١٠ ، وهي نفس السنة التي يقال ان يوحنا كتب فيها انجيله .^(١)

وبدأت النصرانية تظهر كدين مميز ، واستمرت طقوس العماد والعشاء الرباني في نطاق العبادات السرية ، واستمر اجتماعهم لهذا الغرض ، مع قراءة العهد القديم وكانوا يجتهدون في تأويل الشريعة وما ورد من نصوص عن الأنبياء حتى يثبتوا انها تتعلق بالمسيح وبالكنيسة .

ومع وجود هذه النصوص المدونة الا انها لم تعط صفة القداسة وكانت محدودة الانتشار في المناطق التي ألفت فيها لعدة أسباب ، منها قلة التبادل والاتصال بين الكنائس بسبب الاضطهاد آنذاك ، والتنافس الذي كان بينها .^(٢)

ثانياً - المرحلة الثانية : من تدمير القدس ١٣٥ م إلى مجمع نيقية ٣٢٥ م :

١ - بداية تقلص وتلاشي كنيسة بيت المقدس :

بعد سنة ١٣٥ وبسبب تدمير بيت المقدس فقدت الجماعة مركزها الأول وإن كان أستمروا انتشارها على نطاق واسع إلى فترة طويلة بعد ذلك ولم يعد هناك ما يعوق النصرانية البولسية بعد ذلك ، وقد تخلت عن ميراثها اليهودي ، وانتشرت في المقابل الدعوة بين غير اليهود على نطاق واسع بعيد الصلة عن الجماعة الأولى ومركزها ومبادئها وبدأت الكنائس التي أسسها بولس في الفترة السابقة تؤتي ثمارها ، حيث أخذت النصرانية الهلينية تنتشر بين الوثنيين الذين ناسبتهم لقبها من مبادئهم ، وانتشرت اللغة اليونانية انتشاراً واسعاً حيث كانت لغة الكنائس

(١) ر. بوتقة النصرانية ، ٢٨٢ .

(٢) مذكرات الأديان ، بوتقة النصرانية ٢٨٢ ، الكنيسة في العهد الأول واند ٨ ، Tyson ٦٥

الرئيسية في ذلك الوقت ، وأسست العديد من الكنائس في المناطق التي انتشرت فيها النصرانية ، روما ، والجزائر والمغرب ، وتونس ومصر وغيرها .^(١)

٢ - الوضع السياسي في هذه المرحلة :

في سنة ١٦٢ م كان اضطهاد ماركوس اوريليوس الذي اصدر أمره بإبادة النصارى ، وقد بدأ بقتل رؤسائهم ، وطرحوا للوحوش حيث قاسوا أشد العذاب قبل قتلهم .^(٢)

وقد استمر هذا الحال مدة تناهز العشرين عاماً ، وفي عام ٢٠٢ صدر مرسوم يحظر الدعوة الى الدين من جانب كل من اليهود و النصارى وتلقت أهم كنيستين ضربات شديدة فقد شنت مدرسة الاسكندرية ، وجرت اعدامات كبيرة في قرطاجة للمتعلمين العلم الديني .^(٣) ونقل أوردسيوس أسماء طالعة من القتلى من المتعلمين .

وفي سنة ٢٠٣ كان اضطهاد سافيروس . وقد اشتد الاضطهاد في عهده وازداد عدد القتلى في أيامه زيادة مروعة ، ومنع اعتناق النصرانية بقوة القانون ، واضطرت نيران الاضطهاد لاسيما في مصر وبعض ولايات افريقيا وبذلك الاضطهاد أصاب سافيروس الكنيسة في أصولها ، حيث انها تستمد قوتها من الأعداد المتزايدة من الداخلين اليها ، ولكنه على الرغم من ذلك يمكن القول ان الكنيسة عاشت في فترة سلام نسبي تمثل في أخريات عهد سافيروس ، الى ان كان اضطهاد كاراكلا سنة ٢١١ م في افريقيا الذي ضاعف الجزية على النصارى في مصر ، وقضى على من يقاوم الحكومة منهم بالصلب أو بأن يطرح للوحوش ..^(٤)

ثم اضطهاد مكسيمانوس سنة ٢٣٥ ، وكان يركز على رؤساء الكنائس فقط ، وقد اضطهد النصارى اضطهاداً شديداً وخاصة في مصر فقتل كثيرون في عهده . واضطر كثيرون الى الفرار .^(٥)

(١) مذكرات الأديان ، بوتقة النصرانية ٢٨٢ ، الكنيسة في العهود الأولى واند ٨ ، Tyson ٦٥

(٢) قصة الحضارة ١١ / ٣٧٥ ، مختصر تاريخ الكنيسة ١٨٤/١ ، ١٨٥ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، تاريخ اورسيوس ٤٤٠

(٣) واند ٦٨

(٤) الفكر الإسلامي ٨٢ ، ٨٣ ، التاريخ اليهودي ٣٨٥ ، تاريخ اورسيوس ٤٤٤ ، يأهل الكتاب تعالوا ١٢٦ ، ١٢٧ ، تاريخ

المسيحية ٥٩/١ ، مختصر تاريخ الكنيسة ٢٢١/١ ، Tyson ٦٥

(٥) تاريخ اورسيوس ٤٤٨ ، يأهل الكتاب تعالوا ١٢٧ ، مذكرات الأديان .

ويذكر واند انه على الرغم من كل هذا ظهرت كنائس محلية عظيمة تميزت كل واحدة بطابع فردي خاص بها^(١).

ثم كان اضطهاد ديسيوس سنة ٢٤٩ م. وكان امبراطوراً يكره النصارى كراهية شديدة، وقد عزم على القضاء قضاءً مبرماً على الكنيسة وكل أثر للدين الجديد، ونكل بهم تنكيلاً لم يسبق له مثيل، وتفنن في تعذيبهم وقبض على رؤساء الكنائس. وقد كان يهدف الى اظهار النصارى كمرتدين لا كشهداء ولذلك كان يأمر جميع سكان الدولة ان يذبحوا للامبراطور فمن رفض - وكان النصارى يرفضون - قتل باعتباره مرتداً، حيث أراد هذا الامبراطور ان يعمم الديانة الوثنية.

ويذكر يوسيبوس القيصري انه في فترة من فترات ذلك العهد قتل عشرة آلاف دفعة واحدة^(٢)، ومع استمرار عهد الاضطهاد وحدثت غربة للمتذبذبين أصبحت المقاومة أشد الى ان وصلت الى حد التعصب^(٣).

وذكر ديونسيوس بابا الاسكندرية الرابع عشر عن ذلك الاضطهاد انه كان من الفظاعة حتى لقد كان كفيلاً بأن يززع أكثر المؤمنين استمساكاً وثباتاً.

ونقل توينبي ان بعض النصارى كانوا يقدمون رشاي للموظفين ليحصلوا على شهادات مزورة تثبت انهم قدموا قرباناً وسمي هؤلاء بالمرتدين في نظر المتشددين^(٤).

وبعد هذا الاضطهاد كان اضطهاد الامبراطور كالس ما بين سنة ٢٥٢ م وسنة ٢٥٣ م، ثم اضطهاد فاليريان سنة ٢٥٨ م وكان من أشد ما نزل بالنصارى ذلك انه أظهر محبة شديدة لهم قاصداً من ذلك اخراجهم من الخفاء لييطش بهم فركز على رؤسائهم ومصادرة ممتلكاتهم. وأصدر اوامره بمنع كل تجمع لهم، وقتل في عهده كثيرون^(٥).

(١) واند ٦٩

(٢) مختصر تاريخ الكنيسة ٢٩٩/١، تاريخ اوريسيوس ٤٤٩، قصة الحضارة ٣١٢/١١، تاريخ المسيحية ١١١/١، تاريخ

الفكر المسيحي ٥٣٦، ٥٣٧

(٣) واند ١٠١

(٤) بوتقة النصرانية ٣٤٩

(٥) موجز تاريخ الشرق، ١٢٠، يا أهل الكتاب تعالوا ١٢٩ مذكرات الأديان، قصة الحضارة ١١ / ٣٧٧، ٣٧٨

وبعد فاليريان نعمت الكنيسة لمدة أربعين سنة تقريباً بما اصطلح على تسميته " سلم الكنيسة القصير " في عهد جالينوس ٢٦٠ - ٢٦٨ م وحتى العشر سنوات الأولى من حكم دقلديانوس ، ولم يكن الاضطهاد في تلك الفترة الا لحالات فردية . لأن الامبراطورية الرومانية حاولت أن تحافظ على السلام لأغراض سياسية .

حتى كان أقصى اضطهاد شهدته النصرانية في تاريخها وهو اضطهاد دقلديانوس الذي اعتلى العرش سنة ٢٨٤ م وقيل غير ذلك . ويقال له الاضطهاد الكبير حيث كان أشد من كل ماسبق ، حيث أصدر أربعة أوامر تبعاً يقضي بهدم الكنائس ومصادرة الكتب واحراقها ، ومنع النصارى من شغل وظائف في الدولة ، والحكم بالموت أو التعذيب أو النفي عمن يمتنع عن تقديم القرابين للآلهة . وهنا أمر بتجدر ملاحظته وهو اهتمامهم بتدمير الكتب الأمر الذي يكشف عن ادراك هذا الامبراطور لمدى تأثير الكلمة المكتوبة في ربط أتباع العقيدة الجديدة معاً ، وكانت الكنيسة هي الوسيلة الفعالة للمحافظة على هذا التراث العلمي. (١)

وقيل ان الذين قتلوا في هذا الاضطهاد والذي استمر عشرين عاماً يبلغ عددهم المليون ، ويسمى النصارى عصره عصر الشهداء. (٢)

ثم كان اضطهاد غاليريوس في الشرق سنة ٣٠٤ م وكان صهر دقلديانوس ، جلس على العرش بعد موت صهره وكان يرمي من وراء الاضطهادات القاسية ان يقضي على النصارى ، ولكنه كان كلما شدد التنكيل بهم كلما ازدادت النصرانية انتشاراً فأصدر أمراً جديداً سنة ٣٠٨ يقضي بمواصلة اضطهادهم في غير رحمة .

(١) موجز تاريخ العالم ١٨٠

(٢) موجز تاريخ العالم ١٨٠ ، قصة الاضطهاد الديني ٣٠١ ، تاريخ المسيحية ١١٢/١ ، قصة الحضارة ١١ / ٣٧٩ ، تاريخ

اوروسوس ٤٥٣ - ٤٥٦ بوتقة النصرانية ٣٥٠ ، واند ١٢٤ - ١٢٦ ، محاضرات في النصرانية ١٣٢ ، دعوة التوحيد ٢٩٨ ،

الفكر الإسلامي ٨١ - ٨٣ ، مذكرات الأديان . وقد أشار ديورانت الى أن صور التعذيب ومشاهدتها وصلت إلينا عن طريق

المسيحيين أما الوثنيين فلم ينقلوا شيئاً من هذه الأخبار ر . قصة الحضارة ١١ / ٣٨٠

ثم لم يلبث الاضطهاد ان هداً تدريجياً الى أن أصدر غاليريوس سنة ٣١١ م مرسوم البراءة باسم الأباطرة الأربعة : غاليريوس نفسه ولوقيانوس ومكسيمان وقسطنطين ، وقد تلكأ مكسيمان في تطبيقه بعد موت غاليريوس ، الا أن توالي الأحداث السياسية أدى الى اصدار لوقيانوس وقسطنطين في ميلانو مرسوماً جديداً بالبراءة سنة ٣١٣ يعلن حرية المعتقد في جميع أنحاء الامبراطورية الرومانية .

ومنذ ذلك التاريخ كسبت النصرانية السلم بصفة نهائية ، وما حالات الاضطهاد في حكم لوقيانوس ٣٢٠ - ٣٢٤ ثم في عهد بوليانس الا رواسب ضئيلة الأهمية .^(١) بالنسبة لما سبق .

وتعد سنة ٣١٣ سنة فاصلة بين عهدين ، بين الاضطهاد وبداية الصلات المتينة بين الكنيسة والامبراطورية الرومانية . ومهما كانت دوافع قسطنطين الحقيقية ، فقد أدى ايواؤه لها الى قيامه بدور هام في تاريخها ، حيث قدم اعانات مالية لأساقفة عدة ، وشجع على ترميم العديد من الكنائس ، وأصدر أحكاماً عدة لفائدة الكنيسة ، وظهرت الرموز النصرانية من سنة ٣١٥ م على النقود ، على حين اختفت آخر النقوش الوثنية سنة ٣٢٣ .

وقد تدخل الامبراطور قسطنطين تدخلاً مباشراً في شئون الكنيسة بطلب رؤسائها ، حيث لجأ المسيحيون الى السلطة المدنية للقضاء على مسيحين آخرين .^(٢)

وهنا بدأ اضطهاد من نوع آخر :

٣- اضطهاد النصارى بعضهم لبعض :

أثرت الاضطهادات التي مرت على النصارى فجعلتهم يحقدون حقداً كبيراً على كل مخالف لهم حتى حانت الفرصة للإنتقام ، فانتقموا أشد انتقام باضطهاد الموحدين ثم باضطهاد جميع المخالفين من وثنيين وغيرهم حين أصبحت السلطة بأيديهم ان صح التعبير .^(٣)

(١) قصة الحضارة ١١/٣٨٠ ، ٣٨١ وتاريخ المسيحية ١/١١٤ ، يأهل الكتاب تعالو ١٣١ ، الفكر الإسلامي ص ٨٤ ، معالم

تاريخ أوروبا في العصور الوسطى د. محمود سعيد عمران ٣٥-٤٢ .

(٢) الفكر الإسلامي ٨٥ - ٨٧ ، The rise ص ٤

(٣) ر . فلسفة الفكر الديني ٢/٢٨٦ ، بوتقة النصرانية ٣٥٠ ، و ر . فصل الجامع ص ٢٧٩ .

وفي عهد قسطنطين وبعده وقعت على النصارى اضطهادات من نوع آخر وهي اضطهادات النصارى للنصارى فقد تعقب بعض النصارى مخالفهم بالقتل والتعذيب ، وتعقبوا كل فكرة تخالف مذهبهم الى عهد النهضة الأوروبية والثورة على الكنيسة .^(١)

فبدأ صراع جديد اعتبر فيه النصارى الحقيقيون (الموحدون) متمردين وأوقعت بهم المسيحية الاغريقية أو مسيحية بولس ألواناً من الفتن والاضطهادات واستمرت الكنيسة في اخراج البدع وترويج الخرافات .. ووجد من المسيحيين من يعارض هذه الخرافات فوجه بقسوة لانظير لها..^(٢)

ومن صور اضطهاد النصارى للنصارى ما حدث حين تدخل قسطنطين لحل النزاع المترتب عن اضطهاد سنة ٣٠٣ في افريقية ذلك ان الحزب المتشدد الذي كان يتزعمه دوناتس قد قدح سنة ٣١٢ م في انتخاب سيسليانس اسقفاً لقرطاج لتسليمهم - الأساقفة - الكتب المقدسة إبان الاضطهاد الى السلط ، وأوكل الامبراطور البت فيه الى أسقف العاصمة الامبراطورية فعقد مجمعاً سنة ٣١٣ م أيد انتخاب سيسليانس ، فأعاد الدوناتيون الكرة مما اضطر قسطنطين الى استدعاء مجمع في أرل لم يكن هو أيضاً لفائدة دوناتس ، ولم تهدأ المعارضة فلجأ الامبراطور الى اضطهاد الدوناتيين ، لكنه تراجع سنة ٣٢٠ عن ملاحقتهم .^(٣)

وكما تدخل الامبراطور في حل الأزمة الدوناتيية تدخل أيضاً في حل الأزمة الأريوسية سنة ٣١٨ - ٣٢٠ م تقريباً ، وهي صورة أخرى من صور الاضطهاد الذي أنزله النصارى بإخوانهم النصارى ، حيث عارض آريوس القول بالوهية المسيح مما دعا الى عقد مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م ، وقرروا إلهية المسيح ، وإدانة آريوس واحراق كتبه ، وتحريم اقتنائها وخلع انصاره من وظائفهم والحكم بإعدام كل من أخفى شيئاً من كتابات آريوس وأتباعه وانتهى الأمر بقتل آريوس نفسه .^(٤)

(١) دراسات في الأديان ٢٢٠ ، ٢٢١ ، قصة الأديان ٤٤١ ، ٤٤٢ .

(٢) المسيحية ٣٥٦ ، جينيير ، المسيحية ، شلي ٨٣ ، النصرانية والاسلام طهطاوي ١٦٤ ، ١٦٥ ، فلسفة الفكر الديني

٢٨٦/٢ ، الفكر الإسلامي ٨٦ .

(٣) الفكر الإسلامي ٨٥

(٤) المسيحية ، شلي ٨٣ ، النصرانية والاسلام طهطاوي ١٦٤ ، ١٦٥ ، فلسفة الفكر الديني ٢٨٦/٢ ، الفكر الإسلامي ٨٦ .

ولم يقتصر الأمر على قسطنطين بل ان كثيرا من الأباطرة الذين جاؤا بعده كان لهم اليد الطولي في الدعوة إلى الجامع وحتى في تعزيز ما يصدر عنها من قرارات . وهكذا دخلت الوثنية ودخل الشرق في النصرانية بتأثير الذين تقلدوا مناصب عالية في الدولة الرومانية وتظاهروا بالنصرانية ، كما سنبين ذلك عند دراستنا للجامع ، وما نتج عنها وعن رؤسائها من ارساء لمعتقدات شكلت النصرانية الحالية .^(١)

وهكذا كانت النصرانية التي تبلورت صورتها في القرن الرابع خاصة بعد مجمع نيقية - كالنصرانية غير النصرانية الأولى - سميت بالمسيحية الصليبية ، بعد أن ورثت ما امتازت به روما من أنماط تنظيمية ... ، وأخذت النصرانية من أصل يهودي منذ ذلك الوقت يقل عدد أتباعها ، وتضعف قوتها وتترك الميدان للدين الجديد المصوبغ بالعقلية اليونانية الوثنية .

٤ - العقائد النصرانية في هذه الفترة :

سيطرت السمات الاغريقية على كنيسة بيت المقدس من عهد ادريانوس ، وسيطر على هذه المنطقة صدى الحديث عن الخرافات والأساطير ، وبالرغم من استمرار كنيسة بيت المقدس في السلطة حتى عام ١٤٠ م ، الا أنها فجأة بدأت تفقد سيطرتها على نصرانية بولس التي قطعت صلاتها مع الكنيسة الأم .

وساعد على هذا الافتراق أمور عدة أهمها ان النصارى غير اليهود لم يكونوا ينظرون الى الثورات اليهودية والاضطهادات السابقة على النصارى الا من ناحية اليهود وثوراتهم ، مع ما عرفوا عن اليهود من بغض وكره وما لهم من مواقف عدة ظهر بعض منها في مجمع اورشليم ، وظهر بعض منها في الاضطهادات المباشرة على النصارى .. فكان أن كره هؤلاء المنتصرون من الوثنيين الجماعة النصرانية الموحدة من بني اسرائيل لرفضهم لليهود وكل ما يتعلق بهم وهو ما أدى الى الإقبال على الثقافة اليونانية الرومانية السائدة .

وهذه المباغضة جعلت حاجزا كبيرا بين هؤلاء المنتصرين من الوثنيين والعلوم المنسوبة إلى الأنبياء و التي كانت عند اليهود .

(١) انظر فضل الجامع ٢٩٧ ، ٢٩٨ .

وأدى ذلك بالتالي الى رفض اللغة الأصلية أو تجاهلها وتجاهل أهميتها ، والى رفض أصل التشريع والخروج الى المفاهيم والثقافة واللغة اليونانية عن المفاهيم التوحيدية ، فلم يكرهوا اليهود فقط بل كرهوا النصارى المنتسبين إلى بني إسرائيل .

وبذلك تميزت النصرانية اليونانية عن النصرانية من أصل يهودي فصارت ديانة مستقلة ولم تكن كذلك في القرن الأول .

وهذا مايفسر وجود المخطوطات اليونانية لأن هؤلاء الوثنيون كانوا يتكلمون اليونانية فاكتفوا بهذا ورفضوا العبرية وبالتالي الشرائع الموسوية ، وهو ما مهد لفقد النصوص الأصلية فكان من أكبر أسباب ضياع الرسالة ، ولعل هذا وحده كافياً ، فضلاً عن الاضطهاد الذي كان سمة هذه الفترة .

وهكذا فإن الأعراس عن اللسان الذي بلغت به الرسالة - هو ضياع لتلك الرسالة وهو ماحدث^(١).

وانتشرت النصرانية خارج القدس ، وبرز النصارى كجماعة دينية مستقلة في البلاد التي انتشرت فيها النصرانية ، وأسهمت الكنائس التي أسسها بولس بدور فعال في تدعيم النصرانية ونشر معتقداتها كما وضحنا ، والتي لم تكن متفقة تماماً مع معتقدات البلاد التي انتشرت فيها .

ولذا فإن أهم ما تميزت به هذه الفترة هو نشأة المدارس الفكرية النصرانية ، لاسيما في الشام وإنطاكية ، لدفع المآخذ التي وجهت لهذه الديانة من قبل الوثنيين ، وما وجد في تلك المناطق من آراء متطرفة ، حيث كانت التعاليم النصرانية لاتزال في مرحلة الإعداد ، وانتسب حديثو الإيمان إلى النصرانية انتساباً اسماً ، ثم قاموا بتغير تعاليمها ومعتقداتها بما يتماشى مع أفكارهم الفلسفية .

ومن هنا كان تاريخ الكنيسة الأولى عبارة عن سلسلة من المواجهات بين التغيرات المختلفة والمتضاربة في نفس الوقت ، وكان الخاسر في تلك المواجهات يوصف بالإبتداع والمهرطقة ، بل أن التصورات الوثنية المختلفة ساهمت في الإنقسامات الحادة داخل الكنيسة ، فبرز دعاة يدعون إلى توضيح العقائد النصرانية وتعميقها ، وأطلق عليهم لقب " الكتاب الدفاعيين " أو " حماة الإيمان " .

(١) مذكرات الأديان .

وشيئا فشيئا ساهمت هذه الكتابات في نشأة ما يسمى بعلم اللاهوت المسيحي ، وانفصلت النصرانية الجديدة عن النصرانية من أصل يهودي ، وذلك نتيجة لغلبة الفكر اليوناني الروماني على تلك المسيحية الجديدة .

وظهر إختلاف هؤلاء المدافعين فيما نادوا به أو حاولوا أن يعرضوه من عقائد ترتبط بالمسيح ، فرآه بعضهم نبياً أصطفاه الله وفضله ، وتمثل هذا الإتجاه في الطوائف المتشعبة بالتوحيد وأراء الجماعة الأولى ، وهو ما تمثل في الفرق التي عرفت بالموحدة .

ونمت البذور التي زرعها بولس ومن تابعه في ادعاء بنوة المسيح حتى وصل الأمر إلى الإعتقاد بألوهيته وهو ما تمثل في الفرق المؤله (١) .

وكان أكبر الأخطار التي هددت النصرانية في هذا القرن - الثاني - هو الغنوصية . وإن مجرد إلقاء نظرة على الآراء التي نشرها عدد من الغنوصيين في هذا القرن تبين مدى المعارضة التي لقيتها العقيدة النصرانية ، وما أحاطها من شكوك حول الرسل ، حيث رأى بعضهم أن المسيح لم يكشف لهم عن كل شيء ، أو أنهم أسأؤوا فهمه أو حرفوا مذهبه عن قصد (٢) .

وذهب البعض الآخر منهم إلى انكار صلب المسيح ، إلى غير ذلك من المعتقدات التي تعكس جميعها الأزمة التي مرت بها الكنيسة في القرن الثاني ، في الوقت الذي لم يكن لها فيه نظام لاهوتي تستطيع أن ترد به بصفة ناجعة على هؤلاء الذين كانوا يدعون المعرفة الكاملة وأنهم أكثر وفاء للإنجيل على خلاف الكتاب الدفاعيين .

ولم تكن الغنوصية وحدها هي التي تهدد الكنيسة فكانت المرقيونية التي أخذت تنمو وتنتشر في القرن الثاني ، ثم المونتانية التي أنتشرت بسرعة في أكثر الأماكن التي كانت توجد فيها تجمعات نصرانية .

وكان أكبر منافس للنصرانية في ذلك الوقت " الأفلاطونية الحديثة " حيث كانت الإسكندرية وروما تنظر إلى المسيحية بمفهوم الفلسفة الأفلاطونية أو فلسفة أرسطو .

(١) المنار ج ٩ مج ٢٩ ١٣٤٧ شعبان / فبراير ١٩٢٨م " مقال " تطور الإعتقاد بألوهية المسيح " .

(٢) الفكر الإسلامي ٦٨ ، دوتقة النصرانية ٢٧٦ .

وقد شهدت هذه الفترة كثرة الكتب التي زعم أصحابها قداستها، وكذا الأناجيل المكذوبة ، وقد استمرت هذه الكتب بأيدي النصارى إلى ما بعد مجمع نيقية ٣٢٥ م ، حيث تم اعتماد البعض ورفض البعض الآخر واستغرقت هذه العملية زمناً طويلاً وتمت على مراحل .

ويؤكد كثرة الأناجيل المنحولة ما نقل عن ماني أنه كان يتصرف في الأناجيل على ما يروقه حذفاً وإثباتاً ، وكان يأخذ من الأناجيل المنحولة التي كانت في أيامه .^(١)

وترجم ما يحتويه هذا العهد الجديد من أناجيل ورسائل من اليونانية إلى اللاتينية والقبطية والسريانية منذ بداية القرن الثالث ، وألتزم بها فيما بعد دون غيرها ، وهو ما أثار مسألة أخرى وهي " التأويل " لإختيار ما يدعم سلطة الكنيسة^(٢) .

وكما تم الاعتراف بهذه الكتب تدريجياً تم الاعتراف بالعقائد على هذا النحو ، فكانت تقتصر في بداية الأمر على الإعلان بأن عيسى هو المسيح أو الرب^(٣) ، ثم تغيرت بمرور الزمن إستجابة لمقتضيات التعليم والطقوس والرد على الوثنيين والهرطقة في عرفهم لتأخذ آخر القرن الرابع شكلاً ثلاثياً يحتوي على الإيمان بالأب وبعيسى المسيح ابنه الوحيد ، وبالروح القدس واعتقاد أن الكنيسة مقدسة .

ولم يقر التثليث إلا في نهاية القرن الرابع وأول استعمال له كان عند ثيوفيلوس الانطاكي^(٤)

وكانت عقيدة الثالوث محور الإهتمامات في آخر القرن الثالث، وفتح الباب على مصراعيه في آخر هذا القرن لمناقشات لاهوتية عدة شكلت العقائد النصرانية في القرون التالية والتي كانت سبباً بالتالي في انعقاد المجامع التي أضفت لتلك العقائد صبغة رسمية .

(١) الفلسفة اليونانية ٢٥٨ - ٢٥٩ ، المدخل إلى العهد الجديد ١٥٩ .

(٢) الفكر الإسلامي ٧٤ .

(٣) مرقس ٨ : ٢٩ ، ابوحنا ٢ : ٢٢ ، رومية ١٠ : ٩ ، اكورنثوس ١٢ : ٣ .

وفي هذا المقام لا بد أن نشير إلى بروز الرهبانية المرتكزة على الغلو في الزهد والتبتل المعروفين في تلك الفترة ، فقد أدى إنتشار النصرانية المتزايد في مختلف أصقاع العالم اليوناني الروماني وفي بلاد المشرق بصفة عامة إلى تكاثر النصارى من حيث العدد ، ولكنه أدى إلى انحطاط مستواهم ، وإحتفاظ الكثير منهم بالأخلاق والعادات الوثنية ، فكانت الرهبانية بمثابة رد الفعل على التدهور الروحي وفراراً من الدنيا لتحقيق الحياة المسيحية المثلى في عرفهم ، وأثر من آثار الإضطهاد الذي مارسه السلطنة الرومانية (١) .

ثالثاً- المرحلة الثالثة: من مجمع نيقية ٣٢٥م إلى المجمع المسكوني الثامن ٨٧٩م.

١- الوضع السياسي في تلك الفترة :

دخلت النصرانية عهداً جديداً بإعتناق قسطنطين الإمبراطور الروماني النصرانية كما سبق ذكره ، وأرسيت في مجمع نيقية الذي عقده سنة ٣٢٥م قواعد نصرانية بولس (٢) . ولم يقتصر أمر سيطرة قسطنطين على مجمع نيقية، بل أن المجمع التي تلته دخلت تحت سلطة الإمبراطور .

وإذا كان النصارى قد انقسموا في مجمع نيقية الى فريقين كبيرين ثالوثيين وموحدين ، فقد اخذ الثالوثيون- بعد انتهائهم المجمع يتعقبون الموحدين الذين رفضوا الخضوع لقرارات هذا المجمع. ولم يقتصر الأمر على مجرد تعقبهم ، وإنما حاولوا محو آثارهم بجمع كتبهم التوحيدية واحراقها وما شبه ذلك. إضافة الى ما كانت تسمح به الفرص احياناً من تعقب اليهود للنصارى في ذلك العهد ، أو القيام بدور الوشايات لمنع رفع الإضطهاد عنهم .

من ذلك ما كان من اليهود في عهد يوليوس ابن أخي قسطنطين والذي ذاق النصارى على يديه بعض الإطمئنان ، حيث حسن له اليهود العودة بالشعب إلى الوثنية ، وأطنبوا بفوائد تعدد الآلهة* ، وهولوا له خطر النصرانية ، لاسيما عدم إعتزافها بالقانون القاضي بعبادة الأباطرة .

(١) الفكر الإسلامي ٨١

(٢) انظر تفصيل القول في هذا المجمع وقراراته فصل المجمع ص ٢٨٠ وما بعدها .

(* هذا يذكرنا بقول الله عز وجل عن اليهود وكلامهم مع المشركين عن المسلمين ﴿الم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب

يؤمنون بالحب والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء هؤلاء اهتدى من الذين آمنوا سبيلاً﴾ النساء آية (٥١) .

وأستمر تعقب الثالوثيين للموحدين ، فمن ذلك ما حدث في القسطنطينية حين أمر قسطنطيوس أن يستبدل ببولس مقدونيوس الأريوسي ، فهب جماعة من مؤيدي بولس يقاومون هذا الإمبراطور ، وقتل في الإضطرابات التي أعقبت هذه المقاومة ثلاثة آلاف شخص .

وذهب ديورانتي إلى أن الذين قتلوا من النصارى على أيدي النصارى بين عامي ٣٤٢ - ٣٤٣ يزيد على من قتلوا بسبب إضطهاد الوثنيين للنصارى في تاريخ روما كله .^(١)

وكثيراً ما كانت الإضطهادات للإرغام على الإعتراف بأموار أقرت في مجمع من المجمع التي تعقدا أو عقدت ، ومن عهد ثيودوسيوس سنة ٣٩٥ ظهرت أولى محاكم التفتيش التي تم تنظيمها فيما بعد في القرن الثاني عشر الميلادي ، وكان أعضاؤها من الرهبان ، وكانت وظيفتهم إكتشاف المخالفين في العقيدة.

وتاريخ محكمة التفتيش هو تاريخ الإضطهاد الديني في أقسى صورته ، ومن أشد أساليبها إنحرافاً ما نادى به بضرورة إيصال المعلومات عن المخالفين بأي طريقة ، وهددت من يتوانى في ذلك بعقوبات صارمه ، فأنتشر بسبب ذلك نظام التجسس حتى بين أفراد الأسرة الواحدة .

وكانت الكنيسة تلجأ إلى تعذيب المخالفين إلى حد الإعدام لهم ، كما فعل بنيامين كبير أساقفة مصر لأنه رفض الخضوع لقرارات مجمع خلقدونية ٤٥١ م حول طبيعة المسيح .^(٢)

وظهر في قانون الإمبراطورية الرومانية والذي يدور حول المهرطقين مالايقل عن ستة وستين قانوناً ، وقد صدرت في الفترة ما بين ٣٢٦ - ٤٠٥ والقرنين الخامس والسادس ، وقد قوبلت هذه السياسة بإستحسان من جموع الثالوثيين .

وكان أوغسطين هو الذي أعلن حق الدولة في قمع المخالفين ، ولذا وصف بأنه الأب الحقيقي لمحاكم التفتيش وشرع في تبرير عقوبة الإعدام في الحالات التي يفشل فيها الإقناع ، ولجأ

(١) ر . قصة الحضارة ٢١/١٢ .

(٢) ر . قصة الإضطهاد الديني ٢٢٧ ، التعصب والتسامح ٢٩٠ - ٢٩٦ ، فلسفة الفكر الديني ٢٨٦/٢ المسيحية ، شلي

إلى حكاية العشاء التي وردت في إنجيل لوقا مع تفسير الأمر للخادم ليذهب إلى الطرقات وإلزامهم بالحضور كتبرير للقمع القسري للهرطقة والطوائف المنشقة^(١).

وبعد مجمع أفسس سنة ٤٣١م حدث إنشقاق بين نصارى روما والأقباط في الإسكندرية ، وفتح ماسمي بالمذهب الأرثوذكسي (في الإسكندرية) في مقابل الكاثوليك (في روما) ، وكان لكل مذهب كنائسه ، وكل يطالب بالصدارة لنفسه وحدثت نتيجة لذلك مصادمات وإضطهادات كثيرة لاسيما من قبل نصارى روما لنصارى الإسكندرية ، الأرثوذكس المخالفين للكاثوليك في روما ، حيث كانت مصر في ذلك الوقت مستعمرة رومانية يحكمها حاكم يعينه الأمبراطور الروماني^(٢).

كذلك شهدت تلك الفترة سنة ٦١٥م إضطهاد النصارى من قبل اليهود ، وذلك حين نجح الفرس في الإستيلاء على سورية سنة ٦١٥م وسبوا كثيرا من النصارى فبادر اليهود إلى شراء أعداد كبيرة من النصارى قدر عددهم بتسعين ألفاً وذبحوهم . وأخذ الإضطهاد من قبل اليهود جانبا آخر في نشر الكتب التي تهاجم النصرانية^(٣).

٢- الوضع الديني في تلك الفترة :

وفيما يتعلق بتقرير العقائد النصرانية خلال هذه الفترة ، فقد كان تحول النصرانية إلى دين الأمبراطورية الرسمي وإنعقاد مجمع نيقية وما تمخض عنه من قرارات - كان ذلك هو الأمر الذي كيف مصيرها ، حيث يعد هذا المجمع مرحلة تأسيسية حاسمة ونقطة إنطلاقة لمرحلة ثانية ، لعل أبرز مميزاتها إزدهار حركة الشرح ، وتوضيح العقائد وتجديدها .

وقد ظل الخلاف الشديد قائما في أوساط النصارى فالعقائد الأساسية التي دونها مجمع نيقية في قانون الإيمان النيقوي كانت مبهمة ومعقدة ، فاستمر الخلاف لمدة غير قصيرة لتفسير تلك العقائد والتعبير عنها .

(١) ر . بوتقة النصرانية ٣٥١ ، وانظر لوقا ١٤ : ١٥ - ٢٤ ..

(٢) تاريخ الكنيسة القبطية ٣١٠ ، ٣٣٧ .

(٣) ر . قصة الحضارة ١١/٢٤٤ ، ٢٤٥ ، جذور البلاء ٩٠ - ٩٤ .

وظهرت بوضوح الفجوة بين الغرب اللاتيني ومصرالمتشبت بنيقية من جهة ، وبين الشرق اليوناني الذي يرى في التمسك بعقيدة المساوى للأب في الذات والجوهر - وصفا للمسيح ~~اللاتيني~~ - بدعة غير مقبولة ! ، وهو ما تطور فيما بعد ومهد لإنفصال الشرق عن الغرب ^(١).

ولم تمض ثلاث سنوات على إنعقاد المجمع المسكوني الأول حتى تلتها مجامع عدة ^(٢) ، صاغت عقيدة النصارى صياغة جديدة .

وشهدت الكنيسة في أنطاكيا على سبيل المثال سنة ٣٦٢ م خمس مجموعات من النصارى متنافسة ، كل منها تعتقد أنها على صواب وأن الأربع الأخرى على ضلال .

وكانت الإختلافات العقديّة ترجع بنسبة كبيرة إلى لبس في المفاهيم والمصطلحات ، وإلى إختلاف اللغات حيث لم يكن الذين في الشرق - ويتكلمون اليونانية - يعرفون اللاتينية ، وكان اللاتينيون في هذه الفترة لا يحسنون اليونانية إحساناً تاماً ^(٣).

وما بين ٣١٣ - ٥٣٩ م أستحكمت سيطرة الديانة النصرانية على روما على الرغم من وجود الوثنيات إلا أن الرواج كان للنصرانية .

وقد تقاسمت النصرانية مملكتان في هذا العصر : مملكة الشرق وعاصمتها القسطنطينية وتشمل : البلقان واليونان وآسيا الصغرى ومصر ، وكان رئيس القادة الدينيين أو رئيس رؤساء الأساقفة فيها يسمى البطريرك ^(٤). ومملكة الغرب والتي كانت عاصمتها روما ومعظم مناطق أوروبا تابعة لها ، والرئيس الديني لها يدعى بالأب أو البابا . وكان بين المملكتين منافسة منذ اليوم الأول ، كل منها تريد أن تثبت أفضليتها .

(١) انظر ص ٢٨٩ .

(٢) أنظر ص ٢٨٦ وما بعدها .

(٣) ر . الفكر الإسلامي ٨٨ - ٩٥ .

(٤) ر . الفكر الإسلامي ٨٨ - ٩٥ .

وقد حميت معركة الخلافات في القرنين الرابع والخامس الميلاديين لذا فإن المؤرخين النصراني يسمون هذا العصر بعصر المجامع أو عهد الخلافات والمناقشات^(١).

واستمرت الخلافات بين كنيسة روما والكنائس الشرقية ، بل أن بعض الأساقفة الشرقيين كانوا يجرمون من الدخول لكنيسة روما لخلاف بينهم وبين رؤسائها . حتى أن الخلاف نشأ حول الشعائر والطقوس الخاصة بميلاد المسيح عليه السلام ، وتحديد يوم ميلاده .

وفي منتصف القرن الخامس أصبحت النصرانية الشرقية تنقسم إلى ثلاث فرق كبرى : النساطرة في العراق وبلاد فارس واليعاقبة أو السريان والخلقدونيين أو الملكية . ولم تجد محاولات السلطة الإمبراطورية المتكررة شيئا في توحيد هذه الفرق التي أنتظمت كل واحدة منها في كنيسة منشقة عن الأخرى لها ما يميزها .

أما في الغرب فكانت الدوناتية أهم حزب معارض في إفريقية إلى القرن الرابع ، وقد شغلت السلطة الرومانية والكنيسة لفترة ، ثم ظهرت بعدها فرقة أخرى عرفت باسم البيلاجيانية وأمتدت طيلة القرن الخامس ، وقد تصدى أوغسطينوس للرد على هذه الطائفة ولكن الإمبراطورية الرومانية الغربية كانت في هذه العقود الأولى في القرن الخامس تضعف أو بدأت تنتهي تحت وطأة الغزوات الجرمانية التي ستقضي على كل حركة فكرية ، فلم تعد الكنيسة اللاتينية تعرف شخصيات ذات شأن بعد موت أوغسطينوس ، ووجهت كل طاقاته إلى التنظيم الكنيسي ، و إلى الحد من أثار الغزو البربري وما صحبه من إحياء للوثنية^(٢).

تلك كانت أهم التيارات العقديّة والمذاهب التي عرفتھا النصرانية في القرون الثلاثة التي تلت مجمع نيقية، وهناك ظواهر أخرى تميزت بها الكنيسة في هذه الفترة لها أهميتها في الدلالة على تطور النصرانية ومعتقداتها في الثالث والتجسد وغيرها من العقائد الجوهرية عندهم ، وتتمثل الظاهرة الأولى في أن النصرانية في القرن الرابع وبداية القرن الخامس أنجبت مفكرين من الدرجة الأولى كانوا مسئولين كنسيين وكتابا ممتازين ، فلعبوا دورا أساسيا في توجيه الفكر النصراني ، وساهموا في الآراء والمعتقدات التي أعمدها مقررات المجامع ، وسميت هذه الفترة التي عاشو فيها " عصر آباء الكنيسة الذهبي " أمثال أوريجانوس وأكلمندس الإسكندري وغيرهم^(٣).

(١) تاريخ المسيحية المنفلوطي ١٠٤ - ١٠٦ .

(٢) الفكر الإسلامي ٩٦

(٣) انظر ص ٣٥٢ ، ٣٥٥ .

وهؤلاء الآباء أعتبروا الكتاب المقدس على نحو ما أنتهى إليه تأويل الأجيال التي سبقتهم، وقاموا بتعميق البحث عن التعبير الملائم للعقائد النصرانية .

وكان أبرز أباء الكنيسة اليونانية : أثناسيوس الإسكندري (-٣٧٣) وبازيليوس القيصري(-٣٧٩) وغريغورس النيسي اخوه (-٣٩٤) ثم يوحنا فم الذهب (-٤٠٧) وكيرلس الأسكندرائي (-٤٤٤) .

اما في الكنيسة اللاتينية فاشهرهم : هيلاريوس (-٣٦٧) وداماسيوس الروماني (-٣٨٤) وأميروزيوس (-٣٧٩) ومارتينوس (-٣٩٧) واخيرا أوغسطينوس (-٤٣٠)^(١).

أما الظاهرة الأخرى التي تسترعي الانتباه في هذه الفترة من تاريخ الكنيسة ترتبط بالعلاقة بين السلطة الدينية والسلطة المدنية ، وذلك بتدخل الأباطرة في النزاعات العقيدية وترجيحهم لكفة حزب على آخر ، ودعوتهم لإنعقاد المجامع بغية إضفاء صبغة شرعية على إختياراتهم سواء كانت دوافعهم دينية أو سياسية بحتة ، أو دينية سياسية معاً^(٢).

وكانت سلطة الكنيسة بدورها تحاول توسيع صلاحياتها وضمان إستقلالها والتأثير في الإمبراطور نفسه أو أفراد حاشيته بشتى الوسائل حتى تسلك السياسة في صالحها. واعتبرت الكنيسة في تلك الفترة وريثة المسيح ونسبوا عصمة الكنيسة لتقرير المسيح لها^(٣)، وتبع ذلك قداسة البابا ، فكان للبابوات وما يقرروه من مجامع الدور الكبير فيما آلت إليه النصرانية من تطور .^(٤)

(١) ر . الفكر الإسلامي ٩٦ - ٩٨ .

(٢) الفكر الإسلامي ٩٩ ، تاريخ المسيحية ، المنفلوطي ٩ - ١١ .

(٣) ر . متى ١٦ : ١٨-١٩ يوحنا ٢٠ : ٢١ .

(٤) ر . تاريخ الفكر السياسي ٨٧ ، ٨٨ وقد فسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث عدي بن حاتم ، قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب ، فقال : يا عدي أخرج عنك هذا الوثن وسمعه يقرأ في سورة براءة (اتخذوا أبحارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله...) الآية ، قال : أما إنهم لم يكونوا يعبدوهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه ، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه . الترمذي . سورة التوبة ، أبواب تفسير القرآن .

أما الظاهرة الثالثة البارزة في هذه الفترة فهي تغلغل النصرانية عقيدة وأخلاقاً وسلوكاً في مختلف الفئات والأصناف الإجتماعية التي بلغتها ، وتأثرها هي أيضاً بالمفاهيم والعادات السائدة عند تلك الشعوب .

ومنذ القرن الرابع أكتسبت الكنائس شكلها النهائي ، وخصص فيها مكان للتعميد ، وأنتشرت الرهبانية على نطاق واسع ، وبدأت تظهر القواعد المنظمة لمجموعات الرهبان ^(١) .

وظهر تأثير العقائد الشعبية والوثنية في الإيمان بالخورق المعجزات والتعبد للشهداء وبقايا القديسين ، وفي طليعتها بقايا الخشبة التي يظن أن عيسى قد صلب عليها ، والملاحظ أن التعبد للصلب لم يدخل في الغرب الا في بداية القرن السابع .

ومنها كذلك اكرام الصور المقدسة والتعبد لها ، فقد كانت الكنيسة في اول امرها تقاوم هذه الظاهرة عملاً بما جاء في العهد القديم ^(٢) .

وفي مطلع القرن السابع أنتشرت النصرانية وتكاثرت الإسقفيات بصفة ملحوظة من غرب أوروبا في بريطانيا وإيرلندا شمالاً وأسبانيا جنوباً إلى حدود الإمبراطورية الشرقية في آسيا الصغرى مروراً ببلاد اليونان وسواحل إفريقيا ووادي النيل وسوريا وفلسطين وبعض مناطق العراق وبلاد فارس .

أما الحضور النصراني في بلاد الحجاز فلا يكاد يذكر ، ولكن أطراف الجزيرة كانت تحوي جاليات نصرانية : الغساسنة - واللخميون وإن أنتهت سلطتهم ، وفي جنوب الجزيرة العربية في اليمن وحول نجران حيث يوجد جماعات نصرانية .

وتعتبر هذه الفترة مطلع القرن السابع - فترة ركود على المستوى النظري سوى ما كان من مشكلات عقديّة نتيجة لانقسام الكنيسة إلى ملكية ويعقوبية ونساطرة .

وبلغ الفتح الإسلامي حدود القسطنطينية سنة ٦٧٤ م وحاصروها إلى سنة ٦٧٨ م ففقدت الخصومة العقديّة بين النصارى أهميتها لدخول الكثير في الحكم الإسلامي .

(١) الفكر الإسلامي ١٠٠ ، ١٠١ ، تاريخ المسيحية ، المنفلوطي ١١ - ١٧ .

(٢) خروج ٢٠ : ٤ .

ومن سنة ٧٢٦ - ٨٤٣ م كانت الأزمة التي عرفتها الكنيسة حيث قسمت الكنيسة البيزنطية إلى حزينين متقابلين ، وأثارت حملة من العنف والإضطهاد كان محور الخصام فيها هو التبعيد للصور ، وهي ظاهرة لم تكن وليدة هذا القرن كما أشرنا ولكنها أكتسبت أبعاد جديدة سياسية دينية بإعلان الإمبراطور ليون الثالث سنة ٧٢٦م معارضته للتعبيد للصور وتحطيم صورة المسيح ولايستبعد أن يكو للإسلام تأثير في هذا^(١).

وتفاهم الأمر سنة ٧٣٠م باصدار مرسوم يمنع التبعيد للصور والقضاء على جميع الصور المقدسة وعقدت في ذلك مجامع عدة^(٢).
وقد سمي هذا العصر بعهد العصور المظلمة ما بين غريغورس الأول ٦٠٤ - وعهد شارلمان ٨٠٠م - ١٨٤هـ حيث كان إنهيار النصرانية السياسي والإنحطاط العلمي الثقافي ، فكان ظهور الإسلام بينما كان العالم المسيحي يشهد إنفجار موجات التمزق والإنشقاق^(٣).

وتميز هذا العصر بالدعوة إلى النصرانية في أقطار أوروبا ، ولقي النصارى الرومان إنتصارا في مناطق بريطانيا وألمانيا وكانت النتيجة أن أوربا كلها تحولت إلى النصرانية ، وقد خضعت في هذا العصر للمسلمين في الغرب دول مصر وإفريقيا والأندلس وصقلية وفي الشرق دول الشام وإيران ، مما حجم السلطة النصرانية في المناطق الشرقية^(٤).

وزادت أهمية الكنيسة الغربية برئاسة البابا بعد أن ضعفت الكراسي الأخرى المناهضة لها في بلاد الشرق بسبب الزحف الإسلامي ، وأنقسمت إلى معسكرين وقد بدأ هذا الإنفصال عام ٨٦٧م .

وكانت النزعة اليونانية التي طغت على نصارى الغرب هي التي أدت إلى إنشطار الكنيسة الشرقية عنهم .

(١) ر . الفكر الإسلامي ١٠٢ - ١٠٥ .

(٢) انظر فصل المجامع ص ٢٧٩ وما بعدها .

(٣) ر . الفكر الإسلامي ١٠٩ ، تاريخ المسيحية ، المنفلوطي ٥٤ ، ٥٥ .

(٤) تاريخ المسيحية ، المنفلوطي ٩-١٧ ، ٢٠-٢٦ .

وتميزت هذه الفترة بالفساد لدى رجال الدين ، وهبوط المستوى العلمي والأخلاقي ، وحتى العبادة شابها الكثير في هذه الفترة ، وأدخل إليها الوثنيون المنتصرون بعضاً من عباداتهم وإن لبست ثوبا نصرانيا ، فظهرت القصص والأساطير التي سميت بالأساطير النصانية . وبالرغم من قيام بطاركة في الكنيسة الشرقية إلا أنها أصبحت شبه ميتة ، وتقلص دورها شيئاً فشيئاً في الدعوة إلى النصرانية .^(١)

تلك كانت حياة النشأة لهذه الديانة ، فقد ولدت في جو من الإرهاب لم يستطع عيسى عليه السلام أن ينأى عنه إلى أن رفع، ثم تابعت الأحداث من بعده .. ومع تمسك الجماعة الأولى بما تصوره العقيدة التي لم يدم صفاؤها الأول فقد نالوا من الاضطهاد الشيء الكثير . ثم كان نصيب تلاميذ الحواريين من بعدهم كذلك .

وفي تلك الأحقاب كتبت الأناجيل ، وكتبت رسائل وسط الأشلاء الممزقة ، والرؤوس المقطعة ، والسجون الغاصة والتعذيب المستمر والتستر الخفي . وما تلا ذلك من اعتناق الإمبراطورية الرومانية للنصرانية البولسية ديناً رسمياً وقرار مجمع نيقية لذلك ، وما تلاه من مجامع عدة ، اعترف فيها بالأناجيل التي عتمدت فيما بعد مصادر وأصولاً للديانة النصرانية .

وظهرت الفرق المختلفة التي اسهمت هي وغيرها من العوامل في الخروج عن ديانة التوحيد التي جاء بها عيسى عليه السلام .

وفي هذا يقول الدكتور سفر الحوالي : إنه بإلقاء نظرة سريعة فاحصة على الحقبة التي شهدت ميلاد الدين النصراني سنرى أن منطقة حوض البحر الأبيض كانت تموج بعقائد وأفكار متباينة : الديانة اليهودية ، المثرانية ، الأفلاطونية الحديثة ، الوثنية المصرية ، الوثنية الرومانية ، أفكار فلسفية من رواقية وأبيقورية . ثم قال : ولو أننا حاولنا أن نستنبط من مجموع هذه العقائد عقيدة واحدة مشتركة ، لخرجنا بعقيدة تقوم على ست دعائم:

الإيمان بالتوراة اليهودية - اعتقاد الفداء والخلاص والوساطة بين الله وبين الناس - الحلول ، وتجسد الاله في شكل بشري - الهروب من الحياة الى الرهبانية - تقديس الصور والتماثيل . وهي التي أصبحت دعائم الدين النصراني الكنسي ولب تعاليمه^(٢) كما سنعرف .

(١) تاريخ المسيحية ، المنفلوطي ٥٤ ، ٥٥ ، ٣٥ - ٤٥ .

الباب الثاني
العوامل الداخلية وأثرها في تحريف رسالة
المسيح عليه السلام

وفيه أربعة فصول :

- الفصل الأول : بولس وأثره في تحريف النصرانية .
- الفصل الثاني : فقدان النصوص الأصلية للنصرانية وأثره في
الإلحاد العقدي .
- الفصل الثالث : الفرق النصرانية وأثرها في الإلحاد العقدي .
- الفصل الرابع : المجمع النصرانية المسكونية وأثرها في تحريف
العقائد

الفصل الأول

بولس ودوره في تحريف النصرانية*

من الحقائق المقطوع بصحتها أنّ أنصار شاول الطرسوسي أو (بولس) وخصومه وإن كانوا مختلفين فإنهم يتفقون على أمر واحد ذي أهمية بالغة ، وهو خطورة شخصية بولس ، وعلى كبر دوره في تشكيل النصرانية الراهنة التي يعرفها الناس اليوم . فالواقع أنّ بولس يعد أبرز شخصية في الديانة النصرانية بعد المسيح عليه السلام ، وذلك لما كان له من أثر بالغ في تحريفها وما آلت إليه كما سنتبين من خلال هذا الفصل.

١ - اسمه :

كان بولس يدعى باسم (شاول) وهو اسم عبري على اسم أول ملوك بني اسرائيل عندهم الذي كان أيضاً من سبط بنيامين . ومعنى شاول في العبرية " المطلوب " أو " المرغوب فيه " واستمر يدعى بهذا الاسم حتى بعد أن اعتنق النصرانية بزمن ثم أطلق عليه بعد ذلك اسم بولس ، واشتهر به وهو اسم روماني ومعناه "الصغير" ^(١) . وكان يلقب نفسه باسم بولس الرسول بهذا الاسم عرف عند الأمم ^(٢) .

ويرى ديورانت أن اسم بولس كان هو اللفظ اليوناني المرادف للاسم العبري شاول ولهذا ظل الاسمان يطلقان على هذا الرسول منذ طفولته ^(٣) .
وقيل : ان اسم شاول هو اسم اليهودي الذي دعي به من قبل والديه ، أما بولس فهو اسمه الأممي ^(٤) .

* إنما اعتبرنا بولس من العوامل الداخلية بل من أهمها لأن النصارى يعدونه من المؤسسين لديانتهم ، مع أن حقيقته لاتعدو أن يكون محرماً لدين المسيح عليه السلام بقصد أو من غير قصد . وتجدر الإشارة بأن من العلماء من يرى أنه مدسوس على النصرانية مثل ابن حزم وغيره . انظر ١٧٥ ، ١٧٦ ، من هذا الفصل . فهو بهذا يعتبر من العوامل الخارجية ، وقدمت الاعتبار الأول ملاحظة لاعتقاد النصارى فيه .

(١) قاموس الكتاب المقدس ص ١٦٩

(٢) الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ص ٧٤

(٣) قصة الحضارة ١١/٢٤٩

(٤) مختصر تاريخ الكنيسة ص ٨٦/١

٢ - مولده :

يتفق كتاب المصادر النصرانية المتاحة على ان بولس ولد بمدينة يونانية هي (طرسوس) عاصمة ولاية "قيليقية" وهي تقع حالياً في جنوب تركيا على بعد (١٧) كم تقريباً من البحر المتوسط^(١). من أبوين يهوديين من سبط بنيامين ، وينتميان الى فرقة الفريسيين^(٢) ، أي أنه من يهود المهجر أو من اليهود غير الفلسطينيين .^(٣)

و لم تتفق المصادر على تاريخ ولادته ويفترض أنه ولد بعد المسيح بـ (١٥) سنة^(٤)، وقد تفاوتت تقديرات المؤرخين لتاريخ ميلاده بين السنة الأولى الميلادية وسنتي ٤ و ٦ م^(٥) . أي أنه كان من معاصري المسيح .

وذكر صاحب قصة الحضارة أنه ولد حوالي سنة ١٠ م^(٦)، وقيل إنه ولد ما بين عامي (٥) و ١٥ م^(٧)، ولكنه لم ير المسيح طوال حياته^(٨). وقيل : إنه لم يدرك عيسى .^(٩)

٣ - جنسيته :

جاء على لسانه في الإصحاح الثاني والعشرين من سفر أعمال الرسل : ٣ : "أنا رجل يهودي ولدت في طرسوس كيليقية ولكن ربيت في هذه المدينة - اورشليم - " ^(١٠) .

(١) كانت قديماً على ضفتي نهر كيدنوس وكانت وقتئذ عند مصب النهر مرفأً ترد اليه بضائع كثيرة غير أن ذلك النهر تغير مجراه لذا تعتبر الآن مدينة ثانوية بالنسبة الى الميناء المجاور ، قاموس الكتاب المقدس ٥٧٥ - ٥٧٦ .

(٢) حياة بولس ف.ب ماير ص١٦ ، قاموس الكتاب المقدس ١٩٦ ، الكنيسة المسيحية في عصر الرسل ٣٢٧ نقلاً عن رسائل الرسل .

(٣) دراسات في الملل والنحل . ١٧ .

(٤) المسيح ، جينبير ٢١٣

(٥) قاموس الكتاب المقدس ١٩٦ ، الكنيسة المسيحية في عصر الرسل ص ٣٢٧ نقلاً عن رسائل الرسل

(٦) قصة الحضارة ١١/٢٤٩

(٧) معجم الحضارات السامية ص ٢٤٥

(٨) دراسات في الملل والنحل ص ١٧

(٩) تحفة الأريب ص ١٠٩

وفي السفر ذاته صرح أنه يهودي فريسي قال : أيها الرجال الأخوة أنا فريسي ابن فريسي على رجاء قيامة الأموات .^(١)

ومن الملاحظ أ، بعض النصارى أنكر يهوديته فمن ذلك قول رينان وغيره : ان بولس هذا لم يكن يهودياً وأنه تظاهر بدخول اليهودية كي يتزوج من بنت رئيس الكهنة واختتن لذلك فلما أبى رئيس الكهنة أن يصاهره دخل في النصرانية ، وادعى أنه رسول المسيح الى النصارى .^(٢)

ورجح ويلز في معالم تاريخ الانسانية أنه يهودي المولد ، وان كان بعض الكتاب اليهود ينكرون ذلك.^(٣)

وهو مع هذا يدعى أنه روماني من ناحية جنسيته فقد ورد في الإصحاح الثاني والعشرين من نفس السفر : " فلما مدوه للسياط قال بولس لقائد المئة الواقف : أيجوز لكم أن تجلدوا انساناً رومانياً غير مقضي عليه . فإذا سمع قائد المئة ذهب الى الأمير وأخبره قائلاً انظر ماذا أنت مززع أن تفعل لأن هذا الرجل روماني ، فجاء الأمير وقال له : قل لي أنت روماني ؟ فقال : نعم .^(٤)

٤ - بيئته ونشأته العلمية والدينية :

قبل الحديث عن نشأته تجدر الإشارة الى البيئة التي نشأ فيها فقد كانت طرسوس مدينة نشطة ، كما كانت حلقة اتصال بين هضبة آسيا الصغرى وبين الشام ، ومفرق الطرق التجارية الهامة التي يرد إليها - بحكم موقعها هذا - في آن واحد من اليونان وإيطاليا والشام وقبرص ، ومصر سبيل لا ينقطع من الأفكار والعقائد والتأثيرات المختلفة .

وحاول ملوك الشام وخاصة انطاكيوس (سنة ١٧١ ق.م) أن يصبغوها بالصبغة الإغريقية غير أنها بقيت أساساً مدينة شرقية . وذلك على الأقل في مجال المعتقدات السائدة ، وان انتشرت فيها المدارس اليونانية وقام بين رحابها ما يشبه ما نسميه اليوم بالجامعة .

(١) أعمال الرسل ٢٣ : ٦

(٢) دعوة التوحيد عرفة سالم ، وانظر دائرة المعارف للبيستاني ٦٩٩/٥

(٣) معالم تاريخ الانسانية ٣/٧٠٥

ويقول الجغرافي (سترابون) الذي كان معاصراً لبولس عن تلك الجامعة : انها كانت سبباً لشهرة المدينة في العالم اليوناني والروماني ، وكانت تنافس مدارس أثينا والاسكندرية وعلى الأخص فيما يتعلق بالدراسات الفلسفية .

وكان أساتذة هذه الدراسات ينتمون الى المذهب الرواقي ، وراحوا ينشرون مبادئه على نطاق واسع في شبه حملة تبشيرية ذات طابع شعبي يتفق مع طرق تفكير الجماهير . وهذا ما يفسر - كما سنرى فيما بعد - معرفة بولس للمبادئ الأولى للفلسفة الرواقية وللوسائل الشائعة في الأساليب الخطابية لدى المفكرين اليونانيين على حد تعبير الكاتب النصراني شارل جينيير . وهو يرجح أن بولس لم يكن من رواد جامعة طرسوس ولا من دارسي الفلسفة الرواقية ، ولكن كفاه أنه عاش سني شبابه في الوسط الذي تشبّع بالتراث اليوناني على أيدي أساتذة الفلسفة الذين جمعوا بين التفكير الفلسفي والأسلوب الخطابي ليتشبع بتلك الأفكار .^(١) لكن انتقلت إليه بعض المبادئ الدينية والأخلاقية الرواقية من بيئة طرسوس ، ويؤكد هذا المعنى د . هنتر Hunter أن بولس استخدم في رسائله كلمات ومفردات رواقية .

ويرى صاحب قصة الحضارة أن بولس لم يتلق تعليماً رواقياً ولم يدرس الكتب اليونانية لأن الفريسيين لم يكونوا يسمحون بأن يتأدب أبناؤهم بهذا الأدب اليوناني الخالص . ولو أن كاتب الرسائل - يعني بولس - درس اليونانية لما كتبها بهذا الأسلوب اليوناني الركيك . على أنه عرف كيف يتحدث بهذه اللغة بطلاقة تمكنه من أن يخاطب المستمعين له من الأثينيين ، وأن يشير أحياناً الى بعض الفقرات الموجودة في الأدب اليوناني .^(٢)

أما عن الحياة الدينية في تلك الفترة فقد أشرنا الى جانب من وضع منطقة البحر المتوسط عند الحديث عن البيئة الدينية وقت مبعث المسيح عليه السلام .^(٣)

أما عن الوضع الديني في المنطقة المحيطة بطرسوس - من بحر ايجه غرب آسيا الصغرى قديماً ، (تركيا حديثاً) وشرقاً حتى بلاد ما بين النهرين - فنلاحظ كثرة تعدد الآلهة وظهورها في صورة بشرية تبرز تجسدها في تلك الصورة ، وهي ظاهرة معروفة لدى اليونانيين والرومانيين ، وأهم الآلهة

(١) المسيحية جينيير ص ٨٨ ، بولس وتأثيره في المسيحية ١٤ ، ١٥

(٢) قصة الحضارة ١١/٢٤٦ ، بولس وتأثيره ص ١٥

(٣) انظر الفصل الأول من الباب الأول من هذه الرسالة .

التي كانت موجودة : أتيس في بلاد الفريجيين — تطلق على مقاطعة في غرب آسيا — وأدونيس في الشام ، وتموز ما بين النهرين ، واوزريس في مصر ، وميثرا في فارس .

وطبعي أن يتبادر الى الذهن عدة أسئلة بخصوص نشأة هذه الآلهة وتطورها ، ويلخص شارل جينبير الوضع أن تلك البيئة شاع فيها فكرة موت الآلهة ثم بعثها في زمن معين ^(١)، واقترنت تلك الآلهة بالآلهة أم تتمثل في الأرض أو الطبيعة الخصبة ، وعادة ما ترسم لها صورة جميلة تنم عن الطهارة والحنان والمحبة والبراءة .

ويجمع بين تلك الآلهة عامل مشترك فالأساطير تقتضي موتهم في مواسم معينة من السنة ثم بعثهم في مواسم أخرى وبالتالي يستثيرون عواطف المؤمنين بهم من الحزن الى الفرح ^(٢)، ولا شك أن هذه المسألة سوف تفيدنا كثيراً في بحثنا هذا فيما بعد .

أما عن العلاقة بين الآلهة والانسان فيشرحها جينبير بقوله : يتعذب الآلهة تماماً كما يتعذب الانسان ثم يموت كما يموت الانسان ولكنه يتغلب على العذاب وعلى الموت إذ يبعث من جديد وأتباعه يمثلون رمزاً ويجددون كل عام بشكل ما مأساة حياته على الأرض .

ونقل إلينا جوستين وهو أحد المدافعين عن النصرانية في القرن الثاني الميلادي أن أسرار ميثرا احتوت على نوع من الشعائر بغرض تقديم كأس من الشراب وقطعة خبز الى المؤمن مع النطق ببعض العبارات المعروفة آنذاك ^(٣).

ويشير جينبير الى أن مآدبة القربان لا تعني فقط الجلوس وإنما تذهب في رمزيها الى أبعد من ذلك ، إنها تعني بالنسبة الى المؤمنين طعامهم الآلهة نفسه وتشربهم بجوهره المنجي ^(٤).

هذه بإختصار نبذة موجزة عن الحياة الدينية في المناطق حول طرسوس ، أمّا عن طرسوس نفسها ومدى تأثرها بالمعتقدات السائدة مما حولها فينقل الدكتور (هـ . تشيس) إن طرسوس

(١) المسيحية جينبير ٩٣

(٢) ر . عبقرية المسيح ٦٧ ، وفصل العقائد الشرقية ص ٣١٧ .

(٣) ر . المسيحية جينبير ٩٤ ، ٩٩

(٤) ر . المسيحية جينبير ٩٩

كانت مركزاً لعبادة إله الزراعة ساندان الذي شابه الأديان الخفية تماماً قرنه أهل اليونان بهرقل ، وكان يقام في طرسوس مهرجان سنوي لتكريم ساندان حيث يبلغ الإحتفال ذروته عند التظاهر بإحراق تمثال هذا الاله .

وكانت فكرة بعثه الى حياة جديدة هي محتوى هذا الطقس الديني ، مما يوحي على الفور بصلة قرابته مع عبادة أدونيس بالشام وأتيس في تركيا واوزريس في مصر وتمور في بابل حيث تشترك الآلهة جميعاً في معنى واحد هو الموت ثم القيامة منه .^(١)

وهكذا نلاحظ أن المعتقدات الوثنية كانت فعلاً موجودة في طرسوس وهي تشبه غيرها من المعتقدات الموجودة في اجزاء الامبراطورية .

وكما ذكرنا آنفاً أن موقع طرسوس الاستراتيجي بالإضافة الى العلاقات التجارية مع المناطق الأخرى كل ذلك جعل تبادل التيارات الفكرية والدينية يتم بكل سهولة ، والتاريخ يحوي كثيراً من الأمثلة على تبادل هذه التيارات والمعتقدات وهو ما ستعرض له عند حديثنا عن بولس وما نادى به من عقائد وشعائر ومدى ارتباطها بما كان سائداً في مدينته وما جاورها من معتقدات .

ولما بسطت روما سلطتها على منطقة الشام أصبح اليهود من رعايا الامبراطورية الرومانية ، ووقعت مدينة طرسوس في حوزة روما فمنحت لبعض سكانها حقوق المواطنة الرومانية وكان والد بولس ممن نالوا هذه المواطنة .^(٢)

وبناءً على هذا يمكن القول بأن بولس يهودي الديانة ، يوناني الثقافة وله حقوق المواطن الروماني لما سبق ذكره .

وقد أثرت هذه العناصر الثلاثة في تكوينه الفكري والثقافي كما سيتضح ذلك من خلال عرض نشأته .

وفيما يتعلق بنشأته يقول ف.ب ماير : إن بولس بدأ في الخامسة من عمره يقرأ الكتاب المقدس - أي التوراة - وفي السادسة من عمره أرسل الى مدرسة أقرب معلم ، وفي العاشرة تعلم الناموس الشفوي وفي الثالثة عشرة صار أباً للناموس . بموجب طقس معين .^(٣)

(١) بولس وتأثيره في المسيحية ، ص ٢٢٥

(٢) ر . رسائل الرسل ،

(٣) حياة بولس ص ٢٢

ويرى صاحب كتاب تاريخ المسيحية أنه فكر في إعداد نفسه لكي ينخرط في سلك فقهاء الشريعة يوم انتقل من بلدته ليدرس تحت اشراف غملائيل^(١)، في حين يرى صاحب قصة الديانات أن نفسه كانت تهفو لكي يصبح ملاحاً - فقد كان يقضي معظم وقته على ساحل طرسوس يرقب السفن وهي تأتي من البحر المتوسط - ولكن أباه كان يرغب لإبنه أن يصبح حاخاماً^(٢).

وبعد ان تعلم حرفة صنع الخيام ، وتلقى العلم في المجمع الديني القائم في المدينة ، ثم أرسله أبوه الى أورشليم ، وهناك كما يقول بولس عن نفسه أنه تعلم عند رجلي غملائيل على تحقيق الناموس الأبوي الدقيق^(٣)، في الثانية عشر أو الثالثة عشرة من عمره^(٤).

وقد خلف غملائيل بولس في رئاسة السنهدين ، وواصل السنة القديمة سنة تفسير الناموس، ولقبه اليهود بما لم يلقب به إلا ستة رجال من بعده وهو (الربان) أي (سيدنا)^(٥). وكان متطرفاً في ولائه للفرقة الفريسية^(٦).

وعن هذا يقول صاحب قصة الحضارة - تعليقاً - : إن بولس استفاد كثيراً من استاذه ، فكان مجادلاً سوفسطائياً ، ذا فلسفة دينية وأخلاقية لا يتعد كثيراً عن الرواقية التي كانت بيئتها في طرسوس نفسها ، ولكنه مع ذلك كان يتهاون في تعليم الناموس بما يتلاءم مع ضعف النفس البشرية بما يجعل تعاليم اليهودية من الكتاب المقدس سهلة متسامحة بعض الشيء ، وتلك كانت طريقة أستاذه غملائيل فقد كان يفسر الناموس تفسيراً ألياً كما كان جديلاً بارعاً^(٧).

(١) تاريخ المسيحية ، ٤٠/١

(٢) قصة الديانات ٤٣٥ ، ٤٣٦

(٣) أعمال الرسل ٢٢ : ٣

(٤) معجم الحضارات ص ٢٤٥

(٥) قصة الحضارة ، ١١ / ٢٥٠ .

(٦) تاريخ المسيحية ٤٠/١

(٧) قصة الحضارة ١١/٢٥٠ بتصرف .

ويرى بعض المؤرخين رأياً آخر في نشأة بولس العلمية وهو أنه تعلم في مجمع مدينته مستبعدين أن يكون من تلاميذ كهنة فلسطين لأنه قد وصل به الحال الى أنه تجاهل وأنكر أساتذته في طور من أطوار حياته .

ويرى أصحاب هذا الإتجاه أنه قد أحسن التعبير عن الروح اليهودية التي كانت تسود - كما بدا لهم - معابد المهجر المتأثرة بالفكر اليوناني ، كما يغلب على ظنهم أنه تلقى فعلاً العلوم الخاصة بأصول اليهودية وأتى عليها ، وتدرج في الدراسات الدينية الى أبعد حدودها ، ولكن في غير القدس من المدن فلم تكن فلسطين هي الموطن الوحيد للعلماء اليهود ، فمنهم من كان يقيم أيضاً في الاسكندرية كما أن منهم من كان يقيم في أنطاكية ، والدلائل عند هذا الفريق من الباحثين تشير الى أن بولس قد أكمل دراسته بهذه المدينة الأخيرة .

ويستند هذا الفريق في رأيه الى ما تغلب على ظنهم من أن بولس كان يعتمد على الترجمة اليونانية للتوراة وهي المسماة بالسبعينية^(١) ، وذلك يدعوهم الى الاعتقاد بأن بولس لم يدرس النصوص المقدسة في مدينة القدس ، وإنما كانت دراسته لها في إحدى المدارس اليهودية في المهجر وعلى الأخص في أنطاكية والتي لا تبعد عن طرسوس كثيراً ، فقد كانت المركز الفكري الأكبر لآسيا الصغرى اليونانية ، كما كانت ميدان التلاقي والتجمع لأصحاب المذاهب والمعتقدات المتشابهة والمختلفة .

ويعلق الدكتور محمد أبو الغيط الفرت على الرأيين السابقين فيقول : لعله يكون من المستطاع أن نجتمع بين الاتجاهين بقولنا : إن بولس لما فرغ من تعليمه الديني في مجمع مدينته - طرسوس - أرسله أبوه الى أورشليم ليتم تعليمه في جامعها الدينية ، وبعبارة أخرى في مجمعها الديني طلباً لأصول الدين اليهودي ثم أكمل دراسته في أنطاكية .^(٢)

ونضيف الى ذلك أن اقتصار بولس على ذكر تلمذته لغمالاتيل لا يقوم دليلاً على أنه لم يتعلم في أورشليم كما ذكر شارل جينير ، فرمما اقتصر على ذكر أهم أساتذته الذين استفاد منهم ، وتلقى العلم على أيديهم .

(١) السبعينية هي الترجمة اليونانية للعهد القديم وقد تمت في حدود سنة ٢٨٢ ق.م وكان يهود المهجر يعتبرون النص السبعيني

منزلاً تماماً كالنص العبري ، المسيحية نشأتها وتطورها ص ١٠٨

(٢) دعوة التوحيد ، عرفة سالم ص ٢٤٦

وتمتع بولس بصفات خلقية لعبت دوراً متميزاً ومهماً خصوصاً بعد تنصره ، ولا شك أنه اكتسب أيضاً بعض الصفات المهمة من خلال البيئة التي عاش فيها سنوات طفولته وشبابه .

يقول ديورانت : أما عقله فكان من طراز شائع بين كثير من اليهود ، فيه من نفاذ البصيرة وشدة الانفعال أكثر مما فيه من الدمثة ... وفيه من الإحساس القوي والخيال أكثر مما فيه من نزاهة الحكم والنظرة الموضوعية للأشياء .^(١)

أما جينيير فيرى أن بولس تميز بصفات كانت من أسباب نجاحه فيما بعد : الروح الحماسية الوثابة والمنطق المدرب على المناقشة وعزيمة لا تقهر .^(٢)

وقد ذكر الشيخ أبو زهرة بعضاً من الصفات الهامة .^(٣) ونقل جينيير أنه لم يكن يتمتع بصحة جيدة ولعل من تأثيرات مرضه أنه كان عصبياً حساساً بما أثر على كتاباته وأسلوبه وعلى تحجر فكره أحياناً .^(٤)

وفي رأبي أن هذه الصفات لا بد أن نضعها نصب أعيننا فيما بعد عند الحديث عن العقائد التي نادى بها ، حيث تفسر لنا الكثير من الأمور الغامضة والتي تظهر منذ بدء تنصره الى قيامه بدعوته ووفاته .

وسنشير إليها في حينها لبيان مدى علاقتها بهذه الصفات .

٥ - موقفه في يهوديته من النصارى :-

كان بولس قبل تنصره يهودياً فخوراً بشعبه وفريسياً مثالياً^(٥)، وعدواً لدوداً للكنيسة الناشئة .^(٦)

(١) قصة الحضارة، ١١، ٢٥١/

(٢) المسيحية ، جينيير ، ٩٠ .

(٣) محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة ، ٨٦ - ٩٠ ط ٤ ، ١٤٠٤ .

(٤) المسيح ، جينيير ٢٠٨ .

(٥) ر . رسالته الى أهل فيليبي ٣ - ٥ .

(٦) ر . رسالته الى أهل غلاطية ١ : ١٣ - ١٤ .

وقد اشتهر بتعصبه ليهوديته، وينسب إليه سفر أعمال الرسل دوراً رئيسياً في اضطهاد النصارى، وأنه كان عدواً حانقاً على تلاميذ المسيح وحوارييه المؤمنين به الذين كانوا في نظر اليهود المتعصبين يحدثون حرقاً في صفوف الجماعة اليهودية^(١)، وكان شغله الشاغل نيلهم بالأذى والاضطهاد والإبادة .

ويذكر صاحب الموسوعة النقدية أنه قد عارض النصرانية رغم أن تعاليم أستاذه - غملائيل - كانت تطالب برفع القيود عن رسل المسيح والكف عن اضطهادهم^(٢)، وربما كان موقفه العدائي من رسل المسيح دليلاً على شدة غيرته على الناموس اليهودي وهو الشأن بالنسبة لكثير من الفريسيين، فقد ورد عنه في رسالته الى أهل غلاطية: " وكنت أتقدم في الديانة اليهودية على كثير من أترابي في جنسي إذ كنت أوفر غيرة في تقليدات آبائي " ^(٣).

ثم إن أول إشارة لاسم شاول في سفر أعمال الرسل جاءت في الإصحاح السابع عند ذكر مقتل "استفانوس"، الذي رجمه اليهود بعد اتهامه بالتجديف على موسى والناموس .
ففي سفر الأعمال: " فلما سمعوا هذا حنقوا بقلوبهم وصرّوا بأسنانهم عليه وأخرجوا خارج المدينة ورموه . والشهود خلعوا ثيابهم عند رجلي شاب يقال له " شاول " فكانوا يرمون إستفانوس وكان شاول راضياً بقتله ."^(٤)

وأما شاول فكان يسطو على الكنيسة وهو يدخل البيوت ، ويجرّ رجالاً ونساءً ويسلمهم الى السجن.^(٥)

أخذ بولس يضطهد النصارى، وحصل من السنهدين على السماح له بالبحث عنهم في كل أرجاء سورية ، وهو ما تؤيده النقول السابقة من أنه أخذ السلطان من قبل رؤساء الكهنة .

(١) مختصر دراسة للتاريخ ٣٧٥

(٢) الموسوعة النقدية ص ٧٤

(٣) ١ : ١٣ - ١٤

(٤) أعمال ٧ : ٥٤ - ٦٠

(٥) أعمال الرسل ٨ : ١ - ٣ ، و ر . ٩ : ١ - ٢ ، ٢٢ : ٣ - ٥ ، ٢٦ : ٩ - ١٩ ، وغلاطية ١ : ١٣ - ١٤

ولكن ماكوبي في كتابه صانع الأسطورة بولس واختراع النصرانية عند الحديث عن مشكلة بولس يقول قولاً يشكك في طبيعة العلاقة بين بولس ورئيس الكهنة . يقول : " لكن أي شخص له دراية بالوضع الديني والسياسي في منطقة اليهودية في ذلك الوقت ليشعر بوجود مشكلة هامة هنا ، ذلك أن رئيس الكهنة لم يكن فريسيًا ولكنه كان صدوقيًا ، وكان للصدوقيين عداوة مريرة مع الفريسيين .

كيف يمكن لشاول بزعم أنه فريسي غير (فريسي ابن فريسي) أن يعمل هكذا . تمتهى الود مع رئيس الكهنة ؟

إن الصورة التي اعطيت لنا من مصادر عهدنا الجديد عن شاول والخاصة بحياته مثل تحوله الى خدمة يسوع إنما هي متناقضة ومشكوك فيها . وما نسمعه ثانية عن شاول في الإصحاح التاسع أنه كان ينفث تهديدًا وقتلاً على تلاميذ الرب فتقدم الى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل الى الجماعات اليهودية بدمشق ليفوضه إذا وجد أناساً رجالاً ونساءً من الذين تبعوا الطريق الجديد أن يسوقهم موثقين الى اورشليم .

إن هذا الحادث مليء بالألغاز !!! إذا كان لشاول مثل هذه القوة في السطو على الكنيسة اليهودية فلماذا جاءتته فكرة الذهاب الى دمشق للسطو على الكنيسة هناك ؟! ماذا كانت الضرورة الملحة لزيارة دمشق ؟ وبجانب هذا ماهي نوعية السلطة القضائية التي كانت لرئيس الكهنة على مدينة غير يهودية مثل دمشق ، والتي تمكنه من إعطاء أوامر بالقبض وتسليم مجرمين في تلك المدينة ؟ وفوق هذا يوجد شيء محير تماماً في وصف العلاقة بين شاول ورئيس الكهنة كما لو كان شاول مواطناً غير حكومي يريد أن يكون القبض على المواطنين وفقاً لخطة من تدبيره ، وهو يفتح رئيس الكهنة بطلب السلطة بذلك .

ثم يقول ماكوبي بعد هذا التشكيك في دور بولس في اضطهاد النصارى : من المؤكد أنه كانت هناك صلة رسمية معينة بين رئيس الكهنة وشاول ويبدو أكثر احتمالاً أن الخطة كانت من صنع رئيس الكهنة ولم تكن من صنع شاول ، وأن شاول كان عميلاً أو جاسوساً سريراً لرئيس الكهنة .^(١)

هذا ما يؤكده ابن حزم في كتابه " الفصل " حيث يقول : " وفيما سمعنا علماءهم يذكرونه ولا يتناكرونه معنى أن أحبارهم الذين أخذوا عنهم دينهم والتوراة وكتب الأنبياء عليهم السلام اتفقوا على أن رشوا بولس البنياميني لعنه الله وأمروه بإظهار دين عيسى ~~الذي~~ وأن يضل أتباعه ويدخلهم إلى القول بالإلهية وقالوا له نحن نتحمل إثمك في هذا ففعل وبلغ من ذلك حيث قد ظهر " .^(٢)

(١) اختلافات في تراجم الكتاب المقدس ص ١٠١ نقلاً عن هيام اكوبي ص ٧ ، ٨

(٢) الفصل ، ١ / ٣٢٥ .

هذا هو موقف بولس من النصارى قبل أن ينتقل الى النصرانية وهو موقف الاضطهاد الشديد

لهم .

٦ - اعتناق بولس النصرانية

فجأة تغير بولس من ألد أعداء النصرانية الى رسول من أهم رسلها ودعاتها الكبار الغيورين، فكان لا يبالي في سبيل نشرها بما يبذله من جهود مضية حتى فاق أولئك الذي سبقوه في الدعوة الى النصرانية .

فبعد رحيل المسيح ببضع سنوات أعلن بولس فجأة أنه قد أصبح رسولاً للمسيح. أثر حادثة وقعت له على طريق الذهاب الى دمشق كما سيأتي ، ولا يتحدث عنها هو إلا تلميحاً ولكن كتاب "أعمال الرسل" يبسطها في عدة مواضع بطرق مختلفة بعض الشيء .^(١)

وكان السبب المباشر لهذه الحادثة التي انتهت بدخوله في النصرانية رؤية رأى فيها عيسى يلومه على اضطهاد أتباعه ، فوجد فيها برهاناً على خطئه في حق عيسى عليه السلام، واعتقد منذ ذلك الحين أن الشخص الذي كان يعتبره دجالاً يتمتع في الحقيقة بتأييد الهي ، ويحتل لدى الأب السماوي مكانة رفيعة . وهكذا جعلت هذه الرؤية من المضطهد تلميذاً ، ومن الفريسي ابن الفريسي رسول الأمم على حد تعبيره .^(٢)

ولسنا نعرف تاريخ هذه الحادثة التي غيرت مجرى حياته تغيراً جذرياً - معرفة دقيقة - فبعض المؤرخين يرجح أنها سنة ٣٠ وبعضهم سنة ٣٨ وآخرون يضعونها بين هاتين السنتين.^(٣)

ولقد ذكر سفر أعمال الرسل قصة تحول بولس الى النصرانية في ثلاثة مواضع أحدهما على لسان لوقا - في أعمال الرسل - في الإصحاح التاسع ، والثاني والثالث أوردهما - لوقا - على لسان بولس في الإصحاحين الثاني والعشرين والسادس والعشرين .
والمواضع الثلاثة مجمعة على أن بولس - وهو في طريقه الى دمشق مقتفياً أثر النصارى للقبض عليهم - ظهر له المسيح وحمله الرسالة أو وعده بها - حسب قوله -

(١) ٩، ٢٢، ٢٦

(٢) الشريفي ٨، ٩، حياة بولس ، مرقس داود ص ٩١ .

(٣) ر . المسيح جينير ٢٠٦ وانظر قاموس اكسفورد ٣٨٥ ، بولس وتأثيره ٣٠ . وهذا لا يتفق مع تاريخ الميلاد الذي ذكره

لبولس ، فإذا كان من مواليد عام ١٥ ب.م يكون عمره أيام اضطهاده النصارى خمس عشرة سنة من عمره ، فكيف يقوى صبي

يقول لوقا في الاصحاح التاسع: " وفي ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق فبغتة أبرق حوله نور من السماء ، فسقط على الأرض وسمع صوتاً قائلاً له : شاول شاول لماذا تضطهدني ؟ فقال من أنت يا سيد فقال الرب أنا يسوع الذي أنت تضطهده صعبٌ عليك أن ترفُسَ مناخِسَ (١) . فقال وهو مرتعد ومتحير : يارب ماذا تريد أن أفعل ؟ فقال له الرب ، قم وادخل المدينة ، فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل . وأما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون أحداً ، فنهض شاول عن الأرض وكان وهو مفتوح العينين ، ولا يبصر أحداً ، فاقتادوه بيده وأدخلوه إلى دمشق . وكان ثلاثة أيام لا يبصر فلم يأكل ولم يشرب . (٢)

وفي الاصحاح الثاني والعشرين ذكر لوقا قول بولس : " فحدث لي وأنا ذاهب ومقرب إلى دمشق ، أنه نحو نصف النهار بغتة أبرق حولي من السماء نور عظيم ، فسقطتُ على الأرض ، وسمعت صوتاً قائلاً لي : شاول شاول لماذا تضطهدني ؟ فأجبت من أنت ياسيد ؟ فقال لي : أنا يسوع الناصري الذي أنت تضطهده . والذين كانوا معي نظروا النور وارتعبوا ، ولكنهم لم يسمعوا صوت الذي كلمني . فقلت ماذا أفعل يارب ؟ فقال لي الرب قم واذهب إلى دمشق وهناك يقال لك عن جميع ما ترتب لك أن تفعل . إذا كنت لا أبصر من أجل بهاء ذلك النور ، اقتادني بيدي الذين كانوا معي فجئت إلى دمشق " . (٣)

أما في الإصحاح السادس والعشرين فقد ذكر لوقا على لسان بولس قوله : " ولما كنت ذاهباً في ذلك إلى دمشق بسُلطان ووصية من رؤساء الكهنة ، رأيت في نصف النهار في الطريق أيها الملك نور من السماء أفضل من لمعان الشمس قد أبرق حولي وحول الذاهبين معي . فلما سقطنا جميعاً على الأرض سمعت صوتاً يكلمني ويقول باللغة العبرانية ، شاول شاول لماذا تضطهدني ؟ صعب عليك أن ترفس مناخس . فقلت أنا من أنت ياسيد ؟ فقال أنا يسوع الذي تضطهده ، ولكن قم وقف على رجلك لأنني لهذا ظهرت لك ، لأنتخبك خادماً وشاهداً بما رأيت ، وبما سأظهر لك به ، منقاداً إياك من الشعب ومن الأمم الذين أنا الآن أرسلك إليهم ، لتفتح عيونهم كي

(١) ترفس : تضرب برجلك إلى الوراء ، ومناخس جمع منخس ، قضيب طويل في رأسه مسمار ، ينخس به الحيوان لتسرع في

السير ، والمعنى أن لا فائدة من معاندة كلمة الرب ، وهو شبيه بالمثل الحالي ، العين التي تضرب المحرز تفقاً العين . معجم الألفاظ

العسرة في الكتاب المقدس تأليف موريس جدعون ، حنا حلو ، غسان خلف ، ص ٣٢ و ١١٨ .

(٢) أعمال الرسل ٩ : ٣ - ٩

(٣) أعمال الرسل ٢٢ : ٦ - ١١

يرجعوا من ظلمات إلى نور ، ومن سلطان الشيطان إلى الله ، حتى ينالوا بالإيمان بي غفران الخطايا ونصيياً من المقدسين " (١).

وقد ناقش العلماء تضارب النصوص المختلفة في رواية هذه الحادثة وكيفية حدوثها مما لا مجال للإطالة بذكره .

ونظراً لأهمية ما يزعمه بولس من رؤية المسيح فمن المفيد أن نسلط الضوء على بعض أقوال رجال الدين النصراني المتخصصين في هذا الشأن بحيث نتناول المسألة من زاويتين . تناقض الروايات في حادثة تحول بولس للنصرانية ، وأسباب تنصره .

أما عن تناقض الروايات الأربع الإجمالي (٢) فقد حاول بعض العلماء التوفيق بين تعارض الروايات والموازنة بينها حيث ادعوا أن لوقا - مؤلف سفر الأعمال حسب افتراض علمائهم - حصل على الروايات الثلاث من مصادر مختلفة : بولس نفسه ، والكنيسة في القدس والكنيسة في انطاكيا ، ولذا توجد بعض الاختلافات بسبب النقل الشفهي ، ولا تعارض بين الروايات .

أما الرأي الثاني فلا يعترف بما ورد في سفر الأعمال نظراً للتناقض الواضح بين الروايات ، واعتبروا شهادة بولس لنفسه في رسائله هي الأصل .

ولكن كما يقول وهيب البكري : إن الرأيين لم يتعرضا لجوهر الموضوع وأساسه وهو مدى شرعية رسالة بولس وهل أصبح رسول الأمم فعلاً بعد هذه الحادثة (٣) . وهو تناقض واضح فكيف يتم اثبات مسألة رسولية بولس إذا لم يثبت بالسند الصحيح تاريخياً وقوع هذه الحادثة فعلاً .

ولعلنا عندما ناقش أسباب تنصره في الفقرة التالية نلقي الضوء على بعض الأسباب التي تجعل أمثال هؤلاء الباحثين يناقض بعضهم بعضاً .

٧- أسباب تنصره :

هنا أيضاً نجد اختلاف رجال الدين النصارى والباحثين حول أسباب تحول بولس من اليهودية الى النصرانية .

(١) أعمال الرسل ٢٦ : ١٢ - ١٨

(٢) ر . التفصيل في هذه التناقضات : الاختلاف والاتفاق عوض ٣٨ ، بولس وتأثيره ٣٣

(٣) ر . بولس وتأثيره ٣٣ ، ٣٤ .

وسنعرض هنا ثلاثة آراء رئيسية :

الرأي الأول : يقول أصحابه إن عملية تنصّر بولس كانت بسبب "معجزة" إلهية مجتة بدون مقدمات .

وبالتالي هم يُعارضون القول بالمؤثرات النفسية والعُضوية التي تقول أنه كان يعاني من :
شوكة في الجسد ، أو ضعف الرؤيا ، و أمراض أخرى .
وهناك من قال إنه كان يُعاني من الصرع .^(١)

الرأي الثاني : ويقول أصحابه أن هذا التّغيير الكامل الذي تم لبولس لا بد وأن يكون على أثر استعداد نفسي سابق، وأنه لا بد وأن يكون هناك شيء ما في حياة بولس الأولى جعله يتحول هذا التحول الكبير .^(٢)

ويدخل تحت هذا الرأي التفسيرات التالية :

- أ - أنه لم يستطع أن يتحمل عبء الشريعة التي أثقلت كاهله .
- ب - أنه من خلال اضطهاده السابق لتلاميذ المسيح تأثر بهم وبدعوتهم .
- ج - أنه بسبب مشاكل عاطفية وفشل محاولاته في الزواج .

ويضرب الى هذا جينبير خصائص شخصيته المتقلبة والنازعة الى التهيؤات الصوفية ، ثم التأثيرات التي تراكمت في أعماق اللاشعور لديه من تأثيرات أسرار طرسوس وأنطاكية ، التي عودته على فكرة المنقذ ، اضافة الى تأثيرات أساتذته من اليهود .

ولعل محاولاته مع من كان يدعوهم لليهودية وإجاباتهم الغير مقنعة - على خلاف ما كان يجده من النصرى من القوة والثبات والتي كانت تمثل اجابات شافية لتساؤلاته - لعل كل هذا جعل من بولس مسيحياً بالاستعداد ، وداعياً إليها - فيما بعد - بالإرادة المطلقة ، حيث أيقن أنه أبصر المسيح وتلقى منه ما تلقى من كلمات ، واختص منه بالتحريف الأعظم أن يكون من الرسل .^(٣)

(١) ر . بولس وتأثيره في المسيحية ٣٦ .

(٢) بولس وتأثيره في المسيحية ٣٧ ، سيرة بولس ، حبيب سعيد ٢٥

(٣) المسيح جينبير ١٢٤ - ١٢٦ ، ٢٥٩

ومثل هذا الرأي رأى أيضاً " سيجمون فرويد " ^(١) العالم النفساني إذ يقول : " إن بولس قد التمس الإحساس بالذنب المتأصل في نفسه وفي الشعب اليهودي فبنى عليه مذهباً انفصل به عن الديانة اليهودية . وقد نجح في تجاوز هذا الإحساس عندما فقد وعيه من شدة الحر ومشقة السفر ، ورأى رؤيا في طريقه إلى دمشق . ^(٢)

الرأي الثالث : يتزعم هذا الرأي رينان الذي فسر ما رآه بولس بـ " ضربة شمس " أدت إلى " هلوسة " . ^(٣)

وزاد على ذلك أحد الباحثين الذي فسر تنصر بولس بأنه خليط من جميع ما أوردناه في الرأي الثاني بالإضافة إلى ضربة شمس جعلته " يتخيل " الأشياء وكأنها ظواهر طبيعية خارجية . ^(٤)

ونلاحظ على جميع هذه الآراء أن أصحابها يفترضون وقوع هذه الحادثة فعلاً ، وبالتالي فإن التفسيرات السابقة لرؤياه بأنها معجزة إلهية ، أو نتيجة عوامل نفسية ، أو غير ذلك مبنية على صحة ما أورده لوقا في سفر الأعمال تاريخياً ، على الرغم من اختلافهم حول ما يقوله عن رؤيته تلك . والحقيقة أن ما أراه سبباً في هذه " الحيرة " والتخبط بين الآراء يعود إلى نقطة غاية في الأهمية وهي :

إنهم - حسب ما هو متوفر لديهم من معلومات - يرون تناقضاً واضحاً بين سفر أعمال الرسل ورسائل بولس ، وهذا التناقض يشمل الناحية التاريخية والمنطقية بالإضافة إلى عدم وجود وثائق تؤيد ما يزعمه لوقا في سفر الأعمال أو بولس في رسائله . هذا من جهة . ومن جهة أخرى فإن كونهم أمام نتائج عملية لما قام به بولس من نشاط واضح ونجاح ملموس ، يرون أنه لولا صحة إيمان بولس ورسوخ إعتقاده - حسب تصورهم - لما واجهت دعوته هذا الإقبال الواسع الإنتشار .

وبالتالي أصبح التناقض بين ما هو " مكتوب " وبين نتائج العمل " الموجود " يضع الباحثين في " حيرة " يميلون بعدها إلى الواقع العملي . ^(٥)

(١) فرويد ١٨٥٦ - ١٩٣٩ م) طيب فيلسوف نمساوي مؤسس علم التحليل النفساني درس أهمية الدوافع والعواطف

اللاشعورية (المنجد في الأعلام ص ٢٥٦)

(٢) الموسوعة النقدية ٧٦ ، و ر . أقوال أخرى لبعض الباحثين في الفكر اللاهوتي ٢٩ ، ٣٠

(٣) بولس وتأثيره ٣٧

(٤) بولس وتأثيره ص ٣٨ و ر . أيضاً قصة الحضارة ١١/٢٥٢

(٥) بولس وتأثيره ص ٣٩

ومهما يكن من أمر حادثة (طريق دمشق) وهل وقعت فعلاً أو أنها مجرد اختلاق من مؤلف سفر الأعمال ، ومهما يكن من أمر محاولة علماء النصرانية لتفسيرها لدى بولس ، فإننا نرى أن الأمر الأهم هو دراسة ما ترتب على هذه الحادثة الفاصلة وعلى دخوله في المسيحية وما نتج عن تحريفه لها حتى أصبح ما دعا إليه المسيح يناقض تماماً ما دعا إليه بولس كأنهما ديانتان مختلفتان في كل أمر من أمور الديانة وأصولها وقواعدها وكلياتها وجزئياتها .

وهذه النتيجة الحاسمة هي عين ما صرح به بولس نفسه في رسالته إلى أهل غلاطية ، حيث يقول إن تلاميذ المسيح المعترين في القدس لم يثيروا عليه بشيء ، ولم يزودوه بشيء من إنجيل عيسى العليه السلام الذي تركه لهم ، ويزعم أنهم أقروه على إنجيله الذي يبشر به .^(١)

٨- بولس بعد تنصره وقبل لقائه بالتلاميذ : -

قد أسلفنا أن بولس كان يهودياً متشدداً ، ثم زعم أنه قد آمن بعيسى العليه السلام وقد كان إيمانه يقتضي منه أن يقضي أطول وقت ممكن - بعد هذا التحول العقدي والفكري - في صحبة تلاميذه المسيح العليه السلام وحواريه الذين تلقوا التعاليم منه ، والذين كانوا آنذاك أكبر علماء الدين المسيحي^(٢)

ولكن أقواله تؤكد أنه بقي فترة لا تقل عن ثلاث سنوات تفصلها عن قدومه إلى كنيسة أنطاكية حوالي سنة ٤١ هـ ذات الأغلبية غير اليهودية ، ولا نعرف عن هذه المدة سوى أمرين اثنين .

الأمر الأول : إن بولس بعد هذا التحول في حياته لم يتجه فوراً إلى أورشليم ، وإنما استقر في جنوب دمشق وقام بعد ثلاث سنوات من حادثة طريق دمشق بزيارة " القدس " فأقام عند بطرس خمسة عشر يوماً ولم ير غيره من الرسل غير يعقوب أخي الرب . ولم يتعلم منهما شيئاً .

والأمر الثاني : أنه شرع في الدعوة بين الأمم بعد ذلك .

(٥) بولس وتأثيره في المسيحية ص ٣٩

(١) ر. غلاطية ٢ : ٧ - ٩ .

وبناء عليه فلا يستبعد أن بولس ادعى تلك الرؤيا وافترها حتى تكون مدعاة ووسيلة لقبول الناس لما سيفتره ويختلقه

من أمور دينية مناقضة لدعوة المسيح عليه السلام وهو ما حدث فعلاً .

(٢) ما هي النصرانية ١٧١

يقول في رسالته إلى غلاطية :

" ولكن لما سر الله الذي أفرزني من بطن أمي ودعاني بنعمته ، أن يعلن ابنه في لأبشر به بين الأمم للوقت لم أستشر لحماً ودماً ، ولا صعدت إلى أورشليم إلى الرسل الذين قبلي بل انطلقت إلى العربية^(١) ، ثم رجعت أيضاً إلى دمشق " . ثم بعد ثلاث سنين صعدت إلى أورشليم لأتعرّف ببطرس فمكثت عنده خمسة عشر يوماً ولكنني لم أر غيره من الرسل إلا يعقوب أخا الرب والذي أكتب به إليكم هو ذا قدام الله أني لست أكذب فيه ، وبعد ذلك جئت إلى أقاليم سورية وكيليكية ولكنني كنت غير معروف بالوجه عند كنائس اليهودية التي في المسيح غير أنهم كانوا يسمعون أن الذي كان يضطهدنا قبلاً يبشر الآن بالإيمان الذي كان قبلاً يتلفه فكانوا يمجّدون الله في .^(٢)

وهكذا يحرص بولس على تأكيد رسالة مهمة : هي استقلاله التام عن تلاميذ عيسى عليه السلام في تعليمه وفي إنجيله ، فهو لم يستشر أحداً منهم ، ولم يأخذ عنهم أي شيء يتعلق برسالته الجديدة أو إنجيله الجديد ، بل ولم يصعد توا بعد أن رأى المسيح وأمره بالتبشير بين الأمم - على حد زعمه - إلى أورشليم ليناقدش تلاميذ المسيح في الأمر ويناقدش معهم أمور الدعوة.

وما ذكره بولس يطرح عدة أسئلة لا جواب عليها ، من هذه الأسئلة :

أ - لماذا مكث ثلاث سنوات دون أن يذهب إلى أورشليم - على فرض صحة روايته - مع أن المنطق كان يقتضي منه أن يسرع بلقاء التلاميذ حتى يزف إليهم خبر رؤياه المسيح وتكليفه بالرسالة الجديدة؟

ب - لماذا اختار بطرس بالذات ؟ ولماذا الإنفراد به وعدم السعي للقاء بقية التلاميذ ؟

ج - ماذا دار من أحاديث ومناقشات في هذه الاجتماعات الإنفرادية المطولة ؟

د - وما هي نتيجة هذه الاجتماعات ؟

(١) ليكن ملحوظاً أن المراد من "العربية" ههنا منطقة جنوبي دمشق ، التي كانت تطلق عليها آنذاك كلمة "العربية" تجوزاً (دائرة

هـ . والسؤال الخطير هو ان بولس صرح أنه لم يتعلم من الحواريين شيئاً فالسؤال الذي يطرح نفسه هو ماهي مصادر معلوماته في دعوته وتعاليمه التي لا شك لم تنب على تعاليم المسيح عليه السلام التي ورثها تلاميذه وأخص حواريه .

ونلاحظ هنا أن كلام بولس قد يعارض ما ذكر في سفر أعمال الرسل على لسان لوقا حيث يدل سياقه بأن بولس ذهب على الفور إلى اورشليم دون انتظار حيث يقول : " ولما وصل شاول إلى اورشليم (بعد حادثة طريق دمشق) هناك . فخافوا منه ، إذ لم يصدقوا أنه صار تلميذاً للرب " (١) .

فهذا قد يتعارض إلا إذا فهمنا أن البعدية في قوله بعد حادثة طريق دمشق بعدية غير مباشرة ، أما إذا فهمت بأنها بعدية مباشرة فهو قد يتعارض كما ذهب إلى هذا الشرقاوي من أن قوله هذا يتعارض مع لوقا .

وتختلف التفسيرات لما ذكره بولس من رحلته إلى العربية بعد حادثة دمشق ، فيرى كاتب المقال في دائرة المعارف البريطانية أن بولس مالبت أن شعر بالحاجة إلى العيش في جو هادئ صامت يتمكن فيه من التفكير في موقفه الجديد فأم مكاناً في جنوبي دمشق .
وكانت القضية الأساسية عنده أن يفسر الشريعة (الناموس) في ضوء تجاربه الحديثة تفسيراً جديداً . (٢) .

ويذهب صاحب كتاب تاريخ المسيحية أنه بقي ثلاث سنوات قبل ذهابه إلى اورشليم ليخلو هناك مع نفسه ومع ربه . (٣) .

أما المؤرخ الشهير " جامس ماك كينون " في كتابه من " المسيح إلى قسطنطين " .
فيقول : إن السبب في ذهابه إلى العربية (نبطية) وكان الغرض المنشود من وراء ذلك - فيما يبدو - من التبشير ، أن يدرس مضمونات عقيدته الجديدة ، ثم ذهب بعد ذلك بثلاثة أعوام إلى اورشليم ، حتى يجتمع ببطرس ، ويعقوب أخي السيد ، للتشاور فيما كان متبعاً في شأن المسيح من التقليد . (٤) .

(١) سفر أعمال الرسل ٩ : ٢٦

(٢) دائرة المعارف ٣٨٩/١٧ مقالة بولس

(٣) تاريخ المسيحية ٤١/١

(٤) يا أهل الكتاب تعالوا ١٧٢

لكن هناك من العلماء من ينظر إلى ما ذكره بولس عن نفسه من حادثة الرؤيا وما يترتب عليها من نتائج ، ينظر إلى ذلك نظرة التشكيك ، ويعلق عليها تعليقات أخرى تدحضها وتشكك فيها وفي نيتها .

يقول تقي العثماني : " ثم إنه إذا كان من المقرر بعثة " رسول ثوري " بعد سيدنا عيسى عن رضا منه ، فلماذا لم يعط سيدنا عيسى عليه السلام إلى ذلك إشارة ، على حين نرى أنه عليه السلام فيما تعتقد النصراني قد أخير بمناسبة عيد الفصح بنزول روح القدس ، رغم أنه لم يكن ذلك حدثاً ثورياً ، ولكنه لم يخبر بمجيء بولس رسولاً " (١) .

ويقول الشيخ أبو زهرة : " إن ذلك ليس له نظير ، وليس له مشابه ، ولم يعهد ذلك في أنبياء ورسول قط . وهذا العهد القديم الذي يؤمن به المسيحيون لم يذكر لنا رسولاً بعث من غير أن يكون في حياته الأولى استعداد لتلقي الوحي ، وصفاء نفس يجعله أهلاً للإلهام ، ولا يجعل الإتهام والتكذيب يغلبان على رسالته . وإذا لم يكن للرسالة إرهابات قبل تلقيها ، لا يكون على الأقل قبلها ما ينافيها ويناقضها " (٢) .

وسوف نرى في السطور القادمة ونحن نناقش موضوع اتصال بولس بالتلاميذ ما يؤكد ما ذهب إليه الكتاب المسلمون في تحليلاتهم .

٩- بولس مع تلاميذ المسيح :

لا يوجد سند للإطلاع على أخبار لقاء بولس بالتلاميذ إلا طريقان : رسائل بولس نفسه ، وسفر أعمال الرسل .

يذكر بولس أنه بعد ثلاث سنوات - من حادثة الرؤيا - سعى للتعرف على بطرس وأنه لم يجتمع بأحد من التلاميذ غيره .

" ثم بعد ثلاث سنين صعدت إلى اورشليم لأتعرف ببطرس فمكثت عنده خمسة عشر يوماً ، ولكنني لم أر غيره من الرسل إلا يعقوب أخا الرب " (٣) .

(١) ماهي النصرانية ، ١٧٣ ، ١٧٤ .

(٢) ر . محاضرات في النصرانية

(٣) أعمال الرسل ٩ : ٢٦ - ٢٨

بينما يذكر سفر الأعمال أن برنابا قد قدمه إلى الرسل وشرح لهم التطورات التي وقعت له وطمأنهم وأزال خوفهم ، حتى أصبح بولس معهم كواحد منهم يدخل معهم ويخرج معهم في أورشليم .

ويذكر سفر الأعمال الرواية قائلاً : " فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل ، وحدثهم كيف أبصر الرب في الطريق ، وأنه كلمه ، وكيف جاهر في دمشق باسم يسوع ، فكان معهم يدخل ويخرج في أورشليم ويجاهر باسم الرب يسوع " .^(١)

ويدل سفر أعمال الرسل على أن بولس وبرنابا كانا مترافقين لمدة طويلة يقومان بالتبشير والتبليغ معاً .^(٢)

أما كيف صدق برنابا بولس فهنا لا بد أن نتذكر بعض صفاته التي تحدثنا عنها من حماسه وقوة اقناعه في قبول برنابا لدعوته .^(٣)

أما عن أفكار بولس في هذه المرحلة خصوصاً مع برنابا وقبل أن يقابل بطرس فلا يعلم بالتحديد كيف كانت وكيف فسر له رؤيته وتبشيره ؟ وماهي أفكاره بعد اجتماعه ببطرس الذي يعتبر من أخطر الاجتماعات في تاريخ النصرانية لا سيما وقد عرفنا بيئته التي نشأ فيها وأساتذته ويهوديته المتعصبة واضطهاده فكيف كانت خلفيته عن المسيح وتعاليمه التي لا يستبعد أن تكون مشوهة .^(٤) بل إن شخصية بطرس تحوم حولها التعليقات والإنتقادات كمصدر في معرفة بولس .

ولاشك أن أفكاره بعد مقابلة بطرس تختلف عما كانت عليه من قبل وللأسف ليس لدينا أي معلومات تاريخية قد تساعدنا على معرفة كيفية تطور أفكاره ومعتقدات بولس^(٥) ، سوى ما ذكره جينيير أن بولس لم يتأثر بعيسى عن طريق المجتمع المسيحي الأول ، وإنما عن طريق

(١) رسالته إلى غلاطية ١:١٨

(٢) ١١ : ٣٠ ، ١٢ : ٢٥ ، والأصحاحات ١٣ ، ١٤ ، ١٥

(٣) انظر ص ١٠٨ .

(٤) ر . الاصحاح الثاني من أعمال الرسل .

(٥) ر . بولس وتأثيره في المسيحية ، ٤٥

التجمعات اليهودية في بلاد الوثنيين والتي كانت أكثر مرونة من عقيدة أهل فلسطين وأكثر اتصالاً
بتيارات التأليف بين الأديان .^(١)

وهكذا نستنتج من أعمال الرسل أن بولس اعتمد اعتماداً كبيراً على تلميذين فقط من
تلاميذ المسيح هما برنابا وبيطرس وأن برنابا لعب دوراً هاماً للغاية في حياة بولس وأنه لولا برنابا لما
عرف بولس.^(٢)

أما بخصوص اتصال بولس ببيطرس فيرى وهيب البكري أن بولس حصل في ذلك
الاجتماع السري على ما كان ينقصه من معلومات تتعلق بالمسيح ~~الكليلاً~~ وهذا هو السبب الذي
جعله يفرد ببيطرس.^(٣)

والسؤال هو :

ماذا عمل الحواريون والتلاميذ تجاه انحراف بولس ؟ ألم يكتبوا شيئاً ولم يدافعوا عن
اعتقادهم وآرائهم ؟ يقول الدكتور "أحمد شليبي" : " الإجابة التي هي يقين لا يحتمل شكاً ، وعلم لا
يحتمل ظناً ، أن هؤلاء كتبوا وناضلوا ، ولكن أين ما كتبوه ؟ وأين أحاديثهم وشروحهم ودفاعهم
عن آرائهم ؟ الجواب أنه ليس في أيدينا شيء ، فلا بد أن يكون قد ضاع ودمرته يد الطغيان في
العصور المظلمة ، كما دمرت إنجيل عيسى . أو قل إن بعض ما كتبوه ربما نجا من التدمير ، وأخفاه
ذووه ، وتوارثه الأبناء والأحفاد ، حتى انعقد مجمع نيقية ، حيث تقرر أن يختار من الأناجيل
والرسائل الموجودة ما لا يعارض أفكار بولس وآراءه ، ودمر ما سواها " .^(٤)

وهذه النتيجة المنطقية تحولت واقعاً ، عندما ظهر إنجيل برنابا في القرن السادس عشر من
مكتبة البابا "اسكوتس" الخامس ، السرية ، الذي يحمل في صفحته الأولى العبارة الآتية :

" أيها الأعداء ! إن الله العظيم العجيب قد انتقدنا في هذه الأيام الأخيرة بنيه يسوع
المسيح برحمة عظيمة للتعليم والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى ،
مبشرين بتعليم شديد الكفر ، داعين المسيح ابن الله ، ورافضين الختان الذي أمر به الله دائماً ،
بجوزين كل لحم نجس ، الذين ضلّ في عدادهم أيضاً بولس الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسى ، وهو
السبب الذي لأجله أسطر ذلك الحق الذي رأيته وسمعتة أثناء معاشرتي يسوع ، لكي تخلصوا ، ولا

(١) ر . المسيحية ١١٠ - ١١٢

(٢) المسيحية جينير ١٣١ ، بولس وتأثيره في المسيحية ، ٤٦

(٣) ر . بولس وتأثيره في المسيحية ، ٤٦ .

(٤) المسيحية ١١٨

يضلّكم الشيطان فتهلكوا في دينونة الله ، وعليه فاحذروا كل أحد يبشركم بتعليم جديد مضاد لما أكتبه ، لتخلصوا خلاصاً أبدياً " (١).

وكما ظهر بولس فجأة في قائمة المبشرين - التلاميذ - فإن كل من اصطدم به منهم اختفى ذكره فجأة من أعمال الرسل ، الذي يعتبر كما صرح وليم باركلي مفسر العهد الجديد المذكرة التي أعدت للدفاع عن بولس أمام امبراطور روما عند محاكمته. (٢)

وبدأ الخلاف بينه وبين التلاميذ مع تبادل التهم حتى مع بطرس الذي سعى بولس بنفسه إلى الإجتماع به في أورشليم ، ويرجح أكثر الكتاب أن هذا قد وقع بعد مجمع أورشليم ، ويستدلون بعبارات بولس نفسه. (٣)

وكذا لم يلبث بعد أن توطد مركزه في مجتمع التلاميذ أن تشاجر مع برنابا الذي كان له فضل تقديمه للتلاميذ (٤)، وكان ذلك إيذاناً باختفاء اسم برنابا وجهوده في الدعوة من سفر أعمال الرسل .

وقد ناقش العلماء أسباب الفراق بين بولس وبرنابا بما يطول ذكره ولا مجال له هنا (٥)، وأكتفي بما ذكره بعض النصارى : أن سبب الخصومة هو أن برنابا تشاجر مع بولس حول الإنجيل حق. (٦)

وبعد انفصال بولس عن برنابا نجد حلقة مفقودة فلم يبيّن لنا سفر الأعمال عن تلقى بولس مبادئ النصرانية وهو ما صرح به بولس نفسه " وأعرفكم أيها الأخوة الإنجيل الذي بشرت به إنه ليس بحسب إنسان لأنني لم أقبله من عند إنسان ولا علمته بل بإعلان يسوع المسيح " (٧).

(١) ما هي النصرانية ٢٠٢ ، والإنجيل برنابا ١ : ٢ - ٩

(٢) تفسير العهد الجديد ١٣

(٣) ر . كورنثوس ١ : ١٢ ، غلاطية ٢ : ١١ وانظر دائرة المعارف ٦٤٢/٧ مقالة بطرس ، وماهي النصرانية ١٥١ ، ١٥٢

(٤) أعمال الرسل ١٥ : ٣٩

(٥) ماهي النصرانية ١٨٠

(٦) حياة برنابا ص ٣٧ ، وانظر حياة ورسائل بولس ٨٨ ، ٨٩

(٧) غلاطية ١ : ١٢ ، ١ كورنثوس ٧ : ٤٠

١٠- انفضاض التلاميذ عن بولس :

لم تكن حال بولس مع باقي التلاميذ خيراً من حاله مع بطرس وبرنابا . فالذي يطالع رسائل بولس إلى أهل فيلبي وكولوسي وغلاطية ورسالتيه إلى تيموثاوس وتيطس ، يجد من ذلك الشيء الكثير . وقد طال مدى هذا الاصطدام وامتد قروناً بعد موت بولس ، فإن القرون الثلاثة الأولى للميلاد ، هي قرون المعركة بين اتجاهين ، بين النصرانية اليهودية ، وبين النصرانية البولسية ، إلى أن جاء مطلع القرن الرابع ، فأصبحت النصرانية البوليسية هي الغالبة^(١) . بل إن أكثر أنصار بولس وأحبابه قد انفصلوا عنه وتركوه . فكتب لتيموثاوس في رسالته الثانية قائلاً : " إن جميع الذين في آسيا ارتدوا عني " .

بل إن الدراسات الدقيقة التي قام بها الكاردينال " دانيلوا " تقول إن جماعة المؤمنين النصرانية اليهودية اصطدموا ببولس وكانوا يعتبرونه كخائن ويصفونه بالعدو المنافق^(٢) . وقد حفظ لنا التاريخ أسماء المعارضين وهو ما سنعرض له عند الحديث عن الفرق التي ظهرت^(٣) .

١١- نشاط بولس في تأسيس نصرانيته الجديدة :

في هذا البحث نحاول التعرف على الأحداث التي تمت بعد لقاء بولس وبرنابا والرحلات الدعوية التي تبعت ذلك وأعماله ، مع ملاحظة أن هذه المعلومات ليست ثابتة تاريخياً وأن ناقد العهد الجديد أثاروا هذا التناقض ويحاولون إيجاد معلومات ثابتة تاريخياً لكن دون جدوى وكل ما يعرض مبني على الافتراضات والنظريات^(٤) .

وحاول علماءهم وضع مخطط لترتيب أهم الأحداث في حياته منذ تنصره إلى وفاته - بناء على ما ورد في سفر أعمال الرسل وفي رسائله ذاتها من معلومات - على النحو التالي :

(١) ر . رسائل الرسل ٣٤٩

(٢) رسائل الرسل ٣٤٨ .

(٣) ر . ص ٢٦١ .

(٤) ر . بولس وتأثيره ٤٨ والمقدمة التي أثبت فيها ذلك

- ١ - تنصره م ٣٣ (١)
- ٢ - فترة انقطاع تام للمعلومات لا يعلم ماذا حدث فيها (ثلاث سنوات) م ٣٣ - ٣٦ م
- ٣ - زيارته الأولى للقدس بعد تنصره م ٣٦ م
- ٤ - فترة أخرى من انقطاع المعلومات عنه (عشر سنوات) م ٣٦ - ٤٦ م
- ٥ - زيارته الثانية للقدس لتوصيل المساعدات التي جمعها لضحايا المجاعة . م ٤٦ - ٤٩ م
- ٦ - رحلته التبشيرية الأولى م ٤٩ - ٥٠ م
- ٧ - زيارته الثالثة والأخيرة للقدس وانعقاد الاجتماع الخطير مع التلاميذ الذي أعفى الأيمن من الختان . م ٥٠ - ٥٢ م
- ٨ - الرحلة التبشيرية الثانية م ٥٢ - ٥٣ م
- ٩ - رحلته التبشيرية الثالثة م ٥٣ - ٥٨ م
- ١٠ - فترة سجنه في قيصرية م ٥٨ - ٦٠ م
- ١١ - ذهابه إلى روما للمحاكمة وتحديد إقامته في أحد المنازل م ٦٠ - ٦٣ م
- ١٢ - وفاته؟ (لا يعرف تاريخها بدقة) م ٦٣ - ٧٦ م؟

وبتأمل هذا الجدول نلاحظ أن الفترة التي لا تذكر المصادر الأساسية الأولى (سفر الأعمال ورسائله) أي معلومات عنها فترة طويلة جداً تصل إلى أربع عشرة سنة ، أي نصف حياته كداعية ، وهذا أمر غريب جداً يزيد من غموض شخصية بولس الطرسوسي ، ويوجب قدراً ضرورياً من المعلومات المطلوبة عنه ، ويفتح المجال واسعاً للافتراض.

١٢- أعماله الدعوية :

يذكر لنا لوقا في أعمال الرسل : " أنه بعد أن جاء بولس إلى أورشليم ، والتحق بالحواريين وقبلوه بينهم بشفاعة برنابا ، أخذ يشاركهم في الدعوة وعرض آرائه ، لكن يظهر أن آراءه أثارت ضجة كبرى بين اليهود الذين يتكلمون اللغة اليونانية ، فحاولوا أن يقتلوه ، واضطر بولس بسببها إلى الإسراع في مغادرة المدينة متجهاً إلى طرسوس مسقط رأسه . (٢)

(١) هذه محاولة اجتهادية تقديرية من العلماء ، لذلك تفاوتت تقديراتهم في ذلك ، وتحدد لجنة الكتاب المقدس للنسخة الأمريكية

أن تاريخ تنصر بولس كان سنة ٣٧ م . ر . دراسات في الملل ، الشرقاوي .

(٢) أعمال ٩ : ٢٦ - ٣٠

وظل بولس في طرسوس ثماني سنين لا يعرف عنه خلالها شيئاً، حتى جاءه برنابا وطلب منه أن يساعده في الدعوة في أنطاكية ، فذهب معه^(١) وظل الرجلان فيها لمدة سنة كاملة (٤٣ - ٤٤ م). تابعهم فيها كثير من الناس ، وأصبحت أنطاكية في مدة وجيزة تفوق سائر المدن في عدد النصارى .^(٢)

وكانت الرحلة سنة ٤٥ تقريباً ، بصحبة برنابا وابن أخته مرقس .. وفي هذه الرحلة فارق هو يوحنا ورجع إلى أورشليم .^(٣)

وانتهت الرحلة بسفرهما - بولس وبرنابا - إلى أورشليم لحضور المجمع النصراني الأول - حسب كلام أعمال الرسل - الذي عقد فيها سنة ٥٠ هـ برئاسة يعقوب أخي المسيح في كلامهم لبحث مشكلة الأمميين الذين دخلوا النصرانية ، وفيه أعفي الأمميون من الختان .^(٤)

ثم قام بولس برحلة ثانية في أنحاء الامبراطورية الرومانية للدعوة الى رسالته : وفيها كان افتراقه عن برنابا .^(٥) .^(٦) كما كثر فيها ادعاؤه للرؤى التي كان يدعى أن الرب يشجعه فيها على المضى في الدعوة .

ثم كانت رحلته الثالثة التي استغرقت وقتاً طويلاً نسبياً من سنة ٥٣ - ٥٨ ، وتمت بعد الرحلة السابقة بفترة وجيزة وفيها عمد بولس اثني عشر رجلاً .

وذكر في أعمال الرسل الإصحاح العشرين : " أنه في أواخر سنة (٥٤ - ٥٨ م) قصد بولس أفسس ومكث بها ثلاث سنين ، جاعلاً منها قاعدة عمله ثم ، طُرد من المدينة إثر تمرد حصل فيها . ثم زار للمرة الثانية الكنائس التي أسسها في مكدونية وأخائية ، وأمضى ثلاث شهور

(١) ر . بولس وتأثيره في المسيحية في التشكيك ونقد هذا القول ٥٢ ، ٥٣ .

(٢) ر . ص ٥٢ ، ٥٣ تشكيك ونقد هذه المقولة بولس وتأثيره والمسيح جينير ٢٠٢

(٣) ر . حبيب سعيد في الأسباب التي جعلت يوحنا يترك بولس ، سيرة رسول الجهاد ٥٦ ودراسة تحليلية ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، انظر

تفصيل هذه الرحلة .. دراسات في الملل الشرقاوي ، القديس بولس ، القس حارث قرصة ، ص ٣٠-٦٥ .

(٤) ر . ص ٦٤ .

(٥) معجم الحضارات ٢٤٥ .

(٦) ر . تفصيل الرحلة الثانية بولس وتأثيره ٨٥ - ٦٠

في كورنثوس وما جاورها . وقد فكر بالتوجه نحو الغرب (ايطاليا وأسبانيا) ولكنه قرر العودة قبل ذلك إلى اورشليم لتسليم المسئولين مبلغاً من المال جمعه من التبرعات^(١) . وفي خلال هذه الفترة كتب بولس رسائله إلى أهل غلاطية وكورنثوس ورومية .

يقول د . محمد الشرقاوي معلقاً : " وكان واضح سفر الأعمال أراد برواية هذه الرحلة أن يشبه بولس بالمسيح السليبي ، فاختار أحداثاً ونسبها إلى بولس ، قد نسب مثلها إلى المسيح ، مثل تعميد اثني عشر رجلاً ، وشفاء المرض وإحياء الموتى والعشاء الأخير ، والخطبة الوداعية الخ .

أمّا تفصيل ما نادي به من عقائد في تلك الفترة فسوف يأتي عند دراستنا لما أدخله في النصرانية من عقائد . أما أهم الأعمال التي ظهرت في رحلاته فتمثلت في بناء الكنائس وجمع المال . وقد ناقش الباحثون الأهداف من هذه الأعمال لتي قام بها .^(٢)

وقد اتخذ اسلوبين في دعوته الشفهي والكتابة ، ويلاحظ عليه عدم اتقان الكتابات التي تميزت غالباً بعدم الانسجام ، وتوضح كتاباته بأنه كان يواجه صراعاً قوياً مع اليهود ، ورأى نفسه كالمسيح الذي تعرض لأذى كثير من اليهود حتى قتلوه في زعمهم .^(٣)

١٣ - محاكمته ووفاته :

في ربيع سنة (٥٨ م) سافر بولس للمرة الخامسة والأخيرة إلى اورشليم وفيها دبر اليهود ضده تهمة تدنيس الهيكل بإدخال يونانيين إليه . وكانوا سيقتلونه لا محالة ، لولا تدخل الضابط الروماني " ليسياس " وأنقذته حقوق المواطنة الرومانية التي يتمتع بها . ثم أرسله " ليسياس " تحت حراسة قوية إلى " فيلكس " الوالي الروماني في قيصرية ، وبقي أسيراً في قيصرية لمدة سنتين كاملتين (٥٨ - ٦٠ م) في انتظار محاكمته ، ثم طلب بولس كمواطن روماني أن ترفع دعواه إلى القيصر ، فوافق الوالي على ذلك . فأرسل في حريف سنة (٦٠ م) إلى روما ، وفي مارس سنة (٦١ م) وصل بولس إلى روما . وكانت السنة السابعة لجلوس الامبراطور " نيرون " على عرشه . وفي روما أمضى بولس سنتين كاملتين حتى سنة (٦٣ م) أقام في سكن خاص استأجره . وقد منح له حرية استقبال الزائرين ودعوتهم .

(١) معجم الحضارات ٢٤٦ ، قصة الحضارة ٢٥٩

(٢) انظرها في بولس وتأثيره ، ٦٤ ، ٦٥ و . بيدار ، عدد ٧ ، رجب ١٤١٢ هـ كتبه جبر الدباشيل ونشر في ٢٢ U. news

ابريل ١٩٩١ م ، ترجمة أ . أحمد سليم الفيغي ، عن سفر التمثيل ١٧ : ١٨

(٣) المسيح جينبير ٢٨٢ ، ٣٠٧

هذه خلاصة ما ذكر في أعمال الرسل من الإصحاح العشرين إلى آخر السفر (الإصحاح الثامن والعشرين) . وهنا يتوقف الكاتب عن ذكر بقية أيام بولس ولم يذكر شيئاً عن نهاية حياته . فأتى جدل كثير بخصوص حياته فيما بين سنة (٦٣ م) إلى وقت قتله فيما قبل إما سنة (٦٧ أو ٦٨ م) .^(١)

ونقل يوسيبوس اجماع النصارى القدامى على أن بولس قُتِلَ بقطع رقبته بحد السيف في عهد " نيرون " سنة (٦٧ أو ٦٨ م) .^(٢)

يقول ول ديورانت : " لسنا نعرف حقيقة التهمة التي وجهت إليه ، وأكبر الظن أنه اتهم بما اتهم به هو وزملاؤه في تسالونيكي وهو أنهم يعملون ضد أحكام قيصر قائلين أنه يوجد ملك آخر يسوع ، وكانت هذه جريمة كبرى يعاقب عليها بالإعدام " .^(٣)

ويذكر (دين انج) أن بولس لم يكن أبداً قديساً محبوباً في كنيسة روما .^(٤) وقد قتل (بطرس وبولس) فيما قبل في وقت واحد ، وإن كان كلاهما قد قتل منفرداً . أما بولس فقد قطع رأسه على طريق " أوستيان ostia " في المكان الذي يقوم عليه الآن ديرا لثلاثة ينابيع ، ولا يزال باقياً أيضاً العمود الذي قيل أنه ربط فيه .^(٥)

وهكذا انتقل بولس من عدو إلى داعية ومن مبغض إلى مناصر لما أبغضه وهو أمر جدير بالدراسة لمعرفة التعاليم والعقائد التي جعلت المرجع الرئيسي في تفسير كل ما يتعلق بالديانة النصرانية .

١٤ - رسائل بولس ومكانتها العقديّة والتشريعية في النصرانية :

يختلف الكتاب والمؤرخون في تجسيم حقيقة ومدى الدور الذي قام به بولس في النصرانية ، فمنهم من يعتبره المؤسس الحقيقي للديانة النصرانية ، بل ويرى أن النصرانية الحالية ليست إلا

(١) ر . الكنيسة المسيحية في عصر الرسل ٢٣٧ نقلاً عن رسائل الرسل .

(٢) راجع تاريخ الكنيسة " يوسابيوس القيصري " ، ص ١٠٨ .

(٣) قصة الحضارة ١١ / ٢٦٨

(٤) تاريخ وفكرة الكنيسة القديمة ١٦ ، ١٧

(٥) قصة الحضارة ، ١١ / ص ٢٦٨ ، ور . الأجوبة الفاخرة للقراني حيث تفرد بالقول أن بولس ذبح نفسه بيده ، ٣٢٢ مع العلم أنه

نصرانية بوليسية ، وهناك من يرى أن لبولس دوراً مساهماً في تأسيس النصرانية ولكنه لا يصل إلى جعله مؤسساً لها (١) .

ومهما يكن الأمر فإن كونه المؤسس الحقيقي لها أو غير ذلك يبرزه دراسة الآراء التي نادى بها ، والعقائد التي أصلها وما نتج عنها منذ تنصره إلى وقتنا الحاضر وهو في رأيي المعيار الذي يحكم عليه به بحيث يعتبر مؤسساً فعلياً تنسب إليه النصرانية ، أو مجرد صاحب دور فعال في حدود ما نادى به وما نتج عنه ؟.

استقر رأي النصارى في أوائل القرن الخامس الميلادي على اعتماد سبعة وعشرين سفرًا من أسفارهم ، وقرروا أنها هي وحدها الأسفار المقدسة أي الموحى بها ، ويعتقدون أنها قد أوحاها الرب إلى كتابها بمعانيها لا بألفاظها . وأطلقوا عليها اسم العهد الجديد للمقابلة بينها وبين ما اعتمد من أسفار اليهود المقدسة التي أطلقوا عليها اسم العهد القديم .
فتسمية هاتين المجموعتين من الأسفار بهذين الاسمين هي تسمية متأخرة لاحقة لظهور النصرانية . (٢)

ومن بين السبعة والعشرين سفرًا أربع عشرة رسالة لبولس وهي التي نحن بصدد عرض ما فيها من عقائد . وقد كتب بولس هذه الرسائل للمدن المختلفة ولبعض الأشخاص شارحاً فيها أفكاره وبأساطير أصول دعوته الجديدة ، وقد وضعت هذه الرسائل في العهد الجديد مرتبة حسب طولها أو وجازتها (٣) وهي كما يلي :

(١) رسالة إلى أهل رومية (٣ و٢) رسالتان إلى أهل كورنثوس (الأولى والثانية) . (٤)
رسالة إلى أهل غلاطية . (٥) رسالة إلى أهل أفسس (٦) رسالة إلى أهل فيليبي (٧) رسالة إلى أهل كولوسي . (٨ و٩) رسالتان إلى أهل تسالونيكي (الأولى والثانية) . (١٠ و١١) رسالتان إلى تيموثاوس (الأولى والثانية) . (١٢) رسالة إلى تيطس . (١٣) رسالة إلى فليمون . (١٤) رسالة إلى العبرانيين .

(١) الموسوعة النقدية ص ٧٤ ، المسيحية ، شليبي ، ١٠٩ ، تاريخ المسيحية ٤٥/١ ، إطلال الوهية عيسى ٦٩ ، مع العقيدة والحركة

والمهجع ٢٩٢ ، تثبيت دلائل النبوة ١٥٠ ، ما هي النصرانية ١٢٥ ، محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة ٧٥ ، دراسات تحليلية

٣٨٨ ، الميزان في مقارنة الأديان ١٣٢

(٢) ر . ص ٢٢٧ .

(٣) قاموس الكتاب المقدس ٦٤٤

وتسمّى الرسالة الأولى والثانية إلى تيموثاوس والرسالة إلى تيطس بالرسائل الرعوية كما تسمّى بالرسائل البابوية لأن موضوعها واحد وتمثل مجموعة منفصلة مختلفة عن بقية رسائل بولس ، لأن هذه الرسائل الثلاث - مع الخطاب القصير إلى فليمون - كتبت إلى أشخاص بينما كتبت جميع رسائل بولس الأخرى إلى كنائس .^(١)

ويمكن القول دون تردد أن رسائل بولس هي وحدها مصدر التشريع في النصرانية ، وإن التشريعات التي وردت في الرسائل الأخرى كانت تكراراً وصدى لآراء بولس وتشريعاته.^(٢) وقد كتبت كلها في الأصل باللغة اليونانية ، ما عدا الرسالة إلى العبرانيين . فمن المتفق عليه أنه كتبت بالعبرانية . لكن أصلها مفقود . وقد كتب بولس هذه الرسائل في أزمنة مختلفة وأمكنة متعددة . بعضها محدد التاريخ وبعضها غير محدد . غير أنها تبدأ سنة ٥٤ م وتنتهي سنة ٦٥ م تقريباً .^(٣)

وقد شكك العديد من الكتاب في صحة نسبة العديد من الرسائل إلى بولس فمن ذلك التشكيك المحمل في تلك الرسائل قول يوسايبوس المؤرخ " فبولس مثلاً الذي فاقهم جميعاً في قوة التعبير وغزارة التفكير لم يكتب إلا أقصر الرسائل^(٤) " فقوله " أقصر الرسائل " يدلنا على أن رسائله لم تكن بهذا الطول التي هي عليه الآن . وكذلك ما نقله يوسايبوس نفسه عن أوريجانوس حيث قال عن بولس " الذي أكمل التبشير بالإنجيل من أورشليم إلى اللير يكون فإنه لم يكتب إلى كل الكنائس التي علمها ولم يرسل سوى أسطر قليلة لتلك التي كتب إليها " .^(٥) فهذا النص مثل سابقه يشير إلى قلة محتوى رسائل بولس وأنها عبارة عن أسطر قليلة مع أن الموجود منها بين يدي النصارى يعدل الأناجيل الثلاثة متى - مرقس - لوقا .

(١) مذكرات في الأديان . ٢٧

(٢) المسيحية ، شلبي ١٢٧

(٣) الأسفار المقدسة ، وافي ، ٢٠١ ، ٢٠٢ .

(٤) تاريخ الكنيسة ص ١٤٨ .

(٥) تاريخ الكنيسة ص ٣١٧ .

ومن التشكيك المفصل في صحة نسبة الرسائل إلى بولس ما قاله ول ديورانت " بعض هذه الرسائل لا يعرف كاتبها معرفة أكيدة ومنها عدة رسائل تورخ بعام ٦٤م ولكنها في الحقيقة كتبت بعد ذلك التاريخ " (١).

ومنها ما نقله شريف هاشم عن فرديناند كرسيتيان بور حيث قال عن رسائل بولس : إنها كلها مدسوسة عليه ، عدا رسائله إلى غلاطية وكورنثوس ورومية " (٢) .

كما ذكر د. فهميم عزيز في كتابه المدخل إلى العهد الجديد اختلاف النصارى في نسبة عدة رسائل إلى بولس وهي : رسالتا أفسس وكولوسي ، وكذلك رسالته الأولى والثانية إلى تيموثاوس ، ورسالته إلى تيطس .

أما الرسالة إلى العبرانيين فهي التي تحوم حول نسبتها إلى بولس شكوك كثيرة (٣) .

ومن الملاحظ أن هذه الرسائل لم تجمع إلا حوالي سنة ٩٠ م وقيل سنة ١١٠ م .. وكان كثير من الكنائس تحتفظ بأجزاء من هذه الرسائل ، ولم يكن من السهل أمر جمعها وترتيبها على نحو ما هي عليه الآن ، وكذلك لم توضع لها عناوينها إلا في وقت متأخر عندما جمعت ونشرت لتقرأ في الكنائس (٤) وهذا أمر آخر يدعو إلى الشك في صحتها لأن معنى ذلك أن هذه الرسائل لم تعرف إلا بعد وفاة بولس بما يقارب الثلاثين عاماً مما يعطي مجالاً واسعاً للإفتراء والزيادة والحذف حسب الأهواء .

وعلى كل حال سواء كانت نسبة الرسائل لكاتبها صحيحة أم لا ، فإن آثار هذه الرسائل الأربع عشرة المنسوبة لبولس في تحريف دين المسيح واضحة كل الوضوح ، بل أكثر تأثيراً من الأناجيل ، فإن الأناجيل أسفار تاريخية وأما الرسائل فتعليمية . وبولس بالذات هو المتهم الأول في هذا التحريف .

ولهذه الرسائل قيمة كبرى من وجهة النظر النصرانية لأنها أول أسفار العهد الجديد كتابة وتدويناً واشتهاراً إذ أنها كتبت قبل أقدم الأناجيل (انجيل مرقس) بأكثر من ١٥ عاماً (٥).

(١) قصة الحضارة ٢٠٥/١١ .

(٢) الإسلام والمسيحية في الميزان ٢٤٢ .

(٣) انظر تفصيل الخلاف في الرسائل المذكورة في المدخل للعهد الجديد ص ٤٧٠ ، ٤٨٤ ، ٥٢٣ ، ٦٨٣ .

(٤) تفسير العهد الجديد ١٠١

(٥) الإسلام الأديان ١٥٩

وكانت تلك الرسائل تقرأ في اجتماعات العبادة مع كتب العهد القديم ، كما أمر بذلك بولس "أناشدكم بالرب أن تقرأ هذه الرسالة على جميع الأخوة القديسين" ^(١)، وأيضاً: "متى قرأت عندكم هذه الرسالة فاجعلوها تقرأ أيضاً في كنيسة اللادوكيين" ^(٢). ولهذا معنى مهم وهو أن أفكار بولس ودعوته قد انتشرت بين الناس من خلال تلك الرسائل قبل كتابة الأناجيل أو على الأقل قبل اشتهارها مما يكون له أخطر الأثر في صبغ الفكر والكتابات التي جاءت بعده بصيغته ودعوته .

والظاهر أن دعوته لم تلق في البداية استجابة سريعة من الناس ، كما كان يأمل ، مما جعله يشعر بمرارة قاسية ، عبّر عنها في رسالته إلى أهل غلاطية ، الذين كما يبدو تركوه ليتبعوا سواه ، فأرسل لهم قائلاً: "إني اتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعاً عن الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر ، هو آخر غير أنه يؤخذ قوله يزعمونكم ويريدون أن يحولوا الإنجيل المسيح" ^(٣) .

ثانياً - عقائد بولس المحرفة ودوافعه إليها :

هل يمكن أن يسمّى ما وضعه بولس أساساً لاهوتية للعقائد النصرانية المعاصرة ؟ من مال إلى القول بأن بولس هو المؤسس الحقيقي للنصرانية نظراً إلى أن ما كتبه هو أساس العقائد النصرانية .

أما من نظر إليه على أنه مجرد داعية إلى النصرانية فإنه يرى أن ما دعا إليه مجرد آراء دعا إليها بشكل عملي أكثر من كونها أساساً لاهوتية .

يقول الشرفي: "إننا كثيراً ما نعثر عند الدارسين المسيحيين على عبارة "علم اللاهوت البولسي مما ينبئ بوجود نظام لاهوتي شامل ومتكامل عند بولس . وليس الأمر كذلك في الواقع، فقد كانت اهتماماته عملية في المقام الأول ولم تكن آراءه تخلو من التردد وعدم التماسك بل ومن التناقض أحياناً" ^(٤).

(١) اتسالونيكي ٥ : ٢٧

(٢) كولوسي ٤ : ١٦

(٣) ٦ : ١

(٤) الفكر الإسلامي ، ص ٥٢

ومهما يكن من أمر هذه الفروض فقد تضمنت رسائله وأقواله جملة من العقائد النصرانية التي كان لها أكبر الأثر في تشكيل النصرانية بعد المسيح عليه السلام حتى ولو لم يكن يقصد إلى تحقيق هذه الغاية .

وإذا أردنا أن نحدد شخصية بولس . داعية إلى النصرانية فينبغي أن نأخذ في الاعتبار أنه كان هناك تياران متعارضان يتجاذبان فكره وعقائده :

أحدهما: أنه الرجل اليهودي الفريسي الذي عرف اليهودية وأحاط بتعاليمها وآدابها ودعا لها وحذق فيها .

ثانياً : أنه الرجل اليوناني الذي نشأ في بيئة يونانية . بما ازدحمت به من ديانات وعقائد وآداب . وهو الذكي البارع والواسع الخيال .. ومن غير شك أنه قد ألم بمعارف عصره سواء الدينية منها أو الفلسفية ..

ومن خلال النظر في دعوته يمكن تحديد أهم العقائد التي نادى بها وهي :

- ١- تجسد المسيح
- ٢- صلب المسيح تكفيراً للخطايا بل قيل : إن بولس هو الذي أوضح فكرة الخطيئة الأولى^(١).
- ٣- ألوهية المسيح وبنوته لله .
- ٤- النصرانية ليست ديناً لبني اسرائيل بل هي دين عالمي .
- ٥ - إلغاء شريعة موسى بما فيها فريضة الختان^(٢) .

(١) عقيدة التجسد (الحلول والاتحاد)

قبل التفصيل في هذه العقيدة وما أدت اليه تجدر الإشارة الى تحديد معنى كل من الحلول والاتحاد لارتباطهما بمفهوم عقيدة التجسد .

جاء في كتاب التعريفات للجرحاني ما نصه : " الحلول نوعان : سرّاني وجوّاري فالحلول السرّاني هو عبارة عن اتحاد الجسمين ، بحيث تكون الإشارة الى أحدهما إشارة الى الآخر

(١) الميزان في مقارنة الأديان ١٣١ وانظر بولس الرسول بشيء ودع ٣٦ ، ٣٨ ، ٥٢ ، ٨٨ ، ٩٧ ، ١١١

(٢) انظر العقائد التي نادى بها بولس على اختلاف عند كل كاتب دراسات في النصرانية ، مزروعة ٩٩ ، المسيحية شلبي ١١٦

، قاموس الكتاب المقدس ٤٦٨ ، النصرانية ، شاهين ٢٠٧ ، دراسات في الملل ، من النصرانية التوحيد إلى التثليث ١٤٧

كحلول ماء الورد في الورد فيسمى الساري حالاً ، والمسري فيه محلاً . والحلول الجوارى هو عبارة عن كون أحد الجسمين ظرفاً للآخر كحلول الماء في الكوز .^(١)

أما الاتحاد فهو تصوير الذاتين واحدة ولا يكون الا في العدد من الاثنين فصاعداً ، وقيل : الاتحاد هو امتزاج الشئيين واحتلالهما حتى يصيران شيئاً واحداً .^(٢) والفرق بين الحلول والاتحاد ان في الحلول بقاء الاثنين بمعنى أن يحل أحد الشئيين في الآخر مع احتفاظ كل منهما بذاته ، أما الاتحاد ففناء للاثنين بحيث تصبح الذاتان ذاتاً واحدة فلا اثنينية بينهما فالإتحاد اذاً مبني على الحلول .^(٣)

وعقيدة التجسد عند النصارى هي الأساس الذي تدور حوله العقائد النصرانية كلها كما سنرى ، والتجسد معناه : ان يظهر الله - تعالى عن قولهم - للبشر في صورة ما من صور المخلوقات .

وعند النصارى هو: ظهور الله - تعالى عن قولهم - في المسيح ظهوراً واضحاً بشرياً ملموساً^(٤) . فالكلمة عندهم تدل على ان المسيح إله متجسد حيث أعلن للناس في حياته ذات الله وصفاته ومحبه للبشر^(٥) . وباختصار ان المسيح هو الله - تعالى الله عن قولهم الظاهر في الجسد.^(٦)

ويستدلون على هذا المفهوم لعقيدة التجسد ، بما ورد على لسان بولس لهذه العقيدة في رسالته الأولى لتيموثاوس " عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد تبرر في الروح " .^(٧) وبقوله : "الذي إذا كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله ، لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائر في شبه الناس ، وإذا وجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب ، لذلك رفعه الله أيضاً . وأعطاه اسماً فوق كل اسم ، لكي تجثو باسم يسوع

(١) التعريفات ٩٢ ، ٩٣

(٢) التعريفات ٨ ، ٩

(٣) رسائل الرسل ٤٩٨

(٤) إيماني ٤٤ ، الايمان المسيحي هل هو معقول ص ٥٣ .

(٥) أديان العالم ٢٥٧

(٦) حقائق أساسية في الايمان المسيحي ٧٦ ، ٧٧

(٧) ١٦ : ٣

كل ركة ممن في السماء ومن على الأرض ، وتحت الأرض ، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو الرب لمجد الله الأب " (١).

ويقوله في رسالته الى أهل كولوسي: " الذي هو (يعني المسيح) صورة الله غير المنظور ، بكر كل خليقة ، فإنه فيه خلق الكل ، ما في السموات وما على الأرض ، ما يرى وما لا يرى ، سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين ، الكل به وله قد خلق " (٢).

والنصارى يقررون بهذا، أن بولس هو أول من قال بالتجسد في النصرانية حيث لم تظهر هذه العقيدة في قول أحد قبله لا من الحوارين ولا من غيرهم في رواية مكتوبة أو شفوية، وهذا يرد على من قال أن فكرة التجسد لم ترد صراحة في رسائل بولس أو في اسفار الكتاب المقدس. (٣)

ومن الملاحظ أن مفهوم التجسد لم يظهر بعد بولس الا في إنجيل يوحنا - وليس هو يوحنا الحواري - حيث يقول في مستهل انجيله: " في البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله هذا كان في البدء عند الله ... والكلمة صار جسداً وحل بيننا " (٤)

ويجدر بنا في هذا المقام أن نشير الى ما يذهب اليه بعض الدارسين من ان النصوص الواردة في انجيل يوحنا - التي اثبتناها انفا - تتضمن القول بالتجسد - على حد قولهم - فان ذلك يدل على ان مؤسس عقيدة التجسد ليس هو بولس ، وانما يوحنا حوارى المسيح كما يزعمون .
والصحيح هو ما ذهب اليه اكثر علماء النصرانية من ان انجيل يوحنا منحول بالنسبة ليوحنا الحوارى ، وان مؤلفه هو يوحنا الانجيلي ، وهو ما سنفصل القول فيه .

وبما ان هذا الانجيل قد كتب سنة ٩٥ م وكان قد مضى على موت بولس ثمانية وعشرون عاما ، فان ذلك يؤكد القول ان بولس هو اول من ادخل عقيدة التجسد في النصرانية ، وبهذا

(١) ٣ : ٦ - ١١

(٢) كولوسي ١ : ١٦

(٣) النصرانية ، شاهين ٢٧٦ نقلاً عن مقالة لفرنسيس يونج الاستاذة بجامعة برمنجهام ، وموريس وايلز استاذ علم الالهيات

والكتاب المقدس بكلية المسيح بجامعة اكسفورد عن كتاب اسطورة تجسد المسيح .

(٤) يوحنا ١ : ١١ - ١٤

صرح تقي العثماني قائلاً : " ان الرجل الاول الذي توجد عنده عقيدة التجسد صراحة انما هو بولس . (١)

أما عن مصدر هذه العقيدة فإن بعض الدارسين في النصرانية ذهبوا إلى أن بولس قد استوحى فكرة التجسد من افكار السامريين العبريين .
وبذلك تكون فكرة التجسد من أصل يهودي، ظهرت عند سمعان ماغوس ورفاقه السامريين إضافة إلى البيئة الوثنية التي وجدت فيها هذه الفكرة .

بل من الباحثين من يرى أن مصادر فكرة التجسد لا تنحصر فقط في مصدر يهودية والوثنية (*) بل هناك شيء من هذه الأفكار عند افلاطون والفيلسوفين فيثاغورس وانباذوفليس قبل عصر سقراط ففي احدى الروايات أن فيثاغورس هو الابن المتجسد لهرمس، وكذا انبا ذوفليس ، وكل هذه الاساطير والخرافات هي التي أوحى للنصارى بالتجسد الالهي في المسيح وقد ظهر هذا بصورة واضحة عند النصارى الجدد الناطقين باليونانية .

ويؤكد أصحاب هذا الرأي ان ما نسب إلى المسيح مستقى من تلك الخلفية الوثنية وإن امتداد الكنيسة في العالم غير اليهودي هو وحده السبب في قيام عقيدة التجسد .
والدليل على وجود القول بالتجسد لدى الوثنيين قبل ظهورها في اقوال بولس ما جاء في سفر اعمال الرسل : " فالجموع لما رأوا ما فعل بولس رفعوا صوتهم ... قائلين : ان الآلهة تشبهوا بالناس ونزلوا اليها ، فكانوا يدعون برنابا (زفس) وبولس (هرمس) (٢)
فمن هنا نقول : إن بولس تأثر بتلك الدعوات السابقة ، وهو أول من ادعى في النصرانية أن المسيح ^{الذي} إله قد تجسد بصورة البشر ودخل في هذا العالم .

(٢) عقيدة صلب المسيح للفداء وتكفير الخطايا :

يعتقد النصارى - على اختلاف فئاتهم - أن المسيح قد صلب ومات على الصليب ، وأنه بعد صلبه ودفنه قام من القبر وصعد الى السماء ، وجلس عن يمين ابيه ، وأنه هو الذي سيحاسب

(١) ماهي النصرانية ١٤٠

(*) ر. فصل العقائد ٣١٨ .

(٢) اعمال ١٤ : ١١ - ١٢

الناس يوم القيامة^(١) . بغض النظر عما بين أصحاب الأناجيل من اختلافات في تصويرهم لبعض جزئيات هذه الحادثة^(٢)

أما الاعتقاد بأن صلب المسيح إنما كان فداء للبشر ، وتكفيراً لخطاياها فيما بعد إذا امنت بتلك العقيدة - أما هذا الاعتقاد فيعتبر الأساس الثاني من اسس العقائد النصرانية - التي ادخلها بولس عليها - بعد عقيدة التجسد ، وهو أيضاً كالتجسد محور رئيسي يدور عليه دينهم، بل هو رأس الايمان عندهم^(٣) .

وبالنظر الى رسائل بولس فاننا نجد التفسير لحادثة الصلب التي رواها الانجيليون على النحو الذي ذكرنا .

وفيما يلي أقوال بولس حول هذا الموضوع :

"ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني"^(٤)

وأصبح صلب المسيح فداء للبشرية وتكفيراً لخطاياها في نظره الهدف الحقيقي لرسالة المسيح التي جاء من أجلها إلى الأرض، فلم تخل أية رسالة من رسائل بولس ، من ذكر وشرح هذه الحادثة المركزية ، فيقول : " الذي لم يشفق على ابنه ، بل بذله لأجلنا أجمعين ، كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء " ^(٥) .

كما يقول : " ربنا يسوع المسيح الذي بذل نفسه لأجلنا لينقذنا من العالم الحاضر الشرير ، حسب إرادة الله وأبيننا " ^(٦) .

(١) دراسات في الملل ص ٧٩ ، دراسات في الأديان ٢٢٤ ، قاموس الكتاب المقدس ١٩٥ ، المسيحية شلبي ١٠١ ، تحفة الأريب

(٢) ر . التفصيل في اختلاف الروايات ، المسيح في مصادر العقائد المسيحية ١٦٦ - ١٧٩

(٣) العقائد الوثنية ٨٣

(٤) غلاطية ٤ : ٤ - ٥

(٥) رومية ٨ : ٣٢

(٦) غلاطية ١ : ٣ - ٤ ، و ر ٢٠ كورنثوس ٥ : ١٤ - ١٥ ، تسالونيكي ٥ : ٩ - ١٠ ، و رومية ٣ : ٢٥

وترجع قصة خطيئة البشر الموروثة التي يرددها النصارى الى قصة " آدم وحواء " وهي ان الله خلق آدم وحواء وأسكنهما الجنة ، وأحل لهما طبياتها ، وما نهاهما عن شيء فيها إلا عن شجرة واحدة وهي شجرة المعرفة ، فأوصاهما أن لا يقرباها . جاء في التوراة ما نصه : " وأخذ الرب الإله آدم ووضع في جنة عدن ليعملها ويحفظها وأوصى الرب الإله آدم قائلاً : من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً ، وأما شجرة معرفة الخير والشر^(١) فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت " .^(٢)

لكن آدم ضعف أمام إغواء الحية فأكل من الشجرة المحرمة بإيعاز من زوجته " حواء " . تقول التوراة : " فرأت المرأة أنّ الشجرة جيدة للأكل ، وأنها بهجة للعيون ، وأن الشجرة شهية للنظر ، فأخذت من ثمرها ، وأكلت^(٣) وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل^(٤) ، فصار " آدم " و " حواء " بذلك خاطئين آثمين ، فطردهما الله من الجنة ولعنهما ، وظل الله غاضباً على أولادهما ، حتى جاء المسيح وصلب كفارة عن تلك الخطيئة التي ارتكبها " آدم " و " حواء " وأورثها الى ذريتهما^(٥) . " هكذا يزعمون .

فتلك الخطيئة حسب رأيهم لم تقتصر على آدم وحواء فقط ، بل امتدت بحكم التناسل الى البشرية كلها . إذ يقول بولس : " من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطيئة الى العالم ، وبالخطيئة الموت هكذا اجتاز الموت الى جميع الناس إذ أخطأ الجميع " .^(٥)

ويضيف قائلاً بمزيد من الشرح والإيضاح : " أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته ، فدنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الأب هكذا

(١) هكذا زعم اليهود في كتابهم ولم يرد عندنا في القرآن الكريم تسمية ووصف للشجرة وادعاءهم ينافي تعليم الله عز وجل لآدم الاسماء كلها حتى تقدم في ذلك على الملائكة فلا يبعد ان يكون ما ذكره اليهود من تحريفاتهم وكذبهم ، والله أعلم .

(٢) تكوين ٢ : ١٥ - ١٧

(٣) هكذا زعم اليهود أيضاً والوارد عندنا في القرآن عزو الاكل إلى آدم وحواء عليهما السلام كليهما (فأكلا منها) فلا يبعد أن يكون ما ذكره اليهود من افتراءاتهم وتحريفاتهم .

(٤) تكوين ٣ : ٦

(*) رسائل الرسل ٦١٣/٢ .

(٥) رومية من ٥ : ١٢

نسلك نحن أيضاً جدة الحياة . لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضاً بقيامته عالمين هذا ان انسانا العتيق قد صلب معه ليبطل جسد الخطية كي لا نعود نستعبد أيضاً للخطية " (١)

ويحاول كتاب النصرانية تفسير أقوال بولس الواردة في عقيدة الفداء المتقدمة بقولهم : " انه لا سبيل للحصول على الغفران أو التمتع بالله الا إذا تمّ أولاً إلغاء مطالب عدالته وقداسته بوسيلة ما ، وهذه الوسيلة هي بواسطة كائن عوضاً عنا . وبما أنه لا يساوي الانسان إلا الانسان مثله لذلك يجب ألا يكون حيواناً بل أن يكون انساناً . ويجب أن تكون قيمته معادلة لكل هؤلاء الناس الذين سيفديهم . فالفادي مع وجوب كونه انساناً يجب ان يكون خالياً من الخطية خلواً تاماً ومعصوماً منها ، يجب ان يكون شخصاً غير مخلوق ، يجب ان يكون ذا مكانة لا حد لها لسموها . وإذا تصفحنا حياة الأشخاص الذين ظهوروا في العالم نرى أن هذا الشخص ليس سوى المسيح لأنه هو الذي توافرت فيه جميع الشروط . (٢)

هكذا يرى النصارى ان خطيئة آدم وحواء عليهما السلام قد ورثها أبناؤهما وأصبح الفداء ضرورياً ، ولا أحد يليق بتقديم نفسه للفداء سوى المسيح وحده لأنه انسان وإله في آن واحد . (٣)

يقول الأب بولس الياس : "ومما لا ريب فيه أن الفكرة الأساسية التي ملكت على بولس الرسول مشاعره فعبّر عنها في رسائله بأساليب مختلفة هي فكرة رفق الله بالبشر ، وهذا الرفق بهم هو ما حمّله على إقالتهم من عثارهم ، فأرسل إليهم ابنه الوحيد ليفتديهم على الصليب ، وينتقل بهم من عهد الناموس الموسوي الى عهد النعمة . (٤)

وقد كان بولس هو أول من فسر عملية الصلب — المزعومة — على أنها للفداء وتكفيراً للخطايا ، وهذه الفكرة لم تكن واردة حتى عند مؤلفي الأناجيل الأربعة المعتمدة .
أما كيف لاقت هذه الفكرة قبولاً لدى النصارى وأصبحت فيما بعد عماد النصرانية ، فإن الأحداث التي وقعت وما حيك حولها من قصص وروايات قد مهدت لهذا القبول ..

(١) رومية ٦ : ٣ - ٦

(٢) فلسفة الغفران ص ٧٥ نقلاً عن رسائل الرسل .

(٣) رسائل الرسل ٦١٧ ، وانظر الانجيل والصليب ٦ ، ٧ ، تاريخ الأقباط ٢٣٨ ، حول مسألة الصلب والخطيئة ١١١ ، وتقول

أخرى عن قساوسة آخرون في المسيحية لشليبي ١٦٠ ، ١٦١ .

(٤) يسوع المسيح ٢٨ ، ٩٢ ، ٩٣ المسيحية . شليبي ١٦٧

فصلب المسيح كان نهاية مفزعة ، ولكن بولس عندما فسر هذه النهاية وأنها من أجل فداء الناس ، تكاملت صورته بأنه إنما جاء ليفديهم ولهذا صلب ، ودعوى موته وقيامته المزعومة شجع على قبول تلك التأويلات عن سبب موته وقيامته.

والواقع أن قول بولس بأن صلب المسيح كان للفداء والتكفير لم يكن غريباً عن ذلك المجتمع ، بل كان بولس في هذا التفسير خاضعاً لتأثير الميراث العقدي الذي كان شائعاً في البيئة المحيطة به ، ذلك أن فكرة المخلص كانت شائعة في الأوساط الوثنية المحيطة بطرسوس^(١)، فقد كان الوثنيون القدماء يعتقدون انهم بسفك الدم يتخلصون من خطاياهم ، كما كانوا يعتقدون ان آلهتهم تألموا لكي يخلصوا أتباعهم من خطاياهم ، وكانت ألقاب مثل سوتر (المنقذ) و اليوثريوس (المنجي) تطلق على هذه الآلهة .^(٢)

وكان يتردد في أصداء الجو اليوناني المحيط به في طرسوس الحديث عن منقذ ينتشل البشرية ، كما كانت علوم اليهود من بني جنسه تتحدث عن قرب مجيء المسيح المنتظر كما ذكرنا.^(٣) وقد كانت هناك خاصية مشتركة لآلهة المنطقة كلها فهي عقائد وثنية متشابهة في الأصول العامة وان اختلفت في الجزئيات والتفاصيل^(٤). وكان آلهة الزراعة الذين يموتون ويعثون بعدهم أتباعهم شفعاء ومنقذين ، وقد كان ساندان يحتفل الناس به كل عام فيتظاهرون بإحراقه ويزعمون أنه يرتفع بعد ذلك الى السماء .

ولو لم ير بولس من مظاهر عبادته سوى الطقوس السنوية لتمجيد موته لكان ذلك وحده أمراً بالغ الأهمية^(٥) .

يقول ول ديورانت : " من حقنا ان نعتقد ان بعض المبادئ الدينية اليونانية انتقلت من البيئة المدرسية في طرسوس الى مسيحية بولس ، وكانت طرسوس كما كان في معظم المدن اليونانية وغيرها من العقائد الخفية ، يعتقدون ان الله الذي يعبدونه قد مات من أجلهم ، ثم قام من قبره ، وانه اذا دعي بإيمان حق ، وصحب الدعاء الطقوس الصحيحة استحباب لهم وأنجاهم من الجحيم ،

(١) تطور العقائد ١٩٢

(٢) ر . مشكلات العقيدة النصرانية ١٦٦ ، نصرانية عيسى ١٤٦ ، قصة الحضارة ١١/٢٦٤

(٣) ر . ص ٢٧ .

(٤) دراسات في الملل ٢٢ ، ٢٣

(٥) المسيحية جينير ص ١٠٢ ، ١٠٢

وأشركهم معه في موهبة الحياة الخالدة المباركة ، وهذه الأديان الغامضة الخفية هي التي أعدت اليونان لاستقبال بولس ، وأعدت بولس لدعوة اليونان .^(١)

فمن هنا نقول أن بولس قد أخذ فكرة الفداء والتضحية ، وتكفير الخطايا البشرية من تلك الوثنية . وقد حاول بولس أن يقرب هذه النصرانية الى عقول هذه الشعوب حين يدعوهم ، فصور عيسى في صورة المصلوب فداء عن خطايا البشر^(٢) ، شأنه كشأن اوزريس عند أتباعه كان رباً مات ليعث حياً وليمنح الناس الخلود .

ولقد علم الناس ان عيسى لم يكن المسيح الموعود فحسب ولا زعيم اليهود فقط بل ان موته كان تضحية مثل موت الضحايا القديمة المقربة الى الآلهة لدى الوثنيين من أجل خلاص الأتباع^(٣) . حيث تجده يقول : " فان حمل فصحننا أي المسيح قد ذبح "^(٤) .

وبهذا لا يكون التحول من الوثنية الى النصرانية معناه الدخول في جو غريب أو ممارسة لثورة فجائية بل حاول بولس أن تكون طقوس العقيدة الجديدة استرجاعاً للعقائد الوثنية القديمة^(٥) . وقد قرر أساتذة تاريخ الأديان بأن فكرة بولس ما هي الا تطور للديانات الشعبية التي اعتنقها كثير من الناس وكانت تسمى الديانات السرية وهي ديانات جاءت من الشرق الى الغرب^(٦) .

ولهذا لم يكن في وسع غير اليهود من أهل انطاكية وسواها من المدن اليونانية الذين لم يعرفوا عيسى ^{السَّيِّدُ} بشخصه أن يؤمنوا به إلا كما آمنوا بألهتهم المنقذين ، ولهذا ناداهم بولس بعد أن فسر لهم صلب المسيح بأنه فداء للبشرية وتطهيراً لخطاياهم - ناداهم بقوله: " هو ذا سر أقوله لكم " .^(٧)

(١) قصة الحضارة ١١/٢٥٠ ، ومشكلات العقيدة النصرانية ١٦٦

(٢) مشكلات العقيدة النصرانية ١٦٦ ، نصرانية عيسى ١٤٦ اختلافات في تراجم الكتاب المقدس ١٩٦

(٣) موجز تاريخ العالم ١٧٨

(٤) ١ كور ٥ : ٧

(٥) مشكلات العقيدة النصرانية ٩٠ ، ٩١

(٦) الفكر اللاهوتي في رسائل بولس ص ١٩ ، مناظرة بين الإسلام والنصرانية ص ١٥٦

(٧) قصة الديانات ، ٤٣٩ ، وقصة الحضارة ١١/٢٦٤ ، ومحمد في التوراة ١٠٥

ويؤكد ويلز: أن ذهنه كان مشبعاً بفكرة لا تبدو قط بارزة قوية فيما نسب لعيسى من أقوال وتعليم ، ألا وهي فكرة الشخص الضحية الذي يقدم قرباناً لله كفارة عن الخطيئة ، فما بشر به عيسى كان ميلاداً جديداً للروح الإنسانية ، أما ما بشر به بولس فكان الديانة القديمة ، ديانة الكاهن والمذبح وسفك الدماء طلباً لاسترضاء الآلهة ، كان عيسى في نظره حمل عيد الفصح ، تلك الضحية البشرية المأثورة المبرأة من الدنس أو الخطيئة ^(١) .

وفي هذا المقام لا ينبغي ان ننسى أن بولس كان يهودياً ، وكان لليهود مظاهر وثنية - تأثراً بالبيئة المحيط بهم ^(٢) - وقد أشرنا الى هذه المظاهر من قبل ^(٣) .
وأياً كان الأمر فمما قدمناه يتضح حقيقة المؤثرات التي دفعت ببولس الى تقرير عقيدة الصلب للفداء وتكفير الخطايا وجعلها أساساً من أسس النصرانية .

٣) نسبة بنوة المسيح لله:

ان الجيل الأول الذي عاش مع المسيح التيّله لم يعرف شيئاً عن مسألة بنوة المسيح لله ، فليس لدينا نصوص صحيحة السند بالنسبة اليهم تثبت هذه العقيدة ، ولم تنقل عنهم روايات شفوية حول ذلك، بل على العكس من ذلك فقد روى صاحب أعمال الرسل عن بطرس قوله أمام جمع من اليهود في أول خطبة له أمامهم " أيها الرجال الاسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال يسوع الناصري رجلٌ قد برهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم كما أنتم أيضاً تعلمون " ^(٤) ، كما أن ما عثر عليه من لفائف البحر الميت ، والبرديات في نجع حمادي تنقل عن هذه الفترة أنهم كانوا يؤمنون بالتوحيد الخالص .

(١) المسيحية شلي ١١٥

(٢) اختلافات في تراجم الكتاب المقدس ٩٧ ، ور . قصة الحضارة ١١ / ٢٦٤ ، وفيه يقول : " لقد كان اليهود الأقدمون يشتركون مع الكنعانيين والموابين والفينيقيين وغيرهم من الشعوب في عادة التضحية بطفل ، بل بطفل محبوب ، لاسترضاء السماء الغضبي ، ثم أصبح في الامكان على توالي الأيام أن يستبدل بالطفل مجرم محكوم عليه بالاعدام .

(٣) انظر ص ١٤ .

(٤) أعمال الرسل ٢٢ : ٢ .

وبذلك يعتبر الاعتقاد ببنوة المسيح عقيدة طارئة نشأت فيما بعد . ويعتبر بولس أول من نادى بتلك العقيدة ^(١)، حيث ورد التعبير عن المسيح في رسائله بلفظ "ابن الله" (٤) مرات ، ولفظ "ابنه" مضافا الى ضمير الغائب ومرجعه الى اسم الجلالة (١١) مرة ، ولفظ "الابن" معرفا بأل العهدية مرتين ^(٢).

ومن أقواله في ذلك : " تبين بقوة أنه ابن الله بالقيامة من بين الأموات أنه يسوع المسيح ربنا" ^(٣) وقوله : " فان الله أمين فقد دعاكم الى الشركة مع ابنه يسوع ربنا " ^(٤)، وقوله : " لكن لما سر الله... أن يعلن ابنه في لأبشر به بين الأمم " ^(٥).

ويفهم من انجيل متى أن أول من قال بأن المسيح ابن الله ، هو "بطرس" ، حيث قالها في حياة المسيح قبل دخول بولس في النصرانية ، وكتابه لرسائله ، حيث ذكر فيه : قال - أي المسيح - لهم - أي للتلاميذ - وأنتم من تقولون أنني أنا ؟ فأجاب سمعان بطرس وقال : أنت المسيح ابن الله الحي " ^(٦).

لكن انجيل مرقس يختلف عن انجيل متى في اجابة بطرس للمسيح ، حيث لم يورد على لسانه وصف البنوة للمسيح ^(٧)، حيث أجاب وقال له : " أنت المسيح " ^(٧) لذلك أكد "جون فنتون" أن كلمة "ابن الله الحي" هي زيادة من متى ^(٨) ، وبهذا يبقى الاحتمال الراجح أن بولس هو أول من قال بأن المسيح هو ابن الله . ويؤكد هذا ماجاء على لسان "لوقا" في سفر

(١) لا يشكل على هذا ورود هذا اللفظ في الاناجيل فإنها مضطربة فيه حتى يصح ان يقال انه يحتمل معنى مجازى احتمالاً كبيراً

كما أثبتنا من قبل ص ١٢٠ ان رسائل بولس لها الاسبقية في الكتابه والاشتهار قبل أقدم الاناجيل وهو انجيل مرقس .

(٢) فهرس الكتاب المقدس ٧٠ ، ٧١

(٣) رو مية ١ : ٤

(٤) ١ كور نثوس ١ : ٩

(٥) غلاطية ١ : ١٦ ، و ١ كور نثوس ١١ : ١٣ ، و ٢ كور نثوس ١ : ١٩

(٦) ر . متى ١٦ : ١٦

(٧) ر . مرقس ٨ : ٢٩

(٨) المسيح في مصادر العقائد المسيحية ٩٦

أعمال الرسل ذكرنا لما كان يقوم به بولس قوله: " وللوقت جعل يكرز في الجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله " (١).

وقد اختلف الباحثون في دلالة عبارات بولس عن بنوة المسيح لله ، وهل كان يقصد بها بنوة حقيقية أم مجازية ؟

ذهب صاحب الفكر اللاهوتي في رسائل بولس الى أن بولس حينما سمي المسيح ابن الله فقد كان يتحدث عن كائن الهي . (٢) وكذا الشرقاوي ذهب الى أن هذه الأقوال الواردة من بولس إنما قصد بها ألوهية متجسدة ، بل انها توضح تماما موقفه المتمثل في قوله بأن المسيح فعلا " ابن الله " ، وأن المسيح اله تجسد في صورة عبد أي انسان . (٣)

ويؤكد هذا د. محمد أبو الغيط الفرت قائلاً : ان المتصفح لرسائل بولس يجدها تحتوي عبارات لاهوتية غامضة يمكن أن تحمل على محاميل شتى من بينها أن يكون المسيح ابن الله بمعنى لاهوتي وهو الولادة العقلية ، ولهذا اعتمدت مسيحية بولس كثيرا من مقولات بولس في تصوير العقيدة على النحو الذي تشكلت به فيما بعد . (٤)

وعلى العكس مما سبق يذهب جينيير الى أن تعبير ابن الله الوارد على لسان بولس في وصف المسيح لم يكن في الواقع يمثل سوى خطأ لغوي فاحش ، وهي لغة لم يبدأ في استخدامها سوى النصارى الذين تأثروا بالثقافة اليونانية ، وهي اللغة التي استخدمها بولس .

ولقد كانت فكرة الله في وحدانيته هي المسيطرة على عقل بولس ، وقد تربي على هذه الفكرة باعتباره يهوديا ، الا أن الأمر الذي يدعو الى الدهشة والاستغراب هو كيف تصور بولس مع - ذلك - أن عيسى " ابن الله " !؟

(١) ر. لوقا ٩ : ٢٠

(٢) ١٤٣

(٣) ر . دراسات في الملل الشرقاوي ، ٩٠ .

(٤) عقيدتا التثليث والصلب ن ٢٨٠ .

يرى جينيبيير أنه من البساطة بمكان أن تتطور كلمة "خادم" في اللغة اليونانية الى كلمة "ابن" ، وقد حدث مثل هذا التطور اللفظي في النصوص اليهودية النصرانية كمجموعة أعمال الرسل عندما نقل بعضها الى رسائل بولس . (١)

وقد أطلق بولس على المسيح كلمة "ابن" ، ولم يكن يتوقع أن يتطور معناها الى بنوة حقيقية على مدار التاريخ ، أو أن يأخذ من بعده طابعا فلسفيا يذهب بمعناها كل مذهب ، وربما أطلقها كتعبير تقريبي عن علاقة أكثر من أن تكون علاقة بشرية بين الله وعيسى ، وربما كان لا يستطيع التعبير عن هذه العلاقة الا بهذا اللفظ الذي لا يحتمل المعنى الذي تفعل به نفسه الا به ، وربما لا يعدو في نظره أن يكون اصطلاحا لما ترضاه نفسه ، لأننا نراه في بعض تعبيراته عن هذه العلاقة يصرح بأن المسيح خاضع لهيمنة الله عليه ، حيث يقول : " وأما أنتم فللمسيح والمسيح لله " . (٢)

وذهب الدكتور عبدالمنعم عثمان الى أن الذي يبدو من كلام "ابن البطريق" المؤرخ النصراني أن بولس وأتباعه لم يعرفوا المسيح سوى انسان ، وتسميته بابن الله لا يقصد بها سوى التعبير المجازي ، وهو المحبة ، وكانوا لا يعرفون عن الله الا أنه واحد ، وقد سبق مذهبهم على لسان مسيحي يؤمن بالثالوث ، فجاء منطقته في التعبير عن هؤلاء الموحدين بهذا السياق . (٣)

وفي نفس هذا الاتجاه يقول الدكتور أبو الغيط الفرت معلقا : " مع قطع النظر عن المفسرين المبالغين في تحميل اللفظ ما لا يحتمله ، وربما كان ذلك داعي التقريب بين معنى لفظين هما أسمى ما في الوجود ، فاذا عبر عن المسيح بأنه ابن الله فرمما كان لا يريد به بنوة حقيقية وان أعطائها معنى البنوة الحقيقية أتباع مذهبه الآتين بعده دون ارادة منه متوقعة لما كشف عنه المستقبل عن هذه المغالات . (٤)

وبغض النظر عن مدى صحة أحد هذين التفسيرين لما أطلقه بولس على المسيح الصلوات ، من بنوته لله فلا يختلف أحد في أنه هو أول من أطلق لفظ البنوة على عيسى الصلوات ، سواء كان يعلم مسبقا بما سيؤول اليه هذا التعبير عند النصارى في المستقبل من عقائد باطلة ، أو لم يكن يتوقع ذلك.

(١) المسيحية جينيبيير ١٣٦

(٢) ١ كورنثوس ٣ : ٢٣ ، ور. المسيحية ، جينيبيير ١٣٦ ، ١ كورنثوس ٣ : ٢٣ ، وفيلبي ٢ : ٨ ، ١ كورنثوس ١٥ :

٢٨ ، ١ كورنثوس ٨ : ٦

(٣) المسيحية بين التوحيد والتثليث ٨٦ .

(٤) ر. حقيقة النصرانية من الكتب المقدسة ١٥٤

ويبقى علينا الآن أن نستكشف العوامل الدينية والثقافية التي أدت ببولس الى تحريف العقيدة النصرانية من التنزيه لله الى دعوى بنوة المسيح عليه السلام له - تعالى الله عن قولهم- .
 بالنظر الى العهد القديم والذي يحاول بولس نسبة أقواله اليه كما ينقل الشراوي عن بعض دارسي العهد الجديد ، حيث يقول : " ان مسألة وجود اللقب آنذاك في اليهودية مسألة لم يبت فيها ، ولكن حتى لو فرض استخدامه فقد يكون بمثابة لقب ملكي ، فالملك يطلق عليه "ابن الله" ، أما أن يرتبط اللقب بحيث يكون المسيح هو ابن الله ، فهذا المفهوم غير موجود لافي اليهودية ، ولا في النصرانية الأولى . (١)

وبالنظر الى المجتمعات الهلنستية التي عاش فيها بولس وتأثر بما فيها نجد أن لقب "ابن الله" يطلق في الأديان الشرقية القديمة حيث كان الملوك يعتبرون أبناء الله ، وهذا الاعتقاد كان معروفا في مصر حيث ان الحكام الفراعنة كانوا يعتبرون أبناء اله الشمس .
 وكان مفهوم "ابن الله" في الهلينية لا ينحصر في الحكام فقط ، ولكن أي شخص يعتقد أن لديه القدرة على أداء بعض المعجزات يعتبر "ابن الله" وقد وجد هذا المفهوم في الأديان الخفية التي يعتبر المؤسس فيها هو "ابن الله" . (٢)
 ولعل تحقق هذه المعاني في المسيح عليه السلام هو الذي حدا ببولس أن يطلق لقب "ابن الله" عليه لهذا الاعتبار .

وسوف نتناول وضع عقيدة البنوة في الأديان الشرقية بالتفصيل في الفصل المعقود لدراسة هذه الأديان ، ودراسة أثرها في تحريف النصرانية . (٣)

٤) القول بألوهية المسيح :

عرضنا لفكرة البنوة عند بولس بين قائل بأنها بنوة حقيقية وقائل بأنها مجازية في أقوال بولس ، وفيما يتعلق بوصفه للمسيح بالألوهية فهناك رأيان أيضاً ، أما الرأي الأول فقد ذهب أصحابه إلى القول بأن بولس لم يصف المسيح بالألوهية وأن ماورد عنه من عبارات ماهي إلا تمجيد لشخص المسيح ولا يعدو أكثر من ذلك .

(١) ر . دراسات في الملل ٩١ .

(٢) ر . دراسات في الملل ٩٣ ، وقصة الحضارة ٣ / ٢٦٤ . الايمان المسيحي هل هو معقول ، ص ٤٥

(٣) انظر ص ٣٢٥ .

واستدلوا بما أثبتته بولس في كلامه عن الله عز وجل وحده ، وصفاته الأحديّة ، وأنّه لا يمكن أن يكون بعد ذلك قال بألوهية المسيح ، وان كان هذا القول لا يوافق عليه النصارى أنفسهم الآن فهم يقولون بألوهية المسيح كما سنوضح .

ومما يستشهدون به من أقوال بولس في ذلك :

قوله : " ... نحن نعلم أن الوثن ليس بشيء في العالم وأنه لا إله غير واحد .. " (١)

وقوله : " لأن الله واحد والوسيط بين الله والناس واحد وهو الإنسان يسوع المسيح " (٢)

وأن الناس عندما أرادوا تأليهه وبرنابا أنكر ذلك . (٣)

وفي هذا يقول شارل جينبير : " إن فكرة الله بالنسبة لبولس تدخل ضمن ميراث العقيدة اليهودية فالله واحد لا شريك له ولا نظير له ، وما عداه خاضع لمشيئته " (٤)

ولا يستطيع بولس أن يأتي بما يقرب أكثر من هذا بين اللفظين البالغين في السمو أقصى درجاته وهما " السيد " و " الله " ، وتلك هي العلاقة الوثيقة التي عبر عنها بلغه البشر عندما قال : " إن السيد هو ابن الله " (٥)

ويذهب بعض الباحثين في استدلالهم على عدم قول بولس بالألوهية إلى أنه حين تحدث عن وضع المسيح أمام الله أعلن بصراحة ووضوح أنه يتحدث عن : اثنين ، لا عن شيء واحد ، وأن الله "الأعلى" ولا شك . وأن المسيح لا يتساوى مع الله . (٦)

ثم قالوا : ولقد جرى التقليد على أن بولس جعل المسيح إلهاً ، وفق عبارة يستشهد بها كثيراً ، تقول : " المسيح ، حسب الجسد ، الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد آمين " (٧)

(١) ١ كور نثوس ٨ : ٣ - ٦ طبعة الارثوذكس .

(٢) تيموثاوس ٢ : ٥ ، ر . ١٠ كور نثوس ١٥ : ٢٤ - ٢٨

(٣) انظر ص ١٣٥ .

(٤) المسيحية جينبير ١٣٥ ، و ر . ٢٦٩ دعوة التوحيد ، ٢٧٢ ، ر . الإسلام والأديان ١٥٢ ، الرد الجميل ٢٨٨ تحقيق الأب

رومير شدياق / ترجمة وتحقيق عبد العزيز عبد الحق حلمي الأزهر ، مجمع البحوث ١٣٩٢

(٥) المسيحية ، جينبير ١٣٥ بتصرف .

(٦) الإسلام والأديان ١٤٧ ، عقيدتنا التلث والصلب ٢٧١

(٧) رومية ٩ : ٥ .

لكنهم يرون أن هذا القول أصبح في حاجة إلى إعادة نظر على ضوء الترجمات المختلفة ، فكم غيرت المقارنة بين الترجمات من مفاهيم ومعتقدات سادت قروناً عديدة ثم ثبت زيفها .
فالترجمة القياسية المراجعة تقول : " وإلهم ينتسب الآباء ، ومن جنسهم المسيح حسب الجسد . تبارك الله الذي هو فوق كل شيء إلى الأبد . آمين " . وتتفق مع هذا ترجمة " الإنجليزية اليوم " حيث تجعل التبريك خاصاً بالله فقط ، ولا تنسب للمسيح ألوهية .

وبالنسبة للترجم الفرنسية : نجد أن ترجمة " لوي سيجو " تتفق مع التراجم العربية في جعل التبريك والألوهية يتعلقان بالمسيح ، إلا أنها تشير في الحاشية إلى أنه يمكن ترجمة تلك الفقرة بما يخالف ذلك ، حيث يتعلق التبريك والألوهية بالله .

وتذكر الترجمة الفرنسية المسكونية في الحاشية أن بعض المفسرين يختمون الجملة الأولى بكلمة المسيح، لبدأ الجملة الثانية بتسبيحة لله الأب ، مع إشارة هامة إلى أن هذا القول له نظائر كثيرة في رسائل بولس فهو يتفق مع أسلوبه كما جاء في رسائله . مما يدل على أن التبريك والألوهية لله وحده وليست للمسيح .^(١)

وهكذا أصبح هذا القول في حاجة إلى مراجعة على ضوء مفهوم بولس لوضع المسيح بالنسبة لله كما عبر عنه في رسائله على نحو ما ذكروا .

ويرى أصحاب هذا الرأي أن بولس إذا كان قد انزلق ووصف المسيح بالألوهية في هذا القول أو في غيره فالواقع أنه بذلك يكون قد ناقض نفسه في عقيدة التوحيد التي صرح بها كثيراً في رسائله ، ولا يمكن أن يصدر عنه هذا القول – وما شابهه – وهو في حالة وعي وتيقظ ، بل لابد أن يكون قد اعترته غيبوبة كتلك التي يقول فيها عن نفسه ، حسب ترجمة الكتاب المقدس للبروتستانت : " وحدث لي بعدما رجعت إلى اورشليم وكنت أصلي في الهيكل أنني حصلت في غيبة " .^(٢) أو بتعبير العهد الجديد للمطبعة الكاثوليكية : " بينما أنا أصلي ، غبت عن الحس " .^(٣)

ثم قالوا : بل إن الأمر يحتاج إلى تمحيص حتى نتبين حقيقة هذا الفكر العقائدي المتقلب الذي يتردد بين عقائد أهل اليمين مرة وعقائد أهل الشمال مرات ومرات .^(٤)

(١) الاسلام والأديان ١٤٩ ، ١٥٠ ،

(٢) أعمال الرسل ٢٢ : ١٧ .

(٣) الاسلام والأديان ١٥٠ ،

(٤) الإسلام والأديان ١٤٨ .

أما الرأي الثاني فهو رأي القائلين بأن بولس وصف المسيح بالألوهية بناء على أنه أثبت بنوته لله فمجرد اثبات بنوة المسيح لله يعتبر من وجهة نظرهم قولاً بألوهيته .

وفيما يتعلق بمدى صحة نسبة القول بألوهية المسيح لبولس نتبع أقواله في رسائله في وصف المسيح وعلاقته بالله والناس لنستخلص من جملة هذه الأقوال مدى صحة نسبة هذا القول إلى بولس، هذا إن لم يكن قد نصّ على ذلك صراحة .

وبتتبع هذه الأقوال نقرر الحقائق التالية :

أولاً : أن بولس يتحدث في رسائله عن الله وعن المسيح كموجودين مستقلين ، يطلق على الإله اسم لفظ الجلالة وعلى المسيح اسم الرب كألفاظ مفردة أو مركبة تركيباً إضافياً .
يقول بولس : " نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح " .^(١)
ويقول : أمين هو الله الذي به دعيتم إلى شركة ابنه يسوع المسيح ربنا .^(٢)

ثانياً : أن لفظ الرب في إطلاقه على المسيح في بعض أقواله قد يأتي صراحة بمعنى السيد أو المولى دلالة على الاعتبار والإكرام ، يقول : " لأنكم تخدمون الرب المسيح " .^(٣)
وفي نصوص أخرى يكون لفظ الرب في إطلاقه على المسيح بمعنى الإله ، حيث تكون العبادة متوجهة إليه والعبادة لا تكون إلا لاله حيث يصف المسيح بأنه به جميع الأشياء .

وفي هذا يقول بولس : " مقدمين بعضكم بعضاً في الكرامة غير متكاسلين في الاجتهاد عابدين الرب " .^(٤)

لكن لنا إله واحد الأب الذي منه جميع الأشياء ونحن له ورب واحد يسوع المسيح الذي به جميع الأشياء ونحن به .^(٥)

(١) رومية ١ : ٧

(٢) ١ كورنثوس ١ : ٩ و ٢ كورنثوس ١ : ٣ ، ٢ كورنثوس ٨ : ٥ ، ٢ غلاطية ١١ : ٣٠ ، غلاطية ١ : ٤ ، أفسس ١

١٦ :

(٣) كورنثوس ٣ : ٢٥

(٤) رومية ١٢ : ٢٢

(٥) ١ كورنثوس ٨ : ٦

ثالثاً:- في تحقيق الصلة بين الله والمسيح يقرر بولس أنّ الله حلّ في المسيح يقول: "عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد تبرر في الروح" (١)، وأن اللاهوت بكليته تجسد بالناسوت حيث يقول: "الذي إذا كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله، لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائر في شبه الناس، وإذا وجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب، لذلك رفعه الله أيضاً. وأعطاه اسماً فوق كل اسم، لكي تحثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض، وتحت الأرض، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو الرب لمجد الله الأب" (٢).

وينسب إليه أبوته للمسيح حيث يقول: "فان الله أمين فقد دعاكم الى الشركة مع ابنه يسوع ربنا" (٣).

وينسب بنوة المسيح له حيث يقول: "تبين بقوة أنه ابن الله بالقيامة من بين الأموات أنه يسوع المسيح ربنا" (٤).

ويصفه بأنه الصورة الكاملة للإله غير المنظور حيث يقول في ذلك: "الذي هو - يعني المسيح - صورة الله غير المنظور، بكر كل خليقة، فإنه فيه خلق الكل، ما في السموات وما على الأرض، ما يرى وما لا يرى، سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين، الكل به وله قد خلق" (٥).

ويستخلص من جملة هذه النصوص أنّ بولس يرى أن هناك شركة بين الله والمسيح في الطبيعة الإلهية فهذا هو مقتضى الأبوة والبنوة بينهما ومقتضى الحلول والتجسد من الله في المسيح وكون المسيح صورة للإله.

بالإضافة إلى كونه رباً تقدم له العبادة وبه تكون جميع الأشياء. بل إن وظيفته كفادي ومخلص لا يقوم بها كائن عادي.

(٥) ١ كورونثوس ٨ : ٦

(١) ١٦ : ٣

(٢) ١١ - ٦ : ٣

(٣) ١ كورونثوس ١ : ٩

(٤) رومية ١ : ٤

(٥) كولوسي ١ : ١٦

وهذا هو ما نجده في تحليل قاموس الكتاب المقدس للمفردات التي ذكرت في وصف المسيح، قال: "المسيح بما أنه ابن الله فهو إله بكل الكمالات غير المحدودة التي للجوهر الإلهي". ويستشهدون بأقوال بولس .

"الذي كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله" (١)

"الذي إذا هو في صورة الله لم يكن يعتبر مساواته إختلاساً" (٢) ثم قال: والابن مساوٍ لله في الطبيعة" (٣)

وهو يصفه أحياناً بأنه موضوع الإيمان (٤) . وديان العالم (٥) واهب الحياة الابدية (٦) . وأنه المعبود الحقيقي (٧) .

وبهذا كله يصح لنا أن نقول أن بولس يقول بألوهية المسيح ، أو على الأقل أنه ذو طبيعة إلهية ، بل إن هذا الحكم ليس مجرد استنتاج من استقراء النصوص على النحو الذي ذكرناه ، ولكن جاء إطلاق وصف الألوهية عليه صراحة حيث يقول: "الكائن على الكل إلهاً مباركاً للأبد" .

كما يظهر في كلام بولس التناقض الشديد في موقفه من المسيح التيلا فمرة يجعله ابناً ومرة يقول بالحللول والتجسد الآلهي فيه، ومرة يفصل بينه وبين الإله ، وهذا لا شك حال الكذبة المفترين والمبتدعين .

أما قول الذين يبرؤون بولس من تأليه المسيح - من أن هذا النصّ لو صح بجيئه على هذا النحو من بولس لكان متناقضاً مع نفسه حيث أثبت تفرد الإله بالألوهية في النصوص الأخرى- فنقول هذا ليس هو أول تناقض لبولس مع نفسه في رسائله العقديّة كما أن فيه دلالة على أن

(١) فيلبي ٢ : ٧

(٢) فيلبي ٢ : ٧ طبعة الارثوذكس .

(٣) ر . قاموس الكتاب المقدس ١٠٨ .

(٤) رومية ١٠ : ٩-١٠ .

(٥) رومية ٢ : ١٦ .

(٦) رومية ٥ : ٢١ ، ٦ : ٢٣ .

(٧) كورنثوس ١ : ٢ وانظر نصوص أخرى تؤكد هذه المعاني في علم الآهوت النظامي ٣٤٢-٣٤٨ .

بولس لم يكن يقول بالتثليث كما يقول بالنصارى بعده ، فاعتراضه هذا مبني على اعتقادهم أن الله تعالى والمسيح عيسى عليه السلام شيء واحد .

وأما قولهم أن هذا النص ربما قاله في حال من الغيبوبة كتلك التي أثبتنا لنفسه أثناء صلاته ، فالغيبوبة عن النفس في الصلاة ليست مقصورة على بولس بل تعرض لكثير من العباد في كل دين ، لكن الغيبوبة في الصلاة لا تقتضي بالضرورة غيبوبته أثناء تقريره للعقيدة ، فوضع الصلاة غير وضع الفكر والكتابة .

وأما الاحتجاج بوجود ترجمات أخرى لهذا النص في الترجمات المشار إليها تخلو من وصف المسيح بالألوهية ويقتصر هذا الوصف على الله وحده ، فالواقع أنه ليس هناك مقياس يُرجع إليه في تقديم ترجمة على أخرى ، لا سيما مع وجود الكم الهائل من الترجمات لرسائل بولس وغيرها من الأسفار . كما أنه إذا أمكن ذلك القول في نص من النصوص ذلك فهناك النصوص العديدة التي لا يمكن ادعاء ما ادعوا فيها من الخطأ في الترجمة إلا بالتعسف .

وهكذا وضع بولس بذرة ألوهية المسيح ، وصادفت البذرة أرضاً خصبة في عقول أولئك الذين لهم معرفة بالفلسفات والاتجاهات التي سبقت النصرانية .

وساعد على نمو هذه الأفكار ما صادفه النصارى الأوائل من الاضطهاد المدمر التي التهمت كثيراً من مراجعهم وقضت على أتباع النصرانية الحقيقيين أو كادت ، وفقدت النصرانية طابعها من كثرة ما تأثرت بالثقافات المختلفة بل بالخرافات المتعددة ، وخرجت إلى الناس بعد هذه المدة وبعد تلك الأجيال وفيها تناقض ظاهر في كل معالمها ، وأشد أنواع التناقض هو ما اتصل بالمسيح نفسه.^(١)

وعن مصدر بولس في قوله بالألوهية أو البنوة ، فقد أشرنا إلى ما كان من تأثير البيئة التي نشأ فيها ، وذهب بعض الباحثين أن الرومان أنفسهم أشاعوا هذا القول في حياة المسيح عليه السلام ، ومن بعده .

بل زعم بعضهم أن بولس هذا الها متجسدا ، فانتهم بولس هذه الفرصة السانحة ونادى بالألوهية المسيح جهرا ، وبدون خوف ، اعتمادا على أن الرومان يألفون هذه العقيدة .

وفي الإنجيل المنسوب إلى برنابا : أشاع جنود الرومان الذين يحتلون أورشليم آنذاك أن يسوع هو الله قد جاء ليفتقدتهم ، فحدثت بسبب ذلك فتنة كبرى ... لأن فريقا قال : ان يسوع هو الله قد جاء إلى العالم ، وقال فريق آخر : كلا بل هو ابن الله ، وقال آخرون : كلا لأنه ليس لله شبه بشري ، بل ان يسوع الناصري نبي الله ، ووقف عيسى خطيبا ليحمد هذه الفتنة . ويحكى برنابا

(١) المسيحية شلي ١٤٧

أن كاهن اليهودية والوالي والملك قالوا لعيسى عليه السلام : لاتزعج نفسك يا يسوع قدوس الله، لأن هذه الفتنة لاتحدث في زمننا مرة اخرى ، لأننا سنكتب الى مجلس الشيوخ الروماني المقدس باصدار أمر ملكي أن لأحد يدعوك فيما بعد الله أو ابن الله .

وقد أشار الى هذا المرسوم الملكي صاحب تاريخ الأقباط .^(١)

٥) عقيدة بولس في الروح القدس ومدى صلته بعقيدة التثليث :

اختلفت أقوال الباحثين حول مفهوم الروح القدس عند بولس ، فذهب بعضهم الى أن بولس لم يعط عقيدة وافية عن الروح القدس كما فعل في كلامه عن المسيح ، ومع ذلك فان الروح يلعب دورا هاما وكبيرا في رأيه ويكون جزءا كبيرا من تعاليمه .

وقد ظهر أن بولس استعمل كلمة الروح في معنيين :

المعنى الأول : هو المعنى البشري ، أي الروح الانسانية ، ويوجد في فقرات كثيرة من أقواله منها : "نعمة ربنا يسوع المسيح مع روحكم أيها الأخوة " ^(٢) . أما الاستعمال الثاني فيصف به تيارا قويا غير طبيعي يؤثر في الناس ، ويظهر ذلك في عبارات مثل " ثم بما أنكم أبناء الله أرسل الله روح ابنه الى قلوبكم صارخا ياأبا الأب " ^(٣) . أما في غير هذين المعنيين فاستعمالاته نادرة .^(٤)

وهو عندما يتكلم عن الروح تارة يتكلم عنه كجوهر منفصل ، وتارة اخرى يتكلم عنه عاملا في الانسان ، حتى يصعب على الدارس أن يفصل بينه وبين روح الانسان . ولذلك فهو يقارن بين الاثنين وذلك في الفقرة التي ورد ذكرها في رسالته الى أهل كورنثوس ، حيث يقول : " لأن من من الناس يعرف أمور الانسان الا روح الانسان الذي فيه . هكذا أيضا أمور الله لايعرفها أحد الا روح الله " ^(٥) ، ولكنه في نفس الوقت هو الروح الذي

(١) ر . برنابا ٩٣ ، ٩٦ ، ٩٧ . وتاريخ الأقباط ١ / ٦٩ - ٧٠ .

(٢) غلاطية ٦ : ١٨ .

(٣) غلاطية ٤ : ٦ .

(٤) ر . دعوة التوحيد ٢٧٣ .

(٥) ٢ : ١١ - ١٢ .

يسكن مع روح الانسان ، وفي هذا يقول : " وان كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكنا فيكم فالذي أقام يسوع من الأموات سيحيي أجسادكم المائة بروحه الساكن فيكم " (١) .

ويرى أصحاب هذا الرأي أن الحقيقة التي رسخت في ذهن بولس هي تميز الروح القدس وسموه عن روح الانسان . أما عن أقنومية الروح القدس فهذه القضية لم تواجه بولس مع أنه ذكر الأب والابن والروح القدس ، ولكنه لم يترك في كتاباته عقيدة محددة عن التثليث ، وما يؤخذ من كتاباته هو أن الأب يعمل في المسيح يسوع وبالروح القدس (٢) . والروح القدس في فكر بولس له كيان متميز عن الأب (٣)

وقد لاحظ الدارسون أن بولس يستخدم نفس اللغة عندما يتكلم عن عمل الابن وعمل الروح القدس ، فعندما يذكر علاقة المؤمن بالمسيح فانه يقول انه في المسيح ، كما في رسالته الى أهل رومية (٤) ، وكذلك الحال مع المؤمن والروح القدس فالمؤمن يعيش مع الروح كما يذكر في رومية (٥) .

وهذه العلاقة يعبر عنها بطريقة أخرى أي أن المسيح يسكن في المؤمن نتيجة الموت مع المسيح (٦) ، وعندما يموت الانسان في المسيح ويقوم فيه فان هذا العمل يتبع فيه موته عن الخطية (٧) ، وهو يذكر دائما أن الروح وكذلك المسيح هما حياة المؤمن (٨) .

ومن هذه اللغة المتوازية عن الابن والروح القدس رأى أصحاب هذا الرأي أن المسيح والروح القدس في فكر بولس يتشابهان في عملهما ولكنهما يتميزان في شخصيتهما . (٩)

(١) رومية ٨ : ١١ .

(٢) ر. ٢ كور ثوس ٥ : ١٩ ، رومية ٨ : ١١ . ر. الروح القدس ، فهم عزيز ، ٥٣ وما بعدها .

(٣) ر. غلاطية ٤ : ٦ ، رومية ٨ : ٩ ، والفكر اللاهوتي في رسائل بولس ١٥٧ ، ودعوة التوحيد ٢٧٤ .

(٤) ٨ : ١ .

(٥) ٦ : ٤ - ٩ .

(٦) ر. رومية ٨ : ١ .

(٧) ر. رومية ٦ : ٢ ، ٣ ، ٨ : ١٠ .

(٨) ر. رومية ٨ : ٢ .

(٩) ر. الفكر اللاهوتي في رسائل بولس ١٥٧ ، ودعوة التوحيد ٢٧٦ .

أما الرأي الثاني فيرى أصحابه أن بولس نسب الى الروح القدس ما يمكن أن ينسب الى ذات الله ، وهو مذهب اليه قاموس الكتاب المقدس في اثبات ألوهية الروح القدس اذ نسب اليه أسماء الله الحي وصفاته وأعماله وعبادته ، مستدلا بأقوال لبولس وردت في هذا المقام .^(١) حيث يقول : " أما تعلمون أن هيكل الله وروح الله يسكن فيكم " ^(٢) ، وقوله : " وان كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكنا فيكم فالذي أقام المسيح من الأموات سيحي أجسادكم المائة أيضا بروحه الساكن فيكم " ^(٣)

فمن هذه الأقوال على لسان بولس ، وغيرها على لسان غيره قال النصارى بألوهية الروح القدس . بل ان أصحاب هذا الرأي ذهبوا الى أن بولس كان يسعى الى تأصيل الثالوث في نصرانيته البولسية أو لاهوته النصراني : الأب والابن والروح القدس ، فيرى أن أقنومي الأب والابن أصلهما بولس في رسالته الأولى الى أهل رومية ، أما أقنوم الروح القدس فأصله في رسالته الى أهل أفسس ، حيث يقول : " مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام " ^(٤) ، وقد كتب بولس رسالته الى أهل أفسس عام ٦٢م أي بعد خمس سنوات من رسالته الى أهل رومية ، تلك التي أعلن فيها اكتشافه للأقنومين الإلهيين الأولين : اله الأب واله الابن .

ثم قالوا : ولا ندري تعليلا لهذا الأمر الغريب ، الا أن تكون صورة الثالوث الإلهي المقدس لم تكتمل في مخيلة بولس الا على مراحل ، فكان أن جاء اكتشاف الأقنوم الثالث "الروح القدس" متأخرا خمس سنوات عن الأقنومين الأولين .^(٥)

وزاد بعضهم - ما أشرنا إليه من قبل - الى أنه استعار من فلاسفة اليونان وبخاصة الفيلسوف "فيلو" فكرة اتصال الاله بالأرض عن طريق الكلمة ، أو ابن الاله أو الروح القدس .^(٦) ولعل هذا الرأي فيه من الصواب الكثير لاسيما وفيلون يمكن اعتباره معاصرا لبولس ، بل يقال إن

(١) ر. قاموس الكتاب المقدس ٤١٤ ، إيماني ، الياس مقار ١٨٣ .

(٢) ١ كور نثوس ٣ : ١٦ .

(٣) رومية ٨ : ١١ .

(٤) أفسس ٤ : ٢ .

(٥) ر. الاسلام والمسيحية في الميزان ٢٣٣ ، ٢٣٤ .

(٦) ر. المسيحية ، لشليبي ٢٠٩ ، عن كتاب ديانات العالم ٧٠ .

فيلون أثناء زيارته لروما قابل بولس ، فلايستبعد هذا التأثير ، لاسيما وأنا نجد من الشواهد الفلسفية الكثير في كلام بولس وعباراته .^(١)

ويستدل أصحاب هذا الرأي بما ورد على لسان بولس في رسالته الثانية الى أهل كورنثوس: "نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله ، وشركة الروح القدس مع جميعكم " ^(٢)

ومن مال الى قول بولس بألوهية الروح القدس أضاف اليه ماورد عنه من القول بالبنوة والتجسد والألوهية وبالتالي ذهب الى أن بولس قال بالتثليث .

وزاد بعض الباحثين أن التأثيرات والثقافات التي عرفها بولس وعلى رأسها "لاهوتيات الاسكندرية" ومدرستها الفلسفية المسماة "الأفلوطينية الحديثة" ، وعقيدتها الثالوثية هي التي نقل عنها بولس فكرة التثليث .^(٣)

أو بالأحرى - على حد تعبيرهم - فكرة اتصال الاله بالأرض عن طريق الكلمة أو ابن الاله أو الروح القدس .^(٤)

وهو بعيد ، فالأفلوطينية الحديثة ظهرت في القرن الثالث كما سنوضح ^(٥) ، وبولس مات على أبعد تقدير بعد منتصف القرن الأول الميلادي .

أما الرأي الثاني فيرى أصحابه أن بولس لايعلم شيئا عن التثليث ، وأنه مما استحدثه آباء الكنيسة فيما بعد على مراحل ، حين قرروا في مجمع نيقية عام ٣٢٥م أن المسيح ابن الله المولود من الأب ، وأنه مساو للأب في الجوهر ، ولم يذكروا شيئا عن الروح القدس في ذلك الحين ، فلم يدخل ضمن الآلهة . ثم قرروا في مجمع القسطنطينية الأول عام ٣٨١م أن الروح القدس خالق غير مخلوق ، وأنه اله من طبيعة الأب والابن ، وأن الأب والابن والروح القدس ثلاثة أقانيم ، وأن هؤلاء الثلاثة اله واحد .^(٦)

(١) تاريخ فكرة الكنيسة القديمة . history and thought of the early church . ص ١٢ ، ١٣ .

(٢) ٢ كورنثوس ١٣ : ١٤ .

(٣) ر . العلمانية ٣٨ ، وعقيدتا التثليث والصلب ٢٥٠ .

(٤) ر . النصرانية والاسلام ، الطهطاوي ٢٧١ .

(٥) انظر فصل الفلاسفات ص ٣٤٨ .

(٦) ر . الاسلام والأديان ن مصطفى حلمي ١٥٢ ، حقيقة النصرانية من الكتب المقدسة ١٥٣ .

أما ماورد على لسان بولس في رسالته الى أهل كورنثوس فلا يدل على التساوي بين الله والمسيح والروح القدس ، وإنما هو جمع بين المرسل ورسله ، ولكل منهم حقيقته ودرجته الخاصة ، كما يقول الشيخ رحمة الله الهندي . (١)

ومن قال ان بولس قال بالتثليث لم يورد من النصوص ما يدل على قول بولس به ، أو تشبعه بفكرة التثليث ، ثم ان أول ما بدأ بولس الدعوة إليه هو القول ببنوة المسيح لله ، فهل كانت فكرة الثالوث تشربت في ذهنه ، وبدأ يدعو إلى بداياتها ؟

إن التفصيل في مسألة الثالوث لا نجد الا عند شارحي أقوال بولس او كتاب النصرانية فيما بعد (٢) وما من شك في أن بولس وضع البذور التي نقل بها النصرانية من الوحدانية الى التثليث ، ووافقت فكرة التثليث الجماهير التي كانت قد نفرت من اليهودية لتعصبها ، ومن الوثنية لبدائيتها ، فوجدت في الدين الجديد ملجأ لها وبخاصة أنه أصبح غير بعيد عن معارفهم السابقة التي ألفوها وورثوها عن أجدادهم . (٣)

وهكذا فان بولس سواء قال بألوهية الروح القدس أو لم يقل ، وسواء قال بالتثليث أو لم يقل فإنه يتحمل تلك المقولات المنحرفة التي آلت إليها النصرانية بما ورد في رسائله من عبارات والأطلاقات التي اعتمد عليها النصارى في دعاويهم الباطلة ، وكانت سبباً من اكبر الأسباب في نقل ديانة المسيح عليه السلام من التوحيد إلى الشرك .

ثالثاً - شرائع بولس المحرفة ودوافعه إليها :

١) القول بعموم الرسالة ، أو بعالمية النصرانية :-

يؤمن النصارى اليوم أن النصرانية دين عالمي لكل أنحاء الأرض وجميع الشعوب ، رغم أن المسيح عليه السلام وحوارييه لم يقولوا بذلك ، واقتصرت دعوتهم على شعب بني اسرائيل . (٤)

(١) ر. اظهر الحق ٢ / ٥٤٥ ، رسائل الرسل ٥٥٩ ، أدولف هرنالك ١ / ٧٩ .

(٢) انظر على سبيل المثال النقول التي أوردها د. أحمد شليبي عن كتاب النصرانية في بيان حقيقة الثالوث ١٣٩ - ١٤٦ .

(٣) ر. النصرانية ، شليبي ١٢٨ .

(٤) النصرانية التوحيد الى التثليث ٨٩ .

والأنجيل تحدثنا على لسان المسيح عليه السلام أنه قال : " انما بعثت للخراف الضالة من بني اسرائيل " وهذا يفيد أن رسالة المسيح موجهة لليهود وحدهم ، وقاصرة على تقويم الضالين من اليهود ، كما قال عليه السلام : " لاتظنوا أنني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ماجئت لأنقض بل لأكمل " .^(١) فرسالته حسب قوله هي استكمال لرسالة موسى عليه السلام ، وموجهة لبني اسرائيل دون غيرهم .

ويرجع تأصيل دخول فكرة العالمية الى النصرانية الى بولس ، ويعتمد في زعمه هذا علي رؤية المسيح عليه السلام ، وادعائه أنه أمره بتبليغ النصرانية الى جميع الأمم ، حيث يذكر أن المسيح قال له في رؤياه المزعومة : " ... منقذا اياك من الشعب ومن الأمم الذين أنا أرسلك اليهم... " ^(٢) ولقد كان القول بعالمية الرسالة نقطة التحول في هذه الديانة ، فليس هناك شك في أن بولس هو أول من قال بها .^(٣) يقول المستشار عزت الطهطاوي : " بولس هو المسؤول الأول عن تحويل الديانة النصرانية عن مجرد ملة لطائفة يهودية الى ديانة كبرى .^(٤)

وموقف بولس من هذه المسألة واضح تماما ، ليس فيه أي تناقض حيث لم يتضح لدى دارسي الأديان أنه ناقض موقفه هذا في أي رسالة من رسائله .^(٥) بل ان جميع رسائله تتفق حول هذا الموضوع . ومن أقواله في ذلك : " لا فرق بعد الآن بين يهودي ويوناني أو عبد أو حر أو ذكر أو أنثى لأنكم جميعا واحد في المسيح يسوع " .^(٦) وفي رسالته الى أهل روما يقول : " أنا في غاية الشوق اليكم أن أبشر بالانجيل أيضا بينكم أنتم الذين في روما " ^(٧) وفي رسالة كورنثوس الأولى يقول : " فاننا بالروح الواحد قد تعمدنا جميعا لنصير جسدا واحدا سواء كنا يهودا أو وثنيين " ^(٨)

(١) متى ٥ : ١٧ .

(٢) أعمال الرسل ٢٦ : ١٢ - ١٨ ، وقد ناقض نفسه حتى في هذا فتارة يقول أنه أمر من المسيح ، ر . رسالة غلاطية ١ : ١٢ ،

وتارة يقول أنه من قبل الله الذي أرسل ابنه المسيح ، ر . رسالة غلاطية ١ : ١٦ .

(٣) المسيحية شلبي ١١٦ ، مع العقيدة والحركة والمنهج ٢٩٢ .

(٤) الميزان في مقارنة الأديان ١٣١

(٥) دراسات في الملل ٦٤ ، دراسات في الأديان ٢٢٣

(٦) غلاطية ٣ : ٢٨

(٧) ١٥ : ١

(٨) ١٣ : ١٢

ولذلك سار في الدعوة الى النصرانية وفق مبدأ اختطه لنفسه ، وهو أن يكسب أكبر عدد من الأتباع بصرف النظر عن حقيقة قبولهم للعقيدة الجديدة وإيمانهم بها إيماناً خالياً من شوائب عقائدهم السابقة .^(١)

ولقد بحث العلماء في تعليل قول بولس بعموم الرسالة والتي أثرت فيه ، فأرجع بعضهم القول الى ما كان من تكوين قوميات مختلفة في كمنولث واحد^٢ ، حيث كانت فكرة الكمنولث شائعة في العالم الوثني في وقته ، وكانت روما في تأثرها بالمثل العالية للرواقيين - الذين قدموا أيام بولس رئيساً لوزراء الامبراطورية ، وفي القرن التالي له اعتلى أحدهم عرش الامبراطورية - فحاول تأسيس ذلك الكمنولث - .

وقد تأثر بولس كأحد المواطنين الرومان بهذه الفكرة في انشاء كمنولث نصراني يضم قوميات وأقطارا وطوائف شتى ، يكفي ألا يربطها سوى اسم المسيح ، بدعوته الى عالمية الرسالة.^(٣)

وهو يعترف في رسائله بأنه لم يتحرز عن استخدام كل الوسائل لكسب أكبر عدد من الأتباع فهو يقول : " اذ كنت حراً للجميع استعبدت نفسي للجميع لأربح الكثيرين ، صرت لكل كل شيء لأخلص على كل حال قوما ..."^(٤)

وربما وجدنا في شخصية بولس بكل ما يتمثل فيها من عوامل نفسية أو فكرية ما يفسر لنا قوله بعالمية الرسالة النصرانية .

وقد كان تلمس هذه العوامل موضع اهتمام الباحثين ، حيث يرى ديورانت أن قول بولس بعالمية الرسالة يتواءم مع فكرته التي أدخلها الى النصرانية ، وهي كون المسيح فاديا للبشرية من خطيئتها ، فمن الطبيعي أن يكون الفادي للبشرية كلها رسولا للبشرية كلها .

وفي ذلك يقول ديورانت : " لقد عزل بولس المسيح من اليهود وجعله مسيحاً غير المسيح المنتظر الذي ينتظرونه لخلاصهم ، وبذلك يستطيع أن يجعل منه الاله الذي تجسد ثم صلب من أجل

(٨) ١٢ : ١٣

(١) الوحي والملائكة ٥٤

(٢) الكمنولث : جماعة من الأشخاص أو الدول تشد بعض أفرادها إلى بعض مصلحة مشتركة . المورد ، ١٩٨ .

(٣) مناظرة بين الإسلام والنصرانية نقلاً عن كتاب ماذا يعنيه بولس ١٥٤

(٤) كورنثوس ٩ : ١٩ - ٢٣

خلاص العالم ، لامن أجل خلاص اليهود وحدهم ، وبهذا يضمن لدعوته مجالا يتحرك بها في الامبراطورية الرومانية بين الرومان والشعوب الخاضعة لدولتهم .^(١)

وربما أراد بولس أن يجرد النصرانية من عناصرها اليهودية فكان طريقه الى ذلك كما يرى "جوستاف لوبون" أن يدعي لها صفة العالمية .^(٢)

وقد يكون هذا القول منه تعبيرا أو محاولة لاظهار تحرره من سلطة تلاميذ المسيح عليه السلام ، فخالقهم فيما يذهبون اليه من كون النصرانية موجهة الى اليهود بدعواه لعالميتها ، باعتبار أن ذلك كان منه بتوجيه المسيح عليه السلام نفسه - كما يدعي - حيث يقول : " واعلموا أيها الأخوة أن الانجيل الذي بشرتكم به ليس انجيلا بشريا فلا أنا تسلمته من انسان ولا تلقيته ، بل جاءني باعلان من يسوع المسيح " ^(٣) . والى هذا ذهب الدكتور محمد الشرقاوي .^(٤)

وهناك احتمال آخر وهو أن بولس رأى انحسار ديانة اليهود وانحصارها فيهم وكان لذلك أثر كبير في عدم انتشارها بين غيرهم واستمرار العداء من غيرهم لهم ، فرأى الخروج بالديانة النصرانية عن ذلك الاطار التقليدي حتى يكسب لها انصاراً واتباعاً يمكن ان يدافعوا عنها . ولكن تلك النظرة كانت قاصرة لأن بولس لما خرج بالديانة إلى الوثنيين لم يستطع أن يحافظ على نقاوتها وأصالتها بل بدأ يغير ويبدل فيها حتى تلقى القبول لدى الوثنيين فصار الخروج بها إلى غير بنى اسرائيل من اسباب التحريف والتبديل الذي اراد به بولس أن تجدد الديانة رواجاً لدى الوثنيين . والله أعلم .

وأيا كانت التفسيرات المتعددة لدوافعه النفسية والفكرية التي جعلته يتجه بالنصرانية اتجاهها عالميا فالذي يهمنا أن ننتهي اليه في هذا المقام هو ما قررناه آنفا من أنه كان أول من جعل النصرانية رسالة عالمية خلافا لتصريح المسيح عليه السلام وما نقلوه من أنه كان مبعوثا ومرسلا الى بنى اسرائيل وحدهم .

(١) قصة الحضارة ١١ / ٢٦٥ ، عقيدتنا التثليث والصلب ٢٨١

(٢) حياة الحقائق ص ٦٢ .

(٣) غلاطية ١ : ١١

(٤) دراسات في الملل ٦٣ ، ٦٤ ، ور. تاريخ وفكرة الكنيسة القديمة ١٥ ، ١٦

٢) العشاء الرباني أو القربان المقدس :-

سبق أن ذكرنا عند حديثنا عن الجماعة الأولى بعد رفع عيسى عليه السلام ، أنهم كانوا يجتمعون في دار أحدهم ويقتسمون الخبز جماعة ، ويرددون بعض العبارات استرجاعاً لما كان من عشاء عيسى عليه السلام الأخير معهم . ولكنهم وحتى ذلك الوقت لم يكونوا ليربطوا بصله ما بين كسرة الخبز وبين موت المسيح عليه السلام ، ولم يحملوا التقليد في ذاته قيماً تبلغ به مستوى الشعائر القدسية .^(١)

أما عن صورة العشاء الرباني ومفهومه عند النصارى في الوقت الحاضر فهو عبارة عن اجتماع عام يقدم فيه لكل واحد من المجتمعين قطعة من الخبز مع كأس من الخمر يتناولونه داخل الكنيسة رمزا وتذكارا لصلب المسيح عندهم . وعند الكاثوليك من النصارى أن من أكل هذا الخبز وشرب الخمر فقد أكل لحم المسيح وشرب دمه ، لأنه يتحول عندهم حقيقة إلى لحم المسيح ودمه . بينما يرى غير الكاثوليك أن هذا رمز لما حل بالمسيح ، أو أن المسيح يحضر روحياً هذا العشاء ، وليس له وقت محدد ، وإنما يرون ممارسته مرات عديدة في العام .^(٢)

وقد كانت مسألة العشاء الرباني مما اختلف فيه ، ومن الموضوعات التي عقدت لها مجامع ناقشتها الكنيسة .

ويوضح " الياس مقار " معاني هذه الفريضة والتي يتم العشاء الرباني لتأكيداتها في عقيدة النصارى وقلوبهم قائلاً : ان للعشاء الرباني - بالنسبة للمسيحيين - أكثر من معنى :

المعنى الأول : العشاء الرباني عهد بين المسيح وأتباعه وتلاميذه من المؤمنين ، في كل جيل وعصر مكتوب بالدم ، وهو أكثر عمقا وامتدادا من العهد الذي قام بين الله وشعبه عندما أخذ موسى كتاب العهد وقرأ في مسامع الشعب ، فقالوا : كل ما تكلم به الرب نفعل ونسمع له ، وأخذ موسى الدم ورش على الشعب وقال : هو ذا دم العهد الجديد الذي قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال .^(٣)

(١) انظر ص ٧٧ .

(٢) ر . حقائق أساسية في الإيمان المسيحي ٢٥٠ ، المعمودية والافخارستية والكهنوت ٤١ - ٥٨ ، النصرانية والاسلام ، الخلف

٤٤٢ ، في العبادات النصرانية ، دراسة نقدية ، محمود حمادة ، ١٠-١٥ .

(٣) ر . إيماني ، الياس مقار ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ور . خروج ٢٤ : ٧ - ٨

وقد حل العشاء الرباني محل الفصح اليهودي^(١)، لأن الفصح القديم في كل طقسيته لم يكن الا رمزا للمسيح عندهم ، اذ يقول بولس : " ان فصحننا أيضا المسيح قد ذبح لأجلنا ، اذا لنعيد ليس بخميرة عتيقة ، ولا بخميرة الشر والخبث بل بفطير الاخلاص والحق " .^(٢)

المعنى الثاني : العشاء الرباني رمز للشركة الجسدية بين النصارى والمسيح ، كما يقول بولس : " كأس البركة التي نباركها ، ليست هي شركة دم المسيح ؟ الخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح ؟ ... " ^(٣) .

المعنى الثالث : العشاء الرباني شكر للنعمة ، وقد أخذ هذا اللقب - حسب زعمهم - عندما أخذ يسوع وبارك وأخذ وشكر ، وفي هذا يقول بولس : " ... ان الرب يسوع في الليلة التي أسلم فيها أخذ خبزا وشكر فكسر ... " ^(٤)

المعنى الرابع : العشاء تذكارات واحياء لذكرى المسيح في ليلته الأخيرة ، جاء في رسالة بولس الى أهل كورنثوس : " ... هذا هو جسدي المكسور لأجلكم اصنعوا هذا لذكري ... اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري ... " ^(٥)

ويستند النصارى في مشروعية هذه الشعيرة الى ما جاء في العهد الجديد ، فقد ورد في كل من أناجيل "متى ولوقا ومرقس" أن المسيح نفسه هو الذي أسس هذه الفريضة .

(١) الفصح هو عيد يهودي ويسمونه أيضاً عيد الفطير لأنهم يأكلون فيه الخبز فطيراً غير مختمر ، وهو عندهم عيد الضحية حيث يضحون فيه بحمل أو جدي ونحوه . وأصل هذا العيد ذكرى لنجاة بني إسرائيل من فرعون مصر . وقد استبدل النصارى عيد الفصح اليهودي بالعشاء الرباني حيث يزعمون أن المسيح هو حمل فصحنهم المذبوح ، وأن الخبز والخمر الذي يأكلونه رمز لتلك الأضحية عندهم وهو المسيح عليه السلام . ر . الفكر الديني اليهودي ، ١٨٠-١٨٨ بتصرف ، شرح أصول الإيمان للقس أندرواس واطسون ، ٥٠٠ .

(٢) ر . ١ كورنثوس ٥ : ٧ - ٨

(٣) ر . ١ كورنثوس ١٠ : ١٦

(٤) ر . ١ كورنثوس ١١ : ٢٤

(٥) ١ كورنثوس ١١ : ٢٣ - ٢٩

يقول انجيل متى : " وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ ، وقال : خذوا كلوا هذا هو جسدي ، وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً : اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا ... " (١) ،

ويقول انجيل مرقس : " وفيما هم يأكلون أخذ يسوع خبزا وبارك وكسر وأعطاهم وقال : خذوا كلوا هذا هو جسدي ، ثم أخذ الكأس وشكر وأعطاهم فشرّبوا منها كلهم وقال لهم : هو دمي الذي للعهد الجديد ، الذي يسفك من أجل كثيرين ... " (٢) .

أما انجيل لوقا فقد ورد فيه : ... ثم تناول كأسا وشكر وقال : خذوا هذه واقسموها بينكم ، لأنني أقول لكم : اني لأشرب من نتاج الكرمة حتى يأتي ملكوت الله ، وأخذ خبزا وشكر وكسر وأعطاهم قائلاً : هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم اصنعوا هذا لذكري ، وكذلك الكأس أيضا بعد العشاء قائلاً : هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يسفك عنكم ... " (٣) .

أما انجيل يوحنا فقد جاء فيه مايلي : " ... هذا هو الخبز النازل من السماء لكي يأكل منه الانسان ولا يموت . أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء . ان أكل أحد من هذا الخبز يحيا الى الأبد . والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم ، ... الحق أقول لكم ان لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم . من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة ابدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير . لأن جسدي مأكّل حق ودمي مشرب حق . من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت في وأنا فيه ... " (٤) .

وصيغة الرواية في انجيل يوحنا كما هو ملاحظ تختلف تماما عما ورد في الأناجيل الثلاثة أي مسألة " تأسيس المسيح للقربان المقدس " فهو صريح في الأناجيل الثلاثة ، بخلاف ما ورد في انجيل يوحنا .

وكما عرفنا أن رسائل بولس كانت أقدم ماكتب في العهد الجديد ، وبالتالي فهذه الأناجيل وما ورد فيها من شعيرة العشاء الرباني مسبقة بما ذكره بولس عنها .

(١) متى ٢٦ : ٢٦ - ٢٨

(٢) مرقس ١٤ : ٢٢ - ٢٤

(٣) لوقا ٢٢ : ١٧ - ٢٠

(٤) يوحنا ٦ : ٥٠ - ٥٧

فقد قرر بولس هذه الفريضة في الاصحاحين العاشر والحادي عشر من رسالته الأولى الى أهل كورنثوس حيث يقول في الاصحاح العاشر :

" كأس البركة التي نباركها أليست في شركة دم المسيح ؟ الخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح ؟ فاننا نحن الكثيرين خبز واحد جسد واحد ، لأننا جميعا نشترك في الخبز الواحد ... أليس الذين يأكلون الذبائح هم شركاء المذبح؟" (١) .

وفي الاصحاح الحادي عشر يقول بولس : " لأنني تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضا ، ان الرب يسوع في الليلة التي أسلم فيها أخذ خبزا وشكر فكسر وقال : خذوا كلوا هذا هو جسدي المكسور لأجلكم اصنعوا هذا لذكري ، كذلك الكأس أيضا بعدما تعشوا قائلا : هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي ، اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري . فانكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء ... من أكل هذا الخبز أو شرب كأس الرب بدون استحقاق يكون مجرما في جسد الرب ودمه ، ولكن ليمتحن الانسان نفسه ، وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس لأن الذي يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميز جسد الرب " (٢) .

وهكذا أدخل بولس الى نصرانيته التي بدأ يدعو إليها - ولأول مرة - فكرة أكل لحم المسيح وشرب دمه ممثلا في خبز وخمر قربانا مقدسا يجلب الخلاص لمعتنقي هذه الفكرة . (٣)

وهذا ما يؤكده هيام ماكوبي في كتابه "صانع الأسطورة" حيث يقول : " ان أول توكيد لهذا - فكرة أن عيسى الصلوات سن طقس القربان المقدس كشعيرة دائمة في الكنيسة النصرانية - نجده في رسائل بولس ، والتي نجد فيها أيضا أول اشارة الى فكرة القربان المقدس ، أي الفكرة التي تقول بوجود قوة للخلاص في جسد المسيح ودمه . فمن أقواله يتضح تماما أن بولس هو مخترع القربان المقدس كفكرة وسنة راسخة الجذور ، فهو يقول بكل وضوح أن هذا القربان قد تأسس بناء على وحي تلقاه شخصا ، إذ يقول : " لأنني تسلمت من الرب ما سلمتكم " (٤) .

(١) اكورنثوس ١٠ : ١٦ - ١٨

(٢) ١ كورنثوس ١١ : ٢٣ - ٢٩

(٣) ر . الاسلام والأديان ١٤٠ ، ١٤١ .

(٤) ر . الاسلام والأديان ١٤٠ .

والى مثل هذا يذهب جينيير قائلا : " ان النقد الحر يتجه أكثر فأكثر الى الاجماع على أن العبارة التي يقال إن المسيح أقام عليها عقيدة تناول " خذوا كلوا هذا جسدي ، خذوا واشربوا هذا دمي " ليست سوى تفسير من عند بولس غريبة كل الغرابة عن فكر المسيح " . (١)

ويقول تقي العثماني : " ان انجيل متى ومرقس حينما ذكرا هذه القصة - قصة العشاء الرباني - لم يشفعا ذلك بأمر من عند عيسى الصلوات يجعل هذا العمل طقسا دائما ، وهذا الحكم قد وضعه بولس لأول مرة ، وبما أن لوقا تلميذ بولس فقلده . وذلك مايعترف به العلماء المسيحيون بدورهم ، يقول "بوركت" : " اذا قرأت قصة العشاء الرباني في انجيل مرقس لا تجد فيه أي أمر بالاستمرار على هذا العمل ، لكن بولس عندما يذكر عمل يسوع هذا ، يزيد الجملة الآتية ناحلا اياها اليه "اصنعوا هذا لذكري " . (٢)

أما مصدر بولس في تقرير هذه الشعيرة فانه يعود الى البيئة التي نشأ وتربى فيها ، حيث شاع في العالم اليوناني الروماني قبل العصر المسيحي بقليل ، عدد من الأفكار الوثنية مثل ديانات الطقوس السرية التي تقوم على الاندماج في الاله من خلال الزعم بأكل لحمه وشرب دمه في احتفال طقسي تكتنفه الأسرار ، ومن ثم يحصل العابد على الخلود الذي يتمتع به المعبود . وقد اقتبس بولس هذه الأفكار وتأثر بها وسجلها في رسائله ، وعنه أخذ كتبة الأناجيل . (٣)

وقد نقل "جوستين" وهو من كبار المدافعين عن النصرانية في القرن الثاني أن أسرار "ميسرا" اشتملت على نوع من الشعائر يفرض تقديم كأس من الشراب وقطعة خبز الى المؤمنين به مع النطق ببعض العبارات المعروفة آنذاك . (٤)

٣) الغاء الختان واستبدال المعمودية به :

يذكر النصراني أن الختان كان مقررا في جميع الشرائع ، منذ عهد ابراهيم الصلوات كرمز وعلامة على أن المختتنين من أتباع هذه الشرائع شعب دخلوا مع الله في عهد مقدس وعلاقة خاصة . (٥)

(١) ر . تطور العقائد ١٦٩ ، والمسيحية نشأتها وتطورها ١٣٩ .

(٢) ر . ماهي النصرانية ١٦٨ .

(٣) ر . الاسلام والأديان ١٤٠ .

(٤) ر . المسيحية نشأتها وتطورها ٩٩ .

وفي التوراة أن سنة الختان تجددت لموسى عليه السلام ^(١)، وكان اليهود يحافظون على هذه السنة، وكانوا يدعون أنفسهم "أهل الختان"، ويدعون من عداهم "أهل الغرلة" ^(٢).
والأناجيل تثبت أن عيسى عليه السلام قد ختن، يقول لوقا: "ولما تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبي سمي يسوع" ^(٣)

وعند النصارى أن عيسى عليه السلام أقر ما كان في شريعة موسى من الاختتان، بل جعله في نفس اليوم المقدس عند اليهود الذي كانوا يختنون فيه وهو يوم السبت. وفي هذا تروى الأناجيل عنه عليه السلام: "ان موسى أعطاكم الختان لأنه من موسى بل من الآباء فتختنون الانسان في السبت فان كان الانسان يختن في السبت لثلا تنقض شريعة موسى أفتسخطون علي لأنني أبرأت الانسان كله في السبت" ^(٤).

وقد بقيت مشروعية هذه الشعيرة طوال حياة المسيح عليه السلام وبعده - كما يفهم من مصادر النصارى - حتى دخل بولس في النصرانية، وكان هو نفسه محتنتنا باعتبار نشأته اليهودية.
وفي هذا يقول: "من جهة الختان محتون في اليوم الثامن" ^(٥).

وعندما قام بولس برحلته الدعوية الثانية الى "أنطاكية" بعدما يقرب من عشر سنوات من دخوله في النصرانية واجهته مشكلة دخول الوثنيين في النصرانية، وعدم قبول النصارى - الذين كانوا من أصل يهودي - لهم حيث كانوا غير محتنتين، خلافا لما هو معمول به في اليهودية والنصرانية، كما ذكرنا ذلك من قبل ^(٦). فظن بولس أن عملية الختان لا يرضى عنها الوثنيون، وبأن أغلب أحكام الشريعة اليهودية للحياة العملية لا تتفق مع عاداتهم وأساليب تفكيرهم، فعليه

(٥) ر. قاموس الكتاب المقدس ٣٣٧. ور. تكوين ١٧ : ٩ - ١٤ ، ٢٣ - ٢٧ ، ٢١ : ٤ .

(١) ر. اللاويين ١٢ : ١ - ٣ ، وخروج ١٢ : ٤٨ - ٤٩ .

(٢) ر. قاموس الكتاب المقدس ٣٣٧ .

(٣) لوقا : ٢ : ٢١ .

(٤) يوحنا ٧ : ٢٢ - ٢٣ . طبعة الأرثوذكس .

(٥) فيلبي ٣ : ٥ .

(٦) انظر ص ٦٣ .

تصور أن تعاليم هذه الشريعة يجب أن تنسخ ، بل أعلن ان المسيح إنما أتى خصيصا ليبدل عهدا قديما بعهد جديد .^(١)

ولتحقيق هذا الغرض أقيم مجمع في القدس ، وفي هذا المجمع تقرر - لأول مرة - اعفاء الأُميين من الختان طبقا لما رآه بولس رغم خلاف تلاميذ المسيح عليه السلام معه في ذلك .^(٢)
وقد تضمنت رسائله بعد ذلك الغاء شعيرة الختان ، ومن أقواله في ذلك : "... لأنه في المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئا ولا الغرلة ، بل الايمان العامل بالمحبة " ^(٣) .
وقد أكد بولس أن الختان هو ختان القلب والروح لا ختان الجسد قائلا : " وختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان " ^(٤) .
وفي موضع آخر أنكر بولس أهمية الختان ، فيقول : " ما هو نفع الختان ؟ " ^(٥) ... لأن الله واحد هو الذي سيرر الختان بالايمان والغرلة بالايمان " ^(٦) .

ويؤخذ من هذه النصوص أن ما يراه بولس هو أن مدار الختان على الايمان الكامل والطهارة القلبية ، بغض النظر عن كون الشخص الداخِل في النصرانية محتتنا أو ذا غرلة ، لأنه لا دخل لهذه المظاهر الجسدية في تحقيق تلك المعاني الروحية .
ولهذا لم يوجب بولس على الوثنيين الاختتان ، ولم يجعله شرطا لدخول النصرانية ^(٧) . بل انه نهاهم عنه وحذرهم منه قائلا : "... هاأنا بولس أقول لكم ان اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئا... " ^(٨) .

(١) ر. المسيحية نشأتها وتطورها ١٣٣ .

(٢) انظر ص ٦٣ .

(٣) غلاطية ٥ : ١ - ٦ .

(٤) ٢ رومية ٢ : ٢٥ - ٢٩ .

(٥) رومية ٣ : ١ .

(٦) رومية ٣ : ٣٠ .

(٧) ر. السلطة السياسية والتشريعية ٦٣

(٨) غلاطية ٥ : ٢ .

وهكذا ألغى بولس الختان الذي كان المسيح عليه السلام ولاشك ملتزماً به ، لأنه من شريعة موسى عليه السلام، فألغاه من ضمن ما ألغى وادعى بأن المعمودية حلت محله ، وهو ما لم يأت به عيسى عليه السلام ولاقال به حواريوه .

٤) التعميد :

ألغى بولس الختان وهو شعيرة دينية وجعل بدلاً منه المعمودية. والتعميد عند النصارى كما يقول قاموس الكتاب المقدس هو طقس الغسل بالماء رمزاً للنقاوة والإنخراط في سلك طائفة ما ، وقد عرف اليهود هذه العادة واستعملوها كما يفهم من الكتاب المقدس .^(١)

وكان النبي يحيى عليه السلام (يوحنا المعمدان) يعمد الناس في نهر الأردن ، وجاء في بعض المخطوطات القديمة أن يوحنا ما كان يعمد بل يوضئ^(٢)، وفي الأناجيل - مع اختلاف روايتها - أن يوحنا قام بتعميد المسيح عليه السلام .

وينسب النصارى إلى المسيح عليه السلام أمره لهم بالتعميد وذلك بعد قيامته من الموت - حسب زعمهم^(٣) .

وكانت المعمودية يوحنا تسمى معمودية التوبة لغفران الخطايا^(٤) ، وكان طالبو المعمودية يعترفون بخطاياهم وندمهم ، فمعموديته كانت تشير إلى التطهير الداخلي التابع للتوبة. وكان تلاميذ المسيح يعمدون الذين عمدهم يوحنا ثانية^(٥) ، وان كانت طريقة طقس المعمودية عند يوحنا مجهولة عند النصارى . ولكن المعلوم بالنسبة لهم أن عيسى تعمد بدخوله نهر الأردن .^(٦)

وقد اختلفت وجهات نظر النصارى حول المعمودية ، وكان الجدل الأكبر حول قضيتين :

(١) ر . خروج ٢٩ : ٤ و ٣٠ : ٢٠ و ٤٠ : ١٢ ، عد ١٩ : ٨

(٢) رسائل الرسل ، ٧٠٧

(٣) ر . متى ٢٨ : ١٩ ، مرقس ١٦ : ١٦ .

(٤) متى ٣ : ١-٦ ، مرقس ١ : ٤

(٥) ١ أعمال الرسل ١ : ٩ ، ١٨ : ٢٥ - ٢٦ .

(٦) مرقس ١ : ٩ - ١٠ ، ر . قاموس الكتاب المقدس ، ٦٣٨ .

تغطيساً كاملاً أو بتغطيسه ثلاث مرات ، وذهب البعض الآخر إلى الإكتفاء برش الماء إشارة إلى غسل الروح القدس .

وذهب بعضهم إلى أنه لا لزوم لتعميد الأطفال ، وان الإعتماد للكبار فقط ، أي الذين تعدوا مرحلة الطفولة وبلغوا سن الرشد ، بحيث يمكن لهم فهم الخلاص والإعتراف بالتوبة ، إلا أن أغلبية النصارى ترى المعمودية الصغار واجبة ما داموا أطفالاً وذلك علامة على الميثاق بين الله وبينهم .^(١)

وهكذا أصبحت هذه الشعيرة فريضة مقدسة عندهم يغسل فيها المعمد بالماء يشار فيها بال غسل بالماء باسم الأب والابن والروح القدس ويشار ذلك إلى تطهير النفس من أدران الخطيئة بدم يسوع المسيح - في زعمهم - ، والمعمودية تدل على اعترافهم العلني بإيمانهم وطاعتهم للأب والابن والروح القدس كإلههم ومعبودهم الوحيد . ولا يجوز أن يعمّدوا إلا إذا اعترفوا بإيمانهم جهاراً أمام القس في الكنيسة .^(٢)

ذاك كان مفهوم المعمودية وما آلت إليه في الوقت الحاضر عند النصارى .

وعن دور بولس في هذه الشعيرة ، فالواضح أنّ لبولس مفهوماً آخر لهذه الشعيرة ، فقد وردت كلمة المعمودية في رسائل بولس ثلاث مرات اثنتان منها بمعنى الدفن السري والثالثة بمعنى وحدة الكنيسة.^(٣)

وعن المعنى الأول يقول : " فدفنا معه بالمعمودية للموت " ^(٤) ، وقوله : " مدفونين معه في المعمودية التي فيها أقمتم أيضاً معه " .^(٥) وعن المعنى الثالث قوله : " رب واحد وإيمان واحد ومعمودية واحدة " .^(٦)

هذا بخلاف لفظة يعمّد والتي يكثر استعمالها لها ويفهم النصارى منها الغطس في الماء مرات عديدة^(٧) .

(١) ر . قاموس الكتاب المقدس ٦٣٧ ، ٦٣٨ ، رسائل الرسل ص ٧٠٦ ، في العبادات النصرانية دراسة نقدية محمود حمادة ٥-٩

(٢) المسيحية شلي ١٧٢ ، ١٧٣

(٣) بولس حياته ٣٩١

(٤) رومية ٦ : ٤

(٥) كو روثوس ٢ : ١٢

(٦) أفسس ٤ : ٥

والأصل والأساس في المعمودية عند بولس لا تمت إلى المعمودية يحيى ^١ لا من قريب ولا من بعيد بل مدارها على صلب المسيح وموته وقيامته من الموت في زعمهم - فعندهم أن موت المسيح إنما كان فداء للبشر وليس موتاً خالياً من المعنى ، فلذا يرون أن المعمودية التي يقصدون منها تطهير الانسان من ذنوبه هي تكمص للحالة التي وقعت للمسيح فيعمدون الانسان الداخل في ديانتهم بتغطيته بالماء ثلاث مرات وهذا عندهم يعنى الموت كما مات المسيح وهو الذي يعبر عنه بولس " بالدفن مع المسيح " فإذا أخرج بعد تغطيسه فهذا يرمز لقيامه المسيح من الموت ، فإذا اعلن المعمد إيمانه بالأب والابن والروح القدس فقد تطهر من ذنوبه واستفاد نفس الحالة التي تحققت للمسيح وهي تكفير ذنوبه واستفاد نفس الحالة التي تحققت للمسيح وهي تكفير الخطايا ولا يمكن لإنسان عندهم أن تكفر خطاياهم وتغفر ذنوبه ما لم يعمد فالتعميد أساس وسبب لتكفير الخطايا ^(١) .

تلك كانت المعمودية التي يرى بولس أنها حلت محل الختان الذي كان موجوداً في العهد القديم والذي لم يعد له مكان في العهد الجديد ، بل حلت محله المعمودية ، فيقول : " وبه أيضاً ختنتم ختناً غير مصنوع بيد ، بخلع جسم خطايا البشرية ، بختان المسيح ، مدفونين معه في المعمودية التي فيها أقمتم أيضاً معه ، بإيمان عمل الذي أقامه من الأموات " ^(٢) .

يقول "وليم باركلي" في فلسفة هذا الاستبدال : " إن الختان ليس إجراء عملية في جسد الإنسان ، وإنما حدوث تغير في قلبه وفي حياته كلها ، وذلك استئصال أي شيء يتنافى مع إرادة الله من حياة الإنسان وهذا العمل ليس نظرياً فحسب بل واقعياً إذا تم بالمعمودية ، كأني ببولس يقول : " أنتم تتحدثون عن الختان ولكن الختان الحقيقي الوحيد هو عندما يموت الانسان ويقوم ثانية مع المسيح في المعمودية ليس بنزع جزء من جسده ولكن بانتزاع طبيعته الخاطئة كلها وبالإمتلاء بمجدة الحياة وبقداسة الله " ^(٣) .

والمعمودية عند بولس تقوم مقام الاعمال الصالحة في تكفير الخطايا وجعل الانسان باراً صالحاً ^(٤) ، فلهذا يقول :

(٧) ر . بولس وحياته لاهوته أعماله ، ٣٩١ .

(١) ر . بولس الرسول حياته وولاهوته ص ٣٩٢ - ٣٩٤ .

(٢) كولوسي ٢ : ١١ - ١٢ ، ر . طبعة الارثوذكس .

(٣) تفسير العهد الجديد ص ١٦٧ - ١٦٨

(٤) بولس لاهوته ٣٩٤

" لا بأعمال في بر عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس " .^(١)

" وهكذا كان أناس منكم لكن اغتسلتم (المعمودية) بل تقدستم بل تيررتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا " .^(٢)

ويفسر شارل جينبير قول بولس بالمعمودية في المسيح بأنها الاتحاد مع المسيح ويرجعها إلى وجهة نظر نابغة من وجهة نظر وثنية فيقول : " إن قول بولس أما أنتم الذين عمدتم في المسيح فقد ارتديتم المسيح وهذا يعني أن المسيحي يتحد مع المسيح بواسطة التعميد - ونحن في قولنا هذا - قد نتجاوز حدود النص الحرفية فبولس لم يجرؤ قط على القول بأن التعميد يجعل من المسيحي مسيحياً مثلما تجعل طقوس التضحية بالثور في عبادة سيبيل من المؤمن بها إلهاً هو أتيس ، إلا أن مفهوم التعميد نابع من نفس وجهة النظر التي نفسرها بها مفهوم التضحية بالثور فبالتعميد يرتدي المسيحي المسيح كما يرتدي اللباس المقدسي المنجي وهو ينزل رمزياً إلى عالم الأموات بتغطيسه في النهر أو في إناء التعميد ، فإذا ما خرج بعد غطسات ثلاث - تماماً كما خرج المسيح من القبر بعد أيام ثلاث - أيقن بأنه سوف يمجد يوماً إن أراد الله له ذلك كما مجد المسيح .^(٣)

ولا شك ان ما سبق بيانه يظهر فيه فلسفة بولس للتعميد وهي فلسفة غير مبنية على أي مصدر .

والسؤال المطروح هو من أين جاء بولس - على اعتبار أن رسائله أول ما دون وكتب - بفرضية هذه الشعيرة وأين النصوص المثبتة لوجوبها ؟ ومن أين جاءهم هذا العدد ووضع اليد وغيره الشارحة لكيفيتها والمثبة لأهدافها وغاياتها ؟ .

ليس لهذا السؤال جواباً لأنه لا يوجد في الأناجيل شيء من ذلك البتة . ويتضح من خلال النصوص السابقة أن المعمودية لم تستخدم فقط كمبرر للتحرير من الذنوب والخطايا ، بل إنها اعتمدت كتبرير لما استحدثه بولس من عقائد كالصلب والفداء والاتحاد وما شابه . وبالتالي يمكن القول أن بولس ألغى التعميد بالمعنى الذي كان معروفاً عند النصارى وأحل محله ما استحدثه من عقائد مصاغة في صورة ما يسمّى التعميد .

(١) تيطس ٣ : ٥

(٢) ١ كورونثوس ٦ : ١١

(٣) المسيحية ، جينبير ، ١٤٠ ، ١٤١ .

والحقيقة أن التعميد طقس قديم موجود لدى الأمم السابقة للمسيحيين ، وسر من أسرار الديانات الوثنية القديمة. (١)

ولقد عقدنا لبيان هذه التأثيرات على النصرانية مبحثاً خاصاً بذلك. (٢)

٥ - تحليل لحم الخنزير والخمر وسائر الأطعمة :

من ضمن الأمور التي اتخذ قراراً بتحليلها في مجمع أورشليم المأكولات التي حرمتها التوراة سوى ثلاثة أشياء بقيت محرمة كما هي : الدم والمنخقة وما ذبح للأوثان ، ولما كان لحم الخنزير محرماً ونجساً عند اليهود بنصوص أسفارهم (٣) لم ينصّ القرار على بقاءه محرماً كما هو فقد كان ذلك إيذاناً بأنه صار حلالاً .

وقد ذكرنا ما يؤكد أنّ القرارات التي اتخذت في هذا المجمع لم توافق عليها الجماعة الأولى ، وهو ما يجعلنا نقول أنّ ما صدر عن هذا المجمع هو مما أحدثه بولس في النصرانية مما لم يكن من أصولها .

وعن تحليله لما حرم في التوراة يقول : " ونحن أن لا نضع عليكم ثقلاً أكثر غير هذه الأشياء الواجبة أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام وعن الدم والمخنوق والزنا التي ان حفظتم أنفسكم منها فنعمما تفعلون " (٤).

بل لقد ذهب إلى أبعد من ذلك وحلّل ما حرّمه بالأمس ، ولقد جمع ذلك في قوله إلى أهل رومية " إني عالم ومتيقن في الرب يسوع أن ليس شيء نجساً بذاته إلا من يحسب شيئاً نجساً فله هو نجس " (٥). وقال في رسالته إلى تيطس " كل شيء طاهر للطاهرين وأما للنجسين وغير المؤمنين فليس شيء طاهر بل قد تنجس ذهنهم أيضاً وضميرهم " (٦).

(١) حقيقة التبشير ١٢٠ - ١٢٢

(٢) انظر ص ٣٣٩ .

(٣) أمثال ١١ : ٢٢ ، لاويين ١١ : ٧ ، تثنية ١٤ : ٨ و ر . قاموس الكتاب المقدس ٣٥٠

(٤) أعمال الرسل ١٥ : ٢٩

(٥) ١٤ : ١٤ .

(٦) ١ : ١٥ .

وجاء كذلك على لسانه : " كل الأشياء تحل لي ، لكن ليس كل الأشياء توافق ، كل الأشياء تحل لي ، لكن لا يتسلط عليّ شيء ، الأظعمة للجوف ، والجوف للأظعمة ، والله سيبيدها و تلك " (١) . ويقول أيضاً : " لأن كل خليقة الله جيدة ، ولا يرفض شيء إذا أخذ مع الشكر لأنه يقدر بكلمة الله والصلاة " (٢) .

٦) تفضيل التبتل وتحريم الطلاق :

إذا نظرنا إلى العهد القديم نجد حافلاً بالنصوص الداعية إلى الزواج والتي تحض عليه (٣) والشريعة اليهودية التي تمسك بها المسيح عليه السلام وأوصى تلاميذه بأن لا يغير منها ترى في الزواج واجباً دينياً بل إنه أول المطالب التي وجهها الله للإنسان ، ولم يصرح أحدهم الرسل أن العزوبة أفضل من الزواج حتى وان لم يتزوج .

ولكننا إذا جئنا إلى رسائل بولس نجد يقر الزواج كشرية ولكنه يفضل عليه التبتل . وفي هذا يقول : " وأما من جهة الأمور التي كتبتم لي عنها ، فحسن للرجل أن لا يمس امرأة ، ولكن لسبب الزنا ليكن لكل واحد امرأته ، وليكن لكل واحدة رجلها ، ليوف الرجل المرأة حقها الواجب ، وكذلك المرأة أيضاً الرجل ، ليس للمرأة تسلط على جسدها بل للرجل ، وكذلك الرجل ليس له تسلط على جسده ، بل للمرأة ، لا يسلب أحدكم الآخر إلا أن يكون على موافقة إلى حين ، لكي تتفرغوا للصوم والصلاة ، ثم تجتمعوا أيضاً معاً لكي لا يجربكم الشيطان ، لسبب عدم نزاهتكم ، ولكن أقول هذا على سبيل الإذن ، لا على سبيل الأمر ، لأنني أريد أن يكون جميع الناس كما أنا ، لكن كل واحد له موهبته الخاصة من الله ، الواحد هكذا والآخر هكذا ، ولكن أقول لغير المتزوجين وللأرامل ، إنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا ، ولكن إن لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا لأن التزوج أصلح من التحرق " (٤) .

ويقول بولس : أما العذراء فليس عندي أمر من الربّ فيهن ، ولكنني أعطي رأياً كمن رحمه الرب أن يكون أميناً ، فأظن أن هذا حسن لسبب الضيق الحاضر ، أنه حسن للإنسان أن

(١) ١ كورنثوس ٦ : ١٢ - ١٣

(٢) ١ تيموثاوس ٤ : ٤ - ٥

(٣) ١ تكوينا ١ : ٢٧ - ٢٨ ، ٢ تكوينا ٢ : ١٨ ، ١ تكوينا ٩ : ١

(٤) ١ كورنثوس ٧ : ١ - ٩

يكون هكذا ، أنت مرتبط بامرأة فلا تطلب الانفصال ، أنت منفصل عن امرأة فلا تطلب امرأة ، لكنك وإن تزوجت لا تخطئ ، وإن تزوجت العذراء لم تخطئ ، ولكن مثل هؤلاء يكون لهم ضيق في الجسد ، وأما أنا فإني أشفق عليكم فأريد أن تكونوا بلا هم ، غير المتزوج يهتم في مال الرب كيف يرضي الرب ، وأما المتزوج فيهتم في مال العالم كيف يرضي امرأته ، إن بين الزوجة والعذراء فرقاً ، غير المتزوجة تهتم في مال الرب لتكون مقدسة جسداً أو روحاً ، وأما المتزوجة تهتم في مال العالم ، كيف يرضى رجلها... وأما من أقام راسخاً في قلبه وليس له اضطراب بل له سلطان على إرادته ، وقد عزم على هذا في قلبه أن يحفظ عذراءه فحسناً يفعل ، إذاً من زوج فحسناً يفعل ، ومن لا يزوج يفعل أحسن . المرأة مرتبطة بالناموس ما دام رجلها حياً ، ولكن إن مات رجلها فهي حرة ، لكي تتزوج بمن تريد ولكن في الرب فقط ، ولكنها أكثر غبطة إن لبثت هكذا بحسب رأيي ، وأظن أنني أنا أيضاً عندي روح الله".^(١)

وفي هذا النص نلاحظ ترغيباً صريحاً في ترك الزواج ، والزواج في نظره أكبر المهموم . والمفترض التركيز على إرضاء الرب بخلاف حال المتزوجين وانشغال كلا الطرفين بإرضاء الآخر .

وقد أثرت هذه التعاليم - بترك الزواج أو تفضيل تركه - في النصرانية كثيراً وبالغت الكنيسة في النظرة الزاهدة للزواج حتى وصلت إلى حد التطرف ، حتى إنه في القرن الرابع قرر أحد الجامع المحلية أن الزواج يمنع النصارى من الدخول في ملكوت الله.^(٢) ثم تغيرت تلك النظرة تغيراً بعيداً حتى وصلت إلى أسوأ مستوى فيما بعد ظهور نظام الرهبنة ، حيث جعلت الشريعة الكاثوليكية التهرب مانعاً من الزواج.^(٣)

ويلاحظ إن أكثر المؤرخين يرجحون أن بولس نفسه كان متزوجاً ، لكنه لم يأخذها لتتجول معه لكي لا تعاق خدمته وأكد مفسر العهد الجديد أن بولس كان في وقت ما متزوجاً لأن بولس كان حاخاماً أو حبراً من أحبار اليهود ، وطبقاً لعقائد اليهود كان الزواج إلزاماً حتمياً وكان الرجل الذي لا يتزوج ولا ينجب يقال عنه أنه يقلل من صورة الله في العالم ، ثم إن عضوية بولس في السنهدريم وقانون العضوية يحتم زواج أعضائه.^(٤)

(١) اكور ثوس ٧ : ٢٥ - ٤٠

(٢) نظام نزواج في الشرائع ٦٩

(٣) نظام الزواج في الشرائع ٢١٤

(٤) تاريخ الكنيسة ١٦٠ ، تفسير العهد الجديد ١٠١ .

وهذا التبتل كان له دور كبير في فساد الرهبان والراهبات وفساد الأديرة، وما ذلك إلا لأن هذا يتنافى مع الجبلية البشرية ولا شك أنه لا يمت إلى دين الله بصله .

وفيما يتعلق بالطلاق أوفك رباط الزوجية ، يذكر النصارى أن شريعة موسى عليه السلام أذنت به لأنه كان موجوداً من قبل إلا أنها قيدته^(١) ونهت عنه في بعض الظروف .^(٢)
 وشاع في أيام اليهود الأخيرة ، وفي نصوص العهد الجديد أنهم لما سألوا المسيح عليه السلام عن هذا الأمر ليحربوه بكلامهم وبخهم ونهى عن الطلاق إلا لعلّة الزنا حسب زعمهم.^(٣)
 بل إن النص الوارد عن عيسى عليه السلام - على فرض صحة نسبته إليه - لم يرد على سبيل التشريع وإنما كان من مقام الوعظ ، ولذا كان يحاول الدعوة إلى التخلص بأسمى الكلمات وهو ما يتضح في الإصحاح التاسع عشر في متى .^(٤)

لكن بولس برسائله المتقدمة على الأناجيل يفهم من نصوصه منع الطلاق . و أتى بنصوص تفهم أنه لا يفارق زوجته ولعلّ هذا مما كان أو مآل إليه الأمر فيما بعد عند الكاثوليك .
 فقد جاء في رسالته كورنثوس : "وأما المتزوجون فأوصيهم لا أنا بل الرب أن لا تفارق المرأة رجلها ، وإن فارقته فلتلبث غير متزوجة أو لتصالح رجلها ولا يترك الرجل امرأته" .^(٥)
 وفي رسالته لأهل رومية : " أم تجهلون أيها الأخوة لأنني أكلم العارفين بالناموس أن الناموس يسود على الإنسان مادام حياً فإن المرأة التي تحت الرجل هي مرتبطة بالناموس بالرجل الحي ، ولكن إذا مات الرجل فقد تحررت من ناموس الرجل فإذا مادام الرجل حياً تدعى زانية إن صارت لرجل آخر ولكن إن مات الرجل فهي حرة من الناموس حتى أنها ليست زانية إن صارت لرجل آخر ."^(٦)

فبناء على هذا حرم الكاثوليك تحريماً باتاً فصم الزواج لأي سبب مهما عظم شأنه ، حتى في حال الزنا ، وكل ما يبيحونه في حال الزنا الانفصال الجسماني بين شخص الزوجين مع اعتبار

(١) تثنية ٢٤ : ١ - ٤

(٢) تثنية ٢٢ : ١٧ - ١٩ و ٢٨ و ٢٩

(٣) متى ٥ : ٣١ ، ١٩ ، ٩ ، مرقس ١٠ : ١١ ، لو ١٦ : ١٨ و ر . قاموس الكتاب المقدس ٥٧٧

(٤) ١٩ : ١٦ - ٣٠

(٥) ١ كورنثوس ٧ : ١٠ - ١١

(٦) رومية ٧ : ١ - ٣

الزوجية قائمة بينهما شرعاً ، فلا يعقد لأحدهما على آخر . أما الأرثوذكس فأباحوا الطلاق في حالة الزنا مع تحريم الزواج على المطلق أو المطلقة بعد ذلك .^(١)

وهكذا يتضح مدى الاختلاف والتضارب بين مادعا اليه عيسى عليه السلام ، وما انتهى اليه بولس في دعوته ، وأن المعتقدات والأحكام الأساسية للديانة النصرانية المعاصرة ، ليست من تعاليم المسيح عليه السلام ، وإنما وضعها بولس ، فهو المؤسس لكل ما ذكرنا .

والى بولس هذا ترجع شرائع الكنيسة وتقاليد المتبعة حتى الآن ، وهو الذي دعا الكنيسة إلى استخدام التراتيل ، والترانيم والأناشيد والأغاني الروحية والمزامير^(٢) ، ومالي ذلك من تصورات ومعتقدات وطقوس ومراسيم .^(٣)

وينقل صاحب ينابيع النصرانية قول رئيس الشمامسة "فورد" : " وانه ليدهشني أن يسمحوا ليهودي من طرسوس "بولس الرسول" خبير بأساطير اليونان والرومان الأولين وفلسفة أفلاطون التي كانت تدرس بمدرسة الاسكندرية تلك الفلسفة التي صيغ بها دين عيسى السلس وشوّهه بها ، مع أنه لم تسبق له معرفة شخصية بعيسى ولا تعاليمه ، ذلك الرجل الذي كان من ألد أعداء المسيح ، يدهشني أن يسمحوا له بالتسيطر على النصرانية الى هذا الحد والمدى ، حتى غير معالمها وخواصها وقلبها رأساً على عقب " .^(٤)

ويرى كثير من الباحثين أن عداوة بولس للنصرانية هي التي دفعته ليتظاهر بالدخول فيها ليستمر في حربها بسلاح جديد ، سلاح التهديم من الداخل بافساد معالمها وطمس مظاهرها ومسحها . ومثل هذا كثير في تاريخ الأديان ، وفي الاسلام كثيرون من هذا النوع من أشهرهم "عبدالله بن سبأ" اليهودي الذي تظاهر بالاسلام فاشعل الثورة ضد عثمان رضي الله عنه ، ونشر المبادئ الفاسدة التي لن يستطيع عمل شئ منها لو ظل يعلن يهوديته ، ولكن أفكار عبدالله بن سبأ لم تستطع أن تطمس دين الإسلام كما طمست أفكار بولس دين المسيح عليه السلام ذلك لأن الإسلام مستقر بكتابه ورجاله ودولته والله عز وجل فوق ذلك متكفل بحفظه .

(١) نظام الزواج ص ٢٠٨

(٢) ر . أفسس : ٥ : ١٩ .

(٣) ر . دراسات في مزروعة النصرانية ١٠١ ، المسيحية ، شبلي ١٢٧

(٤) ر . ينابيع المسيحية ، ٥٩ .

أما انجيل عيسى عليه السلام فضع بين طيات الأحداث ، ولم يكن لديانته عماد يحميها من هذه الصدمات العنيفة التي أنزلها بها أعداء من الداخل ، وأعداء من الخارج ، فخبث دعوة عيسى عليه السلام ، وقامت على انقاضها دعوة أو نصرانية بولس .

وهكذا نستنتج مما سبق أن بولس ، بحكم نشأته الطرسوسية ، وثقافته النابعة من الفكر اليوناني - علاوة على اعتماده على رصيد من المذاهب حول طبيعة الانسان وفكرة الاثم والعلاقة بين الخطيئة والموت ، ومهارته وذكائه وقدرته البارعة على أسلوب الجدل والمحاورة - استطاع أن يهدم الديانة النصرانية التي جاء بها المسيح عليه السلام ، حيث أحدث فيها احداثا جساما :
- أنه نادى ببنوة المسيح لله وألوهيته . ووضع البذور التي بها خرجت النصرانية من كونها ديانة توحيد وأصبحت ديانة تثليث .

- اخترع قصة الفداء لتكفير الخطايا ، ونقل الديانة النصرانية من ديانة خاصة ببني اسرائيل الى ديانة عالمية .

- ألغى التعاليم السماوية التي جاء بها المسيح عليه السلام كالختان وتحريم اكل لحم الخنزير .

- ألغى العمل بشريعة التوراة حتى فصل النصرانية عن اليهودية .

وهكذا نجده لعب دورا خطيرا في الديانة النصرانية ، بل أقام نصرانية تدين له أكثر مما تدين

للمسيح عليه السلام ، ومن هنا ذهب من ذهب الى القول أنه هو مؤسس الديانة النصرانية .^(١)

يقول "مايكل هارت" : "ان عددا من الباحثين يرون أن مؤسس الديانة النصرانية هو بولس

وليس المسيح ، وليس من المنطق في شيء أن يكون المسيح نفسه مسئولا عما أضافه بولس وأتباعه

فكثير مما أضافوه يتنافى مع تعاليم المسيح نفسه " .^(٢)

وهو ما اعترف به الكاتب النصراني "حبيب سعيد" : ان بولس صاحب الفضل الكبير في

وضع أركان النصرانية الأولى .^(٣)

(١) ر. أقوال العلماء في ذلك النصرانية ، شلي ١١١ . منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى ، عبد لاراضي بن

محمد عبد المحسن ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، والاعلام بما في دين النصارى من الفساد والاهام ، واطهار محاسن دين الإسلام ، تحقيق فايز

عزام ١٤٠٥ هـ ، دكتوراه ٨٤٩/٢٥ .

(٢) الخالدون مائة ، ٢٥ .

(٣) ر. تاريخ المسيحية ١ / ٤٥ .

الفصل الثاني

فقدان النصوص الأصلية للنصرانية وأثره في الإنحراف العقدي

يستمد النصارى عقائدهم وتشريعاتهم من مصدرين أساسيين هما : أولاً: الكتاب المقدس، ثانياً : قرارات المجامع المسكونية .

أما المجامع النصرانية فسوف نعقد لها فصلاً خاصاً للتعريف بها وما تقرر فيها من قرارات عقدية ، وبيان مظاهر التحريف العقدي في هذه القرارات.^(١) وأما الكتاب المقدس ففيما يلي التعريف به ، وبيان أقسامه ، وذلك قبل أن نتناوله بالدراسة التفصيلية لبيان مظاهر التحريف العقدي فيه .

ينقسم الكتاب المقدس عند النصارى إلى قسمين : القسم الأول هو العهد القديم ، ويشمل ما يسمى بالتوراة ، والكتب الملحقة بها .^(٢) وعددها تسعة وثلاثون .

أما القسم الثاني فيطلق عليه العهد الجديد ، ويحوي سبعة وعشرين سفراً هي الأناجيل الأربعة : (إنجيل متى - إنجيل مرقس - إنجيل لوقا - إنجيل يوحنا) ورسائل الرسل ، وتشمل رسائل بولس ، وعددها أربع عشرة رسالة ، وقد تكلمنا عنها . و الرسالة إلى العبرانيين ، ورسالة يعقوب ، ورسالتا بطرس الأولى والثانية ، وثلاث رسائل ليوحنا الأولى والثانية والثالثة ، ورسالة يهوذا ، ورؤيا يوحنا اللاهوتي .

وقبل أن نتناول أناجيل العهد الجديد ، ورسائل الرسل بالدراسة ، وبيان ما فيها من التحريف العقدي نتيجة لضياح النصوص الأصلية في النصرانية - قبل ذلك لابد من الحديث أولاً عن إنجيل عيسى عليه السلام ، باعتباره يمثل النصوص الأصلية في النصرانية ، ويحتوي على العقيدة الصحيحة قبل فقدانه .

(١) انظر فصل المجامع ، ص ٢٧٩ .

(٢) ر . تعريف بها ص ١٤ الفكر الديني اليهودي ، دراسات في الأديان ، الخلف ٥١ - ٥٤ .

أولاً : إنجيل عيسى عليه السلام :

كلمة إنجيل ترجع في أصلها إلى الكلمة اليونانية Evanghilion وهي مركبة من "إيفا" بمعنى وحي ، جيد ، حقيقي و "انفليون" وهي عبارة عن بشارة أو التبشير بالفعل والمعنى " التبشير بالسعادة الحقيقية " .^(١)

وإنجيل عيسى عليه السلام كما يثبتته القرآن الكريم ، هو الكتاب الذي أنزله الله على عبده ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام ، وهو وحي أوحاه الله إليه فيه هدى ونور ، كما إنه لا يختلف في جوهره عن سائر الكتب السماوية كما ذكرنا سابقا من الدعوة إلى توحيد الله ، وهداية البشر كما أخبر القرآن الكريم في سورة آل عمران ، حيث قال تعالى : ﴿الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان﴾ (آل عمران ٤-١)

وقال عز وجل في سورة المائدة : ﴿وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين﴾ (المائدة ٤٦) .

هذا الإنجيل الحق " إنجيل عيسى عليه السلام " قد كان موجوداً في عصره وبعد رفعه ، وقد دعا المسيح عليه السلام بني اسرائيل إلى الإيمان به . ولا يقتصر إثباتنا لإنجيل عيسى عليه السلام على ماجاء في القرآن الكريم ، بل جاء إثباته في الكتابات النصرانية القديمة والحديثة ؛ فقد جاء في إنجيل مرقس : " وبعدهما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول : قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل " .^(٢)

(١) ر . أبطال ألوهية عيسى ، ٨٦ ، الإنجيل و الصليب ٢٤ ، ٢٥ ، قاموس الكتاب المقدس ، ١٢٠ .

(٢) ١٤ : ١ - ٢٠ : ١٦ ، ١٥ - ١٨ ، ٨ : ٢٥ ، غلاطية ١ : ٦ - ٧ ، وغلاطية ٢ : ١٤ ، الديانات والعقائد ، ٤٣٦ ،

دراسات في الأديان ، ١١٢ ، الحلف ، ١ ، و ١ تسالونيكي ٢ : ٤ ، ٢ : ٨ - ٩ ، ٣ : ٢ ، دراسات في الكتاب المقدس ، حماية ٧٤ ،

٧٥ ، ٧٦ ، المناظرة الكبرى ، حماية ٤٩ ، ٥٠ ، أضواء على المسيحية ، ٥١ ، دراسات في النصرانية ٧٤ ، .

وذكره بولس أيضا في رسائله ، منها قوله في رسالته إلى أهل تسالونيكي : " جاهرنا في إلهنا أن نكلمكم بإنجيل الله في جهاد كثير لأن وعظنا ليس عن ضلال ولا عن دنس ولا بمكر بل كما استحسنا من الله أن نؤمن على الإنجيل هكذا نتكلم ... ثم يقول : فإنكم أيها الإخوة تذكرون تعبنا وكدنا إذ كنا نركز لكم بإنجيل الله " (١)

إلا أن هذا الإنجيل الذي نزل على المسيح عليه السلام لا وجود له الآن بين يدي النصارى - وليس هو من ضمن الأناجيل المكتوبة التي يقدسونها^(٢) ، مع التصريح في أناجيلهم كما نقلنا آنفا بوجوده وطلب الإيمان به ، وفي هذا يقول سفر أعمال الرسل عن بطرس ويوحنا في دعوتهما للسامريين من اليهود " وكما شهدا وتكلما بكلمة الرب رجعا إلى أورشليم وبشرا بالإنجيل في قرى كثيرة للسامريين " (٣)

والمطلع على الأناجيل الأربعة وغيرها يجد أن كتابها قد استفادوا كثيرا من الإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام قيل ضياعه ، فنقلوا عنه بعض الوقائع التي لا طريق للعلم بها إلا بوساطة الوحي ، ثم أضافوا إليها من العقائد والآراء والتوجيهات ما ليس له أدنى صلة بالوحي المنزل ، أو كلام النبي المرسل ، بل كانت تحريفا لحق بالعقيدة بعد فقدان الإنجيل الأصلي ، كما سنوضح ذلك في هذا الفصل .

" يقول أكهارت : كان في بداية المسيحية رسالة مختصرة في بيان أحوال المسيح ، ويجوز أن يقال : إنها الإنجيل الأصلي ، وكان هذا الإنجيل بمنزلة القلب ، ولم تكن الأحوال المسيحية مكتوبة فيه على الترتيب "

ويقول أتئين - دينيه الرسام الفرنسي الذي أسلم بعد دراساته الواسعة في الأديان ، وبحوثه القيمة فيها - : "أما أن الله سبحانه قد أوحى الإنجيل إلى عيسى بلغته ولغة قومه فالذي لا شك فيه أن هذا الإنجيل قد ضاع واندثر ولم يبق له أثر وأنه أييد " (٤)

(١) ٢:٢ ، وانظر رومية ١:١٦،٩،١٦،١٦ ، اتيموثاوس ١:١١ .

(٢) ر. الجواب الصحيح ، ٣٦٨/١ ، الكتب السماوية ، ٣١٢ .

(٣) هذا النص مأخوذ من نسخة الكتاب المقدس المطبوعة في لبنان عام ١٩٩٢م بعناية أغناطيوس زياده / دار

الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ، وهي النسخة الأرثوذكسية ، ٨ : ٢٥ .

(٤) الأديان في القرآن ، الشريف ١٧٤ ، وانظر محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة ٥٦ .

وفيما يتعلق بلغة إنجيل عيسى المسيح ~~التي~~ فالواقع أنه لا يعلم بأي لغة بلغ المسيح رسالته على وجه التعيين أهى الأرامية أم العبرية أم اليونانية ، ونحن نعلم ان كل رسول يرسل بلسان قومه ، والنصارى يعتقدون ذلك أيضاً لكنهم يتحIRON في تطبيق القاعدة على ذلك العصر الذي بعث فيه المسيح ، ذلك لأن جل يهود فلسطين و سائر بلاد الشام في ذلك الوقت كانوا ينطقون الأرامية ، وأما العبرية وهى اللغة القديمة ، فصاعت في عصر الأسر البابلي وأول الفترة الوسيطة المعقبة له .

أما اليونانية فقد كانت لغة أكثر يهود الجاليات خارج بلاد الشام وهم نسبة كبيرة جداً من يهود ذلك العصر إن لم يكن أكثرهم .

والأرجح عند الباحثين المعاصرين أن المسيح بلغ رسالته بالأرامية لكونها اللغة المستعملة في البلاد التي بعث فيها ، ولوجود عدد من الألفاظ الأرامية في الأناجيل اليونانية الموجودة بأيدي الناس اليوم .

واعترض على هذا بأنه لاعلاقة بين إنجيل عيسى الموحى به من الله ، وبين أناجيل العهد الجديد ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن الكلمات الأرامية الموجودة في بعض أناجيل العهد الجديد كلمات نادرة ، وليست في نفس الوقت كلمات قديمة ، بل هي من النوع الدارج ، ككلمة " بشيطا " فهى آرامية دارجة سهلة غير اللغة الأرامية القديمة .

وعلى كل فليس في شيء من ذلك دلالة على أن إنجيل عيسى كان مكتوباً بالأرامية ، فليس للقائلين بأن لغة الإنجيل كانت الأرامية إلا ما يستندون إليه من أن هذه اللغة كانت هي اللغة المستعملة في البلاد التي بعث فيها المسيح كما ذكرنا آنفاً .

أما عن كون الإنجيل مكتوباً باللغة العبرية فهو فرض يورده قائله بأن يكون الإنجيل نزل بلغة علمائهم وكتبهم القديمة ، وهى العبرية حتى يتم التوافق بينه وبينها .^(١)

أما عن فرض كتابة الإنجيل باللغة اليونانية ، ففي الواقع أننا نجد في كتب النصارى القدماء ذكراً لإنجيل العبرانيين وذكراً لإنجيل كان بالسريانية وهى الأرامية لسان واحد ، لكن هذين

(١) ر . مذكرات الأديان .

الإنجيلين ضاعاً ضياعاً كاملاً إلى يومنا هذا ويستبعد أكثر الباحثين أن يكون الإنجيل الأصلي باليونانية.^(١)

وأياً كانت اللغة التي بلغ بها المسيح دعوته ، فهل كتب هذا الإنجيل على عهد عيسى عليه السلام ، أم أنه نقل شفاهاً في أول الأمر ، ثم كتب بعد فترة وجيزة ؟ يقول بولس إلياس اليسوعي : " لا مشاحة أن الإنجيل انتشر أولاً شفاهاً ثم كتب بعد سنين^(٢) ، ذلك لأن المسيح لم يثبت كتابة هذه البشرى التي طلع بها على العالم^(٣) . بل إن أصحاب عيسى لم يتمكنوا من كتابة شيء يقال له إنجيل غير فقرات قليلة كانت محفوظة في صدور الآحاد ولم يتفكروا إذ ذاك في تحرير شيء من أصل دينهم " .^(٤)

ومؤرخوا النصرانية ورهبانها بل أساقفتها وبابواتها مجتمعون على أن الرواية الشفوية للإنجيل في مستوى التدوين بل ترجح عليه ، ومعتمدة أكثر منه ، وكل ما رووه من أقوال الحواريين كان مقصوراً على الرواية الشفوية ، وإذا دونوا منه شيئاً فذلك لزيادة الثبات والرسوخ.^(٥)

وينقل الشيخ أحمد عبدالغفور عطار عن عالمهم الشهير والمؤرخ الكبير أريناوس (١٤٠ - ٢٢٢ م) أنه قال : " إنه أخذ بالرواية اللسانية من بوليكرينوس ، وبوليكرينوس تلميذ يوحنا الحواري ، ويقول : " لم أشهد حال أساقفة أورشليم مدوناً في كتاب ، بل ثبت برواية اللسان و وصل إلينا بالرواية اللسانية أن أغناطيوس - عندما ساقوه إلى روما ليقتلوه بإلقائه بين الوحوش حتى تفتسه - كان يعظ في طريقه الكنائس ويحذرهما من البدع المنتشرة ويوصيهن بالتزام الروايات اللسانية التزاماً شديداً ، ولرغبته في المزيد من الحفظ نصح بتدوين تلك الروايات " .^(٦)

(١) ر. محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة ٤٩ ، ١١٥ ، كشف الظنون ، ١٧/١ ، أضواء على المسيحية ، ٥٢ .

(٢) يقصد بهذا أنجيل العهد الجديد ، وإلا فهم لا يقولون بأن إنجيل عيسى كتب بعد رفعه بسنين .

(٣) يسوع المسيح ، ١٤ - ١٥ .

(٤) الفارق بين المخلوق والخالق ، ١١ .

(٥) الديانات والعقائد ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة ٥٦ ، الأديان في القرآن ، الشريف ١٧٤ ، أضواء

على المسيحية ، ٥٢ ، دراسات في الأديان ، الخلف ١١٤ ، دراسات في الكتاب المقدس ، حماية ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ .

(٦) الديانات والعقائد ، ٤٤٠ .

فمدار الأمر - عند النصارى - في أول النصرانية كان على الروايات الشفوية لأقوال عيسى على ألسنة الحوارين وتلاميذهم بصفة خاصة ، والمؤمنين بالمسيح بصفة عامة ، وذلك بعد فقدان إنجيل عيسى عليه السلام كما ذكرنا آنفا .

ولا يمنع ذلك من وجود بعض الكتابات التي يسجلون فيها شيئا من وصايا المسيح عليه السلام ، وما يحفظونه في صدورهم مما كان يوحى إليه ، وربما كان من هذه الكتابات القليلة تلك الرسالة التي تحدث عنها أكهارت ، وقال : إنه يجوز أن تكون هي الإنجيل الأصلي .

والواقع أن فقدان إنجيل عيسى عليه السلام في أول عهود النصرانية يعتبر فقداننا للمصدر الصحيح الذي يرجع إليه النصارى فيما يعتقدونه من عقائد ، وما يتناقلونه من أقوال مأثورة عن المسيح عليه السلام في تلك الفترة الأولى التي كان مدار الأمر فيها على النقل الشفوي لأقوال المسيح ووصاياه .

وقد امتدت هذه الفترة سنوات عديدة قبل أن تظهر أناجيل العهد الجديد ، ورسائل الرسل ، ومع وجود العوامل الثقافية والدينية والسياسية التي أدت إلى تحريف العقيدة النصرانية في عقول الناس وقلوبهم نتيجة لتأثيرها فيهم كما شرحنا في هذه الرسالة - مع وجود هذه العوامل فإن ضياع إنجيل عيسى عليه السلام قد جعل الناس يفقدون بضياعه المرجع الأساسي الذي يرجعون إليه في معرفة عقيدتهم الصحيحة ، والذي يعصمهم من الوقوع في التحريف العقدي تحت تأثير هذه العوامل .

ومما يجدر ذكره هنا أن لفقدان النصوص الأصلية عوامل داخلية وخارجية ، أما العوامل الداخلية هي عدم محافظة النصارى انفسهم على كتابهم ، فضع منهم كما قال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّ أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ (المائدة ١٤) والنسيان دليل على الإهمال .

ومن العوامل أيضاً تسلط أصحاب الفرق على كتب مخالفينهم بالإحراق والإيذاء . وهناك عوامل خارجية من أهمها استمرار الإضطهاد من قبل الرومان على النصارى فترة طويلة ، وتعمدهم إحراق كتب النصارى وإتلافها . وهذا لا يعطي اليقين بكل ما ينقلونه من أقوال المسيح عليه السلام خلال هذه السنوات الطويلة ، ومن ثم تقع منهم التحريفات العقدية تحت تأثير نسيانهم وفقدانهم للنصوص المحفوظة خلال هذه السنوات .

وقد أدى فقدانهم لإنجيل المسيح عليه السلام إلى فقدان النصوص الأصلية التي يرجعون إليها لتصحيح أخطائهم أو تذكيرهم بما نسوه من نصوص الوحي الإلهي .

ثانياً : أناجيل العهد الجديد ، وأثر فقدان إنجيل عيسى عليه السلام في تحريفاتها العقديّة :

تمهيد :

عرفنا الإنجيل سابقاً وقلنا إنه يعني البشارة أو الخبر السار ، ويعبر النصارى بالإنجيل عن ترجمة حياة المسيح عليه السلام كما كتبها كل من (متى) و (مرقس) و (لوقا) و (يوحنا) . بمفرده ، وما تضمنته كل ترجمة منها من أقوال المسيح ووصاياه ، بالإضافة إلى ذكر معجزاته ، أو عما كتبه هؤلاء الأربعة كجملة واحدة ، أو عن كل أسفار العهد الجديد ، أي ما كتب بعد رفع المسيح عليه السلام .

ولكن القس فهيم عزيز يؤكد في المدخل إلى العهد الجديد أن عيسى لم يترك شيئاً مكتوباً^(١) ، فالمستول الأول عن كتابة العهد الجديد ليس يسوع بل النصرانيين سواء من الجيل الأول أو من الجيل الثاني من التلاميذ .^(٢)

وهو ليس كتاباً أزلياً كان في اللوح المحفوظ ولكنه كتاب نشأ وسط الكنيسة وبواسطتها ومن أجلها هيمن الروح القدس على كل من كتب فيه ولكنه كتب بواسطة أناس الله الذين شاهدوا وشهدوا للمسيح . ولم يكتب دفعة واحدة ولكنه كتب في حقبة طويلة نسبياً بواسطة أناس متعددي المواهب والتفكير والثقافة ومن يرغب في دراسته فعليه أن يدرس تطور الأمور من بدء قيامة المسيح وصعوده إلى الوقت الذي كتب فيه الكتاب المقدس .^(٣)

والواقع أن هذه الأناجيل لا يعتبر كل واحد منها بمفرده البشارة التي بشر بها عيسى عليه السلام ، لأنه مجرد تاريخ للمسيح وذكر المعجزاته وبعض أقواله ووصاياه ، وهو بذلك لا يمثل ما أوحاه الله إلى عيسى عليه السلام ، وإنما هو عمل بشري كتبه صاحبه أو أصحابه رواية لتاريخ المسيح وذكر أقواله . فتسمية كل واحد من هذه الأسفار بالإنجيل تسمية خاطئة ، وإلا فهي كتب تاريخية تروي حياة المسيح وسيرته الذاتية ، قد يتضمن كل إنجيل من هذه الأناجيل شيئاً مما حفظ عن المسيح وأقواله ووصاياه الأخلاقية والدينية ، لكنه لا يعبر عن الوحي الذي أوحى إلى عيسى عليه السلام لانقطاع السند بين عيسى عليه السلام وبين كتاب هذه الأناجيل .

(١) ص ٧٦ .

(٢) لوقا ١ : ٢ ، الرسالة إلى العبرانيين ٢ : ٣ و ٤ ، ١ يوحنا ١ : ١ - ٤ .

(٣) انظر ص ٧٦

وما نقوله هنا يصدق على كل واحد من هذه الأناجيل الأربعة ، وبالتالي فإن هذه الأناجيل لا تشكل وحدة متكاملة تعبر عن المسيح ورسالته كما يزعم إبراهيم لوقا في كتابه " المسيحية في الإسلام " ^(١) ، فكل إنجيل منها له كاتبه ، وبين هذه الأناجيل من التناقض والتحريف ما يجعلها تمثل كتابا واحدا - كما يزعمون -

ومثل هذا يقال عن الرسائل المنسوبة لأصحابها فليست هذه الرسائل جزءا من إنجيل المسيح الذي كان يبشر به بين الناس ، فهذه الرسائل والأناجيل نتيجة جهد بشري ، ومحاولة لحفظ تاريخ المسيح ، قد تتضمن بعض أقواله ووصاياه ، لكنها كما قلنا لا يمكن أن تكون بهذا هي الإنجيل الذي بشر به عيسى عليه السلام ، ودعوى العصمة لكاتبها وتأييد الروح القدس لهم فيما كتبوه كما يزعم فهيم عزيز كلها دعاوى غير مسلمة لما في هذه الأناجيل من مخالفات تاريخية ، وتناقضات موضوعية ، وتحريفات عقديّة .

١- التعريف بأناجيل العهد الجديد :

تمثل الأناجيل الأربعة المعتمدة أهم مجموعات العهد الجديد ، وتستأثر وحدها في هذا العهد بحيز كبير يقرب من نصفه وهي : إنجيل متى ، وإنجيل مرقس ، وإنجيل لوقا ، وإنجيل يوحنا .

ومكان الأناجيل في النصرانية مكان القطب والعماد ، وإذا كانت شخصية المسيح وما أحيطت به من تصورات تمثل عقائد النصرانية ، فإن هذه الأناجيل هي المشتمة على أخبار تلك الشخصية ، من وقت الحمل إلى وقت صلبه - في اعتقادهم - وقيامته من قبره ، ثم رفعه ، وهي بهذا تشتمل على عقيدة ألوهية المسيح في زعمهم ، والصلب والفداء ، أي أنها تشتمل على لب النصرانية في نظرهم . ^(٢)

وفيما يلي نتكلم عن كل إنجيل على حدة :

(١) ر. ص ٤٢ ، ٤٣ ، نقلا عن دعوة الحق ٣٥٣ ، ٣٥٥ ، وانظر المسيح في الأناجيل أو الكنيسة والنقد الكتابي

الحديث ، ٣١-٣٤ .

(٢) محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة ٤٠ ، وانظر بين القرآن والعهدين ٤٠ .

إنجيل متى :

يحتل إنجيل متى المكانة الأولى في نظام ترتيب أسفار العهد الجديد ، وهي مكانة لها ما يبررها عند النصارى ، حيث يعد امتداداً للعهد القديم بشكل ما ، فقد كتب ليثبت أن المسيح يكمل تاريخ بني إسرائيل ، يقول هذا المعلقون على الترجمة المسكونية ، ولكي يحقق هذا فإنه يستشهد دائماً بفقرات من العهد القديم .^(١)

يذكر النصارى أن متى كان بحسب المولد يهودياً وبحسب العمل عشاراً أي من جباة الضرائب ، حتى دعاه المسيح لإتباعه وعندئذ ترك الجباية وتبعه وصار من أتباعه الذين رافقوه.^(٢) ويكاد يجمع النصارى على أن متى من الحوارين الاثني عشر .^(٣) ونقل في الفارق اتفاق النصارى على ذلك .^(٤)

ويرى المحققون من العلماء أن متى ليس من حواريين المسيح .. يقول موريس بوكاي : "النقل صراحة أنه - أي متى - لم يعد مقبولاً اليوم القول أنه أحد حواريين المسيح . وهو يخالف ما عليه أكثر النصارى اليوم . . .^(٥)

قال في تحفة الأريب : فأما متى وهو الأول منهم فما أدرك عيسى ولا رآه قط إلا في العام الذي رفعه الله إلى سمائه .^(٦)

وقد اختلف كذلك في سنة وفاته فبعد أن طاف البلاد يدعو إلى المسيحية استقر في الحبشة وقضى بها نحو ثلاث وعشرين سنة ومات بها سنة ٧٠ وقيل ٧٩ وقيل ٦٢ في رواية أخرى .^(٧)

(١) ر . دراسة في الكتب المقدسة ، ٧٩ .

(٢) دعوة الحق ٣٣٦ ، عقيدتا التثليث والصلب ، ٧٠ ، قصة الحضارة ٢٠٧/١١ .

(٣) قصة الحضارة ٢٠٧/١١ ، عقيدتا التثليث والصلب ، ٧٠ .

(٤) الفارق بين المخلوق والخالق ، ١٩ ، قاموس الكتاب المقدس ، ٨٣٢ ، الأسفار المقدسة ، وافي ٧٩ ، دراسات في

النصرانية ، مزروعة ١٢٤ ، محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة ٤٢ .

(٥) دراسة في الكتب المقدسة ، موريس بوكاي ، ٨٠ .

(٦) تحفة الأريب ص ١٠١ .

(٧) الأسفار المقدسة ، وافي ٨٠ ، المسيحية ، شلبي ، ٢١١ . وعليه فلو ادعى النصارى أن متى كتب إنجيله بالحبشية فهو

أقرب من ادعائهم أنه كتبه باليونانية .

ويقال إنه كتب هذا الإنجيل - إنجيل متى - بطلب من المؤمنين بعد صعود المسيح فأجابهم إلى طلبهم.^(١)

وقد اختلف في اللغة التي كتب بها متى إنجيله - وهو أمر له أهمية في بيان القيمة العلمية لهذا الإنجيل كما سنوضح -

ويقرر الكثيرون أنه كتبه باللغة العبرانية^(٢) أو السريانية ، ونقل ديورانت عن آرينيوس أنه كتبه في الأصل بالعبرية - أي الأرامية - لكنه لم يصل إلينا إلا باليونانية ، أي أن أقدم نسخة عرفت شائعة رائجة كانت باليونانية.^(٣)

قال الدكتور محمود حمادة : إن القول بأنه ألف بالعبرية إنما هو خطأ.^(٤) وذهب ابن البطريق إلى أنه ألفه بالعبرية وترجمه يوحنا صاحب الإنجيل إلى اليونانية.^(٥) لكن لم يؤيد ابن البطريق أحد من المؤرخين ، بل إن أكثرهم يقر بعدم معرفة المترجم ، ولم يذكر ابن البطريق سنداً لقوله أو برهاناً.^(٦)

قال الدكتور أبو الغيط الفرت : " لم يكن مؤكداً أن الترجمة اليونانية متطابقة مع الأصل العبري حيث فقد الأصل قبل ظهور الترجمة ولم يطلع أحد على الأصل العبري مقارناً بالترجمة اليونانية . . كما لم يعلم أيضاً من قام بهذه الترجمة . قال جيروم : وهو من علماء النصرانية

(١) يا أهل الكتاب تعالوا ١٤٨ - ١٥٠ ،، بين القرآن ٤٧ .

(٢) ذكر ذلك جيروم وبيباس فيما ينقله ديورانت ٢٠٧/٣ وميشيل جرجس وابن البطريق انظر دراسات في الكتاب المقدس ، حمادة ، ٤٧ ، وقد ذكر صاحب الفارق آراء المؤرخين القدامى من النصرانية بأنهم يؤكدون كتابته بالعبرية مستنبطاً ذلك من المجلد الثاني من الكليات (الأرديز) الذي حوى آراء الكاتبتين في ذلك. بما يؤكد الإجماع ١٩ ، ٢٠ ، دعوة الحق ٣٣٦ ، قاموس الكتاب المقدس ، ٨٣٣ اظهر الحق ، ٥٣٢/٢ - ٥٣٧ . .

(٣) محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة ٤٣ ، .

(٤) دراسات في الكتاب المقدس ، ٤٧ .

(٥) ر. يا أهل الكتاب ١٤٨ - ١٥٠ ، بين القرآن والعهدين ٤٧ ، ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان ٢٧٥ ، المسيح ، عبود ، ١١٧ ، الرد الجميل ١١٧ .

(٦) الأسفار المقدسة ، وافي ، ٨٧ .

المتقدمين - في حق ترجمة إنجيل متى : لا يوجد أي إسناد لهذه الترجمة وحتى الآن لم يعلم باليقين اسم المترجم ^(١).

ويقال إن متى نفسه قام بترجمته ^(٢) وقيل إن النسخة الأصلية وجدت في الهند ثم أرسلت إلى الإسكندرية ثم اختفت بعد ذلك ولم تظهر ترجمتها ^(٣).

وذهب شنودة إلى أنه أُلّف بالأرامية ، وهو مارجحه وافي ثم ترجم إلى اليونانية ^(٤) ونقل أحمد شلي اتفاق النصارى أنه أُلّف بالأرامية ^(٥). ومن قال أو رجح أنه أُلّف بالأرامية ذكر أن الأصل الأرامي لم يصل إلينا وما وصل إلينا هو ترجمته اليونانية ولا يظهر في هذه الترجمة إلا آثار ضئيلة لهجة الأرامية التي كتب بها الأصل وتمثل في ست عشرة كلمة أرامية مدونة بحروف يونانية ^(٦).

بينما رجح أكثر الكتاب منهم بوست أنه كُتِب باللغة اليونانية كسائر أسفار العهد الجديد لأنه لم يشأ كتابته بتلك اللغة التي كانت محصورة في اليهود الذين كانت كنيستهم ومملكتهم على وشك الزوال ^(٧).

قال د . عثمان عبدالمنعم : لعل بوست رجح إلى ماكتبه عبدا لله الترجمان بهذا الصدد ^(٨).

(١) عقيدتنا التثليث والصلب ، ٧١ ، ، الفارق ٢١ .

(٢) الأسفار المقدسة ، وافي ٨٧ ، اظهار الحق ، ١٦١/ .

(٣) معاول الهدم ، ٤٤ .

(٤) دراسات في الكتاب المقدس ، حماية ٤٧ ، الأسفار المقدسة ، وافي ٨٦ .

(٥) المسيحية ، شلي ٢١١ .

(٦) ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان ، ٢٧٥ .

(٧) قاموس الكتاب المقدس ، ٨٣٣ ، دعوة التوحيد ، ٣٣٦ ، المسيح ، وصفني ٤١ ، محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة ٤٤

، ٤٥ .

(٨) ر . كلام محقق تحفة الأريب ١٠٣ ، ونقل في اظهار الحق ١٥١/١ عن دائرة المعارف : كتب هذا الإنجيل باللسان

العبراني أو باللسان الذي ما بين الكلداني والسرياني لكن الموجود منه الترجمة اليونانية والذي يوجد الآن باللسان العبراني فهو

وقال في دعوة الحق محاولاً التوفيق بين اختلاف الأقوال في لغة الكتابة : لعله وجدت النسخ باللغة العبرانية التي كتبها متى نفسه في ذات الوقت الذي كتب فيه النسخة اليونانية لكي يرسل العبرانية إلى اليهود واليونانية إلى الأمم عندما ترك اليهودية للكراسة بين الأمم .^(١)

وجاء في مقدمة إنجيل متى : " قال بعض الآباء القدماء أن متى كتب إنجيله باللغة العبرانية ووافقهم على ذلك كثير من المحققين المتأخرين بناء على أن هذا الإنجيل كتب لأجل فائدة سكان فلسطين ، الذين عامتهم كانوا يتكلمون حينئذ هذه اللغة ، وقال آخرون أنه مع أن اليهود يفضلون اللغة العبرانية ، كانت اللغة اليونانية آخذة في أن تخلفها ، وكان عامة الشعب في فلسطين يفهمونها ثم إن اللغة اليونانية أوفق لكتاب فائدته عامة دائمة ... فضلاً عن ذلك لا يرى علامات الترجمة في نسخة إنجيل متى اليونانية ، بل يظهر أنها تصنيف أصلي ، وبما أنه لا يوجد الآن أصل عبراني لهذا الإنجيل يصعب التصديق أنه كان موجوداً في الزمن القديم وقد فقد الآن ، وقد حاول البعض أن يصلحوا بين القولين ، بأن متى كتب قصة مختصرة في اللغة العبرانية ، ثم أُلّف الإنجيل في اللغة اليونانية ، وليس لهذا القول اثبات ، والأرجح أنه لا يوجد أصل عبراني " .^(٢)

وكما اختلفوا في اللغة التي كتب بها الإنجيل اختلفوا في السنة التي كُتب فيها هذا الإنجيل .. ونقل هورن سبعة تواريخ يُحتمل تأليف الإنجيل فيها^(٣) . وهناك من ذهب إلى أنه أُلّف قبل خراب أورشليم ولم يحدد تاريخاً معيناً.^(٤)

قال في الكنز الجليل في تفسير الإنجيل لوليم آدي إنه أُلّفه بين عامي ٦٠ - ٧٠ ورجحه طعيمة .^(٥) وهناك من رجح أنه بين عام ٨٠ ، ٩٠ وربما قبل ذلك بقليل ، وذهب جون فنتون أنه كتب حوالي الفترة من ٨٥ - ١٠٥ .^(٦)

(١) دعوة الحق ٣٣٦ .

(٢) تفسير العهد الجديد في مجلد واحد . مقدمة إنجيل متى ص ١ .

(٣) المسيح ، عبود ١١٨ .

(٤) بين القرآن ٤٧ ، يا أهل الكتاب تعالوا ، ١٤٨ .

(٥) الأسفار المقدسة ، طعيمة ص ٢٥٦ ، الكنز الجليل ٣/١ .

(٦) انظر تفصيل اختلاف الأقوال ، دراسات في الكتاب المقدس ، حمية ٢٧٥ ، دراسة في الكتب المقدسة ، موريس بوكاي

، ٨١ ، الأسفار المقدسة ، وافي ٧٦ ، ٨٦ ، حوار صريح ٩٩ ، الأناجيل دراسة مقارنة ، طاهر ٢٣ ، الفصل ١٥ ، الرد

الجميل ٧٦ ، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس ، ٨٣ ، محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة ٤٥ . ونقل محقق الشفاء قول

الجويني أن متى صرح في إنجيله أنه أُلّفه بعد رفع المسيح بتسع سنين ثم قال وهو خطأ فمتى لم يصرح بزمن تأليفه . ر .

واختلفوا كذلك في صحة نسبة هذا الإنجيل إلى متى الحواري .

جاء في كتاب حياة المسيح للأب ديدون أن بعض الثقة قال بأن الإنجيل الحالي المنسوب إلى متى ليس من كتابته بل هو مقتطف من أصل مفقود كان يُنسب إلى متى الحواري .^(١)

قال أحمد طاهر : اعتمد مؤلفه على وثيقتين مفقودتين واحدة من نوع جيرمان كويل^(٢) ، المكتوبة بالأرامية ، والثانية من نوع وثائق مرقس الأولى . وقد أجمع المتخصصون في الأناجيل على أن إنجيل متى لم يكن من تأليف متى الحواري وإلا لاعتمد على وثائق من النوع الأول وحدها .^(٣)

ونقل أحمد طاهر عن دائرة المعارف البريطانية خطأ نسبة إنجيل متى إليه والتحليلات التي تؤيد ذلك .^(٤)

وذكر جون فنتون في تفسير إنجيل متى أن متى كاتب الإنجيل لم يكن هو متى المذكور على أنه تلميذ عيسى ، وإن ربط متى لشخصيته كمؤلف لهذا الإنجيل نسب عمله إلى مؤسس الكنيسة التي كتب من أجلها هذا الإنجيل أو معلمها الذي كان اسمه متى .^(٥)

وذكر صاحب تاريخ الإنجيل والكنيسة أن الجزء الذي ألفه متى الحواري ضاع في زمانه وأن ما بين أيدينا الآن لم يصرح مؤلفه فيه باسمه .^(٦)

(١) المسيح، وصفي ٤٦ ، الأناجيل دراسة مقارنة ، طاهر ٢٤ ، الأسفار المقدسة ، طعيمة ٢٥٦ .

(٢) مصطلح يطلق على المصدر أو الأصل . ر . المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، ٤٦ .

(٣) الأناجيل دراسة مقارنة ، طاهر ٢٣ ، دراسات في الأديان ، الخلف ١٣٠ .

(٤) الأناجيل دراسة مقارنة ، طاهر ٢٤ - ٢٨ ، واطهار الحق ، ٥٣١/٢ ، الإسلام والأديان ، حلمي ١٩٨ ، ١٤٥ ،

دراسات في الكتاب المقدس ، حماية ٥٢ ، دراسات في الأديان ، الخلف ١٢٩ ، ١٣٠ .

بل إن إنجيل متى في نصه يثبت أنه (أي متى) لم يكن هو مؤلف الإنجيل " واجتاز يسوع من هنا فرأى رجلاً عند مكان الجباية اسمه متى فقال يسوع له : اتبعني فقام متى وتبعه ".^(١)

وواضح من هذا النص أن هذه الضمائر لا تعني أن يسوع أو متى هما مؤلفا هذه الرواية بل شخص ثالث كان يسجل الوقائع من الشائعات.^(٢)

والإعتراض الأول يتوجه إلى هذا الإنجيل من ناحية الإسناد حيث وصل إلينا بطريقة يشوبها اللبس والغموض ، فعلماء النصارى يقفون حيارى أمام تحديد الزمن الذي كتب فيه هذا الإنجيل وما قالوه عن تاريخ تدوينه لا يعدو الظن والتخمين والقول بالظن وعدم اليقين ..

كما أننا لا نعرف شيئاً عن النسخة الأصلية أكانت بالأرامية أو بالعبرية ، وإذا كانت النسخة التي وصلت إلينا باللغة اليونانية فمن الذي قام بالترجمة من اللغة الأصلية التي كُتبت بها إلى اللغة اليونانية ، وكيف كان حاله ، وهل كان عالماً بالدين واللغتين التي ترجم عنها والتي ترجم إليها؟! فهذا هو حال الإنجيل الأول!!^(٣)

كما اعترف به جيروم من أفاضل قدمائهم فضلاً عن علم أحوال المترجم ، نعم يقولون رجماً بالغيب : لعل فلاناً أو فلاناً ترجمه ، ولا يتم هذا على المخالف ، ولا يثبت إستناد الكتاب إلى المصنف بالظن والتخمين.^(٤)

بل إنّ قدماء النصارى كافة والمتأخرين منهم خاصة يذهبون إلى القول بأن إنجيل متى كان باللسان العبراني ، وأنه ضاع وفُقد بسبب الصراع بين الفرق المسيحية.

قال جامعو تفسير " هنري واسكات " : سبب فقدان النسخة العبرانية أن الفرقة الأيونية التي كانت تنكر ألوهية المسيح حرفت هذه النسخة ، وقال بعضهم : إن الناصريين أو اليهود الذين دخلوا في الملة النصرانية حرفوا الإنجيل العبراني ، وأخرجت الفرقة الأيونية فقرات كثيرة منه .^(٥)

(١) متى ٩ : ٩ .

(٢) ر.دراسات في الكتاب المقدس ، حماية ، ٥٢ .

(٣) دراسات في الكتاب المقدس ، ٤٩ ، ٥٠ .

(٤) اظهر الحق ، ٥٣٢/٢ ، دراسة تحليلية ٢٥٥ .

أمّا عن متن إنجيل متى فيقول الشيخ أبو زهرة : لقد اشتمل بعض هذه الكتب على أخبار لو صحت لكانت معلومة مشهورة في التاريخ يعرفها الخاص والعام ولدونها كتب التاريخ ... إن أمثال هذه الحكايات كانت في حاشية النسخة العبرية وأدخلها الكتاب في المتن وهذا واقع في يد المترجم فترجمها كما وجدها .^(١)

وكذا أشار إلى هذا الغزالي وذكر أمثلة على الأحداث الغريبة التي يشتمل عليها هذا الإنجيل.^(٢)

وقد عاب موريس على متى انه يتصرف بحرية خطيرة مع النصوص ، وأنه ألحق بكتابه روايات يستحيل بالدقة تصديقها .^(٣)

ويرى ديورانت أن متى يحرص حرصا يدعو الى الريية على أن يثبت أن كثيرا من نبوءات العهد القديم قد تحققت على يد المسيح ، وتوقع نهاية العالم سريعا .^(٤)

وهو يقتبس كثيراً من كتابات مرقس - الذي لم يكن من حوارى المسيح - ففي إنجيل متى ستمائة آية من الستمائة والإحدى والستين التي يشتمل عليها النص المعتمد لإنجيل مرقس ..^(٥)

ويتساءل ديدات : كيف يقوم شاهد عيان - مثل متى - وهو أحد حوارى عيسى بسرقة معلومات رآها بعينه - كما يدعون - من كتابات مرقس الذي كان لايزال في العاشرة من عمره حين كان عيسى يدعو بني اسرائيل.^(٦)

(٥) ر. إظهار الحق ٢٧٩/١ ، الكتب السماوية ، ٣٦٠ ، ٣٦١ .

(١) محاضرات في النصرانية ، أبوزهرة ص ٥٣ .

(٢) دراسات في الكتاب المقدس ، ٥٠ ، ٥١ .

(٣) ر. متى ٢٧ : ٥١ - ٥٣ ، دراسة في الكتب المقدسة ، ٨٢ ، ودراسات في الكتاب المقدس ، حماية ٥١ ، الأناجيل ، طاهر ٢٤ ، ٢٥ .

(٤) ر. قصة الحضارة ٢٠٩ .

(٥) دراسة في الكتب المقدسة ، موريس ٨١ ، ٨٢ ، تحفة الأريب ٩٦ .

(٦) دراسات في الكتاب المقدس ، حماية ٥٢ ، ٥٣ .

ومعنى ذلك أن كاتب الإنجيل ليس هو متى الحواري ، وإنما كان متأخراً عن حياة مرقس بوقت طويل .

وهو ما يؤكد ج . ب فيلبس - وهو موظف مرفوع الأمر في الكنيسة الإنجليكانية وهي وقف كاتدرائية شيجستر بإنكلترا - في تقديمه للإنجيل - الترجمة الحديثة باللغة الإنجليزية - : الأعراف القديمة نسبت هذا الإنجيل إلى الحواري متى ولكن علماء العصر الحديث تقريباً بالإجماع يرفضون هذا الرأي .^(١)

ثم يقول : لو أن متى كتبها - أي البشارة أو الإنجيل - في الفترة من ٨٥ إلى ٩٠ فقيمة هذا الإنجيل كوثيقة مسيحية لن تعد لها قيمة أنها - وهو ما يمكن قوله - آراء الجيل الثاني للمسيح عيسى ..

إن القديس متى لم يكتب الإنجيل الذي يحمل اسمه هذا من اكتشاف العلماء المسيحيين من أرفع المراتب .^(٢)

ويحاول مؤلف هذا الإنجيل إظهار ألوهية عيسى بطرق مختلفة مثل قصة ولادته ، أو أنه جاء تحقيقاً لنبوة سابقة ، (مثل الفقرة ٢٢ من الإصحاح الأول والفقرات ١٥ ، ١٧ ، ٢٣ من الإصحاح الثاني) ، وقد طوّر مؤلف الإنجيل المنسوب إلى (متى) أساطير معجزات (عيسى) لإظهاره كإله ، وليس كرسول ، أو مسيح قوي ، يظهر ذلك في الفقرات من ٨ إلى ٢٦ من الإصحاح ٩ (متى) بالفقرات ٢١ إلى ٤٣ من إصحاح (مرقس) كذلك فقرتي ١٦ ، ١٧ إصحاح ٨ وفقرتي ٣٥ ، ٣٦ إصحاح ٩ والفقرات من ٢ إلى ١٦ إصحاح ١١ متى .

وقد أضفى صاحب هذا الإنجيل على عيسى ألقاباً مسيحية اعتبرها شاهداً على أن تنبؤات (العهد القديم) قد تحققت في شخصية عيسى المسيح "ابن داود" ، "الرب" ، "ملك إسرائيل" ، "ابن الإنسان" ، "ابن الله" ، وهذه الألقاب أكثر من أن يلقب بها معلم ، خاصة وأن تلاميذ عيسى لم يستخدموها عندما كانوا يخاطبونه ، بل كانوا ينادونه بمولانا أو سيدنا ، (قارن متى فقرة ٢٥ إصحاح ٨ بمرقص إصحاح ٤ فقرة ٣٨) .^(٣)

(١) هل الكتاب المقدس كلام الله ، ٥٨ - ٦٠ .

(٢) هل الكتاب المقدس كلام الله ، ٦٤ . .

(٣) الأناجيل ، طاهر ، ٢٦ .

ومما اشتمل عليه كذلك ماجاء في خاتمته من ذكر التعميد باسم الأب والابن والروح القدس إذ أن هذه الصيغة كما يقول الدكتور أدولف هرنك في كتابه "تاريخ العقيدة" غريب ذكرها على لسان المسيح ولم يكن لها نفوذ في عصر الرسل. (١)

وقال في معاول الهدم والتدمير: لعل أكبر دليل على التحريف ماتضمنه هذا الإنجيل من قصة الصلب وما حدث بعدها وهي زيادة معلومة بالضرورة لم يقل المسيح عنها شيئاً بعد رفعه. (٢)

ونقل في اظهار الحق عن البروفسور الجرمني قال: إن هذا الإنجيل كله كاذب. (٣)

قال صابر طعيمة: وليس من المستغرب أن يقوم بالدس والوضع لهذا الإنجيل أحد من اليهود بعد خراب أورشليم، واستشهد بما ذكره نورثن عن تفسيره للفقرة الثانية والخمسين: ٢٧ من متى وماحدث بعد صلب المسيح... وأنه لا يستبعد حدوث كتابات في الحواشي - حواشي النسخة العبرانية - وإدخالها في المتن ووقوع المتن في يد المترجم وترجمها على حسبه. (٤)

ثم قال: فهذا مسيحي أنصف القول من نفسه، فإن عداوة اليهود للمسيحيين لا تخفى، على أن طائفة الفريسيين من اليهود كانت تعتقد أن التقليد والمأثور من تفسيرات الآباء وتعليقاتهم على الناموس... كل ذلك من الناموس، فإن ذلك هو طبيعة التلمود إذ هو قول من (التوراة) و (المشناة) التي هي تعليقات حاخامات اليهود وتفسيراتهم. فإذا ترجح أن المترجم من اليهود فقد نكتشف الحقيقة. (٥)

هذا وقد وصف (نورثن) مترجم (متى) بأنه لا يميز بين الخبيث والطيب لأن مترجم إنجيل (متى) كان حاطب ليل، لا يميز بين الرطب واليابس، فما في المتن من الصحيح والغلط ترجمه. (٦)

(١) تاريخ العقيدة ٧٩ .

(٢) ص ٤٤ .

(٣) اظهار الحق، ٥٣٨/٢ .

(٤) الأسفار المقدسة، طعيمة، ٢٥٧ .

(٥) بين القرآن والعهدين ٤٦، الأسفار المقدسة، طعيمة ٢٥٧، ٢٥٨ .

(٦) الأسفار المقدسة، طعيمة ٢٥٨، الفارق ٢٢ .

تلك كانت خلاصة أقوال العلماء حول قيمة هذا الإنجيل . . وقد نقلنا الاختلاف والتضارب بين الأناجيل .^(١)

ولا شك أن جهل تأريخ التدوين ، وجهل النسخة الأصلية العبرية ، وجهل حال المترجم من صلاح وفساد ، وعلم بالمسيحية ، وباللغتين المترجم منها وإليها ، كل ذلك يؤدي إلى فقد حلقات في البحث العلمي مهمة .

فإذا أضفنا إلى ذلك الجهل التام بمؤلف الأصل من هو ، اذن لضاعت القيمة العلمية لهذا الإنجيل ، وأصبح ككتاب فقد غلافه فهو لا يوثق به في أمر من أمور الدنيا ، ناهيك عن أن يكون قانون دين يعتمد عليه .^(٢)

إنجيل مرقس :

ترتيب هذا الإنجيل الثاني لدى النصارى وهو أقصرها إذ أنه يحوي ستة عشر إصحاحاً فقط.^(٣)

وتذكر بعض المصادر النصرانية بأن مرقس الإنجيلي^(٤) كان يهودياً من بيت لاوي من التلاميذ السبعين ، الذين أرسلهم المسيح - حسب زعمهم للدعوة - ، حيث يظن أنه هو الشاب الذي تبع المسيح ليلة تسليمه^(٥) ، وصاحب برنابا وبولس^(٦) ، ثم فارقهما^(٧) ، بعد أن تشاجر معهما ، ثم صحب بطرس وتلمذ عليه .^(٨)

(١) الاختلاف والتضارب بين الأناجيل ص ٢٥٣ من هذا الفصل ، وانظر ما ذكره بين القرآن والعهدين ص ٤٨ ، ٤٩ .

(٢) ر. بين القرآن والعهدين ٤٨ ، معاول الهدم والتدمير ٤٤ ، الميزان ١١ ، ٧٢ ، أضواء على المسيحية ، ٩٦ ، ١٩٨ ، المسيح ، عبود ١١٨ .

(٣) دراسات في الأديان ، الخلف ١٣٠ ، الرد الجميل ٦٦ .

(٤) وهو غير مرقس الذي أسس كنيسة بيت المقدس بعد التدمير سنة ١٣٥ م ، ر. ص ٧٥ .

(٥) مرقس ١٤ : ٥١ ، ٥٢ .

(٦) كورونثوس ١٠ : ٤ ، أعمال الرسل ١٢ : ٢٥ .

(٧) أعمال الرسل ١٣ : ١٣ .

(٨) ر. دراسة تحليلية لإنجيل مرقس ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، الأسفار المقدسة ، وافي ، ٨٥ ، قاموس الكتاب المقدس ، ٨٥٣ .

بينما رجح البعض أنه ليس من السبعين ، وأنه لم ير المسيح ، وأن دخوله في دين النصارى كان بعد رفع المسيح على يد بطرس الحواري .^(١)

وأكد موريس بوكاي أن مرقس لم يكن من الحواريين ، بل كان تلميذاً لأحد الحواريين.^(٢)

ويعلق الأستاذ نينهام قائلاً : لقد كان من عادة الكنيسة الأولى أن تفترض أن جميع الأحداث التي ترتبط باسم فرد ورد ذكره في العهد الجديد ، إنما ترجع جميعها إلى شخص واحد له هذا الإسم !!

ولكن إذا تذكرنا أن اسم مرقس كان أكثر الأسماء اللاتينية شيوعاً في الإمبراطورية الرومانية ... عندئذ نتحقق من مقدار الشك في تحديد الشخصية في هذه الحالة ".^(٣)

ونقل قاموس الكتاب المقدس أن مرقس كان أول من نادى برسالة الإنجيل في الإسكندرية في البلاد المصرية ، وقتل فيها .^(٤)

وقد كتب مرقس إنجيله بناءً على طلب أهل رومية ، وقيل أنه كتبه لنفع المؤمنين الذين رجعوا إلى المسيح بواسطة دعوته لهم .^(٥)

ونقل ديورانت إتفاق النقاد الثقة على أسبقية إنجيل مرقس في الزمن على سائر الأناجيل.^(٦)

(١) ر. الإسلام والأديان ، حلمي ، ١٩٩ ، دراسات في الكتب المقدسة ، ٨٤ ، ٨٥ ، تحفة الأريب ، ٨٥ ، محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة ، ٤٦ .

(٢) دراسات في الكتب المقدسة ، ٨٤ .

(٣) بين القرآن ٥١ ، الرد الجميل ٦٨ .

(٤) ر. ص ٨٥٣ .

(٥) الأسفار المقدسة ، طعيمة ٢٥٨ ، الكنز الجليل في تفسير الإنجيل ٤/١ ، الميزان ، الطهطاوي ١١٢ ، بين القرآن ٥٠ ، عقيدتنا

التثليث والصلب ، ٧٢ ، دعوة الحق ٣٣٧ .

وهذا يخالف ما ورد في قاموس الكتاب المقدس حيث يقول : ويظن بعض العلماء أن مرقس هو أول الأناجيل التي دونت وأن متى ولوقا استخدمتا على وجه العموم نفس النقاط الرئيسية التي وضعها مرقس ويظن فريق آخر أن إنجيل متى هو أول الأناجيل تدويناً^(١).

وقد اختلف المؤرخون في الزمن الذي كتب فيه مرقس هذا الإنجيل ، وذكر أرينيوس - أحد آباء الكنيسة الأولين - أن مرقس كتب إنجيله بعد أن نادى بطرس وبولس بالدعوة في روما ، أي أنه كتبه بين عامي ٦٥ و ٦٨ م.^(٢)

وجاء في قاموس الكتاب المقدس أنه ربما كتب هذا الإنجيل بين عامي ٦٥ و ٦٨ م.^(٣) وهناك من حدد تاريخه بين عامي ٦٥ و ٧٠ م^(٤)، وقيل إنه كتبه أثناء سنة ٦١ تحت مناظرة بطرس رفيقه الخاص.^(٥)

وذهب ابن حزم إلى أنه كتبه بعد اثنين وعشرين عاماً من رفع المسيح عليه السلام.^(٦) أي في حدود سنة ٥٦ م .

وربما كان هذا هو الراجح نظراً لأن مرقس كتب هذا الإنجيل كما نقلنا ليستعمله بطرس في دعوة أهل رومة ، الذين يتكلمون اليونانية ، ولما ذكر كذلك أن أقدم النسخ الموجودة من الأناجيل كانت باليونانية ، وأن اليونانية كانت أكثر اللغات انتشاراً .

وفيما يتعلق بصحة نسبة الإنجيل إليه يعلق د . أ . نينهام - الأستاذ بمعهد اللاهوت بجامعة لندن ورئيس تحرير سلسلة (بليكان) لتفسير الإنجيل :

(٦) دراسة تحليلية ، ١٢٦١ ، لأسفار المقدسة ، طعيمة ٢٥٩ عن الفرت حيث رجح ذلك ، المسيح ، عبود ١١٧ ، المسيحية ، شلبي ٢٠٤ .

(١) دراسات في الكتاب المقدس ، حماية ، ٥٥ ، الرد الجميل ٦٦ .

(٢) ر . دراسة تحليلية لإنجيل مرقس ، ٢٦٥ .

(٣) ر . ص ٨٥٥ .

(٤) ابن حزم ومنهجه ، حماية ٢٧٦ ، بين القرآن ٥٣ ، دراسة في الكتب المقدسة ، موريس ٨٥ ، الأسفار المقدسة ، وافي ٨٧ ،

bible 71 .

(٥) دعوة الحق ٣٣٧ ، الأناجيل أصلها وتطورها ٧٤ .

(٦) الفصل ٣/٢ .

"لم يوجد أحد بهذا الإسم عرف أنه كان على صلة وثيقة وخاصة (بيسوع) ، أو كانت له شهرة خاصة في الكنيسة الأولى ... ومن غير المؤكد صحة القول المأثور ، الذي يحدد مرقس كاتب الإنجيل ، بأن يوحنا مرقس المذكور في أعمال الرسل ١٢ : ١٢ ، ٢٥ ، أو في رسالة بطرس الأولى ٥ : ١٣ ، أو في رسالة بولس إلى كولويسي ٤ : ١٠ ، أو في رسالته الثانية إلى تيموثاوس ٤ : ١١ .

وذهب ابن البطريق إلى أن كاتبه هو بطرس رئيس الحواريين عن مرقس في مدينة رومية ونسبه إلى مرقس^(١) ، ويؤكد هذا ما ذهب إليه صاحب مرشد الطالبين^(٢) من أنه كُتِبَ بتدبير من بطرس ليستخدمه بطرس تبشيراً بدينه الجديد^(٣) .

قال طعيمة : ولعل مما يرجح هذا الإتجاه ما ترجح لدى (بيباس) وجود نسخة أولى قديمة العهد (لمرقس) كانت مصدراً لكتابة هذا الإنجيل بطلب شيوخ الكنيسة ، لأن النسخة الأولى وضعت غير مرتبة بل وضعت وفقاً لاحتياجات الحال والمقال والدواعي لأهل روما يوم كان وسيطاً للتبليغ عن لسان بطرس .

قال حلمي : وليس بين أيدينا ما نرجح به إحدى الروايتين عن الأخرى فمن الذي كتبه؟^(٤) والذي عليه الأكثرون أن لغة هذا الإنجيل اليونانية^(٥) .
وذهب ابن البطريق وبوست إلى أنه كتب باللاتينية^(٦) . ويذكر موريس بوكاي أن من عيوب هذا الإنجيل أنه حرر دون أي اهتمام بالتعاقب الزمني للأحداث^(٧) .

(١) تاريخ ابن البطريق ١/٤٤٠ ، الأسفار المقدسة ، طعيمة ٢٥٨ ، محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة ٤٧ ، الفصل ٣/٢ ،

مقدمة ابن خلدون ٦٥٢ ، الإسلام والأديان ، حلمي ١٩٩ .

(٢) ص ١٧٠ .

(٣) تحفة الأريب ، الأسفار المقدسة ، طعيمة ٢٥٩ .

(٤) الإسلام والأديان ، حلمي ١٩٩ ، محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة ٤٧ ، وانظر الأناجيل ، طاهر ٢٩ .

(٥) ٧٤ عقيدتنا التثليث والصلب ، ٧٤ ، الأسفار المقدسة ، طعيمة ٢٦٠ ، دراسات في النصرانية ، مزروعة ١٢٤ ، الأسفار

المقدسة ، وافي ٨٧ ، الفصل ٣/٢ ، ١٥٢ - ١٥٦ يا أهل الكتاب تعالو ، ٥٤ .

(٦) بين القرآن ٥٣ .

(٧) دراسة في الكتب المقدسة ، موريس ٨٥ .

ويذكر ف.س . جرانت في كتابه " الأناجيل أصلها وتطورها " : " في الواقع أن مرقس الذي كان ترجماناً لبطرس قد كتب بالقدر الكافي من الدقة التي سمحت بها ذاكرته ماقيل عن أعمال يسوع وأقواله دون مراعاة للنظام . (١) وإن كان ديورانت قد حكم مع شوترز بأن إنجيل متى في جوهره تاريخ صحيح . (٢)

وفي هذا يقول الدكتور سعود الخلف معلقاً : " إن هذه أقدم شهادة عن الكتاب والكاتب ، حيث ذكر أن الكاتب كتب ماتذكر ولم يفصل في المكتوب ماهو ؟ فهل تكفي هذه الشهادة في إثبات كتاب يزعم أنه الوسيلة إلى رضوان الله . (٣)

ويذكر وليم باركلي أن مرقس كان يؤكد الجانب البشري في المسيح ، حتى أن الكتاب الذين اتبعوه اضطروا إلى إدخال بعض التعديلات في كثير من عباراته ، فبينما يذكر مرقس أن يسوع كان نجاراً ، يتحرج متى فيذكر أنه كان ابن نجار .

ويوضح مرقس الإحتياجات الجسدية في المسيح ، وأنه أحس بالجوع (٤) ، وأحس بالتعب ، واحتاج إلى الراحة (٥) ، وهي مما تفيد إنكاره لألوهية المسيح ، فكيف يستقيم هذا مع ماورد فيه من عبارات " يسوع المسيح ابن الله " في الإصحاح الأول منه ، فلا يستبعد أن مثل هذه الكلمات إلحاقية . (٦)

(١) ص ٧٣ - ٧٤ .

(٢) قصة الحضارة ٣ / ٢٠٨ ، وانظر الرد الجميل ٦٧ .

(٣) ر . دراسات في الأديان ، الخلف ، ١٣١ .

(٤) ١٢ : ١١ .

(٥) ١٣ : ٦ .

(٦) الميزان ، الطهطاوي ، ١١٢ ، ١١٣ ، وانظر هذه القصص في الإصحاح الثامن ١١ ، ١٢ ، وقارن بينه وبين

إنجيل لوقا مثلاً في الإصحاح السابع : ٢٢ ، والإصحاح الحادي عشر .

قال عبدالوهاب طويلة : إن أي ذكر لألوهية المسيح في هذا الإنجيل ليس إلا تحريفا أو دسا أدخله الكتاب المتأخرون .^(١)

ويذكر علماء النصارى أن في هذا الإنجيل - كغيره من الأناجيل - معضلات قاذحة ليس من السهل التغلب عليها منها مثلاً التناقض الداخلي في أحداثه وفي رواياته ومنها عدم اتفاق أي نسختين من النسخ المخطوطة منه على نص واحد إذ أن كل واحدة تحالف الأخرى .^(٢)

يقول نينهام مفسر إنجيل مرقس : "من بين مئات المخطوطات لإنجيل مرقس والتي ما تزال باقية حتى اليوم ، لا نجد نسختين اثنتين تتفقان تماماً ، وهذه التغييرات حدثت بقصد أو بدون قصد" .^(٣)

وتمثل خاتمة هذا الإنجيل مشكلةً ، فهي غير متفق عليها في النسخ المختلفة ، تلك الخاتمة التي تتحدث عن ظهور المسيح لمريم المجدلية ، ثم للرسول الأحد عشر ، وطلبه منهم أن يذهبوا إلى العالم كله ، ويعلنوا البشارة إلى الناس جميعاً : إن كل من يؤمن ويتعمد بخلص ، وفي الترجمات القديمة : ويذكروا الناس بالأب والإبن والروح القدس ، فإن الكتاب القدامى والمحدثين يرون أنها ملحقة بالإنجيل ، وليست من صلبه ، بل أضيفت إليه بعد تأليفه بجوالي عشر سنوات ومائة (١١٠) ، ولم تظهر لأول مرة إلا في سنة ١٨٠م تقريباً ، وإن مقدمة الترجمة المسكونية لتنص على هذا بشكل صريح .^(٤)

وفي مقدمة طبعة كولنز تقول : لقد عرضت أمام اللجنة طلبات عديدة قدمها اثنان من الأفراد وطائفتان دينيتان وقد اهتمت هذه اللجنة بهذه الطلبات : .. " ولقد أعيد جزءان إلى النص الأصلي وهما نهاية إنجيل مرقس الفصل السادس عشر ٩ : ٢٠ وإنجيل لوقا ٢٤ : ٥١ .^(٥)

(١) الكتب السماوية ، ٣٨٠ .

(٢) الأناجيل ، طاهر ، ٢٩ ، دائرة المعارف البريطانية ٩٠٣ ، الرد الجميل ، ٦٩ ، ٧٠ ، بين القرآن والعهدين ، ٥٤

، التزوير المقدس ن ٧٨ .

(٣) الرد الجميل ، ٧٠ ، ٧١ ، بين القرآن ٥٤ .

(٤) ر . دراسة في الكتب المقدسة ، موريس ، ٨٦ ، الرد الجميل ، ٧٠ ، ٧١ ، بين القرآن ، ٥٥ ، دراسات في

الكتاب المقدس ، حماية ، ٥٥ ، ٥٧ ، الكتاب المقدس في الميزان ، ١٣٥ ، الكتب السماوية ، ٣٨١ .

(٥) المناظرة ، حماية ، ٤٨ .

وقد نقل صاحب الفارق عند الكلام عن مرقس عن بعض المحققين من النصارى ما يؤكد الشك في عدم إلهامية هذا الإنجيل. (١)

وترى دائرة المعارف البريطانية أن إنجيل مرقس في إطاره الرئيسي لم يحو غير معلومات قليلة للغاية لا تصلح للإعتماد عليها تاريخياً ، أما بقية المعلومات فمشكوك فيها كما أن المراجع التاريخية وأسماء الأشخاص الواردة في هذا الإنجيل قد استقاها مؤلفها من روايات شفوية كانت تروى في ذلك العهد ، والإطار الذي كتب فيه مرقس إنجيله إطار مصطنع لا يمت إلى الحقيقة بشيء وأنه جمع بعض القصص المتفرقة ووصل بينها بترتيب زمني استحدثه لنفسه ثم مزج هذه القصص بالمبادئ المسيحية. (٢)

تلك كانت آراء العلماء حول هذا الإنجيل مؤلفه وتاريخ كتابته وتناقض المعلومات التي فيه.

وأختم بما ذكره صاحب الأناجيل وتطورها :
 "من ذلك يتضح أن أحداً من علماء النصرانية ، لا يعرف بالضبط من هو مرقس كاتب الإنجيل ، وإن كان الرأي الشائع من الموروثات الغربية ، وهو يشبهه - في غرابته - استنتاج القديس أوغسطين الخاطيء بأن مرقس كان واحداً من الذين تبعوا متى واختصروا إنجيله. (٣)

إنجيل لوقا :

هذا هو الإنجيل الثالث في ترتيب النصارى لكتابهم ويحوي أربعة وعشرين إصحاحاً . (٤)

وتختلف آراء معظم الباحثين حول شخصية لوقا وفي القوم الذين كتب لهم إنجيله ، وفي تاريخ تأليفه ، واتفقوا على أنه ليس من تلاميذ المسيح ولا من تلاميذ تلاميذه وأنه تلميذ لبولس

(١) الفارق بين المخلوق والخالق ص ٣١٧ .

(٢) انظر أمثلة ذلك ص ٣١ الأناجيل ، طاهر .

(٣) الأناجيل أصلها و تطورهما ص ٧٤ .

(٤) دراسات في الأديان ، الخلف ١٣١ .

وأنه لم يكن من أصل يهودي ، وذهب بوست إلى أنه كان رومانياً نشأ في إيطاليا .^(١) وقيل : كان طبيياً وقيل مصوراً . . .^(٢)

وذهب بعض الباحثين أن لوقا كاتب الإنجيل أحد الوثنيين الذين آمنوا بالمسيح بعد رفعه وكان رفيقاً لبولس بناءً على ما ذكر بولس .^(٣)

وعن تاريخ كتابته ذهب البعض إلى أنه كتب بين عامي ٦٠ - ٧٠ م على أشهر الأقوال وإن كان بعضهم يعزوه إلى العقد الأخير من القرن الأول .^(٤)

وذكر بوست أنه كتب قبل خراب أورشليم وقبل أعمال الرسل ما بين ٥٨ إلى ٦٠ م ، ويرى هورن أنه أُلّف سنة ٥٣ أو ٦٣ أو ٦٤ .^(٥)

والثابت عن محققي النصارى كما يقول صابر طعيمة ، أن لوقا كتب إنجيله بعد ما حرر مرقس إنجيله وذلك بعد موت بطرس وبولس .^(٦)

(١) يا أهل الكتاب تعالو ، ١٥٦ ، الأناجيل ، طاهر ، ٣٣ ، دراسات في الكتاب المقدس ، حماسة ٥٨ ، بين القرآن ، ٥٧ ، محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٨ ، الإسلام والأديان ، حلمي ، ٢٠٠ ، دراسات في النصرانية ، مزروعة ١٣١ ، ١٢٤ ، الفصل ٢/٢ ، ٥٦ ، الأسفار المقدسة ، وافي ٧٧ ، المسيحية ، شلي ٢١٥ ، الأسفار المقدسة ، طعيمة ٢٦١ ، المسيح ، عبود ، ١١٧ ، الجواب الفسيح ١٩٠ .

(٢) الأسفار المقدسة ، طعيمة ٢٦١ ، المسيحية ، شلي ٧٥ ، الأناجيل ، طاهر ٣٣ .

(٣) كورونثوس ٤ : ١٤ ، تيموثاوس ٤ : ١١ ، فليمون ٢٤ ، محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة ٤٧ ، ٤٨ ، دراسات في

الأديان ، الخلف ١٣١ ، يا أهل الكتاب تعالو ، ١٥٦ ، ٥٨ ، دراسات في الكتاب المقدس ، حماسة ، بين القرآن ٥٧ ، دراسة في الكتب

المقدسة ، موريس ٨٨ ، قاموس الكتاب المقدس ، ٨٢٢ ، عقيدتنا التثليث والصلب ، ٧٤ ، دعوة الحق ٣٣٨ ، الأناجيل ، طاهر

٣٣ ، المسيح ، عبود ١١٧ ، الإسلام والأديان ، حلمي ٢٠٠ ، ٢٠١ ، الجواب الفسيح ١٩٠ .

(٤) عقيدتنا التثليث والصلب ، ٧٤ ، الأسفار المقدسة ، طعيمة ٢٦١ .

(٥) يا أهل الكتاب تعالو ، ١٥٦ ، دراسات في الكتاب المقدس ، حماسة ٥٨ ، بين القرآن ٥٧ ، ٥٨ ، الأسفار المقدسة ، وافي ٨٨

٣٤ ، المسيح ، وصفي ، محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة ٤٨ .

(٦) الأسفار المقدسة ، طعيمة ٢٦١ ، عقيدتنا التثليث والصلب ، ٧٤ .

وذكر د. عبود أنه ألفه في عصر نيرون. ^(١) أي سنة ٦٨ م.

وذكر د. فريدريك كلفتن جرانث أنه صدر إنجيله حوالي سنة ٨٠ أو ٨٥ بعد ذلك بحوالي عشر سنوات ذيل كتابه برسالة ثانية هي أعمال الرسل ونشره حوالي ٩٥ .. ^(٢)

وإن كان بعض العلماء يرجحون القول بأن مؤلف كل من الإنجيل وأعمال الرسل شخصان مختلفان. ^(٣)

ومما هو مشهور عند النصارى أن كاتب الإنجيل الثالث هو لوقا الطبيب الذي ذكره بولس (في رسائله) . وقد وجد الكثيرون دليلاً على مهنة كاتب الإنجيل الثالث الطبية في دقة وصفه للأمراض ، ولكن هذا الدليل ليس قاطعاً . فلا بد للبت في هذا الموضوع من البحث في شواهد كتاب أعمال الرسل. ^(٤)

ولغة هذا الإنجيل اليونانية وهو مما اتفق عليه معظم الباحثين سوى ما ذكره ابن خلدون أنه ألف باللاتينية وهو خطأ. ^(٥)

واختلف في تحديد القوم الذين كُتِبَ لهم هذا الإنجيل ، فذهب ابن البطريق إلى أنه وجهه إلى رجل من عظماء الروم وكذا وجه إليه أعمال الرسل .

(١) المسيح، عبود ١١٧ ، دراسة في الكتب المقدسة ، موميس ٨٨ .

(٢) الرد الجميل ٨٦ ، الأناجيل أصلها وتطورها ١٢١ ، محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة ٥٧٥ .

(٣) ٩٩ حوار صريح ، وانظر اختلافات في تراجم الكتاب المقدس ، ٨٥ ، دعوة الحق ٣٣٨ .

(٤) اختلافات في تراجم الكتاب المقدس ، ٨٦ .

(٥) الأسفار المقدسة ، وافي ٨٨ ، وانظر محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة ٥٨ ، دراسات في النصرانية ، مزروعة ١٢٤ ،

١٣١ ، الفصل ٢/٢ ، بين القرآن ٥٦ ، ١٥٦ يا أهل الكتاب تعالوا ، ٥٨ ، عقيدتنا التثليث والصلب ، ٧٤ ، الجواب

ويرى القس ابراهيم سعيد أنه كتبه لليونان ، وهناك من يرى أنه كتبه للمصريين ولوقا يصرح في أول إنجيله أنه كتبه إلى رجل يدعى ثاوفيلس ولكنهم اختلفوا كذلك في هويته .

وقد وجه موريس بوكاي انتقاداته لشخصية مؤلف هذا الإنجيل فضلاً عن الإنجيل نفسه فقال : لوقا كاتب حوليات في رأي كولمان ، وروائي حقيقي في نظر كاننجر .
وأن إنجيل لوقا عمل أدبي كتب بلغة يونانية كلاسيكية راقية لا تخلو من حوشي الكلام .^(١)

وعن الدافع الذي كتب من أجله إنجيله يذكر لوقا نفسه في ديباجته الموجهة لثاوفيلس إلى أنه بعد الآخرين الذين أنشأوا قصصاً عن المسيح ، سينشئ بدوره حكاية عن نفس الأحداث مستخدماً تلك القصص ومعلومات الشهود المعينين ، وذلك يعني أنه ليس واحداً منهم ، حيث يقول : " إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأحداث التي وقعت كما نقلها إلينا الذين كانوا منذ البدء شهوداً معانين وخداماً للكلمة ، رأيت أنا أيضاً إذ تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق ، أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذي علمت به . " ^(٢)

ويرى القارئ اعتراف لوقا الصريح بأن مصدره فيما يكتبه القصص التي يرويها الناس ، مما يبعد تماماً القول بأنها وحي أو إلهام . وهذا ماجعل العلماء يختلفون في تقويم إنجيله .^(٣)

من هذه المقدمة تستنتج عدّة ملاحظات :

- ١ - إن لوقا يكتب رسالة شخصية إلى ثاوفيلس ، ولم يعرف ثاوفيلس هذا .
- ٢ - إن لوقا قام بهذا العمل بدافع شخصي بحت (تقليداً لغيره ممن يكتبون قصصاً) . وهي ليست أربعة أو عشرة بل لعلها تناهز المائة ، وأنها كتابات من قبيل التاريخ للأحداث ولم يكن الهدف منها تصوير عقيدة .
- ٣ - لم يدع أنه كتبها بإلهام ، أو مسوقاً من الروح القدس !!
- ٤ - يقرر صراحة أنها جاءت نتيجة لاجتهاده الشخصي ، حيث أنه قد تتبع كل شيء من الأول بتدقيق .

٥ - يقرر لوقا أن كثيرون أخذوا في تأليف قصص .

(١) دراسة في الكتب المقدسة ، موريس ٨٧ .

(٢) دراسة في الكتب المقدسة ص ٨٧ ، المسيح في الإنجيل بشر ، ٢١ ..

(٣) الأسفار المقدسة ، طعيمة ٢٦١ ، تحفة الأريب ٩٧ ، مقدمة الرد الجميل ٩٤ ، وانظر الوحي والملائكة ٤٦ ، ٤٧ ، ٦٠ .

٦ - يعترف بأنه لم يأخذ المعلومات عن المسيح بل ممن عاينه أو خدمه .

٧ - لم يبين لنا لوقا عن أخذ الإنجيل كما أن أحداً لا يستطيع أن يجزم أن لوقا أخذ عن أناس مخصوصين.

٨ - وهناك أمر آخر على درجة من الخطورة ذلك أن " لوقا " لم يكتب لصديقه التعاليم التي يجب أن يتبعها أو العقيدة التي عليه أن يؤمن بها بل أرسلها إليه على التوالي ، حيث يقول : "لتعرف صحة الكلام الذي علمت به " .. فكتابات لوقا كانت تأكيداً فقط للكلام الذي علمه ثاوفيلس فما هو ؟^(١)

هذه هي أهم النقاط التي يمكن أن يستنتجها الباحث من مقدمة إنجيل لوقا .

وفيه من التناقضات في رواياته بينه وبين الأناجيل الأخرى الكثير ، مثل :الإختلافات بينه وبين التسلسل الذي أورده متى في نسب المسيح .^(٢)

- وكذلك فإن ما يرويه لوقا عن طفولة المسيح ، يختلف عما يرويه متى حول الموضوع نفسه .

- وهناك مسألة سر القربان المقدس ، وهو حدث ذو أهمية رئيسية بالنسبة للنصارى ، على حد تعبير موريس بوكاي . .^(٣)

كما إنه حدد تاريخ صعود المسيح - في إنجيله - بيوم الفصح ويحدده في أعمال الرسل ، بأربعين يوماً بعد الفصح !!

وهو ينقل ويقتبس من متى ومرقس إلى جانب مصادر مجهولة من الأساطير وقد أورد بعض أشياء لم ترد في أي إنجيل من قبل .^(٤)

(١) الاختلاف والإتفاق، عوض ٩٦ ، ٩٧ .

(٢) الرد الجميل ٨٦ .

(٣) دراسة في الكتب المقدسة، ص ٨٩ .

(٤) انظر الإصحاح ١٧ : ٧ - ١٠ ، ١٧ : ١١ - ١٩ ، الأناجيل ، طاهر ، ٣٤ .

والواقع أنه أورد أشياء تبلغ في عددها ٣٥ لم ترد في الأناجيل الأخرى ، وقد اختلف العلماء النصارى في مصادر معلوماته اختلافاً كبيراً .

وصرح جيروم أن بعض القدماء كانوا يشكون في بعض الآيات من الباب الثاني والعشرين من إنجيل لوقا ، وبعض آخر كان يشك في الباب الأول والباب الثاني منه أيضاً ويصرحون أن هذين البابين لم يكونا في نسخة فرقة مارسينيوني^(١).

وقد قرر (أشلاير ماخر) في كتابه (الأبحاث عن إنجيل لوقا) أن إنجيل لوقا ما هو إلا كتب مختلفة كُتبت في أزمنة غير معينة بواسطة قوم مجهولين^(٢).

يقول القس فهيم عزيز في كتابه المدخل إلى العهد الجديد في استدلاله على صحة نسبة الكتاب إلى لوقا مايلي :

" هناك مقدمة كتبت لإنجيل لوقا فيما "بين" (١٦٠ - ١٨٠ م) اسمها "ضد مارسينيون" يقول الكاتب فيها عن لوقا : إنه من أنطاكية في سوريا مهنته طبيب وكان أعزباً بدون زوجة مات وهو في سن ٨٤ في بوتييه ممتلاً بروح القدس - وقد كتب إنجيله كله في المناطق التي تحيط بأخائيه لكي يفسر للأمم القصة الصحيحة للعهد الجديد الإلهي . . . "

ثم يقول صاحب الكتاب " هذه مقتطفات عن هذه الشهادة التي لا يعرف كاتبها وقد قبلها كثير من العلماء لأنهم لم يجدوا من أتباع مارسينيون^(٣) من يكذبها مما يدل على أنها تقليد كنسي قوي"^(٤).

تمثل هذه الشهادة المجهولة يثبت النصارى صحة كتابهم إلى هذا الرجل المجهول لوقا ، وهي لاشك شهادة لا تغني ولا تسمن من جوع ، ويدل استدلالهم بها على أنهم لا يملكون أدلة على

(١) الفارق ٣٢٦ .

(٢) المسيح ، وصفي ٤١ .

(٣) مارسينيون هو أحد الخارجين على الكنيسة .

(٤) المدخل إلى العهد الجديد ص ٢٧٢ ، دراسات في الأديان ، الخلف ١٣٢ .

صحة نسبة الكتاب ، فيتبين لنا من هذا أن النصارى حين يزعمون أن إنجيل لوقا كتاب صحيح وصادق فإن ذلك مجرد دعوى عارية عن الدليل .^(١)

إنجيل يوحنا :

هو رابع كتب العهد الجديد .

و الكثرة الغالبة من أهل الفرق والطوائف النصرانية تذهب إلى أن يوحنا صاحب الإنجيل هو أحد الحوارين الإثني عشر .

وقد جاء في كتاب : (خلاصة تاريخ المسيحية في مصر ص ٦٥٣) أن يوحنا البشير ولد في بيت صيدا من أعمال الجليل ، وهو ابن زبدي الصياد وأخو يعقوب الكبير ، وأن المسيح كان يجبه حتى إنه استودعه أمه مريم وهو فوق الصليب ، وأن القيصر (دومتيان) نفاه في أيام الاضطهادات إلى جزيرة (بطمس) (من جزر بحر إيجه) ، ثم عاد إلى (أفسس) ولبث بها يبشر حتى توفي شيخاً ، على خلاف في تحديد سنة وفاته بين عامي ٩٨ و ١٠٠ م .

ومما يقولونه عنه أنه كان صياداً كأبيه ، وبينما كان بالصيد هو وأخوه يعقوب على بحر الجليل إذ رأى من المسيح ماجعله وأخاه يتركان شباكهما وأباهما ويتبعانه .^(٢)

وفيما يتعلق بتحديد هوية مؤلف إنجيل يوحنا ، فإن موريس بوكاي يرى أن المسألة موضع نقاش طويل وقد طرحت آراء شديدة الاختلاف في هذا الشأن .^(٣)

وبينما يرى بعض الباحثين في النصرانية أن كاتب هذا الإنجيل كان يتكلم الأرامية وأن وطنه الأصلي فلسطين ، يرى البعض الآخر أنه كان إغريقياً من اليونان وكان ينتمي إلى اليهودية ، ومن هؤلاء د. فريدريك كالفتن في كتابه الأناجيل أصلها وتطورها .^(٤)

(١) دراسات في الأديان ، الخلف ١٣٣ .

(٢) الأسفار المقدسة ، طعيمة ٢٦٢ ، دراسات في النصرانية ، مزروعة ١٢٤ ، قاموس الكتاب المقدس ، ١١٠٨ ، الأسفار

المقدسة ، وافي ٨٧ ، تحفة الأريب ٩٨

(٣) بين القرآن ٦٤ ، الأسفار المقدسة ، وافي ٧٩ .

(٤) الأناجيل .. تطورها ص ١٧٤ - ١٧٨ .

وللتوفيق بين هذين الرأيين ظهر رأي ثالث يقول أن كاتب هذا الإنجيل كان فلسطينياً هاجر إلى اليونان وعاش حيث كان يعيش اليهود فيها ثم اكتسب معرفة باللغة وبالطقوس الدينية للمجتمع المحيط به .^(١)

ويُنسب إليه هذا الإنجيل الرابع من الأناجيل الأربعة المعتمدة وآخرها تأليفاً ، وكذلك أربعة أسفار أخرى من أسفار العهد الجديد وهي ثلاثة رسائل من الرسائل الكاثوليكية والسفر النبوي أو رؤيا يوحنا . يقول الدكتور وافي : ولكن البحوث الحديثة في مسائل الأديان لا تسلم بصحة هذه النسبة .^(٢) أي نسبة الأسفار إليه .

ولإنجيل يوحنا مكانة خاصة بخلاف الأناجيل الأخرى ، وذكر القس ابراهيم سعيد أن إنجيل لوقا كُتب لليونان ومتى كُتب لليهود ومرقص كُتب للرومان وإنجيل يوحنا كُتب للكنيسة عامة ..^(٣)

وقد كتب يوحنا إنجيله ورسائله باللغة اليونانية .^(٤)

ولعل الحكم في أنه كتب للكنيسة عامة يرجع إلى ما ذكره قاموس الكتاب المقدس من أن الإنجيل المنسوب إلى يوحنا كتب لإثبات ألوهية المسيح التي اختلفوا بشأنها .^(٥) وفيه دليل على أن هذا القول لم يكن منتشرًا بدليل عدم ذكره في الأناجيل الثلاثة وقد أكد هذا أكليمندس .^(٦)

(١) الأناجيل ، طاهر ، ٤١ .

(٢) الأسفار المقدسة ، وافي ، ٧٩ ، ٨٩ .

(٣) محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة ، ٤٧ ، دراسات في النصرانية ، مزروعة ، ١١٢ ، الأناجيل ، طاهر ، ٣٥ ، إبطال ألوهية عيسى ، ١٠٢ .

(٤) دراسات في النصرانية ، مزروعة ، ١٢٤ ، ١٦٠ - ١٦٥ يا أهل الكتاب تعالوا ، دراسات في الكتاب المقدس ، حمية ، ٩٩ ، الفارق ، ٣٤١ ، الأسفار المقدسة ، وافي ، ٨٨ ، الأسفار المقدسة ، طعيمة ، ٢٦٢ ، عقيدتنا التثليث والصلب ، ٧٥ .

(٥) تحفة الأريب ، ٩٨ ، ٩٩ ، انظر آخر الإصحاح ٢١ من الإنجيل .. يا أهل الكتاب تعالوا ، ١٦٠ ، الميزان ، ١١٤ ، دراسات

في الكتاب المقدس ، حمية ، ١٣ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، الفارق ، ٣٣١ ، المسيحية ، شلي ، ٢٩ ، يسوع المسيح ص ١٩ ، وانظر

محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة حيث ذكر مصادر مسيحية عدة تبين السبب الذي من أجله كتب هذا الإنجيل ، ٥٣ ، ٥٧ -

٦٣ ، الأسفار المقدسة ، طعيمة ، ٢٦٣ .

وهذا يلزم منه أحد أمرين:

الأول : أن الأناجيل الثلاثة بوضعها الحالي كانت موجودة أيام الصدر الأول من النصرارى ، وأنهم لم يجدوا فيها دليلاً يثبت لاهوت المسيح ، وهذا يثبت أن تأكيد النصرارى لاهوت المسيح من الأناجيل الثلاثة أمر لا تحتمله نصوصها ولم يفعله الأوائل ، ولو فعلوه لاكتفوا بما فيها وهو كثير - باستشهاد المعاصرين منهم - ولم يطلبوا من يوحنا أن يكتب إنجيلاً لهذا الغرض بل ويلحون عليه في ذلك .^(١)

الثاني : ما في الأناجيل الثلاثة من شواهد يستشهد بها النصرارى كافية لإثبات ذلك - أي الألوهية - وهذا ملحوظ من كتاباتهم الكثيرة ، ومادام الصدر الأول لم يجدوا فيها ذلك فيدل على أن هذه الشواهد والأدلة قد أضيفت إليها بعد كتابة يوحنا إنجيله ، وهذا يثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن هذه الأناجيل الثلاثة قد دخلها التحريف المقصود ، وبذلك تزول عصمتها ولا يصح الإحتجاج بها .

وكلا الأمرين لازم منه أن الأناجيل الثلاثة المتشابهة لا تثبت ألوهية المسيح بل تعارضها ، وهنا نقول : أهى ثلاثة من الأناجيل أم إنجيل واحد يعارض بعضه بعضاً ويدور حوله شك كثير!!؟

وهناك أمر مهم جداً وهو أن رسائل بولس لم يكن معترفاً بها حتى كتب يوحنا إنجيله، بل لم يعترف بها إلا بعد ذلك بكثير ، إذ لو كان معترفاً بها لاكتفى من يريد الاستدلال على ألوهية المسيح بما فيها ، وما أكثر ما فيها مما يفيد ذلك . وهذا يفيد مع الأمرين السابقين أن ألوهية المسيح لم تعرف إلا على يد بولس ، ووضع هذا الإنجيل وادعيت نسبه لحواري معروف كي يكون حجة في هذا الصدد .^(٢)

وفعلاً قد استجاب صاحب الإنجيل الرابع لهذا الطلب - إن صح - فجاء إنجيله لا يبغى إلا أن يجعل المسيح إلهاً ، فهو الكلمة وهو النور وهو الراعي والطريق والحياة ... وقد ذكر صاحب

(٦) ر. المسيحية ، شليبي ، ٢١٠ ، ٢١١ ، محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة ٣٥ .

(١) دراسات في الكتاب المقدس ، حمایة ، ٦٢ ، عقيدتنا التثليث والصلب ، ٧٦ .

(٢) محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة ٥٤ ، الأسفار المقدسة ، طعيمة ٢٦٣ ، بين القرآن ٦٦ .

هذا الإنجيل أموراً كثيرة مما تفيد ذلك وقد زاد في الأحداث وغلط فيها غلطاً يصعب بل يستحيل تأويله. (١)

وعن تاريخ كتابة هذا الإنجيل فأمرغير محقق ، قال صاحب مرشد الطالبين : إنه لا يوجد اتفاق بين العلماء بضبط السنة التي كتب فيها يوحنا إنجيله (٢) وقد أشارالنصارى الأوائل إلى أنه كتب في القرن الثاني ، لوجود قطعة من نبات البردي وجدوها تشير إلى هذا الإنجيل وبالتالي ذهب كتاب النصارى في أواخر القرن الثاني إلى الزعم بأن هذا الإنجيل هو آخر الأناجيل المكتوبة (٣).

وذهب آرثر فندلاي إلى أنه كتب سنة ١١٠ وذهب بوست إلى أنه أُلّف في الفترة ما بين ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٨ وذكر هورن تواريخاً أخرى .. (٤)

وذكر ابن حزم أنه أُلّفه بعد رفع المسيح بوضع وستين سنة (٥) . وقيل إن كتابة هذا الإنجيل كانت في القرن الأول (٦).

ولبيان قيمة هذا الإنجيل ينبغي مناقشة مسألة مهمة وهي مدى صحة نسبة هذا الإنجيل ليوحنا .. بل إن الخلاف امتد كذلك إلى مدى صحة نسبة الرسائل المنسوبة إليه .

ونقل الشيخ أبو زهرة عن صاحب مرشد الطالبين القول بأن جمهور النصارى يقولون ان كاتب هذا الانجيل هو يوحنا الحواري بن زبدي الصياد الذي كان يحبه المسيح ، وهو مارجحه الدكتور أبو الغيط الفرت ، حيث قال : انا نميل الى أن واضعه هو يوحنا الحواري بعدما تعمق في

(١) إبطال ألوهية عيسى ، ١٠٤ .

(٢) محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة ٦٢ .

(٣) الأناجيل ، طاهر ، ٣٧ ، ٣٨ .

(٤) يا أهل الكتاب تعالوا ، ١٦٠ ، الميزان ، ١١٤ ، دراسات في الكتاب المقدس ، حماية ، ١٣ ، ٦١ ، ٦٢ ، الفارق ، ٣١١ ،

الأسفار المقدسة ، وافي ، ٨٨ ، بين القرآن ٦٧ ، الرد الجميل ، ٥٣ ، محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة ٥٢ ، ٥٣ .

(٥) الفصل ٣/٢ .

(٦) محمد في التوراة والإنجيل والقرآن ١٤٦ ، وانظر المسيح ، عبود ١١٧ .

آخر حياته في الفلسفة الهلينية ، وتشبعه بالنزعة الميتافيزيقية ، مع ترجيح نسيانه بعض ذكرياته عن المسيح لطول العهد^(١)

ومن محققي النصارى من أنكر أن يكون كاتب هذا الإنجيل هو يوحنا الحواري بل كتبه يوحنا آخر لا يمت إلى الأول بصلة^(٢) .. وأن هذا الإنكار لم يكن من ثمرات هذه الأجيال بل ابتداء في القرن الثاني الميلادي ، منهم آرينيوس تلميذ بوليكارب تلميذ يوحنا الحواري .. ولقد قال استادلين في العصور المتأخرة : إن كافة إنجيل يوحنا تصنيف طالب من طلبة مدرسة الإسكندرية ولقد كانت فرقة (ألوجين) في القرن الثاني تنكر نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا الحواري وجميع ما أسند إليه من رسائل .

وجاء في دائرة المعارف البريطانية : أما إنجيل يوحنا فإنه لا مرية ولا شك كتاب مزور أراد صاحبه مضادة اثنين من الحوارين بعضهما لبعض وهما القديسان يوحنا ومتى ، وقد ادعى هذا الكاتب المزور في متن الكتاب أنه هو الحواري الذي يحبه المسيح ، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاقتها وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحواري ووضعت اسمه على الكتاب نصاً مع أن صاحبه غير يوحنا يقيناً .^(٣)

(١) مثل هذا القول لا ينبغي أن يقال مع اعتقاد أنه حوارى ، فالحواريون كما قلنا قد شهد الله لهم بالإيمان ، وهم أشهدوه تعالى على إيمانهم الصادق فلا يمكن أن يقوم أحدهم بتأليف كتاب في تأسيس الكفر وترويقه . وانظر عقيدتنا التثليث والصلب ، ٧٧ ، ودعوة الحق حيث نقل ترجيح "جورج ايليتون" في كتاب شهادة انجيل يوحنا أن هذا الانجيل ليوحنا الحواري ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، وقصة الحضارة ٣/ ٢٠٩ ، ٢١٠ ، والأسفار ، طعيمة ٢٦٥ .

(٢) ر. الأناجيل ، طاهر ٣٧ .

(٣) الأديان في القرآن ، الشريف ١٩٠ ، الميزان ، الطهطاوي ٩٩ ، ابن حزم ومنهجه ، حماية ٢٧٩ ، دراسات في الكتاب المقدس ، حماية ٦٥ — ٦٧ ، ٦٧ — ٧٠ ، الإسلام والأديان ، حلمي ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، الملل ٢٢٠/١ ، الفصل ٣٨/٢ ، محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة ٥٠ ، دائرة المعارف البريطانية ، دراسة في الكتب المقدسة ، موريس ٩٠ ، الأسفار المقدسة ، وافي ٨٩ ، دراسات في النصرانية ، مزروعة ١١٢ ، ١١٣ ، المسيح ، وصفي ٤١ ، ٤٢ ، المسيحية ، شلبي ٢١٦ ،

٢١٧ ، تحفة الأريب ٩٩ ، إنجيل يوحنا في الميزان ، ١٣٧ .

وكذا ماجاء في دائرة المعارف الفرنسية المعروفة باسم لاروس القرن العشرين^(١) وقد ناقش الشيخ أبو زهرة الدكتور بوست في إثباته الإنجيل ليوحنا بما يرد قوله^(٢).

ونقل موريس بوكاي عن الترجمة المسكونية للكتاب المقدس أن غالبية النقاد لا تأخذ بالفرض القائل بتحرير قام به يوحنا الحواري ... ولكن كل شيء يدفع للإعتقاد بأن النص المنشور حالياً ينتمي إلى أكثر من كاتب واحد^(٣). ولهذا يقول صاحب كتاب المدخل إلى العهد الجديد بناء على ذلك أن الكنيسة كانت بطيئة في قبولها لهذا الإنجيل^(٤).

وعلى فرض ضعيف أنه كان يوحنا الصياد فقد كتبه في سن الشيوخ التي لا أمان معها في قوة الحفظ .

ويرى محمد تقي العثماني بعد مراجعة مستفيضة لآراء العلماء ونتائج بحوثهم في مضمون هذا الإنجيل والملايسات الدائرة حوله ، يرى أن المحرر هو أحد تلاميذ بولس (وزاد إليها من جاء بعده جملاً وعبارات كشف عن كون المؤلف شاهد عيان لسيدنا المسيح عليه السلام)^(٥).

بل إنه نظر إلى أنه حتى طريقة تأليفه تختلف عن طريقة التأليف في القرون الأولى وهو مما يؤكد عدم صحة النسبة ليوحنا الحواري.

والشواهد الكثيرة تدل على ذلك ومنها :

١ - عدم تلقي المسيحيين لهذا الإنجيل بالقبول ، فقد استمر الموحدون في كونهم الغالبية العظمى حتى مجمع نيقية ، ولو كان يوحنا هو كاتبه لأدعوا لما جاء به .

(١) الأديان في القرآن ، الشريف ، ١٩٠ .

(٢) ر. محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة ص ٥١ ، ٥٢ .

(٣) ر. دراسة في الكتب المقدسة ، ٩٠ .

(٤) دراسات في الأديان ، الخلف ١٣٤ .

(٥) ماهي النصرانية ١٥٣ .

٢ - مخالفته للأناجيل الثلاثة الأخرى ، ولا يجوز أن نقول أنه لا يعلم بها فإن الدوائر المسيحية قديماً وحديثاً صرحت أن يوحنا هو الذي جمع الأناجيل الثلاثة في كتاب واحد^(١). وأنه هو الذي ترجم إنجيل متى^(٢).

٣ - ما رواه من أحوال التلاميذ وموافقتهم رواه بصيغة الغيبة^(٣). مما يدل على أنه ليس منهم ولو كان منهم لقال بصيغة المتكلم نحن أو إنا ...

٤ - انتظاره حتى طلب منه ، وهذا بعيد بالنسبة لحواري مثله ، إذ كان يكفيه أن يرى نقصاً في الأناجيل الثلاثة وهو جامعها في كتاب واحد ، فيعمد إلى تكميلها ، أما وأنه لم يفعل ذلك إلا بطلب فإن ذلك يدل على أنه ليس يوحنا الحواري الحريص على مستقبل دينه والذود عنه بكل ما يملك .

٥ - أسلوب هذا الإنجيل أسلوب فلسفي لا يصدر من صياد مثل يوحنا الحواري .

٦ - اختلاف الأسلوب اختلافاً بيناً بين هذا الإنجيل وبين سفر الرؤيا المنسوب ليوحنا الحواري مما يوجب القطع باختلاف كاتبيهما^(٤).

٧ - حديثه عن يوحنا الحواري بلفظ الحكاية إذ يقول : هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا وكتب هذا . ويعلم أن شهادته حق^(٥). وهذا هو نفس الأسلوب الذي أوضحنا أنه يستعمله في كلامه عن التلاميذ ، بينما يتكلم عن نفسه بصيغة المتكلم^(٦) فدل على أن يوحنا الحواري غيره لا محالة إلا أنه قد يكون وصله بعض كتابات بسيطة تنسب ليوحنا الحواري ، أو يكون من باب النسبة المدعاة زوراً لترويج كتابه ، وهذا هو الراجح .

٨ - موافقة أرينيوس تلميذ بوليكارب تلميذ يوحنا على انكار نسبة هذا الإنجيل ليوحنا الحواري كما ذكرنا ، مع تمسكه بمنقولات كثيرة تقل أهمية بكثير عن الإنجيل ، ولو كان هذا الإنجيل صحيح النسبة ليوحنا لكان أدعى أن يحافظ عليه ، ويظهر الصواب فيه عند دواعي ذلك

(١) ر . كيف وصل إلينا الكتاب المقدس محاضرة ألقىت بكنيسة ماري جرجس بمصر الجديدة في ١٠/٨/١٩٨٤ ديسمبر هندي

ص ٢٠ لجنة النشر للثقافة القبطية الأرثوذكسية .

(٢) ر . محاضرات في النصرانية ص ٥٠ .

(٣) ر . إنجيل يوحنا ٤ : ٢١ وغيرها .

(٤) عبقرية المسيح ص ١٩١ .

(٥) إنجيل يوحنا ٢١ : ٢٤ .

(٦) إبطال ألوهية عيسى ١٠٦ .

بدل أن يوافق على انكاره ، وكيف لا يفعل ذلك وهو المحافظ على منقولات أخرى نقلت عن يوحنا الحواري .^(١)

٩ - انكار الكثيرين من الفرق والأشخاص النصارى نسبة هذا الانجيل الى يوحنا ، ومن هنا فلا صلة مطلقا لما يسمى انجيل يوحنا بيوحنا الحواري ، وانما كاتبه لا يعدو أن يكون شخصا سمحت له بيئته أن يدرس الفلسفات المعاصرة ، فجاء انجيله تجسيدا حيا لما تذهب اليه الفلسفة الرواقية ، وفلسفة فيلون وماذهب اليه أفلوطين من القول بالكلمة وجعلها واسطة الخلق ، هذا المذهب الذي تبناه فلاسفة مدرسة الاسكندرية ، ولذلك يقول استادلين : "ان كاتب انجيل يوحنا طالب من طلبة المدرسة الاسكندرية بلا ريب " ^(٢)

والذي يدل دلالة واضحة على أن كاتب هذا الانجيل تلميذ من تلاميذ مدرسة الاسكندرية أن القول بألوهية المسيح نعى وترعرع هناك حتى سيطر على التوحيد الحق ومحى أصوله وجذوره ، وذلك يتضح من سبب انعقاد مجمع نيقية كما سيتضح لنا ذلك عند دراسة المجامع .^(٣)

ولكون كاتب هذا الانجيل دارسا للفلسفة - كما سبق أن ذكرنا - جاء انجيله رؤية فلسفية غير واضحة بل ومتضاربة لشخص المسيح رسمتها ثقافات وفلسفات شتى لآتمت الى الالهام أو القدسية بأي صلة، وبهذا لا يستقيم أن يستقي من هذا الانجيل أمر عقدي.

وقد كان المدافعون عن ألوهية المسيح يلجؤون دائما الى انجيل يوحنا ، حيث قصد وبعد مرور أكثر من مائة سنة على رفع المسيح أن يجعل منه الها متقربا بذلك الى العقائد اليونانية السائدة حتى يتقبله الاغريق .^(٤)

ولقد كانت عقيدة التثليث التي تضمنها انجيل يوحنا هي ما قبلته الكنيسة فيما بعد رغم مخالفتها للكثير مما في الأناجيل المتشابهة ، بل رغم مخالفتها لعقيدة التوحيد التي تضمنها كذلك نفس هذا الانجيل انجيل يوحنا .^(٥)

(١) ر . اظهار الحق ٩٩ .

(٢) ر . اظهار الحق ٩٩ ، ١٠٠ .

(٣) ر . ص ٢٨٠

(٤) ر . الأناجيل ، طاهر ٤٣ .

(٥) ر . المسيح في مصادر العقائد ٩٩ ، وانظر يوحنا ٣ : ٨ ، ٤٠ : ٢١ ، ٥٠ : ٢٢ ، ٣٠ : ٦ ، ١١ .

وجاء في دائرة المعارف الأمريكية:

" إن هناك مشكلة هامة وصعبة تنجم عن التناقض الذي يظهر في نواح كثيرة بين الإنجيل الرابع . والثلاثة المتشابهة !! إن الاختلاف بينها عظيم ، بحيث أنه لو قبلت الأناجيل الثلاثة المتشابهة باعتبارها صحيحة ، وموثوقاً بها ، فإن ما يترتب على ذلك هو عدم صحة إنجيل يوحنا !! " (١)

يقول " كادو " حول هذا الإنجيل : " تختلف الأحاديث الواردة في الإنجيل الرابع اختلافاً كثيراً عن تلك الواردة في الأناجيل الثلاثة كذلك تختلف تعليقات كاتب الإنجيل الرابع عن سابقتها وبالتالي لا يمكن أن نصدق أيّاً منها وبنفس القدر لا يمكن الإعتماد عليها كتسجيلات لأقوال المسيح .. والتحقيقات الأدبية في الأيام القديمة لم تسمح كما هي لا تسمح الآن بإسناد أحاديث خيالية لا أصل لها إلى شخصيات تاريخية وقد اعتاد المؤرخون القدامى أن يؤلفوا مثل هذه الأحاديث ثم ينسبونها إلى من يريدون " (٢)

يقول موريس بوكاي : " إن الإنجيل الذي نملكه اليوم قد نشر بواسطة تلاميذ المؤلف الذين أضافوا الإصحاح ٢١ كما أضافوا ولا شك بعض الحواشي (مثل ٤ ، ٢ وربما أيضاً ٤ ، ١ ، ٤ ، ٤٤ ، ٧ ، ٣٧ ، ب ، ١١ ، ٢ ، ١٩ ، ٣٥) . أما فيما يخص المرأة الزانية (الإصحاح ٨ ، ٥٣ إلى ٨ ، ١١) فالكل يتفق على الاعتراف بأن هذا نص مجهول الأصل ، ألحق فيما بعد (وإن انتمى برغم ذلك إلى الكتاب المقدس المعترف به كنسياً) " .
ويعتقد أ . كولمان أن الإضافات اللاحقة واضحة في هذا الإنجيل : مثل الإصحاح ٢١ ، ويعتقد أنه من عمل " أحد التلاميذ وقد أضاف أيضاً بعض اللمسات إلى متن الإنجيل " (٣)

ونقل إظهار إن إحدى عشرة آية من أول الباب الثامن ردها جمهور العلماء وهذه الآيات لا توجد في الترجمة السريانية .. (٤)

(١) دائرة المعارف الأمريكية ٧٣/١٣ . وانظر الاسفار المقدسه طعيمة ٢٦٢ ، وانظر أمثلة على ذلك دعوة الحق ٣٤٠ ،

٣٤١ ، محمد في التوراة والانجيل والقرآن ١٤٦ ، وانظر اختلافات في تراجم الكتاب المقدس ، ٨٦ الاختلاف في ذكر

الأحداث بين الأناجيل الثلاثة وإنجيل يوحنا ..

(٢) الاناجيل، طاهر ، ٣٨،٣٧ ، الميزان ، الطهطاوي ، ٩٩ .

(٣) دراسة في الكتب المقدسه ، موريس ، ٩١ ، وانظر اختلافات في تراجم الكتاب المقدس ٨٧ ، اظهر الحق ١٥٦/١ .

(٤) اظهر الحق ١٥٦/١ .

يقول موريس بوكاي : "إننا لا يجب أن ندهش عندما لا نجد في إنجيل يوحنا كل ماتحتوي عليه الروايات الأخرى . والترجمة المسكونية تذكر عدداً معيناً من حالات من هذا النوع ^(١) ولكن أكثر ما يثير الدهشة هو بعض الثغرات مثل إغفاله أحداثاً هامة، وروايات غير واردة في الأناجيل الأخرى والترجمة المسكونية تشير إليها ص ٢٨٣ .

ثم يقول : فمن يجب أن يصدّق أن صدق متى أم مرقس أم لوقا أم يوحنا .^(٢)

وكما كان الشك في نسبة الإنجيل ليوحنا كذلك كان التردد يرجع الشك في نسبة سفر الرؤيا إليه .^(٣)

يقول جون مارش في مقدمته لتفسير إنجيل يوحنا تحت عنوان " إستحالة التوكيد " : حين نأتي لمناقشة المشاكل الهامة والمعقدة التي تتعلق بالإنجيلي الرابع (يوحنا) وإنجيله ، نجد أنه من المناسب والمفيد أن تعرف مقدماً بأنه لا توجد مشكلة حول التعريف بـ (الإنجيل وكتابه) يمكن إيجاد حل مؤكد لها ...

من كان هذا الـ (يوحنا) الذي قيل أنه المؤلف ؟ أين عاش ؟ لمن من الجمهور كتب إنجيله !!؟ أي المصادر كان يعتمد عليها ؟ متى كتب مصنفه ؟
حول كل هذه الأسئلة وكثير غيرها توجد أحكام متباينة .

ويختتم جون مارش مقدمته بقوله : "نجد أنه من الصعب ، إن لم يكن من المستحيل تحقيق أي شيء أكثر من الإحتمال حول مشاكل إنجيل يوحنا " .

ويرى المؤلف نفسه " أنه ليس من المستحيل الاعتقاد بأنه : خلال السنوات العشرة الأخيرة من القرن الأول الميلادي ، قام شخص يدعى يوحنا ، من الممكن أن يكون يوحنا مرقص (خلافاً

(٤) اظهار الحق ١٥٦/١ .

(١) دراسة في الكتب المقدسه موريس ٢٨٢ .

(٢) دراسة في الكتب المقدسه ، ٩٣ وانظر أمثلة من الاختلافات بين إنجيل يوحنا والأناجيل الأخرى الأناجيل ، طاهر ، ٣٩ -

(٣) عقيدتا التثليث والصلب ، ٧٧ .

لما هو شائع من أنه يوحنا بن زبدي الصياد أحد التلاميذ الإثني عشر الحواريين) وقد تجمعت لديه معلومات وفيرة عن يسوع ، ومن المحتمل أنه كان على دراية بواحد أو بأكثر من الأناجيل المتشابهة (متى ، ومرقص ، ولوقا) . فقام عندئذ بتسجيل شكل جديد لقصة يسوع ، اختص بها طائفته الخاصة التي كانت تعتبر نفسها عالمية كما كانت متأثرة بوجود تلاميذ يوحنا المعمدان.^(١)

وقد أشار بيباس Papias إلى أن يوحنا قدم إنجيله إلى الكنيسة خلال حياته وهذه الإشارة تدل على أنه كان يوجد نزاع حول ما إذا كان هذا الإنجيل قد نشر بعد موت يوحنا أو في حياته.^(٢)

ووصف لوقا يوحنا بن زبدي صياد السمك مع بطرس بأنهما : إنسانان عديما العلم وعاميان .^(٣)

والباحثون يرون في إنجيله انعكاساً لآراء الفلسفة التي كانت سائدة في العالم الهليني في هذا الفترة كما يعبر عنها الفيلسوف اليهودي فيلون ونظرية الكلمة وهي آراء حاول بها فيلون التوفيق بين الفلسفة الأفلاطونية والعقيدة اليهودية .^(٤)

بل إن أسلوبه أسلوب فلسفي يحاول أن يجعل المسيح إلهاً مستخدماً في ذلك تطبيقاتاً لنظرية الفيض المعروفة عند فيلون .^(٥)

وهو يعرض في إنجيله للمسيح من وجهة النظر اللاهوتية بوصفه كلمة الله وخالق العالم ومنقذ البشرية .. وهذه النزعة القرية من نزعة القائلين بأن الخلاص لا يكون بالإيمان بل بالمعرفة وما فيه من تأكيد للآراء الميتافيزيقية هي التي جعلت الكثير من الباحثين في الدين المسيحي يشكون في أن واصفه هو الرسول يوحنا .^(٦)

(١) بين القرآن ٦٣ ، ٦٤ ، الرد الجميل ٤٨ ، ٤٩ ، وانظر حوار صريح ٩٩ .

(٢) انظر الإصحاح ٢١ : ٢٣ ، ٢٤ ، الأناجيل ، طاهر ٣٨ .

(٣) انظر أعمال الرسل ، ٤ : ١٣ .

(٤) دراسات في الأديان ، الخلف ، ١٣٣ ، وانظر اختلافات في تراجم الكتاب المقدس ، ٨٦ .

(٥) المسيح ، وصفي ٤٢ .

(٦) محمد في التوراة ، ابراهيم خليل أحمد ، ١٤٦ .

يقول اللاهوتي المعاصر جرانت في كتابه "الأناجيل وتطورها": أخطر الأنواع الفلسفية الغنوصية هي التي أثرت بعمق في التعاليم المسيحية في المنطقة التي جاء فيها الإنجيل الرابع.^(١)

ويقول تشارلز بوتز: إن الجزء الأول وبعض أجزاء أخرى من إنجيل يوحنا مثل في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله أن هذا القول غنوصية محض.^(٢)

ويرى العلماء أن مثل هذه التعبيرات هي مما أثر حتى فيما استحدثت من تعبيرات فلسفية في الكتب المسيحية الأولى.^(٣)

وقد حوى الإنجيل عناصر إغريقية قوية في حين لم يستخدم المسيح عليه السلام هذه العناصر أو الكلمات الإغريقية.^(٤)

فنجده مثلاً يستعمل لفظة الكلمة Logos وقد استخدمه الإغريقيون في وصفهم خلق الكون وترتيبه ونظامه واستخدمه الكتاب المسيحيون الأوائل في تفسير المسيحية وتقريبها إلى الشعب اليوناني وخاصة بالنسبة للوحي الذي أنزل على المسيح، وهي كلمة يونانية معناها نور البرق أو هي روح الإنسان مجرد ولادته ومع ذلك نص الإنجيل على أن قد أصبحت إنساناً، وخلفية لفظ الكلمة نجدها في اليهودية الإغريقية.^(٥)

(١) الأناجيل وتطورها ص ٢٢، ١٦٠، ١٦١.

(٢) الرد الجميل، ٥٥، المسيح في مصادر العقائد ٩٩.

(٣) الرد الجميل ٥٤.

(٤) انظر كذلك بأهل الكتاب تعالو، ١٦٠ - ١٦٥، الميزان، الطهطاوي، ١١٣، ١١٤، دراسات في الكتاب المقدس، حماية

١٣، ٦١، ٦٢، ٦٣.

(٥) الأناجيل، طاهر، ٤٠، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس، ٨٧.

واستخدم المؤلف كلمة الفارقليط ثم وضع مكانها كلمة الابن وقد كان الموضوع الرئيسي الذي حاول أن يؤكد أنه هو وحدة الابن مع الأب وظهور الأب في العالم ..^(١) ومن رأيه أن الله -حاشا- رزق بابن واحد تحقيقاً لنبوءة سابقة ويفعل معجزاته .^(٢) وأن معجزات عيسى لم تكن معنوية بل كان بعضها مادياً مثل تحويله الماء إلى خمر في أحد الإحتفالات اليهودية وأولها بقصد تأكيد عبادة الخالق أو في تعبيره الكلمة والابن والأب ... بل إن كل دقيقة من الدقائق الصغيرة في القصص التي أوردها يوحنا قد أولها تأويلاً لاهوتياً.^(٣)

وقد خلط الأحداث التاريخية بالمشاعر الدينية حيث يقول : إن العشاء الأخير وقع في ليلة عيد الفصح عند اليهود ..^(٤)

وهناك ترابط بين الرسالة الأولى ليوحنا والإنجيل الرابع وتشير الفقرة السابعة من الإصحاح الخامس في الرسالة الأولى إلى وجود ثلاثة شخوص هم الأب والكلمة (الفارقليط) والروح .

وأول من أشار إلى هذه الأقانيم الكنيسة الأسبانية وانتقلت هذه التصويرات من إسبانيا إلى النسخة اللاتينية بعد القرن الرابع عشر وبالتالي كما يقول طاهر أن الرسالة الأولى قد أعيد تحريرها وتبويبها لتصبح كما هي عليه الآن بعد القرن الرابع عشر الميلادي . والرسالة الثانية تدعو الكنيسة بمقاطعة هؤلاء الذين لا يعتقدون في التجسد أو التقمص .

والحاصل أن هذه الرسائل حوت الكثير من الخلافات التي كانت سائدة بين رجال الكنيسة في ذلك الوقت حول تجسد الله أو تقمصه جسد المسيح ، وهي تؤكد أن عملية اندماج الأقانيم الثلاثة بعضها في بعض قد ظهرت بعد حوالي مائتي سنة من ولادة المسيح الذي عاش حوالي ٣٢ سنة وبالتالي تصبح هذه النظرية دخيلة على المسيحية .^(٥)

(١) انظر ٢ : ٣٠ - ٣١

(٢) ٣ : ٢ ، ٧ : ٣١ ، ١٢ : ١٨ .

(٣) ر . الأناجيل ، طاهر ٤١ .

(٤) الأناجيل ، طاهر ٤٢ .

(٥) الأناجيل ، طاهر ٤٤ .

وفي الواقع أن لهذا الإنجيل شأنًا وخطراً أكثر من غيره لأنه الإنجيل الذي تضمنت فقراته ذكراً صريحاً لألوهية المسيح فهذه الألوهية يعتبر هو نص إثباتها ... ولذلك كان لابد من العناية به فالتثليث هو شعار النصرانية .^(١)

وقد خالف هذا الإنجيل الأناجيل الثلاثة فيما يتعلق بهذه الناحية وغيرها ، ويتضح ذلك من سبب تأليف هذا الإنجيل كما ذكرنا .^(٢)

ومن بحثنا السابق نقول : إن الأناجيل عامة وإنجيل يوحنا خاصة ليس لها قيمة علمية كمصدر موثوق به في إثبات عقائد النصرانية .

وبعد فقد أوضحنا المصادر الحقيقية لتأليه المسيح ، وتبعنا أثرها في ذلك حتى أصبحت ألوهية المسيح هي عقيدة النصرانية . وأوضحنا أيضاً المصادر التي زعمها النصرانية لذلك وتعرضنا لها بالنقد ، وأوضحنا كيف أنها بعيدة كل البعد عن أن تكون صالحة لاستقاء عقيدة منها .

إضافة إلى الأناجيل الأربعة التي اعتمدها الكنيسة كانت الأسفار وعددها ثلاثة وعشرون سفرًا كما أسلفنا .. ولا يكاد يشذ واحد من موثقي التاريخ الكنسي من الإتفاق على أن اللغة التي كتبت بها هذه الرسائل هي اليونانية .^(٣)

وأول هذه الأسفار سفر الأعمال ، وينسب تأليفه إلى لوقا صاحب أحد الأناجيل الأربعة ..^(٤)

وأسلوبه فيه يشبه أسلوب بولس في رسائله ، مما جعل بعض الثقات ينسبون ما ينسب للوقا إلى بولس فقد رأوا أن بولس هو مؤلف إنجيل لوقا وسفر الأعمال ..

(١) الأناجيل ، طاهر ٣٦ ، الرد الجميل ٦٤ ، بين القرآن ٥٢ ، محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة ٤٩ .

(٢) ر. ابطال ألوهية عيسى ، ١٠٢ ، دراسات في الأديان ، الخلف ١٣٣ ، دراسات في النصرانية ، مزروعة ١٢٢ ، الإسلام و الأديان حلمي ٢٠٢ .

(٣) يا أهل الكتاب تعالوا ، ١٨٨ .

(٤) الأناجيل ، طاهر ٤٤ ، الديانات والعقائد ، ٤٤٣ ، الأسفار المقدسة ، وافي ١١٣ .

ولغة هذا السفر اليونانية واختلف في سنة تأليفه...^(١)
قال هوارد مارشال عن أعمال الرسل : إننا لانملك أسساً حقيقية للثقة بموثوقية المعلومات
التي تضمنها حتى ولو كان الكاتب محترساً وحسن القصد.^(٢)

ثم رسائل بولس وترجع أهميتها إلى أنها أقدم الأسفار النصرانية التي قبلتها الكنائس
الأولى. وقد كتبها بين سنة ٥٥ وسنة ٦٣ بيد أن الإنجيليين لم يبدعوا كتابة أناجيلهم إلا في سنة
٦٣ كما ذكرنا

ويقال إن أقدم رسائله تاريخياً كتبت سنة ٤٥ م ويبدأ تاريخ كتابة هذه الرسائل من سنة
٥٤ إلى سنة ٦٥ م.^(٣)

وكما طعن في سند الأناجيل الأربعة طعنت هذه الرسائل جميعها من قبل معظم النصارى ،
ويؤيد الطعن أن مئات السنين مضت حتى تم انتخابها والحكم لها بالقداسة والقبول . ولم يكن
الإعتراف بها جملة بل جاء على فترات وفي محافل مختلفة.^(٤)

وأوريجين من أكبر فلاسفة النصرانية في العصر القديم وتلميذ القديس كليمان الإسكندري
ومن أعظم من تستشهد به الكنيسة على صحة الأناجيل ينكر كل ما ينسب إلى بولس من هذه
الرسائل ، وولد أوريجين سنة ١٨٥ وتوفي سنة ٢٥٤ م وكلامه ثقة بحسب قرار الكنيسة واعتمادها
التام على شهادته للأناجيل.

يقول أوريجين في المجلد الخامس من شرح إنجيل يوحنا : " إن بولس لم يكتب شيئاً إلى جميع
الكنائس ، وما كتبه إلى بعضها لا يعدو سطرين أو أربعة سطور ".^(٥)

(١) اختلافات في تراجم الكتاب المقدس ، ٨٨ ، الأناجيل ، طاهر ، ٤٤ ، الديانات والعقائد ، ٤٤٤ .

(٢) أعمال الرسل ، ٣٣ ، ٣٤ ، وانظر الدراسة التي قام بها عبد الوهاب طويلة عن هذا السفر ، الكتب السماوية ، ٥١٠ ، ٥١١ .

(٣) ر . ص ١٢٨ للإستزادة .

(٤) الديانات والعقائد ، ٤٤٣ ، ٤٤٨ .

(٥) الديانات والعقائد ، ٤٥٠ ، اظهار الحق ، ١٦٢ ، ١٦٤ .

أما السبع رسائل التي تسمى الرسائل الكاثوليكية ، فتاريخ كتابتها مختلف فيه ، ولكنها كتبت خلال النصف الثاني من القرن الأول ، وتاريخ أقدمها حوالي سنة ٥٠ وأحدثها ما بعد سنة ٩٠ م .

وهذه الرسائل السبعة هي : رسالة الحواري يعقوب الصغير ، واثنان لبطرس كبير الحواريين ، وثلاث ليوحنا الحواري الإنجيلي ، والسابعة ليهوذا الحواري أخي يعقوب الصغير . وهذه الرسائل مع رسائل بولس الأربع عشرة يطلق عليها اسم " الأسفار التعليمية " لأن بها تعاليم المسيحية .

وهذه المجموعة تضم طائفة من التعاليم المسيحية وبعض المعتقدات المسيحية ديناً وشرعاً ومنهاجاً ، وتحتوي بعض الطقوس والعبادات والآداب .

وكان الشك والإنكار يحومان حول هذا الرسائل ، بل كانت مردودة مردولة ، ولم يصدر قرار الرضا عنها إلا سنة ٣٦٤م وبعد ذلك أصبحت موضع التسليم .^(١)

ولكن لم تتفق الكنائس كلها على الرضا بها والتسليم لها ، فجميع الكنائس الشرقية ترد الرسالة الثانية لبطرس ، ورسالتين ليوحنا هما الثانية والثالثة ورسالة يهوذا ، ورؤيا يوحنا ، وكذلك الكنيسة السريانية تردها من البدء حتى اليوم .

وجمهور المحققين يردون بعض فقرات هذه الرسائل ويغلطونها إلى الآن .^(٢) فرسالة يعقوب قد أنكرها المسيحيون إنكاراً ، ولم تدخل محراب القداسة والقبول إلا سنة ٣٦٤م لأن مجمع نيقية المسكوني المنعقد سنة ٣٢٥م استبعدها ورذلها ، حتى إذا اجتمع مجلس لوديسيا سنة ٣٦٤م رفع الحظر عنها وجعلها واجبة التسليم .^(٣)

أما رسالتا بطرس كبير الحواريين فكان شأن الثانية منهما شأن رسالة يعقوب ، لم ترض عنها الكنيسة إلا سنة ٣٦٤م ، وقد وصفت من قبل المحققين بأنها كاذبة ، فقد ذكر هورن في تفسيره المطبوع سنة ١٨٢٢م : " ليس في الترجمة السريانية (لأسفار العهد الجديد) الرسالة الثانية لبطرس ، ورسالة يهوذا ، والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا ، ورؤيا يوحنا ، ومن الفقرة الثانية إلى

(١) الديانات والعقائد ، ٤٥٢ ، الأسفار المقدسة ، وافي ١١٧ ، ١١٨ .

(٢) الديانات والعقائد ، ٤٥٣ .

(٣) أضواء على المسيحية ، ٨٨ ، ٨٩ .

الفقرة الحادية عشرة من الإصحاح الثامن من إنجيل يوحنا ، والفقرة السابعة من الإصحاح الخامس من الرسالة الأولى ليوحنا".^(١)

وقال وارد الكاثوليكي في كتابه المطبوع سنة ١٨٤١ م: " ذكر روجرس - وهو من أعلم علماء البروتستانت - أسماء كثير من علماء فرقته الذين عزلوا من الكتب المقدسة الكتب المفصلة التي هي الرسالة العبرانية ، ورسالة يعقوب ، والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا ، ورسالة يهوذا ، ورؤيا يوحنا باعتبارها كاذبة " ، وقال الدكتور بلسن العالم البروتستاني: " إن جميع الكتب لم تكن واجبة التسليم إلى عهد يوسيبوس ، وأصر على أن رسالة يعقوب ، ورسالة يهوذا ، والرسالة الثانية لبطرس ، والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا ، لم تكن من تواليف الحواريين ، وكانت الرسالة العبرانية (لبولس) مردودة الى مدة ، وان الكنائس السريانية وكذلك الكنائس الغربية نفت وجوب التسليم بالرسالة الثانية لبطرس ، والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا ، ورسالة يهوذا ، وسفر الرؤيا .

وما قيل في رسالة يعقوب ورسالة بطرس الثانية يقال في رسالة يوحنا الثانية والثالثة ، ورسالة يهوذا .

أما رسالة يوحنا الأولى فقد سبق الشاهد من تفسير هورن الذي قرر أن الفقرة السابعة من الإصحاح الخامس من هذه الرسالة ساقطة من الترجمة السريانية ، وهاهي ذي الفقرة الساقطة: " ان الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة : الآب والكلمة والروح القدس ، وهؤلاء الثلاثة هم واحد . " وأقحموا هذه الفقرة ليثبتوا به التثليث الذي لم يقله المسيح .

وآخر الأسفار المقدسة "سفر رؤيا يوحنا" أو "سفر النبوة" أو "الأبوكاليس" وهي كلمة يونانية بمعنى الرؤيا أو الوحي ، وينسب تأليفه الى يوحنا بن زبدي صاحب الانجيل الرابع .

ولا يعرف بالدقة تاريخ كتابته ، ولكنه كتبه بعد انجيله الذي تحدثنا عنه سابقا ، واذا كان يوحنا الف انجيله سنة ٩٥ أو ٩٦ م فان تأليفه هذا السفر يكون في هذا التاريخ ، ويتكون من اثنين وعشرين اصحاحا مجموع فقراته ٤٠١ ، وألفه باللغة اليونانية .^(٢)

(١) الديانات والعقائد ، ٤٥٦ .

(٢) ر . الديانات والعقائد ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ .

ويقرر المحقق "البرت شنيدر" أن كل رسائل يوحنا ليست الهامية.^(١)

ونخلص مما كتبناه في الأربعة الأناجيل وسائر أسفار العهد الجديد إلى أنها جميعاً غير موثوق بها^(٢)، فأكثرها محتلق، ومادامت تحوي عقائد وثنية فهي مردودة ومرذولة، ولا يمكن قبولها، لأنها نقيض التوحيد الذي جاء به عيسى عليه السلام، والأنبياء والمرسلون من قبله.

ومن الثابت أنه كان لدى النصارى في العصور الغابرة أناجيل أخرى، قد أخذت بها فرق قديمة، وراجت عندها، ولم تعتق كل فرقة إلا إنجيلها، فعند كل من أصحاب مرقيون، وأصحاب ديصال إنجيل يخالف بعضه هذه الأناجيل، ولأصحاب ماني إنجيل يخالف هذه الأربعة، وهو الصحيح في زعمهم، وهناك إنجيل يقال له إنجيل السبعين ينسب إلى تلامس، والنصارى ينكرونه، وهناك إنجيل اشتهر باسم التذكرة، وإنجيل سرن تهمس.

ولقد كثرت الأناجيل كثرة عظيمة^(٣) وأجمع على ذلك مؤرخوا النصرانية، ثم أرادت الكنيسة في آخر القرن الثاني الميلادي، أو أوائل القرن الرابع أن تحافظ على الأناجيل الصادقة - في اعتقادها - فاختارت هذه الأناجيل الأربعة من الأناجيل الرائجة أبان ذلك.

ولقد وصلت الكتب المنسوبة إلى المسيح عليه السلام إلى أكثر من سبعين كتاباً أو إنجيلاً وعدها البعض إلى مائة كتاب، وكان من نتيجة ذلك أن ظهرت إلى جانب الفرق التي تدين بالتوحيد الفرق المثنية و المثلثة.^(٤)

(١) ر. الديانات والعقائد، ٤٦٣، ٤٦٤.

(٢) ر. الأرثوذكسية والمهرطقة في النصرانية القديمة ١٥٥.

(٣) يذكر صاحب المنار رأياً لبعض مؤرخي الكنيسة بأن عدد الأناجيل الكاذبة خمسة وثلاثون. كما ذكر رأياً آخر لصاحب كتاب ذخيرة الألباب الماروني ينكر القول بكثرة الأناجيل ويزعم ان سبب القول بكثرتها تسمية الإنجيل الواحد بعدة أسماء ويؤكد أن الخمسة والثلاثين إنجيلاً لا تكاد تبلغ العشرين. . وأحصاها كلها ذاكراً بينها إنجيل القديس برنابا.

قال الغزالي: "ولنفرض جدلاً أنها عشرون إنجيلاً فقط فأين ما فوق الأربعة المعتمدة؟ ولو فرضنا جدلاً أن بها جبراً فليست هي يقيناً إنجيل عيسى والذي ورد تسميته تارة بأنه إنجيل الله وتارة إنجيل المسيح. و ر. العلمانية ٥٠، صيحة تحذير ١٠٨.

يقول آدم كلارك أحد شارحي الأناجيل: محقق أن الأناجيل الكثيرة الكاذبة كانت رائجة في أول القرون المسيحية وكثرة هذه الأحوال الغير صحيحة (كذا) هيّجت لوقا على تحرير الإنجيل ويوجد ذكر أكثر من سبعين من هذه الأناجيل الكاذبة والأجزاء الكثيرة من هذه الأناجيل باقية وكان (فابري سيوس) جمع الأناجيل الكاذبة وطبعها في ثلاث مجلدات ..

ويذكر قدماء النصارى في فهارس كتبهم المقدسة أنه نسبت الى المسيح الصلوات أو التلاميذ (٧٤) أنجيلا ، (٧) منسوبة الى عيسى الصلوات ، (٨) منسوبة الى مريم ، (١١) لبطرس الحواري ، (٩) ليوحنا ، (٢) لأندريا الحواري ، (٢) لفيليب الحواري ، (١) لبرتلماوس الحواري ، (٥) لتوما الحواري ، (٣) ليعقوب ، (٣) لمتياس ، (٣) لمرقس ، (٢) لبرنابا ، (١) لتهيودوشن ، (١٥) لبولس . (١)

وقد حصر أحمد عبدالغفور عطار الأناجيل غير المعتمدة في (٥١) أنجيلا (٢) ، ثم قال : وهذه الأناجيل وغيرها مما رذلتها الكنيسة وحاربتة حتى قضى عليه من التداول من قبل المسيحيين ، ولكن من هذه الأناجيل ما بقي بنصوصه الصحيحة تامة كاملة ، مثل انجيل يعقوب ، وانجيل الطفولة ، وانجيل نيقوديموس ، وانجيل برنابا ، ويلحق بهذه الأناجيل رسائل أخرى مردودة تصل الى (٥٤) رسالة . (٣)

ثم قال : وهذه الرسائل رذلتها الكنيسة وردتها مدعية أنها مزيفة ولاصحة لها كما ردت الأناجيل الكثيرة . وان رد كل هذه الأسفار واختيار أربعة أناجيل وبضعة وعشرين سفرا موضع

(٤) انظر هذه الفرق وآراءها الفصل الخاص بذلك ، ص ٢٦٥ ، وانظرها الميزان ، الطهطاوي ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، الفارق ١١ ، صيحة تحذير ١٠٩ ، ١١٠ ، كنت نصرانياً ، ١١ ، الأناجيل طاهر ٥٠ ، أصل الإنسان ، ١٥ ، الميزان ، الطهطاوي ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، دراسات في الكتاب المقدس ، حماية ، ٧٣ ، صيحة تحذير ١٠٨ .

(١) ر . دراسات في الكتب المقدسة ، موريس بوكاي ، ٧٢ ، يأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ١٤٥ ، أضواء على المسيحية ، ٦٣ ، دراسات في الكتاب المقدس ، حماية ، ٧٩ ، ٨٠ ، الأسفار المقدسة ، وافي ، ١٠٦ ، ١١٣ ، المسيح في مصادر العقائد ، ٣٦ - ٣٨ .

(٢) ر . الديانات والعقائد ، ٤٧٠ - ٤٧٧ .

(٣) ر . الديانات والعقائد ٤٧٠ - ٤٧٧ ، ٤٩٥ - ٤٩٨ ، ور . الاسلام والأديان ، عوض ١٠٠ ، ١٠١ .

نظر ، لأن الأناجيل المختارة لم يكن اختيارها قائما على أساس البحث والدراسة والنقد ، ولم يكن بوحى من السماء ، أو أمر من المسيح ، بل اختيرت بالاقتراع أي بكثرة الأصوات من قبل آباء الكنيسة . ويجوز أن لو نجح غيرها وسقطت الأربعة المختارة أن ترد كما ردت التي لم تنجح ، وهذه العملية نفسها تدل على إبعاد العقل والدين في الإختيار .

وعلى أي حال فعملية الإقتراع برهان على أن الإختيار لم يكن مبنياً على أساس صحيح ، لأنه فرض في جميعها عندما دخلت حلبة الإقتراع الصلاح حتى فازت الأربعة بالإقتراع .^(١)

وهكذا تحققت وجود أناجيل أخرى غير الأربعة المعتمدة وكانت هذه الأناجيل تعبر عن عقائد الفرق التابعة لها ولعل إحداها كان إنجيل المسيح الصحيح ..

وقد وجدت هذه الأناجيل في زمن مبكر للمسيحية ..^(٢)

وتقرر الدراسات أن الكنيسة اعتمدت نسخاً معينة من الأناجيل وأعدمت كافة النسخ المخالفة وظهرت حتى الآن مسائل في برديات البحر الميت بل ونسخة من الوصايا العشر ترجع إلى القرن الثاني ب . م مخالفة للوصايا الحالية وذلك في بقايا أوراق القرن الخامس عشر التي عثر عليها قرب القاهرة .^(٣)

٢- تأخر كتابة الأناجيل ، وأسباب ذلك :

لقد تأخرت كتابة الإنجيل أو الأناجيل ، بدليل أن الكتاب الذين عاشوا قبل نهاية القرن الأول الميلادي لا ينقلون شيئاً عن العهد الجديد بل كل ما ينقلونه مأخوذ من العهد القديم ولا توجد إشارة لإنجيل مسيحي قبل عام ١٥٠ إلا في كتابات بيباس .^(٤)

(١) الديانات والعقائد ، ٤٩٩ .

(٢) عقيدتا التثليث والصلب ، ٩٨ .

(٣) دراسات في الكتاب المقدس ، حماية ، ٧٣ .

(٤) قصة الحضارة ١١ / ٢٠٧

وقد جد العلماء في البحث عن الأسباب التي أدت إلى تأخير كتابة هذه الأناجيل
وذكروا أسباباً من بينها :

أن الغالبية العظمى من النصارى الأوائل لم يكونوا متعلمين، والأولوية التي كانت تحظى
بالقبول هي الأخبار الشفوية^(١). وهو ما ثبت عندهم بالنسبة لأقوال المسيح ومعجزاته والقصص
عن موته عندهم وقيامته فقد كانت كلها أقوالاً شفوية متناقلة.^(٢)

بالإضافة إلى الإضطراب والإضطهاد الذي اتسمت به الكنيسة في عهدها الأول ،
فوقوع المصائب والفتن عليهم لمدة ثلاثمائة وثلاث عشرة سنة أدى إلى فقدان السند ، وقد اشتد
اليهود في عداوتهم ومطاردتهم فلم تكن لهم هيئة اجتماعية ذات قوة وعلم تدون ما حفظوه من
إنجيل المسيح وتحفظه .. بل إنهم ارغموا على تدوين ما كتبوه في سرية تامة حتى لا يفضح
أمرهم.

وقد كانت هذه الإضطهادات سبباً في فقدان الكثير من كتب ومراجع النصرانية
خصوصاً إنجيل المسيح كما قضى على أتباع النصرانية الحقيقيين مما جعل عملية التدوين لا تخلو
من المخاطرة بالإضافة إلى تشتت المعلومات وتباعد الحقائق .

مع ملاحظة أمر آخر أن الكتب كانت تكتب على أوراق البردي القابل للإنكسار
فاندثرت كتب تلك المدة سواء كانت نصرانية أو علمية ولم يبق منها إلا بقايا صغيرة ولم يدخل
استعمال جلود الرق إلا في أوائل القرن الرابع ، وفي فترة الإضطهاد كانوا يتحاشون الإحتفاظ
بالكتب درءاً للخطر.^(٣)

(١) ر . الفكر الإسلامي ، ٦٣ .

(٢) ر . دعوة الحق ٣٣٣ ، المسيح في الأناجيل أو الكنيسة والنقد الكتابي الحديث ، ٥٥ .

(٣) المسيح ، عبود ١١٩ ، ٩٩ ، ١٠٠ حوار صريح ، ٩٨ - ١٠١ نصرانية عيسى ، ١٣٢ الميزان ، الطهطاوي ، ٧٣

، دراسة تحليلية ٥٥ ، اظهار الحق ٨٣/١ ، الفارق ١٦ .

٣- تاريخ قانونية أنجيل العهد الجديد عند النصارى :

إن قانونية الأسفار المقدسة لدى النصارى (العهد الجديد) لم تتم في مجمع ، وليس لدى النصارى تاريخ محدد بالضبط يعزى إليه قانونيتها ، وعلى العموم كان هناك شبه اتفاق على قانونيتها نما بقوة خلال القرن الرابع الميلادي وما بعده .

وقد استقر رأيهم في أوائل القرن الخامس الميلادي على اعتماد سبعة وعشرين سفرًا من أسفارهم ، وقرروا أنها هي وحدها الأسفار المقدسة ، أي الموحى بها ، ويقصدون أنه موحى لأصحابها من الرب بمعانيها لا بألفاظها ، وأطلقوا عليها اسم "العهد الجديد" ^(١) Nouveau Testament للمقابلة بينها وبين ما اعتمد من أسفار اليهود المقدسة التي أطلقوا عليها اسم "العهد القديم" Ancien Testament . فتسمية هاتين المجموعتين من الأسفار بهذين الإسمين هي تسمية متأخرة لاحقة لظهور النصرانية ، ويقصد بكلمة "العهد" في هاتين التسميتين ما يرادف معنى الميثاق . أي إن كلتا المجموعتين تمثل ميثاقاً أخذه الله على الناس . فأولهما تمثل ميثاقاً قديماً يرجع إلى عصر موسى ، والآخر يمثل ميثاقاً جديداً بدأ بظهور عيسى .^(٢)

وإذا بحثنا في التاريخ لدى النصارى عن إسناد لهذه الكتب إلى هؤلاء الناس الذين تنسب إليهم لا نجد من ذلك شيئاً البتة لا قليلاً ولا كثيراً . وأعمال الرسل ورسائل بولس ، وكذلك الرسائل الأخرى ، ليس في شيء منها الإشارة إلى واحد من هذه الكتب الأربعة بحيث يتضح للباحث أن هذه الكتب لم تكن معروفة في ذلك الزمن ولم يطلع عليها أحد منهم ، وفي هذا دلالة قوية على أن نشأة هذه الكتب وظهورها كان متأخراً عن هذه الرسائل ، بخلاف إنجيل الله

(١) فما هي هذه الكلمة (العهد الجديد) التي تقابلها كلمة (العهد القديم) ؟ هذان مصطلحان مسيحيان صرف لا يستخدمها

اليهودي إطلاقاً ، فاليهودي لا يميز بين عهد قديم وعهد جديد بل إن اليهودي يعتقد أن عهده القديم لازال قائماً فالقول بأن هناك

عهداً جديداً وعهداً قديماً هو قول النصارى ، الذين يعتقدون أن الله ألغى عهده القديم مع بني اسرائيل بمبعث المسيح، وأن من آمن

بالمسيح المصلوب عندهم فقد أخذ العهد الجديد وحصل بذلك على غفران ربه ف (كتب العهد الجديد) هي تلك المكتوبات التي

يجمعها النصارى ويدونونها في كتابهم المقدس بعد أسفار العهد القديم وأسفار العهد القديم هي تلك الأسفار التي أخذوها عن

اليهود، ثم يسمون هذه الكتب بـ(العهد القديم) ويريدون بذلك أن مفعوليتها انتهت يعني أنها آثار تاريخية مفيدة قديمة ولكن العهد

والرعد الذي فيها قد تمّ وانتقل من بيتي اسرائيل إلى الكنيسة .

(٢) الأسفار المقدسة ، وافي ٨٥ ، معاول الهدم والتدمير ٤٣ .

أو إنجيل المسيح فقد ورد ذكره في كلام بولس مراراً عديدة كما ورد ذكره في إنجيل مرقص ،
وأعمال الرسل مما يدل على وجوده وأنه معروف معلوم .^(١)

وقد حاول النصارى أن يجدوا لهذه الكتب إسناداً أو إخباراً عنها في كلام متقدميهم يتفق
مع الزمن الذي يدعى أنها كتبت فيه وذلك في الربع الأخير من القرن الأول الميلادي على أكثر
تقدير . إلا أن هذه المحاولات باءت بالفشل الذريع مما اضطرهم إلى الاعتراف بأن هذه الكتب لم
تعرف إلا بعد موت من تنسب إليه بعشرات السنين ، مما يجعل نسبتها إلى أولئك الناس نسبة لا
تقوم على أساس صحيح .

وفي هذا يقول الدكتور القس فهميم عزيز الأستاذ بكلية اللاهوت الإنجيلية : " لكن قانونية
(٢) أسفار العهد الجديد لم تتم في وقت واحد ولم يكفها جيل أو جيلان بل استمرت مدة طويلة ،
ولم تقف الكنائس المختلفة موقفاً موحداً من الأسفار المختلفة ، بل اختلفت آراؤها من جهة بعض
الأسفار واستمرت في ذلك حقبة طويلة ، ولهذا يلزم تتبع هذا التاريخ الطويل لقانونية أسفار العهد
الجديد .

ومن المعلوم جيداً أنه لم تكن في تلك الفترة كتب مقدسة تسمى العهد الجديد^(٣) ، ولكن
الكنيسة لم تمكث بدون مصادر إلهية تستند عليها في كل شيء من وعظ وتعاليم وسلوك
ومعاملات ، وقد كان لها في هذا المجال ثلاثة مصادر^(٤) .

ثم ذكر أن هذه المصادر الثلاثة هي : العهد القديم ، المسيح ، الرسل ، ثم قال :

ثانياً : ١٠٠ - ١٧٠ م ظهور الكتب القانونية في العهد الجديد :

كانت أول مجموعة عرفتها الكنيسة من العهد الجديد هي مجموعة رسائل بولس . فهي أول
ما جمع من كل كتب العهد الجديد ، ولقد كتب بولس رسائله إلى كنائس وأفراد لظروف خاصة
ومواقف محددة .. ثم يقول :

(١) دراسات في الأديان ، الخلف ١١٦ ، وسبق ذكر ذلك ص ١١٢ .

(٢) ذكر الدكتور القس فهميم عزيز أن المراد بكلمة القانون هو الكتاب الذي اعترفت به الكنيسة ، فقانونية العهد الجديد أي

اعتراف الكنيسة بالعهد الجديد .

(٣) مراده أنه إلى نهاية عام ١٠٠ م ليس هناك ما يعرف بالعهد الجديد ، أي أن الأناجيل والكتب الأخرى غير معروفة في ذلك

الزمن ، ويعني ذلك أنه لم تكتب وتدون إلا بعد ذلك .

(٤) دراسات في الأديان ، الخلف ١١٧ .

أما المجموعة الثانية : فهي مجموعة الأناجيل الأربعة ، وقد ظهرت هذه المجموعة متأخرة بعض الوقت عن مجموعة كتابات بولس .

ومع أن تاريخ اعتبارها كتباً قانونية مقدسة متساوية في ذلك مع كتب العهد القديم لا يزال مجهولاً ، لكن الإقتباسات العديدة التي وجدت في كتابات آباء الكنيسة الرسولين وشهاداتهم تلقي بعض الضوء على هذه الحقيقة الجوهرية في العصر المسيحي ويلاحظ الدارس الأمور الآتية :

– أن بولس لم يشر في كتاباته إلى أي من الأناجيل المكتوبة ولا إلى أي كتاب عن حياة المسيح أو أقواله " . ثم يذكر المصنف سبع نقاط أخرى يذكر في بعضها اقتباسات لمقدمين من النصارى تتوافق في بعضها مع ماورد في بعض الأناجيل بدون النص على ذكر الأناجيل .^(١)

وأهم ما ذكره من الملاحظات هي قوله في الملاحظة السابعة والثامنة ما يلي :

٧ – أما جاستين الشهيد الذي كان سامرياً يونانياً وتحول إلى المسيحية ودرس في روما واستشهد حوالي ١٦٥م فيؤخذ من كتاباته أنه عرف الأناجيل الأربعة مرتبطة معاً ، مع أنه لم يكشف النقاب عن جمعها ولا في أي مكان جمعت ، وهو يصفها عندما يذكرها في دفاعه ضد الوثنيين بأنها الذكريات ، ولكنه عندما كان يكتب للمسيحيين كان يقول عن الرسل^(٢) " هم أولئك الذين كتبوا ذكرياتهم عن كل الأشياء التي تحتص بيسوع المسيح المخلص . ثم يقول مرة أخرى الذكريات التي عملها الرسل التي تسمى الأناجيل " .^(٣)

(١) المراد بالإقتباسات هي ذكر بعض الجمل مما يتفق مع ما يوجد في الأناجيل ، إلا أن هذا ليس فيه دلالة على وجود تلك الأناجيل في تلك الفترة واطلاع هؤلاء الذين اقتبسوا تلك الجمل عليها إلا باحتمال ضعيف ، والإحتمال الأقوى هو أن الجميع كانوا يأخذون من مصدر واحد كان متوفراً ومثبتاً في كتب عديدة أو أن الروايات الشفوية كانت منتشرة بحفظ هذا منها قليلاً وذاك منها قليلاً ، وهذا أمر آخر غير ما يدعى في الأناجيل . دراسات في الأديان ، الخلف ١١٨ .

(٢) يلاحظ هنا أن النصارى يستخدمون كلمة الرسل يعبرون بها عن دعاة النصارى الأوائل باعتبار أنهم رسل ربهم المسيح أو رسل الروح القدس : فلاحظ هذا ولا يختلط عليك الأمر بالرسل من قبل الله عز وجل .

(٣) هذا الشاهد في الواقع لا قيمة له لأن جاستين لم ينص على اسم شيء من تلك الكتب منسوبة لأصحابها وهي الأناجيل كما أن تلك الفترة التي يتحدث عنها كان يوجد لدى النصارى عشرات الأناجيل التي تنسب إلى الحوارين وهم رفضوها فيما بعد ما عدا هذه الأناجيل الأربعة فإذاً احتمال أنه يشير إلى غير هذه الأربعة المعروفة وورد وهو وارد قوي .

٨ - أما الشاهد الأخير فهو " الديو طسرن " الذي كتبه تاتيان في الفترة من (١٦٦-١٧٠م) ، وأراد أن يجمع فيه الأناجيل الأربعة معاً ، في إنجيل واحد ، وقد أضاف تاتيان هذا بضعة كلمات للمسيح لم توجد في هذه الأناجيل ، ولكنها أخذت من كتب أبو كريفيه^(١) أخرى ، وهو بذلك يشهد أن الأربعة الأناجيل وجدت معاً ، ولكن إضافاته مجرد إقتباسات لا تدل على أنه كان يعتبر أن هناك كتباً أخرى تضارعها في سلطانها وقداستها^(٢) . " (٣)

وبعد هذا النقل المطول عن أحد القسوس المتعمقين والمتخصصين في دراسات العهد الجديد ، نقل كلام مجموعة من المتخصصين النصرى عن أناجيلهم وذلك في المدخل إلى العهد الجديد قالوا في التعريف بقانونية العهد الجديد ما يلي :

" إن كلمة قانون اليونانية مثل كلمة قاعدة في العربية قابلة لمعنى مجازي يراد به قاعدة للسلوك أو قاعدة للإيمان ، وقد استعملت هنا للدلالة على جدول رسمي للأسفار التي تعدها الكنيسة ملزمة للحياة والإيمان ."

و لم تندرج هذه الكلمة بهذا المعنى^(٤) في الأدب المسيحي إلا منذ القرن الرابع ، وكانت السلطة العليا في أمور الدين تتمثل عند مسيحي الجيل الأول في مرجعين^(٥) .

أولهما : العهد القديم ، وكان الكتبة المسيحيون الأولون يستشهدون بجميع أجزائه على وجه التقريب استشهداهم بوحى الله . وأما المرجع الآخر الذي نما نمواً سريعاً ، فقد أجمعوا على تسميته : الرب .^(٦)

(١) أبو كريفيه : أي غير قانونية ولا معترف بها . انظر : قاموس الكتاب المقدس ص ١٨ ، دراسات في الأديان ، الخلف ١١٩

(٢) هنا تناقض القسيس في كلامه فهو قبل زعم أنه لا يعرف تاريخ اعتبار هذه الكتب قانونية وهو هنا يزعم أن تاتيان يرى قداسة هذه الأناجيل الأربعة وأن غيرها لا يضارعها في ذلك . وهنا تناقض واضح .

(٣) المدخل إلى العهد الجديد فهمم عزيز من ص ١٤٦ - ١٥٢ .

(٤) أي أن الأناجيل الأربعة لم يكن معترفاً بها إلا في القرن الرابع الميلادي .

(٥) دراسات في الأديان ، الخلف ١٢٠ .

(٦) مرادهم بالرب هنا هو المسيح الذي .

ولكن العهد القديم كان يتألف وحده من نصوص مكتوبة ، وأما أقوال الرسل وما كانوا يبشرون به ، فقد تناقلتها ألسنة الحفاظ^(١) مدة طويلة ، ولم يشعر المسيحيون الأولون إلا بعد وفاة آخر الرسل بضرورة كل من : تدوين أهم ماعمله الرسل ، وتولي حفظ ما كتبه . .

ويبدو أن النصراني حتى ما يقرب من السنة ١٥٠م تدرجوا من حيث لم يشعروا بالأمر إلا قليلاً جداً إلى الشروع في إنشاء مجموعة جديدة من الأسفار المقدسة ، وأغلب الظن أنهم جمعوا في بدء أمرهم رسائل بولس واستعملوها في حياتهم الكنيسية ولم تكن غايتهم قط أن يؤلفوا ملحقاً بالكتاب المقدس ، بل كانوا يدعون الأحداث توجههم ، فقد كانت الوثائق البولسية مكتوبة ، في حين إن التقليد الإنجيلي كان لا يزال في معظمه متناقلاً على ألسنة الحفاظ.

ولا يظهر شأن الأناجيل طوال هذه المدة ظهوراً واضحاً كما يظهر شأن رسائل بولس.^(٢) أجل لم تخل مؤلفات الكتبة المسيحيين الأقدمين من شواهد مأخوذة من الأناجيل أو تلمح إليها ، ولكنه يكاد أن يكون من العسير في كل مرة الجزم : هل الشواهد مأخوذة من نصوص مكتوبة كانت بين أيدي هؤلاء الكتبة ، أم اكتفوا باستذكار أجزاء من التقليد الشفهي .؟

ومهما يكن من أمر ، فليس هناك قبل السنة ١٤٠م أي شهادة تثبت أن الناس عرفوا مجموعة من النصوص الإنجيلية المكتوبة ، ولا يذكر أن لمؤلف من تلك المؤلفات صفة ما يلزم ، فلم يظهر إلا في النصف الثاني من القرن الثاني شهادات ازدادت وضوحاً على مر الزمن بأن هناك مجموعة من الأناجيل وأن بها صفة ما يلزم ، وقد جرى الإعراف بتلك الصفة على نحو تدريجي . فيمكن القول إن الأناجيل الأربعة حظيت نحو السنة ١٧٠م بمقام الأدب القانوني وإن لم تستعمل تلك اللفظة حتى ذلك الحين .

قال في علم اللاهوت النظامي : ومع كل ماتقدم من الإتفاق العام والأدلة على قانونية أسفار العهد الجديد المجمع الآن على قانونيتها ، لا يمكن تعيين الوقت الذي فيه جمعت معا ، ولا الأشخاص الذين جمعوها ، ولأننا دليل ولاإشارة أن هذه المسألة جرى عليها بحث قانوني في مجمع .^(٣)

(١) قولهم الحفاظ هنا كلمة فيها تجوّر شديد يتبين هذا من خلال النظر فيما دون وأنه مليء بالأخطاء والاختلافات .

(٢) دراسات في الأديان ، الخلف ١٢١ ، واختلافات في تراجم الكتاب المقدس ، ٧٩ ، ٨٠ .

(٣) ر . ص ٩٧ ، وانظر فصل المجمع ٢٧٩

يقول عبد الأحد داود : كما أنه لا يدعي أحد أن بعض هذه الكتب الأربعة المذكورة هو الإنجيل الشريف فإنهم لا يبينون من هم مؤلفوها ، وأن النسخ الموجودة باللسان اليوناني تحمل اسم " إنجيل " بصورة العنوان فقط . أما نسختها المكتوبة باللسان السرياني - وهي المعتبرة جداً لدى كل عالم النصرانية - المسماة " بشيظتا " (البسيطة) فقد وضع فيها اسم (كاروزوتا) أي (موعظة) محل كلمة إنجيل .^(١)

وبطبيعة الحال كان لكتاب الأناجيل بعض المصادر التي اعتمدوا عليها في كتاباتهم ولكن هذه المصادر كان القليل منها ذا صلة مباشرة بإنجيل المسيح الحقيقي الذي ضاع كما أسلفنا في زحمة جهل النصارى أو عدم علمهم أو أميتهم وقلة ثقافتهم وفقرهم وما أحاط بهم من اضطرابات^(٢)، ويعترف القس إلياس مقار بذلك فيذكر أن " المسيحية تأسست على يد جماعة من الصيادين الفقراء المعوزين الذين لا حظ لهم من مال أو جاه أو علم أو قوة " .^(٣)

كما كان لهم مصادر أخرى إختلف فيها الباحثون بين أكثر ومقل^(٤) فقد رجح البعض اعتماد الأناجيل على ثلاث وثائق رمزوا لها بالحروف "ص" ، "م" ، "ل" ولجهل الباحثين بها لا يستطيعون تحديد قيمتها^(٥) . ولكن أدق بحث هو ما وصل إليه الأب بومار وتوصل فيه إلى وجود أربع وثائق اعتمدت الأناجيل عليها .

- الوثيقة (أ) : ونبتت من أوساط يهودية مسيحية وألهمت كاتب إنجيل متى ومرقس .
الوثيقة (ب) : وهي إعادة تفسير للوثيقة (أ) استخدمتها الكنائس الوثنية المسيحية وقد ألهمت كل كتاب الأناجيل ما عدا كاتب إنجيل متى .
الوثيقة (ج) : وألهمت كاتب إنجيل مرقس ولوقا ويوحنا .
الوثيقة (د) : وتكون معظم المصادر الشائعة بين كاتب إنجيل متى ولوقا .

(١) ر . الإنجيل والصلب ،

(٢) إبطال ألوهية عيسى ، ٩٦ .

(٣) إيماني ، ١٣٩ .

(٤) ر . عبقرية المسيح ، ١٩٠ .

(٥) ر . المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، ٤٦ - ٤٧ .

ولم تؤد أية وثيقة من هذه الوثائق إلى تحرير النصوص النهائية إذ يوجد بينها وبين التحرير النهائي تأليف وسيطة خاصة بكل إنجيل وتلك الوثائق الوسيطة هي التي أدت إلى الصيغ النهائية للأناجيل وفي نفس الوقت أثرت كل الوثائق السابقة الذكر على الصيغ النهائية للأناجيل^(١)

ووفقاً لما جاء في دائرة المعارف البريطانية لا يملك العلماء إلا أن يقولوا : ليس لدينا أي معرفة محددة بالكيفية التي تشكلت بموجبها قانونية الأناجيل الأربعة ولا بالمكان الذي تقرر فيه ذلك ومما يجب ملاحظته أن كليمنت الرومي عام ٩٧م وبوليكارب عام ١١٢م قد استشهد كل منهما بأقوال للمسيح في صيغ مستقلة في الأناجيل التي صارت قانونية فيما بعد^(٢).

وأما فيما يتعلق بقانونية العهد الجديد ككل فمن الملاحظ أن عملية بنائه وتقرير شرعية كتبه قد استغرقت حوالي ٣٥٠ عاماً وإلى بداية القرن الرابع كان يوجد كثير من البلبلة .
ويصف يوسيبوس هذا الوضع فيقسم الكتب إلى ثلاث طبقات :
- كتب قبلت بوجه عام
- وكتب لا تزال موضع الجدل لكن اعترف بها على نطاق واسع .
- كتب مرفوضة .

ومن العلماء من يرى أن الأناجيل الرسمية ظهرت بعد أن شب الخلاف بين النصراني الأوائل ، وانقسموا شيعا وأحزابا ، فكان الهدف من تأليفها أن تستند كل شيعة أو فرقة إلى شيء يدعم تعاليمها .^(٣)

٤- أخطاء نساخ و مترجمي الأناجيل :

لم ينكر أحد من علماء النصرانية المحققين أن الأناجيل الأربعة الموجودة صورتها اليوم - أي الأصول الموجودة في الكنائس - ليست إلا تراجم لنسخ أو لرسائل ألفت في عهد قديم .. وذلك أن من يقرأها يتبين له في الحال أنها ليست من إنشاء مؤلفيها ، وأكبر دليل على ذلك وجود الحمل التي لا بد وأن تكون من كلام المترجمين .^(٤)

(١) ر . دراسة في الكتب المقدسة ، موريس ، ٩٤ - ٩٦ .

(٢) دائرة المعارف البريطانية ١٧/٥١٤ .

(٣) ر . الأناجيل ، طاهر ، ٥٠ .

(٤) المسيح ، وصفي ، ٣٩ .

ومثال ذلك ماجاء في (متى) ^(١) " متى نظرتم رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي قائمة في المكان المقدس - ليفهم القارئ - فحينئذ ليهرب الذين في اليهود إلى الجبال " ، وواضح أن الجملة " ليفهم القارئ " الإعتراضية هي تنبيه من المترجم .

وكذلك حكم الجملة " الذي تفسيره مرسل " الموجودة ضمن كلام (يوحنا) ^(٢) " وقال له : اذهب اغتسل في بركة سلوام الذي تفسيره مرسل " ومثله ماجاء في (لوقا) ^(٣) " ثم قال الرب : فيم إذن أشبه هذا الجليل أو مالذي يشابهونه ؟ " ، فإن " ثم قال الرب " هي كذلك توضيح من المترجم وهي من كلام الناقل .

وأوضح من ذلك ماجاء في آخر يوحنا " هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا وكتب هذا ونعلم شهادته حق " ومثله ماجاء في (يوحنا) ^(٤) قوله : " لكن واحداً من العسكر طعن جنبه بحربة وللوقت خرج دم وماء والذي عاين شهد وشهادته حق وهو يعلم أنه يقول الحق لتؤمنوا أنتم لأن هذا كان ليتم الكتاب القائل عظم لا يكسر منه " ، وظاهر تماماً أن الجملة " والذي عاين شهد وشهادته حق وهو يعلم أنه يقول الحق لتؤمنوا أنتم " ليست من إنشاء نفس الكاتب الذي كتب الباقي .

هؤلاء المترجمون لا تعرف الكنيسة عنهم شيئاً ، ولا يعلم علماء النصرانية التواريخ التي ترجمت فيها كتبهم ، أو الزمان الذي نسخت فيه ، ولا يعلم أحد هل المترجمون ذو إلهام أم غير ملهمين ، ولا يدري أحد أنصارى هم ، أم يهود ، أو صابئون ، أم مشركون ، ولا نعرف عن أمانتهم ، أو دقة معرفتهم باللغات شيئاً . فلا يبعد أنهم هم الذين شوهوا الأصول ، وبدلوا المعاني ، وحرفوا الألفاظ ، وأتوا بالعجب العجيب ^(٥) .

هذا هو مايتعلق بالمترجمين وحالهم .

(١) ٢٤ : ١٥ .

(٢) ٧ : ٣١ .

(٣) ٧ : ٣١ .

(٤) ١٩ : ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ .

(٥) عد (ميل) التحريفات التي في الإنجيل فوجدها ثلاثين ألفاً ووجدها كريسيباخ خمسين ومائة ألفاً وقررت دائرة المعارف

يقول جينيير : إن المصادر الأولى لإنجيلنا .. لم تكن لتضم سوى عناصر شتى مشوشة من حياة عيسى كما تصورها المسيحيون عندما أوشك جيل أصحابه على الإنقراض .. وقد حاول المحررون المتابعون لتلك الأناجيل خلال الثلث الأخير من القرن الأول المسيحي أن ينسقوا رواياتهم ويدخلوا عليها شيئاً من الإنسجام ولكنهم وجدوا أنفسهم أمام مادة يصعب مراسها فضلاً عن شبه استحالة تحقيق الواقع وتخليصه من الإضافات الخيالية التي كانت في طيات الروايات ..^(١)

وقال علي بن ربن الطبري مخاطباً النصارى: على أن من أدى تلك الأخبار إليكم لم يكن فيهم أحد ادعى أنه أخذها من شاهد المسيح أو موسى عليه السلام من آبائه وأجداده ، كما تدعي العرب عن آبائها وأجدادها الذين شاهدوا النبي عليه السلام ، فإن الرجل منهم يحدثه عن جده أو جد جده أو بعض بما رأى .

ويستطرد قائلاً : " فأما أخباركم فإنها أداها إليكم عراقي عن جزري عن شامي وشامي عن عبراني عن رومي ومشرقي عن مغربي ، بأسباب مظلمة متفاوتة" .^(٢)

وتقول الترجمة الفرنسية المسكونية فيما يتعلق بنصوص أسفار العهد الجديد : "إن نص العهد الجديد قد نسخ ثم نسخ طوال قرون كثيرة بيد نساخ صلاحهم للعمل متفاوت ومامن واحد منهم معصوم من مختلف الأخطاء التي تحول دون أن تتصف أية نسخة كانت مهما بذل فيها من الجهد وبالموافقة التامة للمثال الذي أخذت عنه .

يضاف إلى ذلك أن بعض النساخ حاولوا أحياناً عن حسن نية أن يصوبوا ماجاء في نياتهم وبدا لهم أنه يحتوي أخطاء واضحة أو قلة دقة في التعبير اللاهوتي ، وهكذا أدخلوا إلى النص قراءات جديدة تكاد أن تكون كلها خطأ ... ولا يرجح في حال من الأحوال الوصول إلى الأصل نفسه" .^(٣)

(١) يا أهل الكتاب تعالوا ، ١٦٦ ، ١٦٧ .

(٢) الإسلام والأديان ، حلمي ، ٢٠٧ .

(٣) العهد الجديد ص ٧ - ١٠ ، الإسلام والأديان ، حلمي ، ٧٠ ، ٧١ .

ويقول فريدريك جرانت :

"إن نصوص جميع المخطوطات الأصلية للعهد الجديد تختلف اختلافاً كبيراً لا يمكننا الإعتقاد بأن أيّاً منها قد نجا من الخطأ ومهما كان الناسخ حي الضمير فإنه ارتكب أخطاء وهذه الأخطاء بقيت في كل النسخ التي نقلت عن نسخته الأصلية .
إن أغلب النسخ الموجودة من جميع الأحجام قد تعرضت لتغييرات أخرى على أيدي المصححين الذين لم يكن عملهم دائماً إعادة القراءة الصحيحة ." (١)

ويرى شيشرون وسالست وتاستس أن ماتقله الأناجيل من أحاديث وخطب قد تعرضت لما تعرض له ذاكرة الأميين من ضعف وغيوب ولما يرتكبه النساخ من أخطاء أو تصحيح . (٢)

وقد قال بطرس في آخر رسالته الثانية عن رسائل بولس أن فيها أشياء عسرة الفهم ، يحرفها غير العلماء وغير الثابتين كباقي الكتب أيضاً لهلاك أنفسهم . (٣)

وفي مجلة "استيقظو" لجماعة يهوه في عددها الصادر في ٨ سبتمبر ١٩٥٧ ، نجد العنوان " خمسون ألف خطأ في الكتاب المقدس " .^٤

ونقل عن بعض الدارسين للكتاب المقدس من النصارى : " ان الكتاب المقدس الذي نقرؤه اليوم هو نتيجة عمل نساخ عديدين استطاعوا في معظم الأحيان أن ينفذوا عملهم باتقان مدهش ، ولكن النساخ لم يكونوا معصومين من الخطأ ، والرب في هذه الأحيان لم ير ضرورة حفظه من أخطاء النساخ ، ... لقد رأيت ان الله قد حرس الكتاب المقدس ، ولكن عندما كانت نسخه قليلة قام بعض رجال الدين في بعض الأحيان بتغيير بعض الكلمات ظناً منهم أنهم كانوا يبسطونها ، ولكنهم في الحقيقة كانوا يجعلونها أكثر غموضاً . (٥)

(١) ص ٩٨ حوار صريح ، ٩٨ ، محاضرات ، ابراهيم خليل ٤٨ .

(٢) قصة الحضارة ، ٢١٠ .

(٣) رسالة بطرس الثانية ٣:١٦ ، وانظر الفارق بين المخلوق والخالق ، ٥١ .

(٤) هل الكتاب المقدس كلام الله ، ١٢٧ .

(٥) ر . دراسات في الكتاب المقدس ، حماية ١٥١ .

ومن العجيب أن المحرفين قد يضيفون بعض عبارات من عند أنفسهم ، وينسبونها للمسيح كذبا ، وان أوقعهم ذلك في اشكال عظيم مادام في عملهم هذا تطبيق لنبوءات قديمة على المسيح .^(١)

وتقول دائرة المعارف الأمريكية : "لدينا شواهد وفيرة تبين أن الكتابة قد غيروا بقصد او بدون قصد في الأسفار والوثائق ، التي كان عملهم الأصلي كتابتها أو نقلها ، وقد حدث التغيير بدون قصد حين أخطؤا في قراءة بعض الكلمات أو سماعها أو هجائها ، أو أخطؤا في التفريق بين ما يجب فصله من الكلمات وما يجب ان يكون تركيبا واحدا.. وكانوا أحيانا ينسخون الكلمة أو السطر مرتين ، وأحيانا ينسون كتابة الكلمة أصلا ، بل كانوا ينسون نقل فقرات بأكملها ، بل يحدث أنهم كانوا يغيرون في النص الأصلي عن قصد اذا تصوروا أنها مكتوبة خطأ في النص الذي بين أيديهم . وعلى هذا فليس هناك ما يؤكد أن وثائق العهد القديم أو العهد الجديد لم تتعرض لعوامل الفساد في النسخ على الأقل في الفترة التي سبقت اعتبارها أسفارا مقدسة " .^(٢)

وإذا كان النصارى قد غيروا في القديم في بعض النصوص ، فلماذا لم يصلحوا الجميع حتى يستريحوا من النقد والاعتراض!؟

والاجابة على هذا السؤال ، أن الذي منع النصارى اشتهار هذه الغلطات ومعرفة خصومهم لها من قديم الزمان ، وتعيرهم بها فلا يمكن والحالة هذه اصلاحها . ثم شيوع الجهل في الأزمنة القديمة وقلة عدد نسخ كتبهم وعدم ضم بعضها الى بعض ، وقلة المطلعين عليها حينئذ ، فلم ينتبهوا لهذه الغلطات الا بعد أن وقف عليها الناس وعرفوها وحفظوها عليهم في كتبهم فلا يصح جعل هذه الغلطات دليلا على أمانتهم في النقل فكم من غلطات وغيرها حاولوا اصلاحها فعلا لعدم شهرتها وعرف ذلك أخيرا .^(٣)

(١) ر . تفصيل هذه الادعاءات وما وقعوا فيه دراسات في الكتاب المقدس ، حماسة ، ١٠٠ .

(٢) ر . نصرانية عيسى ، العجموي ، ٢٢ ، ٢٣ ، الميزان ، الطهطاوي ، ١١٧ .

(٣) ر . دراسات في الكتاب المقدس ، حماسة ، ١٠٠ .

٥- ضياع النسخ الأصلية للأناجيل ، وأثره فيما وقع فيها من تحريف :

إن جميع أسفار العهد الجديد كتبت باليونانية ، ولم يكن من بينها سفر واحد كتب بخط مؤلفه . (١) بل أنهم كما ذكرنا يجهلون اللغة التي نزلت بها الرسالة . . (٢)

أما عن سبب كتابتها باليونانية فيرجع إلى المنتصرين من غير اليهود والذين كرهوا كل ماله علاقة باليهود بل رفضوا حتى اللغات التي كانوا يتكلمون بها ، وهذا ما يفسر وجود المخطوطات باليونانية لأن هؤلاء كانوا يتكلمون اليونانية واكتفوا بها . (٣)

كما أنه ليس هناك نص يوناني متفق عليه أو يعتمد عليه لأي كتاب من هذه الكتب السبعة والعشرين ..

وقد ثبت بجهود الباحثين الغربيين الكثيرة أن اثبات النص اليوناني الأصلي مستحيل لكثرة الاختلافات التي في المخطوطات الموجودة .

كما ثبت أن يونانية هذه الكتب عامة دارجة في الغالب وغير مهذبة . (٤)

تقول دائرة المعارف البريطانية : "إن النسخ الأصلية لكتب العهد الجديد أفنيت منذ مدة طويلة وفيما عدا بقايا من صعيد مصر فإن كل النسخ التي سبقت مجمع نيقية قد غشيها نفس المصير وما يجب ذكره أنه حتى اختراع الطباعة لم يكن قد تم الوصول إلى اتفاق كامل من نصوص العهد الجديد الإغريقية أو اللاتينية . (٥)

وهو ما صرح به قاموس الكتاب المقدس بضياع النسخ الأصلية . (٦)

(١) ر. الميزان في مقارنة الأديان ٧٢، ١١١، ١١٧، الأناجيل ، طاهر ، ٥١ ، دراسات في الكتاب المقدس ، حماية ، ١٦ .

(٢) مذكرات الأديان .

(٣) مذكرات الأديان .

(٤) مذكرات الأديان .

(٥) محاضرات ، إبراهيم خليل ، ٤٧ ، ٩٨ حوار صريح ، ٩٨ .

(٦) دراسات في الكتاب المقدس ، حماية ، ١٥ ، ١٦ .

يقول د . عمر في مذكراته : "إن الغربيين في ألمانيا وفرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة وغيرها من بلاد الغرب درسوا هذه المخطوطات التي تعدّ بالآلاف بل عشرات الآلاف دراسات جبارة خلال هذا القرن ، ولكنهم انتهوا بإثبات الحجّة على أنفسهم فإنهم أجمعوا في هذا القرن على أنه من المستحيل التوصل بهذه المخطوطات الرديئة إلى نص يوناني واحد متفق عليه يعتبر الترجمة الأولى ، فالنص الأصلي ضاع ولكن وجدوا أن الإختلافات التي بين هذه المخطوطات الرديئة تبلغ درجة تمنع الباحثين عن ان يثبتوا صفحة واحدة من الترجمة القديمة الأولى التي اعتمدها النصارى في أول عهدهم .

وأشار كثير من المؤرخين إلى أن نسخ الأناجيل الأصلية وقتها - في القرن الأول للنصرانية - كانت مفقودة لأثر لها ، لأنها كانت قد أحرقت مع كتب النصارى في عهد " دقلديانوس " وأن الاناجيل الحاضرة مجموعة روايات مختلفة ببعض آيات مأخوذة من كتب يختلف بعضها عن بعض ، كما يقول أورنيموس ، الذي اعترف بأنه أضاف وغير ونقح ماشاء وبدل منها ما عن له ، وما ظن أنه يوافق مذهب البابا وينصره على مخالفه .^(١)

ولاشك أن الحلقة الأولى التي اعتمد عليها في كتابة الأناجيل فيما بعد كان القليل منها ذا صلة مباشرة بإنجيل المسيح الحقيقي الذي ضاع كما أسلفنا في زحمة جهل النصارى ، وفقرهم وما أحاط بهم من اضطرابات .

وإذا كانوا قد أرغموا على تدوين ما كتبوه في سرية تامة حتى لايفتضح أمرهم ، فلا يمنعهم هذا من تدوين السند ، لاسيما والسرية يحدث في جهالتها وكتمانها ما يجعل العقل غير قابل لما كتب .^(٢)

ثم بالنسبة لهذا الأناجيل التي طاردها الكنيسة ما الفرق بينها وبين المتداولة نفسها ؟ وهم يزعمون أن هذه الأناجيل المتداولة هي التي أوحى بها وحدها ، دون غيرها من الأناجيل ، فما هو المعيار الذي فرق بين هذه الأربعة الموحى بها حسب زعمهم ، وبين الأخرى التي لم يوح بها ؟ وقد أخبرنا لوقا أن كثيرين قد أخذوا بتأليف قصص في الأمور المتيقنة عندهم .^(٣)

(١) ر . الاسلام والفلسفات القديمة ، الجندي ، ١٩٥ .

(٢) ر . فصل الاضطهاد ، ص ٣٠٢

(٣) ر . ص ٢٠٣

يقول موريس بوكاي : " قد يجيب أحد بأن هناك نصوصاً أخرى تنفع في المقارنة ، ولكن كيف يختار القاريء بين نقاط مختلفة تحرف المعنى ؟ ... وهو ما كتبه كولمان بالنسبة الى التفاصيل المختلفة في كتابه "العهد الجديد" يقول : انه قد تنتج أخطاء غير ارادية ، اما أن يكون الناسخ قد أسقط كلمة ، واما أن يكون قد كتبها مرتين متتاليتين ، واما أن يكون قد حذف سهوا جزءاً من الجملة ، ... اما الناسخ فقد سمح لنفسه بتصحيح النص حسب افكاره الشخصية ، واما أن يبحث عن التوفيق بين النص ونص آخر مواز حتى يقلل الاختلافات بينهما بشكل قد يقل أو يزيد مهارة ، ... أحيانا اخرى يكتب الناسخ تعليقا على هامش النص ليشرح عبارة مبهمة ، ويأتي الناسخ التالي ويظن أن العبارة المكتوبة على هامش النص قد سقطت عند ناسخ آخر ، ويرى ضروريا ادخال التعليق الهامشي على النص ، وبهذا أحيانا يصبح النص الجديد المنقول أكثر غموضا . (١)

وقد أسست الأناجيل الرسمية على وثائق ، أو مخطوطات ، لا وجود لها اليوم ، وقد تعرف أساتذة الأناجيل على بعض هذه الوثائق القديمة التي أسست عليها الأناجيل .

وترجع أقدم النسخ التي لدينا من الأناجيل الأربعة إلى القرن الثالث أما النسخ الأصلية فيبدو أنها كتبت بين عامي ١٦٠ ، ١٢٠م ثم تعرضت بعد كتابتها مدى قرنين من الزمان لأخطاء في النقل ولعلها تعرضت أيضاً تعرضت لتحريف مقصود يراد به التوفيق بينها وبين الطائفة التي ينتمي إليها الناسخ .. (٢)

والنسخ الأصلية للأناجيل الأربعة لم توجد ولم يعثر عليها بل عثر على نسخ محرفة لا يعرف حال مترجمها كما أنها مقطوعة السند . (٣)

أما أقدم مخطوطتين من الرق فهما مخطوطتان يونانيتان من القرن الرابع . وهما ما يعرفان بالـ Codex Vaticanus ، ومكان اكتشافهما مجهول ، وهما محفوظتان بمكتبة الفاتيكان ، وتحوي العهد الجديد ماعدا الرسالة الى العبرانيين ، والرسالتين الأولى والثانية الى تيموثاوس ، والرسالة الى تيطس ، والرسالة الى فيلمون .

(١) ر. دراسات في الكتب المقدسة ، موريس ، ١٠١ ، ١٠٢ .

(٢) توحيد وأنبياء ٧١٩ ، الأناجيل ، طاهر ، ٥١ ، دراسات في الكتاب المقدس ، حماسة ١٦ ، عبقرية المسيح ١٤٧ .

(٣) دراسة تحليلية ، ٢٥٥ .

وبال *codex sinaiticus* وقد اكتشفت بجبل سيناء وهي محفوظة بالمتحف البريطاني ، وهو كامل في هذه المخطوطة ، وتحتوي الوثيقة على مؤلفين مزورين ، — يقصد الرسالة الى برنابا ، وجزء من الراعي لهرمس — .

وكما تقول الترجمة المسكونية فان كل نسخ العهد الجديد التي وصلت الينا ليست متطابقة ... واذا أردنا أن ندرک هذه الاختلافات النصية فيكفي الرجوع الى العهد الجديد اليوناني .^(١)

٦- تعدد طبعات وترجمات الكتاب المقدس ، وأثره في التحريف :

كتبت الأناجيل بلغات غير التي ظهرت بها بعد ضياع الأصول ، وكانت الترجمة من اللغة الآرامية الى اللغة اليونانية فاللغة اللاتينية الغربية .

وقد تعرضت اللغة اللاتينية لتغيرات ضخمة في مدى قرنين ونصف قرن ، وهي المدة الواقعة بين "تاكتيوس" ١٣٠م و "أغسطينوس" ٤٣٠م ، ذلك أن انتشار النصرانية في الغرب لم ينشأ عنه ادخال ألفاظ جديدة من اصل يوناني فحسب ، بل أدى الى استحداث كلمات جديدة وتعبيرات لم تكن معروفة من قبل ، لتلائم الآراء والمعتقدات والطقوس الدينية التي أتت بها النصرانية ، وقد نجم عن هذا تغيير جسيم في اللغة اللاتينية ، بالاضافة الى تدهور مستوى الخط والكتابة .^(٢)

وقد حدثت أخطاء كثيرة اذ أن الكلمة الآرامية الواحدة قد يكون لها ٦ أو ٧ معان مختلفة . واذا كان كتاب الأناجيل قد دار الحديث حول أشخاصهم ، ونسبة الأناجيل اليهم ، فان المترجمين مجهولون جهلا تاما ، ودور المترجم لا يقل أهمية عن دور الكاتب ، ويزداد أهمية ذلك بفقد النسخ الأصلية اذ لو كانت موجودة لروجعت النسخ عليها وصححت أخطاؤها ، واعيدت ترجمتها ، ولكن لاسيلا الى ذلك .^(٣)

(١) ر. اختلافات في تراجم الكتاب المقدس ، ٢٤ ، دراسات في الكتب المقدسة ، موريس ، ١٠٠ .

(٢) ر. أهل الكتاب ، العجموي ، ٧١ ، ٧٢ ، يأهل الكتاب تعالو الى كلمة سواء ، ١٤١ ، محمد في التوراة والانجيل والقرآن

، ابراهيم خليل ، ١٥٤ .

(٣) ر. ابطال ألوهية عيسى ، ٩٨ ، محمد في التوراة والانجيل والقرآن ، ٨٠ .

ولا يقتصر الأمر على مدى علم المترجم باللغة المترجم منها ، واللغة المترجم اليها ، بل معرفة هويته ، واتجاهه ، خاصة أننا أوضحنا سابقا مدى العداء بين النصرانية واليهودية ، والنصرانية والوثنية ، مما جعل الأناجيل نفسها كتابات خصامية تؤيد وجهات نظر خاصة . وليت الأمر اقتصر عند دور الترجمة وأصحابها بل تبعه دور النساخ الذين نسخوا نسخا مختلفة من الأناجيل ، ومن هنا ابتداء التحريف في الأناجيل يأخذ شكلا أوسع مما كان عليه من قبل .

تقول الترجمة القياسية المراجعة : " ان الترجمة القياسية المراجعة للكتاب المقدس انما هي عملية تنقيح مرخص بها للترجمة القياسية الأمريكية التي نشرت عام ١٩٠١ ، والتي كانت هي الأخرى تنقيحا لترجمة الملك جيمس التي نشرت عام ١٦١١ ^(١) .

ان أول ترجمة انجليزية للكتاب المقدس عملت بصورة مباشرة عن الأصل العبري والاغريقي ، وكانت أول ترجمة مطبوعة انما كانت من عمل وليام تندال .. لقد واجه معارضة مريرة ، واتهم بتعمد افساد معنى الكتاب المقدس ، وأمر باحراق تراجمه للعهد الجديد باعتبارها تراجم زائفة . وأخيرا سلم غدرا ليد أعدائه ، حيث تم اعدامه على رؤوس الأشهاد حرقا ... عام ١٥٣٦ .

ومع ذلك فقد أصبح عمل تندال هو الأساس للتراجم الانجليزية اللاحقة ، وخاصة كوفردال في عام ١٥٣٥ ، وتوماس متي في عام ١٥٣٧ ، وجنيف في عام ١٥٦٠ .. الخ .

ان المترجمين الذين عملوا نسخة الملك جيمس قد أخذوا في حسابهم كل التراجم السابقة... ولقد أصبحت ترجمة الملك جيمس هي النسخة المعتمدة للشعوب الناطقة بالانجليزية.

وعلى الرغم من ذلك فان نسخة الملك جيمس بها أخطاء كثيرة ، ففي منتصف القرن التاسع عشر ، أظهرت بوضوح دراسات الكتاب المقدس واكتشاف كثير من المخطوطات الأكثر قدما من تلك التي اعتمدت عليها ترجمة الملك جيمس ، أن تلك الأخطاء من الكثرة والخطورة مما يستدعي تنقيحا للترجمة الانجليزية . ولقد كانت نتيجة ذلك العمل هو اصدار الترجمة الانجليزية المراجعة في الأعوام ١٨٨١ - ١٨٨٥ ، ونظيرتها الترجمة القياسية الأمريكية في عام ١٩٠١ .

(١) نسخة الملك جيمس هي التي أهداها البطريك كيرلس لوكا بطريك القسطنطينية الى الملك جيمس الأول ١٦٠٣م/١٦٢٥

واستمرت عملية تنقيح التراجم ومراجعتها - ولاتزال - الى أن صدرت الترجمة القياسية
المراجعة للكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد في عام ١٩٥٢. ^(١)

بل إن إختيار الأناجيل الأربعة كان إختياراً من بين أربعة آلاف مخطوطة ^(٢). وعلى
الصفحة الخامسة من مقدمة الكتاب - نسخة الملك جيمس - يعترفون أثناء نسخ الأصول المهمة
باليد تأثرت بعامل الضعف البشري لذلك فإنه لا توجد ولا حتى نسخة واحدة من بين آلاف
النسخ السالمة إلى اليوم بلغتها الأصلية متطابقة تماماً. . . فالنتيجة أنه لا يوجد نسختان متشابهتان
بالضبط .. ^(٣)

وذكر عبد الأحد داود أثناء ملاحظته على أناجيل النصارى أنّ الطبقات الأولى لكل من
كتب متى ومرقص ولوقا صورت المسيح بصورته الحقيقية لكنه تغير في الطبعة الثانية والثالثة وما
بعدها فقلبوا المعلم وجعلوه رباً وإلهاً نازلاً من السماء إلى الأرض. ^(٤)

ولا توجد ولا كلمة واحدة في المخطوطات الأربعة آلاف الباقية إلى يومنا هذا تحمل توقيع
أي من مؤلفيها ، ومن هنا جاء الإفتراض القائل أنها استناداً إلى ، حتى من لب نص إنجيل متى يثبت
لنا أن متى لم يحرر أول الأناجيل التي تحمل اسمه . . ^(٥)

صعود المسيح إلى السماء :

من الأمثلة على التحريف والخطأ حتى في النصوص المنقحة مسألة (صعود المسيح إلى
السماء) حيث توجد إشارتان فقط في بشارات متى ومرقص ولوقا ويوحنا لأهم حدث في لتاريخ
المسيحي وهاتان الإشارتان كانتا موجودتين في كل كتاب مقدس في كل لغة قبل عام ١٩٥٢. ^(٦)

(١) ر. اختلافات في تراجم الكتاب المقدس ، أحمد عبدالوهاب ، ٤،٣، وهل الكتاب المقدس كلام الله ، ديدات ، ١٩ ، ٢٥ .

(٢) ص ٥٤ هل الكتاب المقدس كلام الله.

(٣) ص ٥٣ ، ٥٤ هل الكتاب المقدس كلام الله ، وانظر الأناجيل ، طاهر ، ٥١ .

(٤) الميزان ، الطهطاري ، ١١٥ .

(٥) هل الكتاب المقدس كلام الله ، ٦٤ .

(٦) مرقس ١٦ : ١٩ ، لوقا ٢٤ ، ٥١ .

ولكن النصوص المنقحة التي طبعت سنة ١٩٥٢ جعلت الفصل السادس عشر من إنجيل مرقس ينتهي عند السطر الثامن وبعد فراغ واسع تظهر السطور المفقودة التي يوجد فيها قصة الصعود مكتوبة في نهاية الصفحة في الهامش؟! أما لماذا وضعت في الهامش فالجواب ذكره د. محمود حمادة حيث يقول : إن أقدم المخطوطات ترجع إلى ثلاث أو أربع مائة سنة بعد المسيح هذه المخطوطة التي تستحق التصديق والإجلال لقربها من زمن المسيح ليس فيها كلمة واحدة عن ارتفع أو صعد إلى السماء ومن ثم قام العلماء بتطهير النصوص من هذه الكلمات عام ١٩٥٢. (١)

البشارة بالنبي ﷺ

من أمثلة التحريف بناءً على اختلاف الترجمات ما ذكره عبد الأحد داود الذي كان من رجال الدين النصراني المتخصصين في اللاهوت وعلم اللغات ثم أسلم . . .
فقد ذكر أن البشارة بالنبي ﷺ جاءت واضحة وصريحة في مواضع متعددة منها ما ذكره على سبيل المثال في إنجيل لوقا أنه في الليلة التي ولد فيها المسيح ظهر جمهور من الجنند السماوي مسبحين لله وقائلين المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة ..

ويذهب عبدالأحد أن العبارة التي أنشأها ملائكة السماء هي بشارة بمجيء محمد ﷺ بالإسلام (٢) ومثال ذلك أيضاً : الكلمة الإغريقية (الباراقليط) وقد ورد معناها في قاموس اللغة اليونانية على هذا النحو : المعزي - المحامي - الشفيح - المحمد - المحمود ..
قال يسوع : إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد روح الحق .. (٣) وكان يصلي ليرسل الله معزياً آخر وحسب النص اليوناني (Ho Paraketos allon) .

فإذا قال (آخر) فإنه يعني أن هناك مسياً أول فكيف نستدل على المسيا الأول ؟ يجب يوحنا في رسالته الأولى وإن أخطأ أحد فلنا شفيح عند الأب يسوع المسيح البار .. (٤)

(١) المناظرة الكبرى ، حمادة ، ٤٦ .

(٢) الإنجيل والصليب ٤٥ - ٥٣ ، دراسات في النصرانية ، مزروعة ، ٨١ .

(٣) يوحنا ١٤ : ١٥ - ١٧ .

(٤) يوحنا ٢ : ١ .

وحسب النص اليوناني وإن أخطأ أحد فلنا Paraketos .. بل إن كلمة (allon) تعطي حقيقة يقينية وهي تعني آخر مماثل ... ولم ترد الكلمة Heteros التي تعني آخر مغاير ..^(١)

وكنموذج توضيحي أكثر يذكره لنا موريس ما ورد في إنجيل يوحنا من نبوءة أخرى " بهذا كلمتكم وأنا عندكم وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الأب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته " .^(٢)

ثم يقول شارحاً ومحللاً : الفعلان اليونانيان (Laleo - Akouo) يعيان فعلين ماديين لا يمكن أن يخصا إلا كائناً يتمتع بجهاز للسمع وآخر للكلام وبالتالي فتطبيق هذين الفعلين على الروح القدس أمر غير ممكن ..^(٣)

إن نص هذه الفقرة من إنجيل يوحنا كما تسلمه لنا المخطوطات اليونانية غير مفهوم بالمرّة إذا ما قبلناه في تمامه مع كلمتي الروح القدس في الآية ٢٦ من الإصحاح الرابع عشر وهي Paraclet الروح القدس الذي سيرسله الأب باسمي " أنها الجملة الوحيدة في إنجيل يوحنا التي لا تثبت تطابقاً بين الـ Paraclet والروح القدس ..

ولكن إذا حذفنا كلمتي الروح القدس (to pneuma to agion) من هذه الجملة فإن نص يوحنا كله يقدم عندئذ دلالة شديدة الوضوح ويضاف إلى ذلك أن هذه الدلالة تتخذ شكلاً مادياً وذلك من خلال نص آخر ليوحنا . وهو نص الرسالة الأولى حيث — يستخدم هذه الكلمة Paraclet للإشارة ببساطة إلى المسيح باعتباره الوسيط لدى الله ..

وعندما يقول المسيح — حسب إنجيل يوحنا^(٤) سأصلي الله سيرسل لكم Paraclet آخر فهو يريد أن يقول : أنه سيرسل إلى البشر وسيطاً آخر كما هو وسيط لدى الله وفي صالح البشر في أثناء حياته على الأرض .

وذلك يقودنا بمنتهى المنطق إلى أن نرى في الـ Paraclet عند يوحنا كائناً بشرياً مثل المسيح يتمتع بحاستي السمع والكلام وهما الحاستان اللتان يتضمنهما نص يوحنا بشكل قاطع ..

(١) محاضرات، ابراهيم خليل ، ١١٨ - ١٢١ .

(٢) يوحنا ١٤ : ٢٥ - ٢٦ .

(٣) محاضرات، ابراهيم خليل ، ١٢٢ .

(٤) يوحنا ١٤ : ١٦ .

إذاً فالمسيح يصرح بأن الله سيرسل فيما بعد كائناً بشرياً على هذه الأرض ليؤدي الدور الذي عرفه يوحنا ، ولنقل باختصار أنه دور نبي يسمع صوت الله ويكرر على مسامع البشر رسالته.

إن وجود كلمتي (الروح القدس) في النص الذي نملك اليوم قد يكون نابعاً من إضافة لاحقة إرادية تماماً تهدف إلى تعديل المعنى الأول لفقرة تتناقض - بإعلانها بمجيئ نبي بعد المسيح - مع تعاليم الكنائس المسيحية التي أرادت أن يكون المسيح هو خاتم الأنبياء.^(١)

صيغة التثليث :

من العوامل التي أدت إلى القول بالتثليث وفساد العقيدة المسيحية كثرة اللغات التي كتبت به الأناجيل واللغات التي ترجمت إليها .. فقد قام دعاة التثليث بتغيير بعض الشكل أو النطق للتدليل على صدق دعواهم التي يدعون الناس إليها ..

ومن هذه الكلمات كلمتان كان لهما تأثيرهما القوي في إظهار ألوهية المسيح وبنوته لله .. وهما : (أب) و (ربي) فقد استغلت الكلمة الأولى وهي عبرية معناها (الله) فلما نقلت بنطقها إلى العربية أصبح معناها (أب). بمعنى الوالد ومن هنا قالوا أن الله أب المسيح والمسيح ابن الله. والثانية قد استغل نطقها الأرامي (ربي) بكسر الراء معناها معلم فأصبحت معناها (ربي) بفتح الراء أي إلهي ..

وكما اختيرت الكلمتين وجعلنا بمعنى الربوبية اختيرت عدة مصطلحات وأقانيم ورموز أخفت تحتها الحقائق ..

وقد ورد في إنجيل يوحنا الإصحاح الأول^(٢) مانصه : فسمعه التلميذان يتكلم فتبعوا يسوع فالتفت يسوع ونظرهما يتبعان فقال ماذا تطلبان : فقال : ربي الذي تفسيره يا معلم أين تمكث . ومن هنا يتبين أن بعض الكلمات كانت عاملاً من العوامل المهمة . . التي توضح استغلالها للوصول فيما هدف إليه أصحاب هذا القول ..^(٣)

(١) محاضرات، إبراهيم خليل ، ١٢٢ ، ١٢٣ .

(٢) يوحنا ٣٧ ، ٣٨ .

(٣) التثليث ، حماسة ، ٦٩ .

أما صيغة التثليث فقد وردت في رسالة يوحنا الأولى - الإصحاح الخامس : العدد (٧) - وكانت تعتبر النص الوحيد - في الكتاب المقدس - الذي يعطي الأساس لعقيدة التثليث التي تقول بأن الثلاثة : الآب والكلمة والروح القدس هم واحد !
لكن التراجم الحديثة للكتاب المقدس حذفها باعتبارها نصاً دخيلاً أفحمه كاتب مجهول منذ قرون ...

يقول كتاب : " هل الكتاب المقدس حقاً كلمة الله ؟" الذي طبع في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٦٩ ، ثم في بيروت ، بالعربية ، عام ١٩٧١ ويوزع كرسالة تبشيرية ، في صفحة (١٦٠) - وهو يتحدث عن الترجمات المختلفة المتلاحقة التي من شأنها تنقية الكتاب المقدس مما يكون قد علق به من أخطاء نتيجة لقصور الترجمات السابقة - مايلي (١) :

" بمقارنة أعداد كبيرة من المخطوطات القديمة باعتناء ، يتمكن العلماء من اقتلاع أية أخطاء ربما تسلت إليها "

مثالاً على ذلك : الإدخال الزائف في يوحنا الأولى ، الإصحاح الخامس . فالجزء الأخير من العدد (٧) والجزء الأول من العدد (٨) يقول حسب الترجمة البروتستنتية العربية ، طبع الأمريكان في بيروت (ونقرأ في الترجمة اليسوعية العربية شيئاً مماثلاً) :

" في السماء ... الأب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد . والذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة "

ولكن ، طوال القرون الثلاثة عشر الأولى للميلاد ، لم تشتمل أية مخطوطة يونانية على هذه الكلمات . وترجمة حريصا العربية تحذف هذه الكلمات كلياً من المتن . والترجمة البروتستنتية العربية ذات الشواهد تضعها بين هلالين ، موضحة في المقدمة أنه (ليس لها وجود في أقدم النسخ وأصحها) . وهكذا تساعدنا الترجمات العصرية للكتاب المقدس على الوصول إلى المعنى الصحيح لما نقرأه "

تقول ترجمة الكتاب المقدس للكاثوليك : " لأن الشهود في السماء ثلاثة الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد . والشهود في الأرض ثلاثة الروح والماء والدم وهؤلاء الثلاثة هم في واحد " (٢)

(١) International Bible Students Association, Brooklyn, New York U.S.A

(٢) يوحنا ٥ : ٧ - ٨ .

وتقول ترجمة الكتاب المقدس للبروتستانت: " فإن الذين يشهدون (في السماء) هم ثلاثة (الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد . والذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة) الروح والماء والدم والثلاثة هم في الواحد " .

وإذا رجعنا إلى التنبية الذي وضعته هذه الترجمة في مطلعها نجده يقول في الكلمات التي توضع بين هلالين أو قوسين مايلي :

" والهلالان () يدلان على أن الكلمات التي بينهما ليس لها وجود في أقدم النسخ وأصحها" .

أي أن صيغة التثليث هذه فقرة مزيفة من عمل كاتب مجهول . . .

وتقول ترجمة العهد الجديد للكاتوليك : " والذين يشهدون ثلاثة . الروح والماء والدم وهؤلاء الثلاثة متفقون " .

ثم تقول في الحاشية السفلى تعليقاً على العدد (٧) : " في بعض الأصول : الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد . لم يرد ذلك في الأصول اليونانية المعول عليها ، والأرجح أنه شرح أدخل إلى المتن في بعض النسخ " .

وهذا هو ماتقوله أيضاً ترجمة العهد الجديد للمطبعة الكاثوليكية ، سواء بالنسبة للمتن أو للحاشية .

وتظهر صيغة التثليث هذه في ترجمة الملك جيمس الإنجليزية فقط ، لكنها اختفت من كل من : الترجمة القياسية الإنجليزية ، والترجمة الفرنسية المسكونية ، وترجمة لوي سيجو الفرنسية .

ومن الملاحظ أن صيغة التثليث قد اختفت من التراجم الكاثوليكية الفرنسية الحديثة التي ظهرت منذ أكثر من ٧٥ عاماً ، كما أنها اختفت من التراجم البروتستنتية الحديثة التي ظهرت منذ أكثر من ٤٠ عاماً ، بينما هي لا تزال في الترجمة العربية للكتاب المقدس للبروتستانت ، ولو أنها وضعت بين هلالين علامة على عدم أصالتها .

كذلك اختفت صيغة التثليث من التراجم الكاثوليكية العربية الحديثة مثل : العهد الجديد للكاتوليك ، والعهد الجديد للمطبعة الكاثوليكية .

والسؤال الآن : من المسئول عن مصير الملايين من المسيحيين الذين هلكوا وهم يعتقدون أن عقيدة التثليث التي تعلموها تقوم على نص صريح في كتابتهم المقدسة ، بينما هو نص دخيل أقحمته يد كاتب مجهول ؟ ! ...

إن الإجابة أن المسئولية لتقع أولاً وأخيراً على عاتق الذين أؤتمنوا على الكتاب المقدس وكانوا عليه حفاظاً ومترجمين .^(١)

المسيح ليس الله

تقول ترجمة الكتاب المقدس للبروتستانت : " في البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله . وكان الكلمة الله " .^(٢) وهو ما تقوله ترجمة الكتاب المقدس للكاثوليك ، وتقوله أيضاً التراجم الإنجليزية والفرنسية التي دُرِج على استخدامها .

إلا أن ترجمة العهد الجديد للكاثوليك ، والعهد الجديد للمطبعة الكاثوليكية تقول :
" والكلمة هو الله "

إن هذه الترجمة الثانية تختلف عن الترجمة الأولى بصرف النظر عما يبدو بينهما من تشابه . وكلاهما يختلف عن تراجم أخرى سنذكرها بعد قليل . ولما كنا أمام أخطر صيغة كتبت في العهد الجديد ، كان من اللازم التدقيق في اختيار كل واحدة من مكوناتها .

إن (الكلمة) هنا وضعت في صيغة المذكر ، لأنها - حسب حاشية ترجمة العهد الجديد للكاثوليك : " مؤنث لفظي ، مذكر معنوي : هو ابن الله " .
وتبرز هنا نقطتان :

الأولى : هذه الصيغة الأخيرة التي تقول : " والكلمة هو الله " - وما دامت الكلمة هو ابن الله - فمن المنطق والمعلوم أن يتم تبادلها دون إحلال بالمعنى . وعلى هذا نقراً تلك الصيغة الأخيرة كالاتي : " وابن الله هو الله ! "

ويظهر هنا تناقض واضح وهو أن ما يكون عند شيء ليس هو ذلك الشيء ولا جزءاً منه ، إذ لا يقال مثلاً : يد زيد عند زيد ، ويقال : كتاب زيد عند زيد ، لأن اليد جزء من زيد ، والكتاب ليس جزءاً منه . فإذا كانت الكلمة عند الله فكيف جاز أن تكون الكلمة الله أو هو الله ؟ ومن جهة أخرى لا يقول عاقل أن ابن زيد هو زيد ، فالأب غير الإبن ، كما أن الإبن غير الأب .

(١) ر . اختلافات في تراجم الكتاب المقدس ، ٣٩ - ٤١ .

وكيف يتفق هذا وما يقوله المسيح في حديثه عن : اثنين هما : الله ، والمسيح ، في أقوال كثيرة جاءت في إنجيل يوحنا منها :

" في ناموسكم مكتوب أن شهادة رجلين حق أنا هو الشاهد لنفسي ، ويشهد لي الآب الذي أرسلني " .^(١)

" لو كنتم تحبونني لكنتم تفرحون لأنني قلت أمضي إلى الآب . لأن أبي أعظم مني " .^(٢)

" أبي وأبيكم ، وإلهي وإلهكم " .^(٣)

" لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الآب الذي أرسلني " .^(٤)

" أيها الآب : أشكرك ، لأنك قد سمعت لي " .^(٥)

" تعليمي ليس لي ، بل للذي أرسلني . إن شاء أحد ان يعمل مشيئته يعرف التعليم : هل هو من الله ، أم أتكلّم أنا من نفسي .

" من يتكلّم من نفسه يطلب مجد نفسه ، وأما من يطلب مجد الذي أرسله فهو صادق وليس فيه ظلم " .^(٦)

" لم أتكلّم من نفسي ، لكن الآب الذي أرسلني هو أعطاني وصية ماذا أقول وبماذا أتكلّم " .^(٧)

" وهذه هي الحياة الأبدية : أن تعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ، ويسوع المسيح الذي أرسلته " .^(٨)

الثانية : هناك تراجم أخرى لافتتاحية إنجيل يوحنا تقول غير هذا ، وتعامل الكلمة باعتبارها لفظة يجل محلها كضمير في الإنجليزية (il) التي تستخدم لضمير الغائب المفرد الجماد أو حيوان أو نحوه .

(١) يوحنا ٨ : ١٧ - ١٨ .

(٢) يوحنا ١٤ : ٢٨ .

(٣) يوحنا ٢٠ : ١٧ .

(٤) يوحنا ٥ : ٣٠ .

(٥) يوحنا ١١ : ٤١ .

(٦) يوحنا ٧ : ١٤ - ١٨ .

(٧) يوحنا ١٢ : ٤٩ .

(٨) يوحنا ١٧ : ٣ .

ففي ترجمة إنجليزية حديثة صدرت عام ١٩٨٥ بعنوان " العهد الجديد الأصلي " نقرأ أن مقدمة إنجيل يوحنا كانت عبارة عن ترميمة تجاوبية بمعنى أن يقرأ شخص المقطع الفردي ، ويرد عليه الآخرون بالمقاطع الزوجية ثم إنها تخالف التراجم الشائعة بالنسبة لمعنى الكلمة إذ تستخدم معها ضمير المفرد الغائب الذي يستخدم للجماد ونحوه .

واستند الدكتور "جون روبنسون" في اثبات خطأ القول وكان الكلمة الله أو الكلمة هو الله على ترجمة الكتاب المقدس الإنجليزية الحديثة ثم يقول : علينا أن نتنبه تماماً للترجمة فما يسمى بالترجمة المعتمدة ، يوحى بوجهة النظر التي تقول بأن كلمتي يسوع والله كانتا متماثلتين ، ويمكن ان تحل إحدهما محل الأخرى بخلاف التعبير الإغريقي الذي يسير بحذر بين هذين المعنيين.^(١)

المسيح عبد الله

نقرأ في إنجيل متى بالعربية حسب ترجمة الكتاب المقدس للبروتستانت : " لكي يتم ما قيل باشعيا النبي القائل هو ذا فتاي الذي اخترته حبيبي الذي سرت به نفسي أضع روحي عليه " .^(٢)

كذلك وقد استبدلت بقية التراجم العربية الأخرى وهي : الكتاب المقدس للكاثوليك ، والعهد الجديد للكاثوليك ، والعهد الجديد للمطبعة الكاثوليكية - استبدلت جميعها كلمة فتاي بكلمة عبدي .

فمن المعلوم لغة أن : العبودية تعني الخضوع والذل . وأن العبادة تعني الإنقياد والخضوع ، والعبد ضد الحر .

كذلك يقال للشباب الحدث : فتى ، ثم استعير للعبد . ويقال : الفتى ، أي الشاب ، والفتاة ، أي الشابة . والفتى أيضاً : السخي الكريم .

من ذلك يتبين أن كلمة : فتى ، لا تعني بالضرورة عبداً ، بل إن المعنى الذي يتوارد لأول وهلة هو الشاب ، أو ذو الخصال الحميدة .
فمن الواجب أن يقرأ متى هكذا : " هو ذا عبدي الذي اخترته ... " .

(١) ر. اختلافات في تراجم الكتاب المقدس ، ٤٣ - ٤٦ .

(٢) متى ١٢ : ١٧ - ١٨ .

وتكرر نفس الشيء في سفر أعمال الرسل عدة مرات ، وضعت فيها كلمة : فتى ، في موضع كان يجب أن تستخدم فيه كلمة : عبد ، وذلك اعتماداً على مقارنة التراجم المختلفة .

تقول ترجمة الكتاب المقدس للبروتستانت :

" فلما رأى بطرس ذلك أجاب الشعب ... أن إله إبراهيم وإسحق ويعقوب إله آبائنا مجد فتاه يسوع ... أقام الله فتاه (يسوع) ... " (١)

" رفعوا بنفس واحدة صوتاً إلى الله وقالوا : أيها السيد أنت هو الإله الصانع السماء والأرض والبحر وكل مافيها. القائل بضم داود فتاك... لأنه بالحقيقة اجتمع على فتاك القدوس يسوع الذي مسحته هيرودوس وبيلاطس.. لتجر آيات وعجائب باسم فتاك القدوس يسوع " (٢)

وقد استخدمت ترجمة الكتاب المقدس للكاثوليك نفس الكلمة : فتى ، سواء في المواضع الأربعة الخاصة بالمسيح ، أو في الموضع الخامس الخاص بدادود والمذكور في أعمال ٤: ٢٥

كذلك استخدمت الترجمتان الفرنسيتان كلمة : Serviteur في المواضع الخمسة التي استخدمت فيها كلمة : فتى العربية .

واستخدمت النسخة القياسية الإنجليزية كلمة : Servant في تلك المواضع الخمسة .

أما نسخة الملك جيمس الإنجليزية فقد استخدمت كلمة : Child في المواضع الأربعة الخاصة بالمسيح ، بينما استخدمت كلمة Servant في الموضع الخاص بدادود .

وقياساً على ماسبق ، ومقارنة بالترجمات الفرنسية والإنجليزية وخاصة الحديثة منها ، يجب أن تحمل كلمة : عبد محل كلمة : فتى ، المستخدمة في هذه الفقرات ، وما شابهها في مختلف المواضع من أسفار العهد الجديد .

إن داود هو عبد الله ونبيه ، وكذلك المسيح هو عبد الله ونبيه هكذا تقول النصوص بكل صراحة وقوة ووضوح . ولن يجدي شيئاً أمام تلك الحقيقة - وهي أن المسيح

(١) أعمال الرسل ٣ : ١٣ ، ٢٦ .

(٢) أعمال الرسل ٤ : ٢٥ ، ٢٧ ، ٣٠ .

(٣) . . اختلافات في ترجمة الكتاب المقدس ٤٧ - ٤٩

عبد الله ، ونيبه ، ورسوله - أن تستخدم لفظة مثل : فتى ، قد يكون لها أكثر من مدلول ، لتحل محل كلمة لا بديل عنها هنا ، وهي كلمة : عبد .^(٣)

قيامه المسيح من الأموات :

قال نورتن - محامي الإنجيل ، ومن أشد المسيحيين حماسة للأناجيل ، وأولها إنجيل متى ، تعليقا على ماورد في إنجيل متى ٢٧ : ٥ - ٣ من قيام يسوع من قبره والخوارق التي حدثت في ذلك الوقت - " هذه الحكاية كاذبة والغالب أن هذه الحكايات كانت رائجة لدى اليهود بعد خراب أورشليم ، فلعل أحدا كتب في حاشية النسخة العبرانية لإنجيل متى ثم أدخلها النساخ في المتن ، ودفع هذا المتن في يد المترجم فترجمها .

وساق نورتن البراهين على بطلان هذه الحكاية الباطلة الكاذبة .^(١)

٧- فقدان إنجيل عيسى وأثره في تحريفات الأناجيل وتناقضاتها :

نتيجة لضياح الإنجيل الصحيح ، والذي أدى بالنصارى إلى تأليف أناجيل عديدة زعم فيها نسبتها إلى الوحي الإلهي ، وحقيقتها أنها كتابات بشرية تنصبغ بصبغة النقص التي لدى البشر ، كما أن عملية النسخ ، وأخطاء النساخ والتي سبق الإشارة إليها ، أدى ذلك كله إلى وجود كثير من التناقضات والاختلافات والتحريفات التي أقر بها النصارى أنفسهم .

يقول حبيب سعيد في أديان العالم: "يجب التسليم في غير موارد أن هناك بعض الفارق أو التناقض أو الاختلاف في قليل من الروايات وقد لوحظت هذه الحالات منذ القرن الثاني .. وكان النقد في الزمن البعيد محصوراً في الفوارق بين سلسلة نسب يسوع كما رواها كل من متى ولوقا وبين الترتيب التاريخي الزمني لبعض الحوادث في رواية يوحنا عند مقارنتها بروايات المبشرين الثلاثة الآخرين .^(٢)

ولو بقي إنجيل عيسى التيلا لبقى ببقائه المصدر الصحيح للعقيدة النصرانية الصحيحة ، ولكان هو المرجع الأساسي الذي يمكن الرجوع إليه لتصحيح ماوقع فيه النصارى من تحريفات عقدية بعد رفع المسيح التيلا . بل لو بقي هذا الإنجيل محفوظاً لما احتاج النصارى إلى كتابة هذه

(١) ر. الديانات والعقائد، ٤٣٤ .

(٢) أديان العالم ، ٢٧٧ .

الأسفار متضمنة حياة المسيح ، وما ينسبونه إليه من أقوال ، ولما سموا تلك الأسفار - تسمية خادعة - بالإنجيل ، رغم ما فيها من تحريفات للعقيدة التي جاء بها عيسى عليه السلام .

فقدان إنجيل عيسى عليه السلام فتح الباب لاعتقاد النصارى بعقائد شتى محرفة ، وخضوعهم في ذلك للعوامل المؤثرة في انحرافهم عن الدين الصحيح ، وفتح الباب كذلك للكتابات العقديّة المنحرفة عن عقيدة التوحيد والتنزيه التي جاء بها المسيح عليه السلام بما تضمنته من الكلام عن ألوهية المسيح ، وألوهية الروح القدس ، والثالوث المقدس .

وكذلك العقائد المنحرفة عن عقيدة التنزيه لله تعالى بما تضمنته من الكلام عن بنوة المسيح لله - تعالى الله عن ذلك - وعن حلول الله فيه ، واتحاده به إلى غير ذلك من العقائد المتصلة بالخطيئة البشرية ، وصلب المسيح تكفيراً لخطايا البشر ، والعقائد التي تخالف مخالفة جوهرية دين الله الموحى إلى عيسى عليه السلام ، وإلى إخوانه من الأنبياء السابقين عليه ، والتي جاؤا جميعاً مبلغين بها وداعين إليها .

وقد بين كثير من العلماء غير المسلمين أن أسفار التوراة والإنجيل المعتمدة لدى طوائف النصرانية محرفة ومتناقضة منهم على سبيل المثال العالمان اليهوديان:

- ابراهيم بن عزر الذي عاش من سنة ١٠٩٣ - ١١٦٧ م .

- باروخ سبينوزا الذي عاش خلال المدة من ١٦٣٢ - ١٦٧٧ م .^(١)

وصرحت دائرة المعارف البريطانية بوجود آلاف التناقضات بالإنجيل...^(٢)

ومنذ عام ١٧٢٠م أعلنت الهيئات البريطانية أنه يوجد على الأقل عشرون ألف خطأ في الطبعتين الموجودتين بالأسواق آنذاك من الإنجيل الذي يقرأه البروتستانت والكاثوليك ويقول الدارسون المحدثون أنه يحتمل وجود خمسين ألف خطأ.^(٣)

(١) الميزان ، الطهطاوي، ٧٣، ٧٢ .

(٢) المناظرة ، الجوهري ١٢٤ .

وقد أحصى العلامة الشيخ " رحمة الله الهندي " (ت ١٣٠٨) من هذه الإختلافات .

أ - ١٢٤ إختلافاً في التوراة والأنجيل المتداولة الآن .

ب - ٣٧ غلطاً في التوراة .

ج - ١١٠ غلطاً في الأنجيل .

وأورد مائة إختلاف بين الأنجيل ، منها (٢٥) شاهداً أثبت فيها التبديل اللفظي ، و(٣٥) شاهداً أثبت فيها النقص ، و(٤٥) شاهداً أثبت فيها الزيادة ، وهذه الإختلافات دونها في كتابه إظهار الحق .

وقال بعد هذا الإحصاء العلمي الدقيق " ... لا مجال لأهل الكتاب أن يدعوا أن كل سفر من أسفار العهد العتيق والجديد كتب بإلهام " (أي إلهام الرسل بهذه الكتب) وذلك لوجوه :

أولاً : أنه يوجد فيها الإختلافات المعنوية الكثيرة ، وقد اضطرب محققوهم ومفسروهم في هذه الإختلافات فقالوا في بعضها : إن إحدى العبارتين صادقة ، والأخرى كاذبة ، إما بسبب التحريف القصدي أو بسبب سهو الكاتب ، ووجهوا بعضها بتوجيهات ركيكة لا يقبلها الذهن السليم .^(١)

ثانياً : أنه يوجد فيها أغلاط كثيرة بلغت أكثر من مائة غلط . والكلام الإلهامي بعيد بمراحل عن وقوع الغلط والإختلاف المعنوي .

ثالثاً : أنه وقع فيها التحريفات القصدية في مواضع غير محصورة لا يستطيع المسيحيون إنكارها ، وظاهر أن المواضيع المحرفة ليست بإلهامية عندهم يقيناً .

والقول بإختلاف الأنجيل أو عدم أصالتها ليس وفقاً على الباحثين المسلمين ، بل هو قول رده الكتاب الغربيون المنصفون - ومنهم نصارى - أكثر من مرة ، وقد جاء في دائرة المعارف البريطانية عن هذه الأنجيل ، ودائرة المعارف هذه - كما هو معلوم للجميع - مصدر موثوق به في الثقافة الغربية في شتى نواحيها .

حيث تقول: " إن فلسفة الإغريق والقانون الروماني جعلتا الإنجيل لا يمثل حقيقته ، كما أترا في تدوينه ، والباحث المنصف في تاريخ الكنيسة لا يستطيع .. ولو لحظة واحدة أن ينكر آراء

(١) الأسفار المقدسة ، طعيمة ٢٣٦ ، ر. إظهار الحق ، وانظر الأديان في القرآن الشريف ١٧٦ ، ١٧٧ .

مزيفة ، وأغراضاً غير كريمة ، واعتقادات خاطئة كانت أسباباً مسيطرة - أحياناً - دفعت إلى هذا التبديل الذي حدث في الأناجيل ^(١) .

وفي دائرة المعارف الفرنسية: إن الناس قد تكلموا في كون الكتب المقدسة إلهامية وقالوا: إنه يوجد في أفعال مؤلفي هذه الكتب وأقوالهم أغلاط واختلافات ^(٢) .

ومن الشهادات القديمة قول سلسوس في القرن الثاني الميلادي ، بأن المسيحيين بدلوا أناجيلهم ثلاث مرات أو أربع مرات ، بل أزيد من هذا تبديلاً كأن مضامينها بدلت ^(٣) .

ونشرت مجلة التايمز في عددها الصادر منتصف أكتوبر ١٩٨٩م مقالاً عن ندوة دولية حضرها أكثر من ١٢٠ باحثاً من علماء النصرانية وذلك لتقرير أمرين مهمين:
أولهما: مدى صحة الأقوال المنسوبة إلى المسيح ~~الذي~~ في الأناجيل الأربعة المعروفة .
ثانيهما: عن المسيح وهل هو إله كامل أم نصف إله ونصف إنسان ^(٤) .

وقد اتفق المشتركون في هذه الندوة أنه من بين (٧٥٨) قولاً منسوبة إلى المسيح في هذه الأناجيل لم يصح منها سوى (١٤٨) قولاً ^(٥) .

يقول أميل لودفيغ: " فالأناجيل الأربعة التي هي كل مالدينا متباينة ويدحضها كل ماهو غير نصراني من المصادر القليلة ، ونحن إذا حذفنا الأقوال المتكررة ، لم يبق لدينا من ذلك سوى خمسين صفحة تحتاج إلى تمحيص جديد ، أضف إلى ذلك ماتراه في تاريخ حوادث يسوع من خلط أثار أسف الباحثين في كل قرن " ^(٥) .

(١) الأسفار المقدسة ، طعيمة ، ٢٣٧ ، المسيحية ، شلي ٢١٥ .

(٢) يا أهل الكتاب تعالوا ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، نصرانية عيسى ٩٨ ، ٩٩ ، الميزان ، الضهظاري ، ١٩٢ .

(٣) ر . المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، ٤١ .

(٤) حوار صريح ، ١٠٧ ، ١٠٨ .

(٥) دراسة تحليلية ، ٢٨٣ .

ومن الكتب التي ألفت لإزالة التناقضات في الكتاب المقدس ولم يوفقوا : كتاب " أصالة الكتاب المقدس " تأليف د . ادوارج يونج ونقله إلى العربية القس إلياس مقار وقامت بطبعه ونشره دار الثقافة وهو كتاب يقع في ثلاثمائة صفحة من القطع المتوسط .

وكتاب " شبهات وهمية حول الكتاب المقدس " إعداد الدكتور القس منيس عبد النور وقامت بطبعه ونشره كنيسة قصر الدوبارة شارع الشيخ ريحانة بجاردن سبتي بمصر ورقم الإيداع ١٩٩٢/٣٦٥٣ في ٤٧٨ صفحة .. من القطع المتوسط ^(١) .

وقال صاحب الكتاب المقدس في الميزان : " ولاعرة بالقول إن هذه الأخطاء جاءت في أمور صغيرة ويسيرة ، لأن الخطأ خطأ سواء كان في الأمور الصغيرة أو الكبيرة ، ونحن لانستطيع الثقة البتة في أي شخص يسترسل في إعطائنا الأخطاء مهما كان الزعم أنها يسيرة أو بسيطة .

وقال أيضا : واختلاف الأناجيل اللفظي الدال على الخلاف المعنوي أمر شائع في الأناجيل ، بحيث لم يصبح استثناءً، وإنما أصبح القاعدة المضطردة . ^(٢)

وقد أثبت دارسوا النصرانية - المسلمون وغيرهم - الاختلاف والتناقض في هذه الأناجيل والرسائل ، وأثبتوا التحريف فيها بالزيادة أو النقصان بشواهد من نصوصهم . ^(٣)

(١) المناظرة الأولى، الجوهري ١٢٥ .

(٢) ر . الكتاب المقدس في الميزان ، ٩٣ ، ٩٤ .

(٣) ر . الجواب الصحيح ، ابن تيمه ٢/٢٢٣ ، اظهر الحق ٢/٤٣١ - ٤٦١ ، ٤٦٧ - ٥١٢ ، ٥١٣ - ٥٣٩ ، الفارق بين

المخلوق والخالق ، ١٢ ، ١٣ ، ٢٣ ، ٣٠ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٦ ، ٦٦ ، ٧١ - ٧٣ ، ٧٥ ، ٩٥ ، ٩٩ - ١٠٢ ، ١١٥ ،

١٢٠ ، ١٥٥ ، ١٨١ ، ٢٢٢ - ٢٢٥ ، ٢٩١ - ٢٩٧ وشفاء الغليل ، ٤١ - ٤٥ ، ٤٨ - ٥٧ ، المتخب الجليل = = ٩٩ -

١٢٢ ، مسالك النظر ، ٦٢ ، المعنى ١١/٥ ، الفصل ١٢٨/١ ، ٤٦/٢ ، ٧٠ ، تحفة الأريب ١١٥ ، هداية الحيارى ١٠٦ ،

٢١٨ - ٢٢٤ ، الأجوبة الجليلة ٢٧ ، ٢٨ ، دعوة الحق ٢٢٤ - ٢٢٣ ، دراسات في الأديان ، سعود الخلف ١٣٥ وما بعدها ،

منحة القريب ، ٥٨ ، ٥٩ ، الإعلام ، ٢٠٥ ، دراسة في الكتب المقدسه ، موريس بوكاي ٦٥ .

وبعد هذه الشواهد التي أحلنا إليها نقل مذكره الكاتب النصراني حبيب سعيد حيث يقول: "لم يدع أحد العصمة اللفظية الحرفية..." فهل التناقضات التي تمتلئ بها الأناجيل من هذا القبيل؟! وهل الاختلافات في نسب المسيح بين متى ولوقا اختلافات لفظية؟!!

ومع مامر من عدم إدعاء أصحاب الأناجيل النبوة ، وعدم اتيانهم بمعجزات يوثق بنقلها ، ومع تناقض الكتب التي كتبوها ، فإن هذه الأناجيل قد فقدت سندها ما يجعل ادعاء النسبة أمراً خاطئاً ، ومما يجعل المتن ذاته لا يقبل بحال من أحواله ، لأنه إنما يقبل - لو كان صحيحاً في بدايته - بعدالة ناقله ، وللجهل بهم يفقد الكتابة أو أي كلام منسوب لأحد ماله من قيمة .^(١)

يقول الدكتور سعود الخلف معلقاً : واننا نعجب بعد ذلك من زعم النصراني أن هذه الكتب حقيقية وصادقة ، وتنقل بأمانة وإخلاص كلام المسيح وتروي أخباره^(٢)

جاء في مقدمة كتاب " اعتراضات على العقيدة المسيحية " : " لقد أصبحت أساسيات العقيدة المسيحية موضع ارتياب ، وان الاعتراضات التي تقوم ضد المسيحية في هذا العصر ، لم يعد من الممكن مواجهتها بتكرار الحجج القديمة أو بتلك التبريرات الواهية ."^(٣)

وهكذا يلاحظ الدارس المتتبع أن هذه الملاحظات الانتقادية ، القديمة والحديثة ، التي يوجهها علماء النصراني للنصرانية ، وغيرهم للكتب المقدسة عندهم ، تمتد - كما ظهر لنا - الى جانبيين رئيسيين ، هما :

- جانب السند ونقده نقداً علمياً ، والتحقق من انقطاعه وعدم اتصاله بصاحب الشرع^(٤)

- وجانب النص أو المتن ، ونقده نقداً علمياً كذلك ، واطهار تناقضه وتحريفه .

(١) ابطال ألوهية عيسى ، ٩٤ .

(٢) ر. الجمع المسكوني الثاني للفتايات المنعقد من الفترة ١٩٦٢ - ١٩٦٥ م ، الطبعة الثانية لوثائق الجمع ، ر. دراسة في

الكتب المقدسة ، موريس ، ٧٨ . ر. الكتاب .

(٣) ألف هذا الكتاب أربعة أساتذة في كلية اللاهوت بجامعة كمبريدج ، وهو عبارة عن أربع محاضرات ألقاها هؤلاء الأساتذة ،

وقد نشر هذا الكتاب عام ١٩٦٣ م ، وصدرت منه ثلاث طبعات في شهر واحد .

(٤) ر. في ذلك شروط الكتاب المقدس ، محاضرات في النصرانية ، أبو رهرة ، ٧٧ ، ٧٨ .

وكما رأينا فيما نقلناه عنهم ، أن السند والمتن كليهما لا يثبتان أمام النقد والتمحيص العلمي المنهجي .

وهذا التحريف الذي ظهر في الأناجيل المعتمدة عندهم منذ بداياتها ، اعترف به المنصفون من علماء النصارى في القرن العشرين .

يقول الأب " بينوا " الأستاذ بمعهد الكتاب المقدس : ان أشكال الأقوال أو الروايات الناتجة عن تطور طويل للتراث لا تتمتع بنفس صحة الأقوال والروايات الموجودة أصلا ، وقد يدهش بعض قراء هذا الكتاب أو قد يشعر بالحرج عندما يعلم أن هذا القول للمسيح أو هذا المثل أو ذلك التصريح لم يقل به ، وأن هؤلاء الذين نقلوا هذا الينا قد أجروا عليه لمسات وتعديلات .

وقد علق على هذا النص " موريس بوكاي " بقوله : ونتيجة كل هذا هو أننا لم نعد متأكدين مطلقا من أننا نتلقى كلمة المسيح بقراءة الانجيل .^(١)

ومما تقدم يمكن أن نخلص الى النتائج التالية :

أولاً : إن الثابت أن انجيلا معيناً كان معروفاً في عهد المسيح عليه السلام ، وأشار اليه المسيح نفسه ، وكان معروفاً أيضاً الى ما بعد رفع المسيح ، واليه اشار تلاميذه وغيرهم ، ورأى البعض تسطيره ، أو كتابة ماشاهدوه أو ماسمعوا به ، فكان نتيجة لذلك العديد من الكتب أو المؤلفات سماها كاتبوها بالأناجيل ، فيها من التضارب والتناقض ما اشرنا اليه .

ثانياً : ان الكنيسة اختارت منها - أي من هذه الأناجيل المتداولة - أربعة وقبلتها جملة ، على الرغم مما فيها من متناقضات لا يستقيم معها القول بصحتها جميعاً ، وقبلتها واقترتها والزمت النصارى بها ، ولم تكتف بذلك بل طاردت الباقي وأحرقتها ، مع أنها لا تختلف في قيمتها عن هذه الأناجيل المتداولة . ومهما قيل من أسباب لاختيار الأناجيل المتداولة بالذات ، ومهما قيل في شرعيتها أو قانونيتها أو غير ذلك من العبارات التي نطالعها ، فان ذلك أبداً لن يعطي هذه الأناجيل المختارة أي ميزة تمتاز بها على غيرها مما طورد واحرق ، غير اختيار الكنيسة لها ، وكذلك الحال بالنسبة لباقي أسفار العهد الجديد .

ثالثاً : إن المتقدمين من النصارى لم يشيروا الى الأناجيل الأربعة ولم يذكروها البتة ، فبولس على كثرة رسائله لم يذكرها في رسائله أبداً ، وكذلك سفر أعمال الرسل الذي ذكره دعاة النصارى الأوائل لم يذكرها ، وهذا يدل على أن هذه الكتب لم تكن موجودة في ذلك الزمن وأنها ألفت وكتبت بعد ذلك .^(١)

رابعاً : ان هذه الأناجيل تنسب صراحة الى أصحابها ، وليس الى عيسى عليه السلام ، وكتابتها بشر عاديون ، اختلف في هوياتهم ، وليس من بينها من عرف عيسى شخصياً ، أو سمعه وهو يتحدث ، أو صحبه أثناء دعوته .

خامساً : ان النصارى لا يعرفون بالضبط تاريخ اعطاء هذه الكتب صفة الالزام والقداسة ، وانما يرون أنها في خلال القرن الرابع أخذت هذه الكتب والرسائل الملحقة بها صفة القداسة بشكل تدريجي .

سادساً : ان النصارى لا يملكون السند لكتبهم ، ولا يعرفون مصدرها الحقيقي ، ولا تعدوا أن تكون كتباً وجدوها منحولة الى أولئك الناس الذين نسبت اليهم فنسبوا اليهم ، واعتقدوا ذلك بدون دليل .

سابعاً : لا يوجد يقين كامل باللغات التي كتبت بها هذه الأناجيل والأسفار ، كما أننا نجعل المترجمين وأحوالهم ، و مدى علمهم باللغات المترجم منها واليها .

ثامناً : تناقض ما وصلنا من نسخ خطية ، وامتلاؤها بالأخطاء والأغلاط الكثيرة ، بل والشك في بعض الأسفار نتيجة ما لحق بالأناجيل من أنواع التحريف المختلفة .

وبعد أن أثبتنا أن الله أنزل على عيسى عليه السلام كتاباً هو الانجيل ، نسأل النصارى : اذا كان هناك انجيل لعيسى عليه السلام ، وهذا الانجيل مذكور في صلب كتبكم التي هي في اعتقادكم كتبت بالالهام ، واذا كان هذا الانجيل ليس واحداً من هذه التي بين ايديكم الآن ، فأين ذهب ذلك الانجيل ؟ وكيف اختفى ؟ وماذا كان فيه ؟ وهل هو متفق مع الأناجيل التي بين ايديكم أو مغاير لها ؟ واذا كان متفقاً معها فلماذا اختفى اذن ولم يعثر له على أثر ؟ ألا يدل اختفاؤه - وهو الأصل والأهم - مع بقاء هذه الأناجيل التي هي دونه في الأهمية على أنه لا يتفق معها ، ولا يسير في اتجاهها ؟ ثم ألا يوحي ذلك بأنه اختفى عمداً ؟

الفصل الثالث

الفرق النصرانية وأثرها في تحريف النصرانية

تمهيد : _____

لقد بدأت العوامل المؤثرة في ظهور الفرق في النصرانية منذ النصف الثاني من القرن الاول الميلادي ، وكان كل منها يرى في العقيدة رأياً يخالف الأخرى ، وكانت شخصية المسيح نفسها هي موضوع الخلاف ومحوره .

فقد ظل الكثيرون بعد رفع عيسى عليه السلام على إيمانهم بطبيعة المسيح كما عرفوه من قبل ، بشراً رسولاً ، لم يرفعوه عن هذا المقام ، وكان من هؤلاء "الجماعة الاولى" التي تحدثنا عنها ، واتباع آريوس وغيره من الداعين إلى التوحيد .^(١)

ويذكر بعض الباحثين أنه قد وجد في حياة المسيح من حاول أن يرفعه عن هذا المقام - مقام الرسالة البشرية - ، بالنظر إلى الخوارق والمعجزات التي جاء بها .

وكان المسيح عليه السلام ساوره الشك في بعض الاتباع من غير الحواريين في فهمهم لحقيقته وحقية دعوته فقال لهم يوماً " وأنتم من تعرفون أنني هو أجاب بطرس أنت المسيح " .^(٢)

وقد ورد في أعمال الرسل ما يؤكد وجود هذه النزعة المغالية من تأليه الافراد لما يجري على يديهم من خوارق المعجزات : " فالجموع لما رأوا ما صنع بولس رفعوا أصواتهم قائلين إن الإلهة تشبهوا بالناس ونزلوا إلينا فلما سمع الرسولان برنابا وبولس مزقا ثيابهما ووثبا نحو الجمع صارخين وقائلين " أيها الرجال لماذا تصنعون هذا نحن بشر نقبل الآلام مثلكم ونحن نبشركم بأن ترتدوا عن هذه الأباطيل إلى الله الحي الذي صنع السماء والأرض والبحر وكل ما فيها ."^(٣)

وهكذا ذهب بعض الكتاب إلى أنه قد شاعت بعد رفع المسيح عليه السلام فكرة تأليهه عند بعض الفرق ، ووضعت البذور الأولى لهذه الفكرة في حياة المسيح . وإذا كانت قد وجدت البذور

(١) ر . دعوة الحق ٤٨٢ بتصرف

(٢) متى ٨ : ٢٩ ، طبعة الإارثوذكس .

(٣) أعمال الرسا ١٤ : ١١ - ١٥ طلعة الإارثوذكس ، عقائدنا الثابتة . الفصل ٣٨ ، دعوة الله حمد ٣٣٨

الأولى في حياة المسيح عليه السلام وواجهها ، فإنها — وبعد رفعه — وجدت ما ينميها ويبرزها^(١) ، فظهرت إلى الوجود ، بدءاً بما نادى به بولس من ألوهية المسيح وبنوته لله ، وما تبع ذلك من العقائد المختلطة بالوثنية في البلاد التي دعا فيها إلى النصرانية مما يتواءم مع ديانتها .

ومهما يكن فإن ديورانت يقرر أن النصرانية مضى عليها نصف قرن من الزمان لاح فيها أنها ستؤمن بالتوحيد ، وتتخلى عن عقيدة ألوهية المسيح^(٢) . يقصد بذلك أيام آريوس ودعوته .

وكان لتمسك هؤلاء الموحدين الأثر الأكبر في شدة الاختلاف بين طوائف النصرانية الأولى ، حيث تباعدت شقة الاختلاف بينهم وبين غير الموحدين تباعداً شديداً ، وكان الخلاف يدور حول هوية المسيح:

أهو رسول من عند الله فقط من غير أن تكون له منزلة أكبر من شرف السفارة بين الله وخلقه ؟ أم له بالله صلة خاصة يكون فيها أكبر من مجرد رسول بحيث يكون فيها من الله بمنزلة الإبن لأنه خلق من غير أب ؟ أو يكون ابناً لله له صفة القدم كما لله تلك الصفة ؟ وكل يزعم أن نخلته هي النصرانية الصحيحة التي جاء بها المسيح عليه السلام ودعا إليها تلاميذه من بعده^(٣) .

ونتيجة لهذه الاختلافات وتباين تلك العقائد والمذاهب التي استمدتها كل مذهب من بيئته انتشر الشقاق بين النصارى وتشعبت وجهات نظرهم منذ العصور الأولى^(٤) .

وقد سبق ذكر^(٥) ما كان من أمر الخلاف بين بولس والجماعة الأولى بعد مجمع أورشليم ، واستمرت الخلافات وتطورت وإن كانت بقيت في أكثر الفترات كامنة لا تظهر إلا في حالات فردية في فترات الاضطرابات والكوارث التي نزلت بهم ، ولا ننسى في هذا المقام ما كان من بولس وأتباعه فيما بعد من إعراض عن الجماعة الأولى ومبادئها ، وبالتالي إعراض عن النصوص التي بين أيديهم شقوية كانت أم مكتوبة .

(١) ر . إنجيل برنابا بين الإسلام والنصرانية ٨٩ ، دعوة التوحيد ٣٣٨

(٢) ر . قصة الحضارة الحضارة ٢٠/١٢

(٣) ر . محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة ١٢٢ باختصار ، دعوة التوحيد ٣٣٢

(٤) ر . إاضطهاد الديني ٤٩ ، دعوة التوحيد ٣٣٢

(٥) ر . ص ٦٣

وظل الأمر على هذا الحال حتى الفترة التي سماها الباحثون بفترة الأمان والاطمئنان وهي التي تقع بين انتهاء فترة الاضطهاد سنة ٣١٣م ويجمع نيقية سنة ٣٢٥م .

وبعد ذلك ظهرت الخلافات الكامنة واشتد الجدل والنزاع في أمر العقيدة ، وأصبحت العقائد عسيرة الفهم .^(١)

وقد أدى هذا العسر والخلاف إلى البحث عن وضع نظام للمناقشة والوصول لقرارات لها صفة القداسة يلتزم بها الجميع ، وقد تمثل هذا الوضع في قرارات صادرة من مجامع وافقت أهواء وديانات من دخل في النصرانية من الوثنيين وغيرهم .^(٢)

وملاح القرن الثاني حتى كانت قد فشلت في النصرانية آراء ملتوية ومذاهب شاذة حادت عن الرسالة المسيحية الأولى وجوهر الإنجيل .^(٣)

ولم توجد الكتب التي تعين على تقويم هذه المقالات ، وكل نحلة تروج بين الناس بقوة الداعي وحجته ، لا سيما أنه كان قد رسخ في إذهان الناس تعظيم المسيح ~~التيلا~~ ثم انتقلوا من التعظيم المعقول إلى الغلو المرذول .^(٤)

وأصبح أمر الديانة لا يستقر على حال ، واشتدت الأفكار المعارضة ، وظهر ما يسمى بالبدع والهرطقات ، وتعددت المجمع لبحث الخلاف العقدي بين الفرق وأصبح الأمر الواحد تعقد له المجمع المتعددة في كل مكان .^(٥)

وبهذا شهدت النصرانية الأولى منذ أوائل عهدها خلافات مذهبية خطيرة كان لها أثر عظيم في تاريخها ، ولم يقتصر الخوض في المسائل اللاهوتية في القرن الرابع على رجال الدين ، وإنما كان

(١) ر . المجمع المسيحية وأثرها في مذهب الكنيسة ٤٨ ، دعوة التوحيد ٣٣٣

(٢) انظر فصل المجمع ٢٧٩

(٣) في موكب التاريخ عشرون قرناً . حبيب سعيد ١٩ ، دعوة التوحيد ٣٣٣

(٤) ر . محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة ١٥٤ ، ١٥٥ .

(٥) الله . احمد . ١٣٩ ، وداسات في الإلادان ، الخا . ٦٤ ، ٥٠

أمراً مباحاً للجميع ، وهكذا كثرت الفرق والمذاهب في القرون الثلاثة الأولى بعد رفع المسيح ^{عليه السلام} ، فتكونت نتيجة لهذه الاختلافات والفرق الجماع المسكونية - التي بدأها قسطنطين بمجمع نيقية سنة ٣٢٥م وما تلاه - وأصبحت تمثل ركناً من أركان التنظيم الكنسي^(١).
وإن كان د . رزوف شلي يرى أن الجماع وماتج عنها كان سبباً في تأصيل ظهور الفرق المسيحية وتبلورها^(٢) .

أما القضايا العقديّة التي دارت حولها اختلافات الفرق وكانت من أهم العوامل في تكوين تلك الفرق - والتي لعبت بها الأهواء والفلسفات المختلفة دوراً كبيراً فتتركز فيما يأتي:
١ . ظهور فكرة الإله المثلث الأقانيم ومحاولة تأصيل مفردات الثالوث الأتقنومي عند بعض الفرق .

٢ . النزاع حول هوية المسيح من حيث ولادته ووفاته .

٣ . النزاع حول ألوهية الروح القدس .

٤ . النزاع في طبيعة المسيح عليه السلام ، ودعوى الناسوت واللاهوت .

٥ . النزاع حول انبثاق الروح القدس .

٧ . قضية الصلب وأنها من صميم العقيدة المسيحية .

عصور ظهور الفرق في النصرانية

ويمكن أن نقسم عصور النصرانية إلى ثلاثة عصور من حيث ظهور الفرق ونشورها :

١ . عصر التوحيد : والدعوة إلى التوحيد ظاهرة من بدء دعوة المسيح ^{عليه السلام} إلى رفعه ، ثم بدأ ظهور الخلاف والانحراف بعد رفعه ^{عليه السلام} ابتداء من دخول بولس في النصرانية حتى انعقاد مجمع نيقية سنة ٣٢٥م . وقد كان للتوحيد في هذه المرحلة ظهور واضح ، كما أن بذور الفرق والانحرافات قد انغرست في ذلك العصر .

٢ . عصر التثليث : وبدايته من إقرار مجمع نيقية لألوهية المسيح ^{عليه السلام} ، ثم ما تلا ذلك بفترة وجيزة من إقرار ألوهية الروح القدس في مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م ، وما تلاه من الجماع التي أقرت وثبتت التثليث في قراراتها .

٣ . العصر الأخير : (عصر الانقسام) ويبدأ بانعقاد المجمع الثامن :

- المجمع الثامن الغربي اللاتيني المنعقد سنة ٨٦٩ .

(١) ر . دعوة التوحيد ٣٣٤

(٢) ر . أضواء على المسيحية ١٢١

– المجمع الثامن الشرقي اليوناني المنعقد سنة ٨٧٩م واللذان تولد عنهما إنقسام الكنائس إلى كنيسة شرقية وأخرى غربية^(١).

وسوف نتحدث فيما يلي عن العصور التي تقع في الفترة التي تناولها الدراسة وهما : عصر التوحيد ، وعصر التثليث .

أولاً - عصر التوحيد :

لقد نشأ الصراع في هذا العصر حول قضية ألوهية المسيح ، وانقسم النصارى بين معارض لهذه الفكرة وهم الموحدون وبين مؤيد لها وهم المنحرفون^(٢). ويشمل كل من الفريقين جملة من الطوائف ، وذلك على النحو التالي :

الموحدون :

كان التوحيد هو الطابع العام للنصرانية في أول أمرها كما ذكرنا آنفاً، فقد كان هو عقيدة الجماعة النصرانية الأولى ، وتشير المصادر النصرانية إلى أسماء أشخاص موحدين عرفوا بإنكارهم لألوهية المسيح عليه السلام، وقولهم بالتوحيد ، وإن ورد في معتقداتهم بعض الأقوال المختلفة لكن يجمعهم انكار ألوهية المسيح ومنهم : كورثوس ، أمونيوس السقاص ، كربوكراتس ، بلاجيوس . حيث وردت أسماؤهم في الرسائل^(٣).

أما بالنسبة للفرق الموحدة فقد ظهرت في العقود الأولى بعض الفرق القائلة بالتوحيد المحرد وإن لم يبلغوا حد الشهرة ، وقوة النفوذ ونقاء المعتقد ، فعندها جانب من الانحرافات التي شاعت أو كانت شائعة بالنسبة لقصورهم عن فهم المسيح عليه السلام ، ولكنهم رغم ذلك يجمعهم القول بالتوحيد ونفي تأليه المسيح^(٤). وقد كانت هذه الفرق امتداداً للجماعة الأولى – كنيسة بيت المقدس –

(١) ر . أضواء على المسيحية ١٢١ ، ومحاضرات في النصرانية ، أبو زهرة ١٤٩

(٢) ر . دائرة معارف القرن العشرين ١٠/٢٠٣ ، النصرانية من التوحيد إلى التثليث ١٦٦ ، ور . الدين والدولة لابن رين

الطبري، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، الدين المقارن ١٢٣ ، الرد على النصارى للجعفرى ، ٧١ ، ٧٢ ، الفكر الإسلامي منابعه آثاره ٣٩-٤١

، كشاف اصطلاحات الفنون ٣/١٣٨٥ ، المعنى ٥/٨١-٨٥ ، تاريخ الفلسفة في الإسلام ص ٢٠ ، البدء والتاريخ ٤/٤٢-٤٦ .

(٣) ر . تفصيل أقوالهم في دعوة التوحيد ٤٢٨ - ٤٣٥ ، تاريخ الكنيسة يوسيبوس ٣ / ١٥٧ ، تاريخ إلقباط ١ / ١٤٣ .

(٤) المعتمد في الحديث عن هذه الفرق من حكاية خصومهم عنهم واحتمال الكذب والافتراء واردة هنا .

ومن أهم هذه الفرق :

١- الأبيونيون

وقد عرفوا بهذه التسمية الغبرانية الأصل (أيونيم) والتي ربما تعني الأعمار لأنهم كانوا من نكرات اليهود ، وقيل إن هذا الاسم هم الذين أطلقوه على أنفسهم بمعنى أنهم الفقراء إلى الله. (١)

وزعم صاحب كتاب تاريخ الكنيسة أنهم سمووا بالأبيونيين لأنهم اعتقدوا في المسيح اعتقادات فقيرة فهذا الاسم يعبر عن فقرهم في التفكير (٢)، وليس " أبيون " اسم زعيم هذه الفرقة فتنسب إليه كما ذهب د. وافي (٣) . فإن زعيمها يدعى " سيرنيش الفريسي " (٤).

ورث الأبيونيون الجماعة الأولى في الشام والعراق ، وهناك تشابه كبير بين هذه الجماعة وجماعة وادي قمران كما تدل عليه مخطوطات البحر الميت ، وقد استدل بهذا كثير من الباحثين على أن جماعة الفقراء هذه قد مثلت الحق وهي البقية الصالحة مما كان عليه النصارى في أول أمرهم. (٥)

وقد ظهرت هذه الفرقة بعد خراب أورشليم سنة ٧٠م (٦)، وقيل ظهرت في أواخر القرن الثاني الميلادي (٧) وقد رفضوا القول بألوهية المسيح وقالوا : إن المسيح ليس سوى نبي.

وأطلق على هذه الجماعة أتباع كنيسة الختان لرأيهم في وجوبه ، وقد أخذت هذه الفرقة على عاتقها محاربة بولس ، وقد أقرروا جميع شرائع موسى ، واعتبروا عيسى المسيح المنتظر الذي تحدثت عنه أسفار العهد القديم .

(١) ر . الموسوعة النقدية ٤٣

(٢) تاريخ الكنيسة يوسوس ١٥٥

(٣) إلسفار المقدسة ، وافي ١٢٤

(٤) الموسوعة النقدية ٤٣

(٥) مذكرات إلابيان

(٦) الكنيسة المسيحية في عصر الرسل ٢٦٦ نقلاً عن رسائل الرسل .

(٧) مذكرات الأديان .

وقد انتشرت أفكارهم في فلسطين والأقطار المجاورة ومراكز الشتات بل وبلغت روما ، ثم انقضت في أواخر القرن الرابع الميلادي - أي بعد مجمع نيقية - بقوة الحكم والسلطان .
وتعتمد هذه الجماعة إنجيلياً غير الأناجيل الأربعة التي اعتمدت في هذا المجمع يقال له :
"إنجيل العبرانيين" أو "إنجيل الأبيونيين" (١).

٢- جماعة "الموحدين لله"

وهم جماعة موحدة ، والفرق بينهم وبين الجماعة السابقة أنهم كانوا يستخدمون اليونانية ، وكانوا يواجهون النصارى المبتدعين الذين تأثروا بالديانة والثقافة اليونانية ، ولذلك كانت هذه الجماعة أكثر انتشاراً في بلاد الشام وما جاورها .

ظهرت هذه الجماعة في أواخر القرن الثاني وبدايات القرن الثالث ، وقالوا بأن الملك لله تعالى الواحد وليس معه ثان . وقد سماهم مخالفوهم برافضي الكلمة لأنهم رفضوا أن يكون الكلمة أي المسيح ^{الذي} إلهاً ، لكنهم أقروا بأنه ^{الذي} كلمة من الله ولدته البتول ، ورفضوا دعوى المؤهلين بأن الكلمة والروح القدس إلهان ، وأكدوا وحدانية الخالق .

وأهم ممثليها أرثيمون (- ت ٢٣٠ م) في روما وثيودوتس (ت ٢٢٠) . وقد ذكر أرثيمون أن عقيدة النصرانية الأصيلة الإقرار بعقيدة التوحيد الذي أنكره المبتدعون . وذكر أن جميع الأساقفة كانوا على القول بالوحدانية إلى أيام فكتور (١٨٩ - ١٩٩ م) (٢).

أما أهم الفرق الموحدة والتي كان لها الأثر الكبير في تاريخ النصرانية منهم :

٣- الشمشاطيون:

وهم أتباع بولس الشمشاطي ، كان أسقفاً لأنطاكية سنة ٢٦٥ م (٣) ، من أتباع أرثيمون (٤) ، وكانت عقيدتهم التوحيد الخالص ، وأن عيسى عبد الله ورسوله ، وأنه إنسان لا إلهية

(١) ر . مذكرات إلهاديان ، محمد في التوراة الطهطاوي ٨٦ ، اليهودية والمسيحية ، لإعظمي ٣٩٧ ، المسيحية بين التوحيد

والثلث ص ٨٦ ، ٨٧ ، لإسفار المقدسة ، وافي ١٠٨ ، ١٢٤ ، المسيح في مصادر العقائد المسيحية ٣٧ .

(٢) مذكرات إلهاديان ، واختلافات في تراجم الكتاب المقدس ١٠٥

(٣) ر . محمد في التوراة الطهطاوي ٨٦ ، اليهودية والمسيحية لإعظمي ٣٩٨ ، الملة والنحلة ١١٢ ، ١١٣ ، لإسفار المقدسة ،

فيه البتة^(١). ويضيف النشار في عقيدة بولس الشمشاطي أنه كان يرى أن الله كرمه وسماه ابنه على التنبئ لا على الولادة والاتحاد^(٢). وأن الله جوهر واحد وأقنوم واحد، وهو وأتباعه لا يؤمنون بألوهية الكلمة ولا بألوهية الروح القدس.

ويسمون عند بعض المؤرخين بالبوليقانيين. و ابن البطريق عندما يشرح مذهب بولس الشمشاطي يؤول كلامه بما يوحي أنه من المثلثين^(٣). وإن كان كلام الشمشاطي لا يوافق عقيدة المثلثين بحال. وقد تعرض في تاريخ الكنيسة للإتهام بأنه من أكبر هراطقة الكنيسة في العصور الأولى^(٤).

وقد عقد في أنطاكية ثلاثة مجامع في الفترة من سنة ٢٦٤م إلى سنة ٢٦٩م للنظر في أمره، وقررت هذه المجامع حرمانه وطرده لكن بقي مذهب وأتباعه حتى انقرضوا في القرن السابع الميلادي^(٥). بعد أن أصبحت عقيدة التثليث عقيدة النصارى بصفة عامة. كما سنرى فيما بعد^(٦).

٤- الأريوسيون :

وهم أتباع أريوس (٢٥٠م - ٣٣٦م) المشهور بالموحد ، كان قسيساً في الإسكندرية في بداية القرن الرابع الميلادي ، وعرف بنشاطه الديني ، واعترف به الأسقف الجديد "إسكندر" الذي تولى - رئاسة كنيسة الإسكندرية - عام ٣١٣م .

وكان اعتقاده بأن المسيح مجرد بشر مخلوق وليس إلهاً أو ابناً لله^(٧). ونقل أحمد عبد الوهاب أن أريوس قد حاول أن يثبت أن المسيح هو الكلمة - كلمة الله - وبناء عليه فإنه لا يشارك الله في

(٤) مذكرات الإديان

(١) محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة ١٥١ ، الفصل ١٠٩ ، ١١٠

(٢) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، النشار ٩٧ ، نشأة الطوائف المسيحية ٤٢

(٣) محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة ١٥١

(٤) تاريخ الكنيسة ٣٧٩

(٥) ر. مذكرات الإديان ، محمد في التوراة ٨٦

(٦) ر. ص ٢٨٧

(٧) ر. مختصر تاريخ الكنيسة ٢٧٦/١ - ٢٨١ ، فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية ٢٨٧/٢

وجوده الحقيقي ، إنه من جوهر مختلف عن جوهر الله الأب ، فهو ليس أزلياً مع الأب ، وهو مخلوق رغم أنه أول المخلوقات وأرقاها . وقد كان هناك زمن لم يكن الابن فيه موجوداً . وينقل عنهم مخالفوهم أن الأريوسية ترى أن المسيح أرقى المخلوقات به خلق كل شيء ، وله علاقة خاصة مع الله فهو مخلوق رباني ، ولكن العلاقة بينه وبين المخلوقات تتوقف على العطاء الإلهي والروح القدس يقف بجانب الابن كجوهر ثان مستقل .^(١)

وقد خلف " اثناسيوس " " إسكندر " في رئاسة كنيسة الإسكندرية ، وقد خالف أريوس في عقيدته حيث ذهب إلى أن المسيح إله غير مخلوق يشارك الله في أزليته ، وكذلك الروح القدس فالأب إله والابن إله والروح القدس إله ، فمن أراد أن يخلص نفسه - حسب زعمه - فعليه أن يعتقد بالثالوث .^(٢)

وقد تشيع لأريوس الكثيرون في الإسكندرية وفلسطين ومقدونية والقسطنطينية وحصلت افتراقات عدة داخل كنيسة الإسكندرية في تلك الفترة . وفي سنة ٣٢٥م حكم مجمع نيقية بطرد أريوس من الكنيسة وكفره وأصدر قراره بألوهية المسيح ، فبدأت فرقته في الانقراض .^(٣) ولم يكن أريوس أول من دعا إلى هذه العقيدة ، فالمصادر المسيحية تذكر أن مرقس كان ينكر ألوهية المسيح .^(٤) وبعد أريوس كان ملتوس قسيس كنيسة أسيوط ، ذهب مذهب أريوس في عقيدة التوحيد ، وقد انقرضت الفرقة الأريوسية ومن تبعها بعد مجمع نيقية .^(٥)

المنحرفون :

وفي هذا العصر وبجوار الموحدين وجدت آراء من دخلوا في النصرانية وفيهم بقايا وثنية ، ففهموا النصرانية على ضوء ما عرفوه وما استقر في نفوسهم من آراء ومعتقدات سابقة ، وهذه الفرق هي :

(١) ر . طائفة الموحدين ١٠ ، ١١ ، ١٦ ، فلسفة الفكر الديني ٢ / ٢٨٧ ، تاريخ إلباط ١٥٠ بتصرف ، المسيحية بين

التوحيد والتثليث ٨٨ ، رسائل الرسل ١٦٢ ، ١٦٧ ، history of dogma P 8- 20 .

(٢) ر . نشأة الطوائف المسيحية ٤٢ ، ٤٣ .

(٣) ر . محمد في التوراة والإنجيل والقرآن ، الطهطاري ، ص ٨٧ ، أضواء على المسيحية ١٢٢ ، طائفة الموحدين ١٢ ، ١٣ .

(٤) نشأة الطوائف المسيحية ص ٢٩ ، ٣٠ .

(٥) محمد في التوراه والإنجيل والقرآن ، الطهطاري ص ٨٧ .

١- البولسية نسبة إلى بولس (شاؤول اليهودي) ويعتبر هو وأتباعه أول طائفة ظهرت في مقابل الجماعة الموحدة الأولى.

وقد عقدنا فصلاً خاصاً للحديث عن أخرافات بولس وتحريفاته التي أدخلها على عقيدة التوحيد في النصرانية وأشاعها بين أتباعه^(١). وتعتبر الفرق الخارجة عن التوحيد في هذا العصر من ذبول جماعة بولس الأولى، وهي التي سنعرض لها فيما يلي :

٢- الغنوصية الباطنية :

ظهرت في أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني الميلادي، ويذكر الباحثون أنها مهدت السبيل للنصرانية إهللينية، وكان ظهورها في الاسكندرية، ويرجع الباحثون أصلها إلى يهود حادوا عن الطريق الصحيح . وتنسب إلى سيمون الساحر السامري الذي واجهه يعقوب وبطرس وقد زادت فتنتهم بعد سنة ١٣٥ . وكانت تهدف إلى فصل النصرانية عن اليهودية وإلباسها ثوباً هللينياً ، فأدخلوا الفلسفة إهللينية عليها ، واشتهروا بطقوس الإباحية والفحشاء ، ورفض التشريع . قالوا بالهين إله الخير ويقابله إله الشر خالق المادة والشرع . وتدعي العالمية وترفض حصر الدعوة في بني اسرائيل ، وقد اندثرت هذه الطائفة ومن ينتسب إليها ولكنها مهدت قبل اندثارها لتحريف النصرانية الحققة وظهور النصرانية المثثة^(٢).

ومن العلماء من ذهب إلى ان المذهب الغنوصي ظهر أو يعود إلى "ساتورينيوس" الذي كان يعلم في انطاكية زمن تراجان وقد ذهب إلى ان العلم نشأ بواسطة سبعة ملائكة احدهم كان إلى إله اليهود ، وهذا العالم يحتوي على شعلة الحياة من الأب ، ولقد نزل المخلص الذي لم تكن له ولادة بشرية ولا جسماً بشرياً لمساعدة الطيبين الذين لم يكونوا يملكون هذه الشعلة ، ويكون الخلاص من

(١) ر ص ١٣١.

(٢) ر . مذكرات إلابيان ، Tyson ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، نشأة الطوائف ، ٤٠ ، History and thought ، واند ص ٤٥

خلال الزهد والتنسك وتُجحت هذه التعاليم بصورة محلية في سوريا ، ثم انتقلت إلى ابعده من ذلك

ومن الغنوصيين في الإسكندرية "باسيليديس" وكان يدرس في الإسكندرية ١٣٠ م اعتمد على مذهب الرواقية فعنده ان الله الأعلى هو عدم الوجود ، وأسفل منه توجد ٣١٥ سماء والتي نشأت منه والتي لا نرى منها إلا أدنى سماء وآخرها ، وهذا هو موطن الملائكة الخالقة التي منها يعتبر إله اليهود هو الرئيسي ، وهذا إلهبوط من عدم الوجود إلى العالم المادى لم يكتمل دون عوائق، ودخلت الفوضى . والهدف إعادة الانسجام ومع هذا الهدف نزل الإنجيل المتطابق مع الأعلى وحل في يسوع بن مريم وهكذا ثم أخذ يسوع الذي أوحى إليه دون معاناة لأنه عند الصليب كان سيمون السرياني هو الذي مات في الحقيقة .

وقد الف باسيليديس (٤ كتب) من التفاسير حول الكتاب المقدس ، وكان اول نصراني يسجل اسماً في شرح فلسفة الدين المرتكز على النصرانية والمستمد من مصادر يهودية وثنية^(١) .

وأعظم شخصيات المذهب الغنوصي "فالتينوس" والذي كان يعلم لروما أثناء حكم انطونيوس أي زمن كتابة راعي هيرمس^(٢) . كان فالتينوس : أكثر تأثيراً من باسيليديس (ت ١٦٥ م) وكان يرى مثل باسيليديس ان الله كائن فردي متعال لا يمكن معرفته لكنه لم ينشأ من العدم التام وقد احتفظ هو واتباعه باطار يهودي إلى حد كبير في اسطورتهم في الخلق^(٣) .

٣- المرقيونية :

وتنسب إلى مرقيون (٨٥ - ١٦٠ م) وكان من أهم زعماء الغنوصية الباطنية التي تحدثنا عنها آنفاً ، وكان مرقيون قسيساً من رجال القرن الثاني الميلادي ، اعتقد بوجود إلهين أحدهما عادل اتخذ من بني إسرائيل شعباً مختاراً له وأنزل عليهم التوراة ، والإله الآخر إله الخير ظهر

(١) The rise . ٢٠٥

(٢) واند ٤٨، ٤٩ .

(٣) The rise ٢٠٧ ، ٢٠٨

متمثلاً في المسيح وخلص الإنسان من الخطايا وأبطل أعمال الإله الأول . وذهب د. أحمد شلبي والشيخ أبو زهرة إلى انه كان يقول أن الآلهة ثلاثة صالح وطالح وعدل بينهما^(١) . وبناء على هذا فإن هذه الطائفة لم تكن ترى قدسية لكتب العهد القديم بل ترفضها جميعاً ، ولا تعتمد إلا على إنجيل خاص بها وهو إنجيل (مرقيون) وقد اقتربت هذه الطائفة من ديانة زرادشت بقولها بوجود إلهين وانقرضت في القرن العاشر الميلادي .^(٢)

وذكر صاحب كتاب نشأة الطوائف المسيحية أن مارسيون صنف أول قائمة بالكتب وأعطائها لقبها الرسمي قائمة رسمية للأسفار المقدسة Canon التي اعتبرت بأن لها سلطان الرسل ، وفي نهاية القرن الثاني ظهرت قائمة Canon تتضمن معظم كتب العهد الجديد كما هي اليوم.^(٣)

٤- البربرانية :

وهي فرقة كانت تعتقد أن المسيح وأمه إلهان من دون الله ، وأطلقوا على أنفسهم اسم المريعيين ، وقد ظلت حتى القرن السابع الميلادي .^(٤)

٥- فرقة اليان :

ذهبت إلى القول بأن المسيح إله وأنه ابن إله مر في البطن كما يمر الماء في الميزاب لأن الكلمة الابن دخلت من إذنها وخرجت لتوها من حيث يخرج الولد ، وإن ما ظهر في شخص المسيح وقتله وصلبه في أعين الناس هو خيال شبيه بالصورة التي تظهر في المرأة ، وقد انقرضت هذه الفرقة بعد القرن الثالث عشر الميلادي وكان لها أتباع في اليمن والشام .^(٥)

(١) أضواء على المسيحية ١٢٣ ، محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة ١٥٢ ، ١٥٣ .

(٢) الميزان في مقارنة إلهاديان ١٠٤ ، الفهرست ٤٨٤ ، اليهودية والمسيحية لإعظمي ص ٣٩٦ ، نشأة الفكر الفلسفي ١٨٩ ،

، وافي ١٢٢ ، وقد ذكر أنها انقرضت في القرن العشرين .

(٣) نشأة الطوائف المسيحية ٤٠ ، ٤١ ، وانظر المسيحية بن التوحيد والتثليث ٨٤ ، تاريخ وفكرة الكنيسة القديمة ٥١ .

(٤) اليهودية والمسيحية لإعظمي ٣٩٦ ، الميزان في مقارنة إلهاديان ١٠٤ ، أضواء على المسيحية ١٢٣ ، الفصل ٤٨/٢ ،

والمسيحية بن التوحيد والتثليث ٨٣ ، ٨٤ .

(٥) اليهودية والمسيحية ، لإعظمي ٣٩٦ ، الميزان في مقارنة إلهاديان ١٠٤ ، المسيحية بن التوحيد والتثليث ٨٢ ، ٨٣ ،

محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة ١٥٣ .

تلك كانت أهم الفرق التي حادت عن طريق التوحيد — وإن ظهرت في عصره — ،
وخرجت بالنصرانية عن طابعها الأصيل فجاءت في صورة فكر مشتت لا يستقر على مبدأ .

والناظر في تاريخ ذلك العصر يجد أنه أفرز فرقاً كثيرة وخطيرة جداً على ديانة المسيح ^(١)،
حيث غيرت ديانتته وظهرت المذاهب والأقوال العديدة في المسيح وتعاليمه .
وفي هذا يقول سلسس ساخراً : إن المسيحيين تفرقوا شيعاً كثيرة حتى أصبح هم كل فرد
منهم أن يكون لنفسه حزباً .^(٢)

واستطاع إيرينيوس أن يحصي عام ١٨٧م عشرين شيعاً مختلفة من النصرانية . وأحصى
إيفانيوس في عام ٣٨٤م ثمانين^(٣)

وقد كان ظهور الفرق المنحرفة في أواخر هذا العصر إرهاباً لظهور الفرق في عصر
التثليث .

ثانياً : عصر التثليث

بعد مجمع نيقية أبعث التوحيد رسمياً من الديانة النصرانية ، إلا أن الحكومة الرومانية لم
تستطع أن تقضي على التوحيد بذلك المجمع ، ولكنها أخذت تبعد الموحد من مكان الرئاسة في
الكنائس ، وبكل الوسائل حتى حيل بين العامة وبين صوت التوحيد ، وعندئذ كانت الفرق التي
تظهر بعد ذلك كما يقول الشيخ أبو زهرة في ظل ألوهية المسيح في الجملة إن استثنينا مقدونيوس
وفرقتة .^(٤)

ومن أهم هذه الفرق :-

١- الابوليناريون :

وهم أتباع مقدونيوس وكانوا أول فرقة ظهرت في ذلك العصر . أنكرت أن يكون روح
القدس إلهاً وقاومت فرض الألوهية . ويذكر ابن حزم عن مقدونيوس أنه كان يقول بالتوحيد

(١) ر . تاريخ الفكر المسيحي ٣٩٦/١ ، تاريخ الكنيسة جون نورينر ١٢٠/١ ، ١٠٢/١ - ١٢٣ ، ٤٩٠/١ ، ٤٩٧ - ٥٩٢ -

(٢) قصة الحضارة ٣١٤/١١

(٣) قصة الحضارة ٣١٤/١١

(٤) ر . محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة ١٥٦ ، ١٥٧ .

المجرد، وأن عيسى عليه السلام عبد مخلوق انسان نبي رسول الله كسائر الأنبياء عليهم السلام ، وأن عيسى هو روح القدس وكلمة الله ، وأن روح القدس والكلمة مخلوقان خلق الله كل ذلك .^(١)

يقول الشيخ "أبوزهرة" ولعل مقدونيوس كان من الموحدين فهاله أن يبدأ الأساقفة بتأليه المسيح ، وينتون بتأليه روح القدس فجاهر بانكار الثاني .
قال واند : ارتبط اسمه بمذهب خاص بالروح القدس على الرغم أنه لا علاقة له بذلك ، وكان الرأي الذي نسب إليه امتداد للعقيدة الأريوسية فيما يتعلق بالكلمة لكي يجعله يشمل قضية الروح ووفقاً لذلك لا يمكن الاعتقاد بأن الروح من نفس الجوهر مع الإله الأعلى لأنه مخلوق ، وأفضل شيء اعتقده المقدونيون عن الروح انه ملك أعلى ، ولهذا فإن كثيراً ما يطلق عليهم اسم مقاتلون ضد الروح^(٢) .

وفي الوقت الذي أنكر فيه مقدونيوس ألوهية روح القدس لم تكن عقيدة التثليث قد أعلنت في مجمع عام ، ولعلّه كان موضع حديث البطارقة كون روح القدس إلهاً فتصدى لإنكار ذلك ، وتلقى الناس كلامه بالقبول ولذا لم ينعقد المجمع للرد عليه إلا بعد أن مات بعدة سنوات .^(٣)

٢- النسطورية :

نسبة إلى نسطور الذي كان بطريك القسطنطينية سنة ٤٢٨م^(٤) ، أي أنه ما بين القرن الرابع والخامس كما ذهب إليه أكثر المؤرخين خلافاً لما ذهب إليه الشهرستاني أنه ظهر في أيام المأمون^(٥) ، وما ذهب إليه النشار أنه ظهر في أوائل القرن الثاني الميلادي .^(٦)

ويصور الشيخ أبو زهرة مذهب نسطور بأنه ذهب إلى القول بأن عيسى لم يكن إلهاً في حد ذاته ، بل هو إنسان مملوء من البركة والنعمة أو هو ملهم من الله وأنه فوق الناس .^(٧)

(١) ر. الفصل ١ / ١١٠ .

(٢) واند ١٨٧ وذكر واند أن إلابولينارية هم أتباع ابوليناريوس والذي ركز على الطبيعة البشرية للإنسان ص ١٨٨ / ص ٣٦٥

(٣) محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة ١٥٦ ، ١٥٧ ، أضواء على المسيحية ١٢٣

(٤) محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة ١٣٥ ، المنحد في الإعلام ٧٠٨

(٥) الملل والنحل ١ / ٢٢٤ .

(٦) نشأة الفكر الفلسفي ٩٦/١

وعنده أن الأقتوم الثاني وهو الابن لم يكن إلهاً تجسد ولدته مريم — كما يرى ذلك من يراه من المثلثين — بل كان يرى أن مريم ولدت الإنسان ثم اتحد الأقتوم الثاني به بعد ولادته وليس ذلك الاتحاد اتحاد مزج وجعلهما شيئاً واحداً ، فليس اتحاداً حقيقياً بل اتحاداً مجازياً لأن الإله منحه المحبة فصار بمنزلة الابن ومعنى ذلك أن المسيح لم يكن فيه عنصر إلهي قط فليس إلهاً ولا ابن إله ، وهذا ماتقرره صاحبة كتاب تاريخ الأمة القبطية وهو أن كلام نسطور يلزم منه إنكار ألوهية المسيح^(١). وهو ما يؤكدده أحمد شلي أيضاً حيث أكد أن مذهب نسطور كان محاولة للعودة إلى التوحيد.^(٢)

ويصور النشار مذهبه أنه ناقش فكرة الجوهر والأقنيم نقاشاً عقلياً وانتهى إلى أن المسيح إنسان وولد إنساناً ، ثم حدثت النعمة الإلهية التي نزلت على الرسل من قبل فاتصل اللاهوت بهذا الإنسان ولكن صلته بالمسيح أكثر دواماً واستقراراً فيه ولذلك سمي الابن الوحيد . وقد تم هذا الاتحاد كإشراق الشمس في الكوة أو على بلور أو كظهور النقش في الخاتم . وإشراق الشمس في الكوة لم يجعل الكوة شمساً ولا ظهور النقش في الخاتم جعل الخاتم نقشاً ، إنما هو اتصال معنوي فحسب ، ولكن ما صدر عن المسيح بعد اتصاله باللاهوت إنما هو صدور عن المشيئة الإلهية ، وهو يرى أن القتل فيما يزعمه النصراري وقع على المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته.^(٣)

ونقل في فلسفة الفكر أنه كان يقول بأقنومين لا بأقنوم واحد وأن المسيح يقوم بهما ، وينسب إليه القول جهراً بالإثنية الأقتومية في المسيح وتبادل العمل بين طبيعتي اللاهوت والناسوت وكأنه يقول بالاتحاد بين الطبيعتين.^(٤) ولعلّ لويس جرديه يصور مذهب نسطور بما آل إليه أمر النساطرة من بعده كما سنوضح .

(٧) محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة ١٣٥ .

(١) محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة ١٣٥ ، ١٥٧ ، ور . ١٢٣ أضواء على المسيحية ، النصرانية من التوحيد ٢٠٢ ، تاريخ

إلقاط ١٧٧/١ ، مختصر تاريخ الكنيسة ١/٣٣٨ ، ٣٣٩ ، فلسفة الفكر الديني ٢ / ٢٩٠ ، ٣٠٢ ، نشأة الطوائف المسيحية ،

٤٧ ، ٤٨ .

(٢) المسيحية ، شلي ١٨٩

(٣) نشأة الفكر الفلسفي ١/٩٦

(٤) ر . فلسفة الفكر الديني ٢ / ٣٠٢ - ٣٠٥ .

وللقضاء على مذهب نسطور^(١) لأنه كان يقول بأقنومين لا بثلاثة . عقد مجمع لأجل محاكمته في أفسس سنة ٤٣١ م ، فقرروا فيه ابعاد نسطور عن منصبه ونفيه إلى مصر ، واتفقوا على لعنه ولعن أتباعه . ويرى د. عمر أن هذا كان أول افتراق بين الثالوثيين والكنيسة النسطورية^(٢)، لكن النسطوريين الذين جاؤا من بعده اُخرفوا عن مبادئه . وقالوا بامتزاج اللاهوت بالناسوت امتزاجاً حقيقياً لا مجازياً^(٣) .

٣ - اليعقوبيون أو اليعاقبة :

نسبة إلى يعقوب اليرازعي الذي انتحل مذهب القائلين بأن للمسيح طبيعة واحدة وهي إلتقاء اللاهوت والناسوت في المسيح ، وتكون من الاتحاد طبيعة واحدة جامعة بين اللاهوت والناسوت .

ونسبة هذه الفرقة إلى يعقوب اليرازعي لأنه أنشط الدعاة إلى هذا المذهب لا لأنه مبتدعه ومنشؤه ، فإن هذا المذهب أسبق من يعقوب وأول من أعلنه بطريرك الإسكندرية في منتصف القرن الخامس الميلادي ، أما يعقوب فقد وجد في القرن السابع الميلادي .

وكان ان عقد النصارى مجعاً في أفسس سنة ٤٣١ م وقرروا فيه القول بالطبيعة الواحدة ثم رفض ذلك القرار في مجمع خلقدونية سنة ٤٥١ م وتسبب ذلك في تمسك الكنيسة المصرية برأي بطريركها والانفصال عن الكنيسة الرومانية^(٤) . وهو مذهب الأقباط في مصر .

٤ - الملكانيون :

نسبة إلى الملك والملك بالأرامية ملكاً أي قيصر الروم^(٥) لا على أنه نسبة إلى شخص اسمه ملكا الذي ظهر بأرض الروم كما ذكر الشهرستاني^(٦) .

(١) إلسفار المقدسة ، وافي ١٣٣

(٢) ر . مذكرات الاديان .

(٣) محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة ١٥٧ - ١٥٩ ، إلسفار المقدسة ، وافي ١٣٤ .

(٤) ر . أضواء على المسيحية ١٢٣ ، نشأة الفكر الفلسفي ٩٧ ، ٩٨ ، محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٧٥

، النصرانية من التوحيد ٢٠٣ ، ور . نشأة الطوائف حيث أشار إلى طوائف أخرى ذمبت إلى هذا القول بإلتحاد بين الطبيعتين

والملكانية مذهب من وافق القيصر في جمع خلقدونية الرابع ، حيث قالوا إن الكلمة أتحدت بجسد المسيح وتذرعت بناسوته ، فهو عندهم له طبيعتان لاهوتية وناسوتية ^(١) ، وأن الله عبارة عن ثلاثة أقانيم الاب والإبن وروح القدس ^(٢).

٥- المارونية :

أتباع يوحنا مارون الذي قال بالمشيئة الواحدة لله مع القول بالطبيعتين وكان قوله هو السبب في انعقاد المجمع السادس عام ٦٨٠م والذي قرر نفي يوحنا ولعنه وقرار مشيئتين لله ^(٣) . وللتوافق في جوهر عقائد معظم هذه الفرق الثلاث الأخيرة قسم علماء المسلمين النصارى إلى ثلاثة فرق ، النسطورية ، واليعقوبية ، والملكانية ، فكل ما ظهر بعد ذلك مما لم نطل الكلام بذكره هو نفس ما ورد عند هؤلاء مع اختلافات يسيرة ^(٤).

وطوائف النصارى الحالية الكاثوليكية والأرثوذكسية والبروتستانت كلهم ملكانيون فالملكانية هي التي دافعت عن مذهب الملك قيصر في مجمع خلقدونية الرابع .

تلك كانت أهم الفرق التي ظهرت في تاريخ النصرانية والتي كان لها دور بارز في تحريف عقائدها.

ويمكن إبراز أهم نتائج ظهور الفرق فيما يأتي :

أولاً : لقد أدى ظهور الفرق إلى تحريف النصرانية وعقائدها، وذلك بترك عقيدة التوحيد التي بنيت عليها النصرانية، والتي بقيت عدة قرون يدعو إليها المخلصون من النصارى، ويدافعون عنها سواء كانوا أفراداً أو جماعات .

ويتضح تحريف هذه الفرق لعقيدة التوحيد فيما تبنته من عقائد وثنية او مثلثة، وما اختلفت فيه من الآراء في شأن طبيعة المسيح ومشيئته، حيث ذهب بعضها إلى القول بوحدة هذه الطبيعة أو المشيئة أو بتعددتها، وحيث اختلفوا في طبيعة العلاقة بينه وبين الله على نحو ما ذكرنا عن أصحاب

(٦) الملل والنحل ١/٢٢٢

(١) انظر ص ٢٨٩ .

(٢) ر . نشأة الفكر الفلسفي ١/٩٥ ، النصرانية من التوحيد إلى التثليث ٢٠١ ، ٢٠٢ ، الميزان ١٠٤ ، ١٠٥ .

(٣) إلهام المقدسة ، واتي ١٣٤ ، أضواء على المسيحية ١٢٣ ، محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة ١٦٠ .

(٤) ذكر ابن كثير ان الملكية نسبة إلى دين الملك وهو فسطاطين ، البداية ٢/١٥٤ .

وأتباع الفرق السابقة. متأثرين في تحريفهم للعقيدة النصرانية بالوثنيات والثقافات التي كانوا عليها قبل تنصرهم، والتي كانت لاتزال محيطة بهم في مواطن النصرانية .

ثانياً : قام أرباب هذه الفرق بتحريف الأناجيل الكثيرة التي كانت شائعة في ذلك العصر، بحيث تتفق نصوصها مع عقيدة تلك الفرق .

ثالثاً : أدى ظهور الفرق النصرانية إلى انعقاد المجمع لحسم الخلاف الناتج عن تعدد العقائد المخرفة فيما بينها، مما نتج عنه أحياناً انفصال بعض الكنائس عن بعضها، وقرار العقائد المنحرفة واستبعاد النزعات التوحيدية.

رابعاً: لقد أدى افتراق الطوائف النصرانية في عقائدها كما رأينا، وماتبعه من الصراع الطائفي فيما بينها - لقد أدى كل ذلك إلى ظهور اضطهاد الطوائف النصرانية بعضها لبعض، سواء كان ذلك الاضطهاد بين الأفراد أو الجماعات .

وهكذا كان ظهور الفرق النصرانية والاختلاف فيما بينها عاملاً هاماً من عوامل تحريف العقيدة بكل ما ترتب على هذا التحريف من نتائج .

الفصل الرابع

المجامع النصرانية وأثرها في تحريف العقيدة

تمهيد

المجامع في النصرانية هي كما يقول علماءهم جماعات شورية^(١) في الكنيسة تبحث في الأمور المتعلقة بالديانة النصرانية وأحوال الكنائس .

ويرى النصارى أن تلاميذ المسيح هم الذين رسموا نظام هذه المجامع في حياتهم ، حيث عقدوا المجمع بأورشليم بعد ترك المسيح لهم باثنتين وعشرين سنة ، وقرر هذا المجمع كما رأينا^(٢)، عدم التمسك بالختان ، بل زاد على ذلك فقرّر عدم التمسك بمحرمات التوراة ، إلا تحريم الزنا وأكل المخنوق وأكل الدم وأكل ذبائح الأوثان، ويقرر علماءهم أن التلاميذ بهذا المجمع الذي بينه سفر الأعمال في إصحاحه الخامس عشر قد سنوا للنصارى سنة جمع المجامع لدراسة ما يتعلق بالعقيدة والشريعة .

والمجامع عندهم قسمان : مجامع عامة أو على - حد تعبيرهم - مجامع مسكونية : أي تجمع رجال الكنائس النصرانية من كل أنحاء المعمورة المسكونة. ومجامع محلية أو مكانية - على حد تعبيرهم - وهي التي تعقدها كنائس مذهب أو أمة في دوائرها الخاصة من أساقفتها وقساوستها إما لإقرار عقيدة أو لرفض عقائد أخرى .^(٣) إلى غير ذلك من الشؤون المحلية للكنائس .

(١) يقول الدكتور سعود الخلف معلماً : هكذا يزعم النصارى أنها هيئات شورية والناظر في تلك المجامع خاصة التي بحثت في العقيدة يجد أنها تنتهي ولم يتفق المجتمعون على إلزام الأمور التي بحثت فيكون هناك حيز ومرافقة تسرية على قول من تلك الأقوال وإن لم يكن حيز يحدث الإنقسام بأن تذهب كل مجموعة بقولها الذي جاءت به وهو ما يتنافى مع كونها شورية إلا أن يقال أنها هيئات شورية إلزامية . دراسات في إلهيات ، ١٥٢ .

(٢) ر. ص ٦٤

(٣) محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة : ١٢٠ ، ١٢١ ، النصرانية والإسلام ، الخلف : ١٩١ ، المسيحية ، شلبي : ١٩٧ . وأضواء على المسيحية : ٩٤ ، ٩٥ ، ر . ر . دائرة المعارف البريطانية ٥٨٧/٦ - ٥٨٨ ، قاموس الكتاب المقدس ، ١٥٦ ، المجمع : ٩١ ، ر . ر .

دائرة معارف الدين وإلخلاق حيث تقسم المجامع إلى عشرة أنواع . نقلاً عن دراسات في النصرانية ، مزروعة : ١٣٨ ، ١٣٩ .

وفيما يتعلق بالجامع المسكونية - وهي موضوع حديثنا في هذا الفصل - يقول د. عمر: "لم يتحقق في الجامع شرط المسكونية أبداً ، وإنما يقال لها مسكونية على فرض حضور جميع أساقفة العالم ، ولعل القول أنها عامة أقرب إلى الصواب".^(١)

وكلامنا هنا سيقصر على الجامع المسكونية - كما يسمونها - سواء وافق على قراراتها جميع الحاضرين فيها ، أو لم يوافق عليها بعضهم. وذلك في حدود الدراسة لهذه الجامع ، من مجمع نيقية سنة ٣٢٥م ، إلى مجمع القسطنطينية الخامس سنة ٨٧٩م ، والذي انقسمت بعده الكنائس إلى شرقية وغربية .

وقد كانت تلك الفترة وما عقد فيها من مجامع هي التي تقرر فيها العقائد النصرانية عند معتنيها ، وهي التي رسمت التقاليد الكنسية القائمة في الكنائس إلى الآن ، وأقرت كل ما طرأ على النصرانية من تحريفات عقديّة وتشريعية .

ونبدأ بأول هذه المجامع^(٢) وأعظمها أثراً في تاريخ العقيدة النصرانية - وهو مجمع نيقية سنة ٣٢٥م.^(٣)

١ - مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م :

وقد انعقد هذا المجمع بسبب التعارض والاختلاف العقدي الموجود في الكنيسة في تلك الأزمان ، وذلك أنه ما إن توقف الاضطهاد الواقع على النصارى من قبل الرومان بمرسوم ميلان^(٤) حتى ظهر على السطح ذلك الخلاف العقدي الكبير بين طوائف النصارى ، والذي كان يخفيه من قبل الاضطهاد الواقع على طوائف النصارى والذي كان من أسباب رسوخ هذه الانحرافات العقديّة كما سيتبين .

(١) ر . مذكرات إلهاديان .

(٢) نيقية مدينة في تركيا تسمى إلان "أرنك" ر . نشأة الطوائف المسيحية الطوائف المسيحية ٤٤

(٣) مرسوم ميلان أصدره الإمبراطور قسطنطين والإمبراطور ليسينيوس سنة ٣١٣ م ويقضي بإعطاء النصارى الحرية في الديانة

وإرجاع أملاكهم المعتصبة وإقرار حرية إلهاديان عموماً . انظر نص المرسوم في كتاب (تاريخ أوروبا للعصور الوسطى) ص ٥٠ ،

تأليف د . الباز العربي ، وانظر ص ٨٣ من البحث .

(٤) ر . كذلك التفصيل في هذه المجمع وعرضها ، النصرانية والإسلام ، الخلف ، ص ١٩١ - ٢٠٥

وكان أبرز وجوه الاختلاف : ذلك الخلاف والتعارض بين دعوة كنيسة الإسكندرية التي تنادي بالوهية المسيح على مذهب بولس ، وبين دعوة الأسقف الليبي " آريوس " في الإسكندرية أيضاً. الذي وُصِفَ بأنه عالم مثقف ، وواعظ مفوه ، وزاهد متقشف ، وعالم بالتفسير ، حيث أخذ ينادي بأن الله إله واحد غير مولود أزلي ، أما الابن فهو ليس أزلياً وغير مولود من الأب وأن هذا الابن خرج من العدم مثل كل الخلائق حسب مشيئة الله وقصده.^(١)

وشايح آريوس في دعوته العديد من الأساقفة ، منهم أسقف نيقوميديه المسمى أوسابيوس وغيره .

وكان الامبراطور "قسطنطين" في ذلك الوقت قد أبدى تعاطفاً قوياً تجاه النصراني ورفع عنهم الاضطهاد واهتم بشؤونهم^(٢) فهالته مارأى من إنقسام النصراني ، وأدرك خطورة تلك الانقسامات على دولته ، والتي كان أخطرها ما كان بين أسقف كنيسة الإسكندرية الكسندروس وآريوس وأتباعه .

وكان الخلاف قد تطور بينهما وذلك بأن طلب أسقف الإسكندرية عقد مجمع - محلي - في الإسكندرية للنظر في قضية آريوس ودعوته ، فقرر ذلك المجمع طرد آريوس من الخدمة ، وقد أدى هذا إلى خروج " آريوس " من كنيسة الإسكندرية وتوجهه إلى آسيا حيث عقد في " بشينية " بأسيا الصغرى مشايعوه من الأساقفة مجمعاً - محليا - قُرِرَ فيه قبول آريوس وأتباعه وكتابة طلب إلى أسقف الإسكندرية برفع الحرمان الذي قرره عليه.^(٣)

فهذا ما جعل الإمبراطور " قسطنطين " يدعو إلى مجمع عام في نيقية سنة ٣٢٥م لبحث هذه القضية .

(١) ر. كتاب تاريخ الفكر المسيحي (٦١٩/١)

(٢) يرى المؤرخ هـ . فيشر : أن أهداف قسطنطين من ذلك التقريب للنصارى كانت أهدافاً سياسية حيث رأى أن الديانة النصرانية تنتشر على حساب إلهادان الأخرى ، كما أنه أراد أن يكونوا عوناً له في القضاء على امبراطور بيزنطة ليسينيوس . وهذا ما تحقق له فيما بعد وكان قسطنطين يعتبر نفسه الكاهن الأعظم للديانة النصرانية وهو في نفس الوقت يجمع بين عبادة الشمس والإلتساب للنصرانية ، ولم يسمح بتعميده إلا وهو على فراش الموت على مذهب آريوس وذلك سنة ٣٣٧م . ر . تاريخ أوروبا

في العصور الوسطى (تأليف هـ . فيشر ترجمة محمد زيادة ص ٦ - ٧

(٣) انظر تاريخ الفكر المسيحي (٦٢١/١ - ٦٢٢)

ومما نوقش في هذا المجمع مسألة الكتب المشكوك في قداستها سواء تلك التي زادت بها الترجمة السبعينية لأسفار التوراة على الأصل العبري أو غيرها من أسفار النصارى أنفسهم^(١).

وقد اختلف كلام النصارى في ذكر عدد المجتمعين في هذا المجمع فالبعض يرى أن عدد المجتمعين كان ٣١٨ أسقفاً فقط ، وبعضهم يرى أنهم ما بين ٣٠٠ - ٥٢٠^(٢) ويذكر ماري سليمان في كتاب "المجدل" وكذلك ابن البطريق أن عددهم كان (٢٠٤٨) أسقفاً^(٣).

أما مذاهب الحاضرين فكانت متباينة تبايناً شديداً - كما يقول ابن البطريق - لأنهم كانوا مختلفين في الآراء والمعتقدات .

- فمنهم من كان يقول : إن المسيح وأمه إلهان من دون الله وهم البربرانية .

- ومنهم من كان يقول : إن المسيح من الأب بمنزلة شعلة نار انفصلت من شعلة نار فلم تنقص الأولى بإنفصال الثانية منها وهي مقالة سابليوس .

- ومنهم من كان يقول : لم تحبل به مريم تسعة أشهر ، وإنما مر في بطنها كما يمر الماء في الميزاب .

- ومنهم من كان يقول : إن المسيح إنسان مخلوق من اللاهوت كواحد منا في جوهره ، وأن الإبن من مريم ، ويرون أن الله جوهر قديم واحد وأقسوم واحد ولا يؤمنون بالكلمة ولا بالروح القدس ، وهي مقالة بولس الشمشاطي بطريرك أنطاكية .

- ومنهم من كان يقول : إنهم ثلاثة إلهة لم تزل : صالح ، وطالح ، وعدل بينهم . وهي مقالة مرقيون وأصحابه .

- ومنهم من كان يقول : بألوهية المسيح ، وهي مقالة بولس ومقالة الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً^(٤).

(١) في مقارنة إلاديان الشرقاوي ، ٣٢ . وانظر هامش ص ١٠٧ من البحث .

(٢) ر . تاريخ الفكر المسيحي (٦٢١/١ - ٦٢٢) وتاريخ الكنيسة - لجون لوريمر (٤٢/٣)

(٣) ر . كتاب أخبار بطارقة المشرق من كتاب المجدل ص ١٥ ، وكتاب (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء) ص ٢١٢ ، وينقل هذا عن ابن البطريق زكي شنودة في تاريخ الإنباط .

(٤) كتاب محاضرات في النصرانية ص ١٢٤ ، حيث ينقل عن ابن البطريق ، وكذلك نقلها زكي شنودة في كتابه " تاريخ إلباط

" ونقلها عنه د . رزوف شليبي في كتابه " يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء " ص ٢١٢

وبعد أن تداول المجتمعون الآراء في ذلك المجمع خرجوا بتقرير الوهية المسيح التخلّص وبنوته لله - حسب زعمهم - ^(١) وأنه مساوٍ لله جل وعلا ^(٢) ، وأنه مولود منه غير مخلوق - تعالَى الله عن قولهم علواً كبيراً - .

كما قرروا أن هذا الإله تجسد بصورة البشر لخلاص الناس ، ثم ارتفع إلى السماء بعد قيامته من الموت ، وهذا ماتضمنه قانون الإيمان النيقوي ، حيث جاء فيه : " نؤمن بإله واحد الله الأب كلي القدرة ، خالق كل شيء ، ما يرى وما لا يرى ، ونؤمن برب واحد يسوع المسيح ، ابن الله ، المولود من الأب ، إله من إله ، نور من نور ، إله حق من إله حق ، مولود غير مخلوق ، من ذات الجوهر مثل الأب ، به خلق الكل ، ماني السموات وما على الأرض ، الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل وتجسد وعاش بين الناس ، الذي تألم وفي اليوم الثالث قام ، وصعد إلى السموات ، ويأتي ليدين الأحياء والأموات " ^(٣)

كما تقرر في هذا المجمع لعن آريوس ومشاييعه ، وحرقت كتبه ، وقد قرر هذا المجمع كذلك أن تعاليم الدين لا يمكن تلقيها من الكتب رأساً ، بل من أفواه العلماء ورجال الكهنوت وأن أقوالهم حجة ولذلك أمر بتحريق الكتب التي تخالف رأيه وحرمت على الناس قراءتها. ^(٣)

(١) يلاحظ هنا أن نص قانون الإيمان الذي قرره في ذلك المجمع هو النص الذي قدمه أسقف الإسكندرية القائل بألوهية المسيح ، والبعض يذكر أن كلمة " أن الابن من نفس جوهر إلاب " وهي التي كان يدور حولها الخلاف الكبير بين أولئك المجتمعين كانت من اقتراح الإمبراطور قسطنطين . ر . تاريخ الكنيسة (٤٨ / ١) ومن المعلوم أن قسطنطين كان في ذلك الوقت لا يزال وثنياً ، لم يعلن دخوله في النصرانية ، وهذا يدلنا على مستوى تلك الموافقة الظاهرية التي وقعت في ذلك المجمع وأنها إنما كانت تيرزس الإمبراطور ذلك المجمع وتدخله المباشر فيه . وخطورة تلك الإضافة التي ركز عليها في ذلك المجمع أنها نقلت المسيح من أن يكون بشراً مخلوقاً إلى إله خالق ، وأورثت النصرانية كل الانحرافات التي حدثت بعد ذلك والجدل الطويل حول المسيح والمجمعات الكثيرة التي انعقدت حول ما تفرع عن الكلام حول المسيح وطبيعته ، كما جعل النصرانية تنتقل من صف الدين السماوي المراد إلى صف إلهيانية الوضعية التي تقوم على تعدد إلهة وعبادة غير الله . ر . النصرانية والإسلام ، الخلف ، ١٩٦ ، ١٩٧

(*) قال في البحث الصريح : لإعتقاد بأن سيدنا عيسى مسار لله في الجوهر هو بدعة حديثة مستجدة في الديانة النصرانية سنة

٣٦٠م لوحة ٤ .

(٢) تاريخ المسيحية ٤٨ / ١ .

(٣) ر . الكتب السماوية ، ٣٤ ، قصة الحضارة ١١ / ٣٨٧ .

وقد وقع كثير من المجتمعين على هذه القرارات لمناصرة قسطنطين لها ، ويرى ابن البطريق أن (٣١٨) أسقفاً فقط هم الذين أظهروا هذا القول ووقعوا عليه وخالفهم بقية الأساقفة^(١) ، والبعض الآخر يرى أن الجميع وقعوا عليها ماعدا "يوسابيوس" أسقف نيقوميديا في قول بعضهم ، وشخص آخر فقد رفضا التوقيع على ذلك النص^(٢) .

وهكذا انتصر القائلون بالوهية المسيح بمساندة وتأييد الإمبراطور ، حيث ينص المؤرخون على ترأسه لذلك المجمع^(٣)

ومما يدل على أن القول بالوهية المسيح لم يكن مجمعا عليه ما يذكره القس "حنا الحضري" - بعد ذكر الانتصار الذي حققه مشايعو مقولة بولس - قال : " ولكن للأسف الشديد كانت الحقيقة الواقعة تختلف الاختلاف كله عن القرارات الجمعية . فقد رجع الأساقفة بعد مجمع نيقية إلى أبرشياتهم والقسوس إلى كنائسهم وبدأ كل منهم يعلم ما كان يعلم به قبلا . بل ان البعض تطرف في إهرطقة التي فاقت هرطقة "آريوس" نفسه . فمع أن آريوس وبعض أتباعه نفوا إلا أن الأريوسية بنت عشها في حدائق كثيرين من الأساقفة والرعاة^(٤) .

(١) ر . محاضرات في النصرانية ١٢٤ .

(٢) ر . مجموعة الشرع الكنسي ٤٣ ، تاريخ الكنيسة ٤٩ .

(٣) ر . النصرانية والإسلام ، الخلف ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، فيشر ٨ ، تاريخ أوروبا للعصور الوسطى ، الباز العربي ٧٤ . وانظر مجمع نيقية مجموعة الشرع الكنسي ، ٤١ وما بعدها ، نشأة الطوائف المسيحية ٤٤ ، ٤٥ ، المسيحية بين التوحيد والتثليث ، عبد المنعم ٩٦ - ١٠٦ ، المجمع ١٠٢ - ١٠٦ ، أضواء على المسيحية ٩٦ - ١٠٠ ، عقيدتنا التثليث والصلب ٢٨ - ٣٨ ، أهم عوامل انحراف النصرانية ١٨٤ - ١٨٩ ، مختصر تاريخ الكنيسة ٢٨٢ - ٢٨٤ ، لإسفار المقدسة ١٢٥ ، ١٢٦ ، المسيحية ، شلبي ، ١٤٦ - ١٤٩ ، ١٩٨ ، النصرانية من التوحيد إلى التثليث ١٥٧ - ١٨٣ . مجلة تاريخية عن إنقسام الكنسي إبراهيم خليل أحمد ، المنهل ، عدده ، جمادى الأولى ، ١٣٩٨ ، إبريل ، مايو ١٩٧٨ مجلة إلازهر ، ج٤ ، السنة ٥٧ ربيع إلاخرة ١٤٠ هـ ١٩٨٥ ، محمد الحديدي الظير ، إلازهر ، ج٢ ، سنة ٣٨ ، صفر ١٣٨٦ ، ماير ١٩٦٦ ، دين الله ودين القوة ، أحمد حسن الزيات ، والله واحد أم ثالث ص ٢٥ .

(٤) ر . تاريخ الفكر المسيحي ٦٤٣ . وانظر مقالة بورمانس موريس ، ص ٥ مجلة اسلاميات مسيحيات ، روما ، ١٩٧٦ ،

ومن الجدير بالذكر أن الانجيل التي اختارتها الكنيسة كانت مجهولة لدى النصارى ولم تعرف إلا في عصر متأخر حتى قيل : إنه لم يكن معترفاً بها قبل اقرار الكنيسة ويذكر بعض المؤرخين كما ذكرنا أنه لا توجد إشارة إلى إنجيل متى ومرقس ولوقا قبل آخر القرن الثاني أو ابتداء القرن الثالث ، وأول من ذكرها القديس أرينيوس عام ٢٠٩ م وأورد بعض الدلائل على عددها ثم قرر أنها مجرد صور لإنجيل واحد ثم جاء أكليسنس الإسكندري ٢١٦ م فاجتهد وقرر أن الأربعة واجبة التسليم واعترف بصحتها .^(١)

قرر هذا المجمع (نيقية) وجوب تسليم سفر (يهوديت) فقط ويظهر ذلك من المقدمة التي كتبها جيروم على هذا السفر ، فظلت الأسفار الأخرى المشكوك فيها كما هي غير مسلمة من علماء مجمع نيقية^(٢).

ولما كان قرار مجمع نيقية بألوهية المسيح فرض بقوة السلطان فإن السلطان وهو الإمبراطور رجع فيما بعد عنه وأمر بعقد مجمع صور سنة ٣٣٤م وقرر فيه إعادة " آريوس " إلى

(١) ر . الكتب السماوية ٣٣٨ - ٣٤٤ ، الإنجيل والاصليب ١٤ - ١٩

(٢) ثم انعقد مجمع لوديسيا سنة ٣٦٤م فأقر حكم المجلس الأول وزاد عليه وجوب تسليم سبعة أسفار : سفر أستير ، رساله يعقوب ، رساله بطرس الثانية ، رساله يوحنا الثانية ، رساله يهوذا ، رساله بولس إلى العبرانيين . وقرر هذا المجمع إبقاء سفر رؤيا يوحنا مشكوكاً فيه وغير مسلم من الكنيسة . ثم انعقد مجمع قرطاج سنة ٣٩٧ وأعيد انعقاده عام ٤١٩ برئاسة أوغسطس وأقر حكم المجالس السابقة بشأن إلسفار المقدسة المعتمدة والشكوك فيها وزاد عليها وجوب تسليم سبعة أسفار أخرى : الحكمة ، طوبيا ، باروخ ، ايكليزيا ستيكس ، المقايين لإل اول ، المقايين الثاني ، رؤيا يوحنا .

وقد عد سفر باروخ جزءاً من سفر أرميا لأن باروخ كان بمنزلة نائب أرميا وخليفته فلم يكتب اسم سفر باروخ على حده في فهرست أسماء إلسفار ر . في مقارنة لإديان ، الشرفاري ، ٣٢ - ٣٤ ، محاضرات ابراهيم ، ١٣ - ١٧ . قال في علم اللاهوت النظامي : واما زعم البعض ، مجمع لاودكية ٣٦٤ عين قانونيا إلسفار القانونية فغير صحيح والصواب هو ان ذلك المجمع انما ذكر فهرس إلسفار التي كانت مقبولة . ولا ريب انه لما كانت اسفار العهد الجديد قد كتبت وارسلت في أول الامر إلى أفراد وكنائس متفرقة في اقطار العالم خلافاً لاسفار العهد القديم اقتضى وقت طويل لإذاعتها ولعمرتها انها قانونية ص ٩٧ .

الكنيسة ، وخلع "أثناسيوس" أسقف الإسكندرية ، أحد أكبر المدافعين عن عقيدة ألوهية المسيح.^(١)
ويذكر ابن البطريق هذا الجمع بقوله أن أوسابيوس أسقف نيقوميديا كان موحداً من أنصار
أريوس ، تقرب إلى قسطنطين لتزال عنه اللعنة ، وجعله بطريرك القسطنطينية ، وما إن ولي هذه
الولاية حتى صار يعمل للوحدانية في الخفاء فكان الجمع الإقليمي في صور . وهو مجمع لا يذكره
النصارى تصریحاً ، وإن كانت كتاباتهم لا تستطيع إغفاله .^(٢)

وهكذا يتبين أن هذا الجمع الذي يعد من أخطر الجوامع كان ألعوبة بيد الإمبراطور الذي
كان وثنياً ولم يكن من أهل تلك الملة وقت ترأسه ذلك الجمع ، كما أن المجتمعين لم يكونوا
يعتمدون على نصوص متفق عليها مقبولة لدى الجميع وإلا لثم الإذعان لدلولها ، وإنما كانوا
يعتمدون على تصوراتهم أو تصورات أمثالهم من الناس فلماذا وقع الإعراض عنها بعد عودتهم إلى
كنائسهم .^(٣)

وقد استمر نشاط الموحدين بعد هذا الجمع ونفوذهم وعقدت بجامع عدة كان للموحدين
فيها أصوات مرتفعة ، وقد دلت المصادر على أنهم لم يكونوا قلة بل كانوا هم الأكثرية .^(٤)

٢ - مجمع القسطنطينية ٣٨١م:

دعا الإمبراطور " ثيو دسيوس " سنة ٣٨١م إلى عقد مجمع القسطنطينية لمواجهة دعوات
كانت منتشرة بين الكنائس .

- منها دعوة " مقدونيوس " الذي كان أسقفا للقسطنطينية ، الذي نادى بأن الروح
القدس مخلوق وليس إلهاً .

- ودعوة " صابيلوس " الذي كان ينكر وجود ثلاثة أقانيم .

- دعوة " أبوليناريوس " الذين كان أسقفاً على الإذقية والشام والذي أنكر وجود نفس

بشرية في المسيح .

(١) ر . تاريخ الفكر المسيحي ٦٥٠/١ ، تاريخ الكنيسة ٥٩/٣ ، دراسات في إلهيات ، الخلف ١٩٩

(٢) ر . دراسات في إلهيات ، الخلف ، ١٩٨ ، محاضرات في التفسيرية ١٢٩ ، يا أهل الكتاب ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، المسيحية بين

التوحيد والتثليث ١٠٨ ، ١٠٩

(٣) ر . دراسات في إلهيات ، الخلف ، ١٩٩ .

(٤) ر . المسيحية بن التوحيد والتثليث ١٠٩ - ١١٥ ، طائفة المرحدين ٢٥ ، فتحة الحضارة ٤٥ / ٢٠

فحضر ذلك الجمع مائة وخمسون أسقفاً . قرروا فيه ألوهية الروح القدس ولعن وطرد من خالف ذلك مع اثباته لعقيدة نيقية^(١) فاكتمل بذلك ثلوث النصارى بهذا الجمع الأب والإبن والروح القدس ووضع الجمع تكملة قانون الإيمان النيقوي حيث زادوا الإيمان بألوهية الروح القدس .^(٢)

وكما هو ظاهر فإن هذا الجمع عقد بدعوة من الإمبراطور " ثيودسيوس " الذي أمر بانعقاده لمصلحة القائلين بألوهية المسيح والمثلثين من النصارى .^(٣)

وقد عقد عام ٣٨٢ في روما^(٤) مجمع آخر زعم البعض أنه مسكوني ، وفي الواقع أنه لم يكن كذلك ، حيث لم يرد ضمن مجموعة الشرع الكنسي أنه من ضمن المجامع المسكونية، وكان انعقاده لترتيب الأسفار والذي قرر أن تكون أسفار العهد الجديد على الترتيب التالي : الأناجيل الأربعة ، رسائل بولس الأربعة عشر، رؤيا يوحنا و أعمال الرسل — الرسائل الكاثوليكية أو الجامعية وعددها سبعة رسائل .

وقد تلا هذا مجامع أخرى — لاتدخل في نطاق دراستنا — اعتمدت ترتيباً آخر للأسفار المقدسة.^(٥)

(١) ر . مجموعة الشرع الكنسي ص ٢٤١ وما بعدها ، تاريخ الكنيسة (٣ / ١٠٤ ، ١١١) ، النصرانية من التوحيد إلى التثليث ص ١٨٣ ، تاريخ المسيحية حبيب سعيد ١٥٣ ، محاضرات ، ابراهيم ٢٨ ، محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة ١٣٢ ، النصرانية من التوحيد إلى التثليث ١٨٣ - ١٨٤ ، نشأة الطوائف المسيحية ٤٥ ، ٤٦ ، إلسفار المقدسة ، واتي ١٢٦ ، ١٢٧ ، المسيحية ، شليبي ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٩٩ ، عقيدتنا التثليث والصلب ٤٠ ، ٤١ ، يا أهل الكتاب تعالوا ٢١٨ - ٢٢٢ ، أضواء على المسيحية ١٠٠ ، ١٠١ ، المجمع ١٠٧ ، المسيحية بين التوحيد والتثليث ١١٦ - ١١٨ .

(٢) المجمع ١٠٨

(٣) ر . النصرانية والإسلام ٢٠٠ ، ومعاول الهدم والتدمير ٥١ .

(٤) ذكر الطهطاري أنه تم اعتماد الإنجيل الأربعة سنة ٣٢٥ ر . نحمد في التوراة والإنجيل والقرآن ، ٩٥ .

(٥) ر . مقارنة إلهيانات الشرق ١٥ ، ١٦

٣ - مجمع أفسس الاول سنة ٤٣١ م :

وقد انعقد هذا المجمع لمواجهة قول " نسطور" أسقف القسطنطينية ، بأن المسيح له طبيعتان إلهية وإنسانية بشرية^(١) وأن مريم والدة الإنسان وليست والدة الإله .

فعمد المجمع في أفسس سنة ٤٣١ م بحضور مائة وستين أسقفاً وقرر فيه أن المسيح إله وإنسان ذو طبيعة واحدة وأقنوم واحد ، وأن مريم أم الإله وحكم على "نسطور" بالطرده من الكنيسة .^(٢)

وبعد مجمع أفسس عُقدت مجامع عديدة^(٣) كلها تبحث في طبيعة المسيح عليه السلام منها :-

٤ - مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ م :

وفي هذا المجمع عادوا للبحث في طبيعة المسيح وقرر المجتمعون فيه : أن المسيح له طبيعتان إلهية وبشرية وقد قال ابن البطريرق في بيان قرار هذا المجمع قالوا : إن مريم العذراء ولدت إلهنا ربنا يسوع المسيح الذي هو مع أبيه في الطبقة الإلهية ومع الناس في الطبقة الإنسانية وشهدوا أن المسيح له طبيعتان وأقنوم واحد ووجه واحد ولعنوا نسطوريوس ومن يقول مقالته.^(٤)

(١) ر. كتاب تاريخ الفكر المسيحي ١٧٠/٢ ، تاريخ الكنيسة جون لوريمر ٢١٥/٣ ويذكر البعض أن نسطور كان يرى أن

المسيح لم يكن إلهاً وإنما هو إنسان مملوء من البركة والنعمة ، ر. كتاب النصرانية من التوحيد إلى التثليث ١٨٤ .

(٢) ر. مجموعة الشرع الكنسي ص ٢٨٨ ، تاريخ الكنيسة جون لوريمر (٢١٩/٣) ، النصرانية من التوحيد إلى التثليث ١٨٥ ،

محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة ١٣٥ ، يا أهل الكتاب تعالوا ٢٢٣ - ٢٢٦ ، محمد في التوراة والإنجيل والقرآن ٩٠ ، ٩١ ،

المسيح عبود ٩٠ ، لإسفار المقدسة ، واني ١٣٣ ، نشأة الطوائف المسيحية ٤٨ ، مختصر تاريخ الكنيسة ٣٤٦ ، المسيحية ، شلبي

١٩٩ ، أضواء على المسيحية ١٠٢ - ١٠٤ ، النصرانية من التوحيد إلى التثليث ١٨٤ ، ١٨٥ ، عقيدتنا التثليث والصلب ٤٤ -

٤٦ ، المجمع ١١٠ - ١١٤ - دراسات في إلهيانية ص ١٦١ .

(٣) يا أهل الكتاب تعالوا ٢٢٦ ، عقيدتنا التثليث والصلب ٤٧ ، ر. نشأة الطوائف المسيحية ٤٩ ، منها مجمع اللصوص سنة

٤٤٩ ، والذي سمي بذلك لطبيعة إجرائه ، وأنسس الثاني ، المسيحية ، شلبي ١٩٩ ، ر. النصرانية من التوحيد ١٨٥ ، قصة

الحضارة ١٤ / ١٠٢

(٤) محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة ١٣٨

وكان المناصرون لهذا القول هم الأساقفة الغربيون (الكاثوليك) الذين لعنوا وطرردوا من لا يقول بهذا القول. ولم توافقهم الكنائس الشرقية على هذا وقد أصروا على قرارهم السابق في مجمع " أفسس " بأن المسيح له طبيعة واحدة إلهية وبشرية^(*)، وهذا من أهم الفوارق بين الكاثوليك القائلين بالطبيعتين ، والأقباط والأرمن والسريان القائلين بالطبيعة الواحدة^(١).

وهنا نرى انشقاقاً بين النصرانية المثلثة ، واختلافاً سيكون بعيد المدى في الأجيال المقبلة، وهو أساس اختلاف الكنائس إلى يومنا الحاضر، فهذا المجمع يرى أن المسيح له طبيعتان أحدهما انسانية يشارك فيها الناس والأخرى لا هوتية ، وأقنوم الإبن مكون من الطبيعتين ، وهو بذلك يخالف النسطوريين القائلين أن أقنوم الإبن لم يكن من العنصرين ، بل من العنصر الإنساني وحده، ويخالف قرار أفسس الثاني الذي يقول أن المسيح له طبيعة واحدة تجسد فيها العنصر اللاهوتي من الروح القدس ، ومن مريم العذراء مُصَيِّراً هذا الجسد معه واحداً وحدة ذاتية جوهرية منزهة عن الاختلاط والاستحالة ، بريئة من الانفصال ، وبهذا الاتحاد صار الإبن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين ، ومشية واحدة ، وقد بدت آثار ذلك المجمع سريعة واضحة. فإن المصريين عندما بلغهم ما نزل برئيس كنيستهم غضبوا ، وأجمعوا أمرهم على عدم الاعتراف بقرارات ذلك المجمع .

ولقد اشتد النزاع بسبب هذا بين المصريين والرومان فثار المصريون وغضبوا عندما رأوا بطريركا يعين على غير مذهبهم . وعلى غير رغبتهم، فصاروا يتحينون الفرص ، كلما لاحت لهم . وظهر للمذهب المصري داعية قوي الشكيمة قوي العارضة ، بليغ الأثر ، اسمه يعقوب البرازعي ، قد أخذ يدعو الناس إلى اعتناق مذهب الكنيسة المصرية ، ومن ذلك الحين أطلقت كلمة يعقوبيين على جميع الذين يذهبون إلى أن للمسيح طبيعة واحدة اشتقاقاً من اسم يعقوب البرازعي زعيم هذا الحزب .

(١) مجموعة الشرع الكنسي ٣٦٤ وما بعدها ، المجمع ١١٤ - ١١٧ ، يا أهل الكتاب تعالو ٢٢٧ - ٢٩٩ ، المسيح ، عبود ٩٠ ، المسيحية من التوحيد والتثليث ١٨٥ - ١٨٦ ، عقيدتا التثليث والصلب ، ٤٧ ، النصرانية من التوحيد إلى التثليث ، ١٨٦ ، المسيحية ، شليبي ١٩٤ ، نشأة الطوائف المسيحية ٥٠ ، ٥١ ، محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة ١٣٧ ، لإسفار المقدسة ، وافي ١٣٣ ، أضواء على المسيحية ١٠٤ - ١٠٦ - دراسات في إلهيات ص ١٦٢ .

(*) يلاحظ أن لازم ذلك هو أن المسيح - تعالى الله عن قولهم - كان إلهاً وهو في بطن أمه ، وأمه مريم حملت بالإله ، فهي بهذا عندهم والدة الإله - تعالى عن قولهم وقتلهم الله أنى يؤفكون - وهذا الكلام كما أنه لا دليل شرعي عليه ، فهو مرفوض عقلاً ، ولا يمكن بحال تصوره ، كما أنهم لا يستطيعون أن يفيموا على هذا أدنى دليل ، وإن دل ذلك فإنما يدل على فساد عقولهم وعظيم

ولكن من الخلط الكبير ، إطلاق لفظ يعقوبيين على الكنيسة القبطية المصرية ؛ لأن مذهبها نشأ قبله ، وهو تبعه ، إذ لا علاقة لها بيعقوب .^(١)

وقد أطلق على الكنيسة الغربية اسم الكاثوليك والشرقية اسم الأرثوذكس .^(٢)
أما مذهب الأرثوذكس : فيقضي بأن للمسيح طبيعة واحدة ومشيتة واحدة والعدراء تدعى والدة الإله . وعلى هذا المذهب تستقر عقائد كل من مصر والحبشة وأثيوبيا ومعظم مناطق إفريقيا .

ومذهب الكاثوليك : يقضي بأن للمسيح طبيعتين ومشيتين فالمسيح أقنوم إلهي بحت له طبيعة إلهية وطبيعة بشرية ومن الملاحظ في هذا المذهب أنه بنى في شكله على مذهب نسطور الذي قال بطبيعتين في المسيح إلا أن روح هذا المذهب الكاثوليكي تختلف عن مذهب نسطور ، ووجه الاختلاف في أن نسطور كان يرى بأن المسيح انسان قد اتصل به اللاهوت بعد ولادته وأفاض عليه ولذلك فان مريم لم تكن إلا إنساناً .

أما الكاثوليك فيرون أن مريم ولدت الاثنتين جميعاً فهي قد ولدت يسوع الذي هو مع أبيه في الطبيعة الإلهية ومع الناس في الطبيعة الإنسانية فهو طبيعتان ومشيتان وأقنوم واحد .

ويبدو أن الانقسام حول طبيعة المسيح الغير مفهومة في العقيدة الجديدة لم تتوقف عند هذا الحد فحسب بل بدأ يتحول داخل أصحاب المذهب الواحد ، ولذلك تراجعت بعض الصفوف في الكنيسة الأرثوذكسية عن مذهبها في المسيح - منها كنيسة أورشليم - وهي من الكنائس الشرقية التابعة للأرثوذكس والتي ارتضت قرارات خلقدونية - القائلة بالطبيعتين - التي رفضتها الكنيسة المصرية القبطية .^(٣)

(١) ر. المسيحية من التوحيد والتثليث ١٨٦ ، ١٨٧ . إذا سميت الكنيسة الرومانية بالكنيسة الملكية ، فهي تسمية صائبة ، لأن هذا الاسم صار علماً للكنيسة المذكورة من بعد الفتح الإسلامي ، وهو اسم عربي لإصل مشتق من كلمة ملك ، ومعناها الذين ينحازون إلى الملك ، أو الإمبراطور الروماني مذهباً وسياسةً .

(٢) ر. النصرانية من التوحيد والتثليث ١٨٧

(٣) ر. المسيحية من التوحيد والتثليث ١٨٧ - ١٩٠ ، المجمع ١٢٤ ، يا أهل الكتاب تعالروا ٢٤٢

وهكذا كانت هذه المجامع الأربعة السابقة هي التي أقرت بها العقيدة النصرانية الحاضرة . فأولها قرر ألوهية المسيح ، وثانيها قرر ألوهية الروح القدس ، وثالثها قرر أن المسيح اجتمع فيه الإنسان والإله لا الإنسان فقط وإن مريم ولدت الاثنين . ورابعها قرر أن المسيح ذو طبيعتين منفصلتين لا طبيعة واحدة محددة .

والمجامع الثلاثة الأولى اتفقوا على أنها مجامع عامة - وإن كانت لم تتحقق فيها صفة العموميّة ، أما المجمع الرابع فهو ليس مجمعاً عاماً في نظر المصريين والكنايس التي تنهج نهج كنيستهم .

والمجامع التالية بعد ذلك ليس فيها مجمع قد أجمع عليه النصارى بأنه مجمع مسكوني كما يعبرون ، فكل هذه المجامع لم تمثل فيها الكنيسة المصرية بعد إنشقاقها عن كنيسة روما أو إنشقاق كنيسة روما عنها .

٥- مجمع القسطنطينية الثاني سنة ٥٥٣ م :

وقد حضره مائة وأربعون أسقفاً و كان سبب انعقاده كما يقول ابن البطريق أن بعض الأساقفة اعتنق فكرة تناسخ الأرواح حتى قال بعضهم أنه ليس هناك قيامة وزعم بعضهم أن شخص المسيح لم يكن حقيقياً بل كان خيالياً^(١). وقرر هذا المجمع فساد هذه العقيدة وبطلانها وأكدوا أن القيامة حق والبعث حق والحساب حق والجزاء حق كما قرروا حرمان أولئك الذين نادوا بتناسخ الأرواح .^(٢)

بينما ترى دائرة معارف الدين والأخلاق أن عقده كان للدفاع عن النسطورية وتأكيداً للقول بالطبيعة الواحدة للمسيح .^(٣)

ويرفض د . رؤوف شليبي الرأي الذي يقول أنه عقد لإقرار ما توصل له مجمع خلقدونية ، ويرى أن المجتمعين قد أيدوا مذهب الطبيعة الواحدة ولعنوا أصحاب فكرة تناسخ الأرواح وطردوهم وأثبتوا أن عيسى كان شخصية حقيقية ولعنوا كل من قال إنه خيال .^(٤)

(١) ر . المجمع ١١٧

(٢) ر . محاضرات ، ابراهيم ٣٢ ، محاضرات في النصرانية ، أبر زهرة ١٤٢ ، ١٤٣ ، المسيحية شليبي ١٩٩ ، أضواء على

المسيحية ١١٠ ، عقيدتنا التليث والصلب ٥٢ ، يا أهل الكتاب تعالوا ٢٣١ - ٢٣٤ ، المجمع ١١٧ - ١١٨

(٣) ١٩٢ ، ١٩١ / ٤

(٤) ر . يا أهل الكتاب تعالوا ٢٣٣ ، المجمع ١١٨ ، وجموعه الشرع الكنسي ٤٤٦ وما بعدها .

بجامع بعد بعثة النبي ﷺ عام ٦١٠ م :

٦- مجمع القسطنطينية الثالث ٦٨٠ م

نادى يوحنا مارون بسوريا أن يسوع ذو طبيعتين طبيعة إلهية وطبيعة ناسوتية وهو ذو مشيئة إلهية واحدة فانعقد المجمع بمدينة القسطنطينية لبحث هذا القول وقرر أن يسوع ذو طبيعتين طبيعة إلهية وطبيعة ناسوتية وذو مشيئتين مشيئة إلهية ومشيئة ناسوتية . إلا أن السوريين تشبثوا بقول يوحنا مارون السابق وانشطروا منفصلين عن الكنيسة الأم منشئين كنيسة الموارنة بالشام على أساس المشيئة الإلهية الواحدة .^(١)

وهو ما يعني انقسام الكنيسة الكاثوليكية القائلة بالطبيعتين ، حيث فارقت الكنيسة المارونية - بعد هذا المجمع - الكنيسة الأم و قالت بالمشيئة الواحدة لطبيعتي المسيح ، خلافاً لمن قال بالطبيعتين والمشيئتين .^(٢)

٧- مجمع نيقية الثاني ٧٨٧ م :

دعا الإمبراطور قسطنطين الخامس سنة ٧٥٤ م إلى عقد مجمع بمدينة القسطنطينية ، دعا فيه إلى تحريم اتخاذ الصور والتماثيل ، وحرّم طلب الشفاعة من العذراء ، وقد اعتذر عن حضور هذا المجمع بطاركة أنطاكية ، وبيت المقدس ، والإسكندرية ، ولم يحضره سوى ٣٤٠ أسقفاً ، برئاسة بطريرك القسطنطينية ، ولهذا لم يعتبر هذا المجمع مسكونياً على الحقيقة .

ولأجل هذا انعقد مجمع نيقية الثاني سنة ٧٨٧ م ، وكان جمعا مسكونياً ، حضره ٣٧٧ أسقفاً ، وأصدروا القرار بتقديس صور المسيح والقديسين وعبادتها .

(١) محاضرات ، ابراهيم ٣٣ ، محاضرات في النصرانية ، أبوزهرة ١٤٣ ، ١٤٤ ، لإسفار المقدسة ، وافي ١٣٤ ، المسيحية ،

شلي ١٩٥ ، ٢٠٠ ، أضواء ، على المسيحية ١١١ ، عقيدتا التثليث والصلب ٥٣ ، يا أهل الكتاب تعالوا ٢٣٤ — ٢٣٥ ، المجمع

١١٨ - ١٢٠ ، مجموعة الشرع الكنسي ٤٨٦ وما بعدها

(٢) المجمع ١٢٤

وقد وافق عليه عدد كبير من الكنائس فاعتبروه عاماً ، وخالفته أخرى فلم تعتبره كذلك.^(١)

٨- مجمع القسطنطينية الرابع عام ٨٦٩ م :

وقد انعقد بسبب الخلاف بين كنيسة القسطنطينية وكنيسة روما في الروح القدس هل انبثق من الأب فقط وهو زعم كنيسة القسطنطينية ، أم من الأب والإبن معاً كما هو زعم كنيسة روما؟ حيث نادى الأسقف " فوسيوس " أسقف القسطنطينية بأن الروح القدس منبثق عن الأب فقط وقد قرر هذا المجمع أن الروح القدس منبثق عن الأب والإبن وهو قول كنيسة روما. كما قرر حرمان فوسيوس ونفيه من البلاد.^(٢)

٩- مجمع القسطنطينية الخامس سنة ٨٧٩ م :

لم تكتمل تمضي عشر سنوات على المجمع الأخير حتى استعاد الأسقف فوسيوس مكانته وانعقد هذا المجمع وأصدر قراراته ببطلان قرارات المجمع السابق المنعقد عام ٨٦٩ م ، وأكد أن الروح القدس منبثق من الأب فقط ، ونجم عن هذا انشطار الكنيسة إلى الروم الأرثوذكس ، والروم الكاثوليك فظهرت كنيسة الروم الأرثوذكس بالقسطنطينية في الشرق وكنيسة الروم الكاثوليك في الغرب ونشأ كرسي البابوية في الشرق نظير كرسي البابوية في الغرب ، ونجم عن ذلك عدم الاعتراف بابا روما على الإطلاق مع إختلافات جوهرية عقديّة بينهما.^(٣)

(١) ر. محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة ١٤٤ ، ١٤٥ ، مختصر تاريخ الكنيسة ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، يا أهل الكتاب تعالوا ٢٣٥ -

٢٣٩ ، أضواء على المسيحية ١١١ ، قصة الحضارة ١٩/٧ ، وقد ذكر في قصة الحضارة أن عدد إلساقفة فيه ٣٥٠ ، المجمع ١٢٠ -

١٢١ ، مجموعة الشرع الكنسي ٧٦١ وما بعدها .

(٢) ر. محاضرات ، ابراهيم ٣٣ ، النصرانية والإسلام ، الخلف ٢٠٢ ، محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة ١٤٥ ، إلسفار المقدسة

، واني ١٣٥ ، المسيحية شلبي ٢٠٠ ، المجمع ١٢٢ ، أضواء على المسيحية ، المجمع ١٢٠ - ١٢١ ، مجموعة الشرع الكنسي

٧٦١ وما بعدها .

(٢) محاضرات ، ابراهيم ٣٣ ، النصرانية والإسلام ، الخلف ٢٠٢ ، محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة ١٤٥ ، إلسفار المقدسة ،

واني ١٣٥ ، المسيحية ، شلبي ٢٠٠ ، المجمع ١٢٢ ، أضواء على المسيحية ١١٢ ، يا أهل الكتاب تعالوا ٢٤

(٣) ر. محاضرات ، ابراهيم ٣٣ ، ٣٤ ، دراسات في إلبديان ، الخلف ٢٠٢ ، محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة ١٤٦ ، إلسفار

المقدسة ، واني ١٣٥ ، المسيحية شلبي ٢٠٠ ، أضواء على المسيحية ١١٣ ، يا أهل الكتاب تعالوا ٢٤٠ - ٢٤٢ ، مجموعة الشرع

وهكذا كان هذان المجمعان هما السبب في انقسام الكنيسة إلى شرقية يونانية وغربية لاتينية، وتسمى البطرسيّة لكون مشايعها يعتقدون أن مؤسسها الأول هو بطرس الرسول في زعمهم وأنه كبير الحوارين ورئيسهم ، وتسمى الغربية لكون سلطانها في بلاد الغرب .

وأما الكنيسة اليونانية ويقال لها أيضاً كنيسة الروم الأرثوذكسية أو الكنيسة الشرقية فأكثر مشايعها في الشرق وسلطانها منه وهي تشارك مع الكنيسة الكاثوليكية في كثير من التقاليد النصرانية ولكنها تحالفها في انبثاق الروح القدس فتقول إنه من الأب فقط ، كما بينا ولا تعترف إلا بالمجامع السابقة على الجمع الذي أوجد الانفصال - السبعة التي سبقت مجمع القسطنطينية الأخير - كما لا تعترف لبابا رومية بالسيادة أو الرئاسة .

ولكن مرور الزمن وما أحيط به من تقديس بين مشايعهم وعند الملوك وكثرة معتنقي مذهبه تساهل الكنيسة الشرقية فتعترف له بالتقدم بالسلطان ، ويليه في الرتبة بطريرك القسطنطينية والمشايعون لها في بلاد روسيا واليونان والعرب وكثير من جزر البحر الأبيض وغير هؤلاء .^(١)

وهكذا تقرر الانفصال بين الكنائس على النحو التالي :

١ . الكنيسة المصرية بالإسكندرية وحدها ، ومقر رئاستها القاهرة ، وقد انشقت عام ٤٥١ حيث لم توافق على قرارات مجمع خلقدونية .

٢ . الكنيسة المارونية في سوريا وانشقت عام ٦٨٠ م ، حيث لم توافق على قرارات مجمع القسطنطينية الثالث .

٣ . الكنيسة الشرقية اليونانية الأرثوذكسية وحدها ، ومقر رئاستها القسطنطينية .

٤ . الكنيسة الغربية البطرسية البابوية وحدها ، ومقر رئاستها روما .

وكل المجامع الاتية بعد هذا لا يمكن أن تدعى أنها مجامع مسكونية عامة بل هي : إما محلية مذهبية خاصة ، أو اقليمية محدودة ذات غرض شخصي محدد .^(٢) غير أن هناك مجمعا مسكونياً عقد سنة ١٩٦٤م لتبرئة اليهود من دم المسيح .^(٣)

والواقع أنه من خلال دراستنا للمجامع المسكونية وما تقرر فيها يتبين لنا أن النصراني لا يملكون أدلة صحيحة صريحة يستندون إليها في عقائدهم ، لهذا اختلفوا تلك الاختلافات الخطيرة التي تمس جميع جوانب العقيدة لديهم على نحو ما هو واضح فيما قدمناه .

(١) ر . محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة ، ١٤٦ ، ١٤٧ .

(٢) ر . أضواء على المسيحية ١١٤

(٣) ر . وثائق المجمع المسكوني الثاني للفاثيكان المنعقد في الفترة ١٩٦٢ - ١٩٦٥ ، الطبعة الثانية .

- وما يستند اليه النصرارى ويتحمسون له لا يعدو أن يكون فهما خاصا يسعى أصحابه لتثيته عن طريق تلك المجمع ، ولا يخلو الأمر من الأهواء والأغراض الخاصة من حب الرئاسة وفرض السيطرة .

- ولم تكن هذه المجمع في يوم من الأيام هيئات شورية يتبادل فيها القساوسة الآراء تبادلا حرا ، ويتوصلون فيها إلى الحق بأدلته ، بل كانت تعقد في أغلب الأحيان لفرض رأي أو تصور معين ، وبقوة السلطان أو قوة الكنيسة .

ولقد كانت تلك المجمع أداة بيد الأباطرة الرومان يسخرونها لرغباتهم في التوسع والسيطرة أو تحقيق أغراض سياسية .

- ولقد رأينا فيما سبق كيف أن المجمع قررت قرارات عقديّة معينة ، ولعنت وحرمت من لم يقلق بها ، وقررت أن سبيل النجاة هو اعتقاد تلك العقائد ، وهنا سؤال يطرح نفسه : ما هو حال حوارىي المسيح وأوائل النصرارى الذين لم يكونوا يعتقدون تلك العقائد ، ولم يتكلموا فيها بكلمة واحدة كالتثليث وطبيعة المسيح وانبثاق الروح القدس من الاب أو الابن معا إلى غير ذلك .

- لقد صاغت المجمع العقائد بكل تفاصيلها ، دون أن يكون لها أصول نصية شرعية ، مما يجعلنا نقرر انها ليست إلا عملا بشريا .

ونبرز فيما يلي أهم ما كان لهذه المجمع من آثار في تحريف العقيدة النصرانية :
أولاً : نمت البذرة التي وضعها بولس في الانحراف بالنصرانية عن عقيدة التوحيد ، فقررت هذه المجمع ألوهية المسيح ، مع ما وقع بين هذه المجمع المتتابعة من تضارب فيما قررت بشأن طبيعة المسيح ، وهل هو ذو طبيعة واحدة ومشئئة واحدة ، أو ذو طبيعتين ومشئتين .

ثانياً : تقررت في هذه المجمع عقيدة التثليث بعد أن تقرر تأليه روح القدس ، بالإضافة إلى الأب والابن منحرفة بذلك عن مسار التوحيد ، وقد غلبت هذه العقيدة على الديانة النصرانية منذ بداية القرن الرابع ، متأثرة فيما قررت بالفلسفة الأفلاطونية الحديثة . والتي تزعمها أفلوطين في القرن الثالث الميلادي وإليه تنسب الأفلوطينية الحديثة وكانت آراء هذه المدرسة تلخص في الآتي :

- أن الله هو منشئ الأشياء ولا يحتاج إلى موجد .

- أن العقل هو أول شيء صدر عنه كأنه يتولد منه .

- ومن العقل انبثقت الروح التي هي وحدة الأرواح .

— فمن هذا الثالوث يصدر كل شيء ومنه تولد كل شيء . وقد نشأ بطريرك الإسكندرية الذي كان له الدور الأكبر في مجمع نيقية في هذه البيئة التي انتعش فيها مذهب أفلوطين ، لذلك لم يكن عجباً منه عند تواجده في مجمع نيقية أن يكون من المدافعين بشدة عن عقيدة التثليث وتكرر منه ذلك في المجمع القسطنطيني الأول حتى صارت عقيدة وقراراً لكل من المجتمعين سرت بعد ذلك إلى جميع الكنائس النصرانية .

أما عن السر في ميل أباطرة الرومان إلى عقيدة ألوهية المسيح والموت والقيامة فيوضحه ماجاء في كتاب مصادر المسيحية وأصول النصرانية نقلاً عن تاريخ سوريا للمطران "يوسف" الدبس " أن القديس بوسستنيوس قال في عريضته للقيصر أدريان انطونيوس . إننا إذ نقول أن الله خلق ونظم العالم لا نقول إلا ما قاله إفلاطون وإن قلنا بعد الموت حياة أخرى يعاقب فيها الأشرار ويناب الأبرار فلا نقول إلا ما قاله شعراؤكم وفلاسفتكم ، وإن قلنا أنه لا يلزم أن نسجد لعمل الالهيين فذلك قول شعراؤكم ، وإن قلنا أن الكلمة أو ابن الله البكر قد تجسد بنوع خارق للطبيعة وعلق على الصليب ثم قام وصعد إلى السماء فلا يحق لكم أن تستغربوا هذا المقال لأنكم تعززون هذه الأمور إلى من تدعون أنهم أبناء المشتري وإلى بعض ملوككم .^(١)

ونستخلص من كل ذلك أن الوثنية وقد كانت غالبية على أهل الأرض دفعت المتأثرين بها والذين اعتنقوا النصرانية إلى أن يستمدوا مما رسخ في إذهانهم واستقر في خيالهم من أمور الشرك ما طمسوا به الحق السماوي الذي جاء به المسيح عليه السلام من عقيدة نيقية في التوحيد المجرد لله وحده ، وأنه إنسان مرسل بالحق طبقاً لما ورد الإصحاح الثامن من عدد ٤٠ من إنجيل يوحنا مخاطباً اليهود ن قال : " ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعته من الله " فمسحوا ذلك بعقيدتهم الحالية التي تركز على التثليث كما قدمنا سالفاً .

ثالثاً : فتحت هذه المجامع الباب على مصراعيه للخصوم والشقاق بين النصارى في البلاد المختلفة^(٢) ، وتحول الانحراف عند الطوائف إلى عقائد ثابتة تأكدت في وثائق إيمانية معترف بها .

(١) ر. تاريخ سورية ٤٣/٢ .

٢ ر. في ذلك تاريخ الإقباط ١ / ١٧٦ ، المسيحية ، شلي ٢٠١ .

رابعاً : تتحمل الجماع - ولاسيما مجمع نيقية - مسئولية ضياع النسخة الاصلية للإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام ، وذلك بما قررت من اعتماد الأناجيل الأربعة المعروفة ، وحرقت جميع ماسواها وتحريم قراءتها ، بما ترتب على ذلك من ضياع أصول العقيدة النصرانية الصحيحة . أما هذه الأناجيل المعتمدة فليست في حقيقتها إلا مجرد سير ذاتية للمسيح عليه السلام لارحيا إلهيا مع ما بينها من التضارب الشكلي والموضوعي . ولت الأمر اقتصر على هذا ، ذلك أن الكنيسة لم تحفظ هذه الأناجيل الأربعة نفسها من التحريف بعد أن فرضتها على أتباعها .

خامساً : لقد كانت الجماع من أعظم أسباب الفرقة والاختلاف بين الكنائس النصرانية ، ذلك أن المجتمعين في تلك الجماع لم يخرجوا في واحد منها متفقين على عقيدة واحدة ، بل كلما اجتمعوا في مجمع يزداد اختلافهم ، وبالتالي انقسامهم ، وبذلك انقسمت الكنائس فيما بينها بسبب اختلاف موقفها فيما تقرره أو ترفضه الجماع من العقائد .

سادساً : لما كانت الجماع تتكون من اساقفة الكنائس ، وكانت تجتمع اما تلبية لأمر الإمبراطور ليفرض عن طريقهم ما يريد من عقائد ترتبط بمحاجاته السياسية ، أو استجابة من الإمبراطور لرغبتهم ، وانعقاد هذه الجماع ليفرضوا عن طريقها من العقائد ما يريدون ، بغض النظر عن مدى صحتها ، ومدى مطابقتها للنصوص العقدية - لما كانت الجماع بهذه المثابة فانها كانت في الواقع تمثل سلطة مطلقة تفرض على النصراني ماتشاء من العقائد ، ولاتدع لأي نصراني حرية استقاء العقائد من النصوص المقدسة على الوجه الصحيح ، فإذا أضفنا إلى ذلك ماقرره أحد الجماع من عصمة البابا ، (*) فان ذلك يعني تقرير سلطانه المطلق في أمر العقيدة .

وقد ساعد كل ذلك على فرض مايريد الأساقفة والبابوات من عقائد محرفة ليس بينها وبين العقيدة التوحيدية الأولى أدنى صلة .^١

ولعل هذا يوضحه ماقرره مجمع نيقية الأول سنة ٣٢٥ م ، والذي قرر أن تعاليم الدين لايمكن تلقيها من الكتب رأسا ، بل من أفواه العلماء ورجال الكهنوت ، وأن أقوالهم حجة .

ومن قبله ماكتبه الأسقف "اجناسيوس" أسقف أنطاكية سنة ١٠٧ م إلى النصراني في "سميرنا" :

(*) وهو مجمع روما الذي عقد عام ١٧٦٩م والذي تقرر فيه عصمة البابا في روما . ر. النصرانية والإسلام ، الخلف ، ٢٠٢ .

" عليكم جميعاً أن تطيعوا آباء السماء كما أطاع عيسى أباه ، أطيعوا أئمتكم الروحانيين كما تطيعون الرسل ، ولا يباشر أحد منكم شيئاً من الشؤون التي تقوم بها الكنيسة (كالتمديد والزواج وحضور الموت والصلاة) بدون حضور آباء الكنيسة ، وأنى يوجد الأسقف فإن حضوره يُعدّ حضوراً للمسيح نفسه تبعاً لتعاليم الكنيسة الكاثوليكية "

" الاب والأئمة الروحانيون لهم سلطان لقيادتنا وإرشادنا باسم المسيح ، فمن أيديهم نتلقى حياة الطهر عن طريق التعميد ، وهم الذين يعطوننا الخبز المقدس في العشاء الرباني ، وهم الذين يربوننا لنصبح أبناء الله ، وهم عوض عيسى وآبائنا الروحانيين ، فعلينا أن نتمتع في احترامهم وحبهم وطاعتهم "

" وكل رجال الكنيسة العظام من الأب المقدس إلى الاساقفة يصدرن الأوامر لتنظيم الكنيسة ولسلامة المسيحيين من الذنوب وإلهوم النفسية وتشجيعهم على فهم الحياة الكنسية "

" والمسيحيون أعضاء يتكون منهم جسد عيسى المقدس فعليهم أن يمتثلوا لأوامر الاساقفة وأن يسلموا أنفسهم للآباء الروحانيين " (١)

وهكذا فإن الجماع النصرانية هي المصدر الحقيقي للديانة النصرانية المحرفة ، لأن تلك الفهوم التي كانت تقرر وتصدر وفقها القرارات لم تكن تعتمد على نصوص قطعية واضحة ، بل أحياناً كانت تعتمد على نصوص متشابهة وكلام محتمل لأكثر من معنى ويكون من أقلها احتمالاً المفهوم الذي تدعيه الكنيسة .

سابعاً : كان تقرير الجماع لعقيدة التثليث ، أو العقائد المحرفة عموماً يقتزن دائماً بلعن دعاة التوحيد أو المخالفين عموماً لقرارات الأغلبية في الجماع واضطهادهم وعلان طردهم من الكنيسة ، وقد أدى هذا الموقف إلى تثبيت العقائد المحرفة على حساب عقيدة التوحيد الصحيحة في عقول النصارى وقلوبهم .

ثامناً : كان نتيجة لانقسام الكنائس – على نحو ما فصلنا فيه القول سابقاً أن فسدت الكنيسة بشقيها الشرقي والغربي ، وامتد فسادها إلى خارج حدودها داخل المجتمع النصراني ، ودخلت الخرافات والأساطير والتقاليد الوثنية في صلب عقائدها وتعاليمها وطقوسها ، وامتزج كل ذلك بالتفسيرات المتناقضة لنصوص الأناجيل ، وقد ظهر هذا في جماع لاحقة عقدت فيما بعد بشأن الطقوس الدينية ، وهو مما اختلفت فيه الكنائس أيضاً .

ومن أمثلة ذلك :

مسألة الاستحالة أو العشاء الرباني.

وقد ذكرنا^(١) عقيدة النصارى في ذلك ولكن الجديد هنا أنها أصبحت شعيرة لها سماتها، حيث يعتقد النصارى بتحول الخمر إلى دم ويستحيل الخبز إلى لحم ، لحم شخص معروف ، بل إله معبود لدى القوم .

وقد ثبت من نصوص العهد القديم والجديد ما يدل على بطلان هذه الحادثة من أساسها^(٢). ومن ثم فالنص المعتمد عليه في مسألة الاستحالة نص باطل وكاذب وكان على الكنيسة أن تفكر قبل أن تشرع ولكنها كما يقول الشيخ أبو زهرة : " فرضت على الناس قبوله ومنعتهم من مناقشته وإلا عرضوا للطرد والحرمان ..."^(٣)

أما المسألة الثانية :

فهي مسألة إمتلاك الكنيسة حق الغفران للمسيء في الدنيا وهي من المسائل التي أبرزتها الكنيسة إلى حيز الوجود بدون دليل أو برهان حتى تعطي لنفسها قوة تفوق قوة أي سلطان ومن ثم تكون باسم الثالث صاحبة الأمر والنهي وعقدت لهذه المسألة المجمع الثاني عشر . والذي ضرب بسيف الحرمان على كل من كان له اعتراض على هذا القرار .

ثم تبع ذلك الاعتراف بالذنب أمام القساوسة وما كان يحدث في خلوات الاعتراف من فضائح . تلا ذلك ما روجته الكنيسة من عصمة البابا وذلك في بيان عام لتابعيها ، وجعل طاعة آباء الكنيسة كطاعة عيسى عليه السلام^(٤) .

وهكذا بعدت النصرانية بعداً تاماً عن تعاليم المسيح عليه السلام وظهرت على السطح باسم الثالث نصرانية جديدة فاسدة تسمى نصرانية القساوسة .

(١) ر. ص ١٥٩ ، ٣٤١

(٢) المسيحية من التوحيد والتثليث ٢٠٣ .

(٣) محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة .

(٤) ر. المسيحية بين التوحيد والتثليث ٢٠٣ .

ويصدق عليهم فيما يدعونه من عقيدة ويشرعونه للناس أنهم جعلوا أنفسهم أرباباً من دون
الله يخلون ويحرمون فينطبق عليهم قول الله ﴿وقالت اليهود عن سر ابن الله وقالت النصارى
المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يظاهرون قول الذين كفروا من قبل قائلهم الله أنى يؤفكون﴾
إتخذوا أجبارهم ومرهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم ﴿
التوبة آية (٣١)

الباب الثالث

العوامل الخارجية وأثرها في تحريف رسالة المسيح عليه السلام

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : أثر الإضطهاد في تحريف النصرانية .

الفصل الثاني : أثر الوثنيات القديمة في تحريف النصرانية .

الفصل الثالث : أثر الفلسفة في تحريف العقيدة النصرانية .

الفصل الأول

أثر الاضطهاد في تحريف النصرانية

ظلت النصرانية دعوة خاصة ببني اسرائيل طوال حياة المسيح عليه السلام على الأرض ، وذلك لتصحيح ما طرأ على اليهودية بعد موسى عليه السلام .

ولكن الموقف العدائي من اليهود لهذه الدعوة والذي كانت خاتمته المؤامرة التي دبروها للخلاص من المسيح عليه السلام كما تحدثنا جعلت حواريه المخلصين يهربون للنجاة بعيداً عن ظلم اليهود ووحشيتهم ، ومثل هؤلاء اليهود الجبهة الأولى للعداء والاضطهاد .

وعندما خرجت الدعوة إلى التعاليم النصرانية عن نطاقهم وجدت إقبالا من الشعوب الوثنية ، وانتشر الدين الجديد في المناطق الخاضعة للحكم الروماني ، مما عرض أتباع الدولة الجديدة لاضطهاد الرومان ، الذين وجدوا فيهم شعباً متمرداً فلجأ إلى وسائل العنف والقسوة وأطلقوا التقتيل والإبادة .

وعلى مدى ثلاثمائة عام امتدت يد التعذيب والاضطهاد لأتباع المسيح حتى استطاعت النصرانية بعد ذلك أن تحقق نصراً جزئياً في مطلع القرن الرابع باعتراف قسطنطين النصرانية ، ثم كانت الاضطهادات فيما بعد بين اتباع المذاهب النصرانية المختلفة بعضهم لبعض كما ذكرنا .

وهكذا واجه النصارى أنواعاً عدة من الاضطهاد على أيدي اليهود فالرومان فالنصارى أنفسهم ^(١) .

وقد كان لهذه الاضطهادات الأثر الأكبر في تحريف دين المسيح عليه السلام ، وضياح نصوصه المقدسة .

وقبل ان نعرض تأثيرات هذا الاضطهاد تجدر الإشارة إلى تساؤلات عدة طرحها د . شلي في هذا المقام تعتبر مقدمة لما سنثبته من نتائج . حيث قال بعد حديثه عن الاضطهادات : هل يمكن اثبات سند متصل لشني ، كتب في هذه العصور ؟ وهل وجدت ملة عيسى عليه السلام نصيباً من الوجود حين حياته أو في حين آخر غير حياته ؟ وهل الرسائل والأناجيل التي دونت في عهد الاضطهاد

(١) سبق ذكر الاضطهادات التي وقعت على النصارى في التمهيد . انظر ص : ٥٩ وما بعدها

تحمل صفة الكتاب المقدس المنزل من عند الله؟ ثم هل يمكن لكاتب الإنجيل وفي ظل ذلك الاضطهاد الديني أن يتحلوا بصفة الحيطة العلمية؟ وأخيراً ما مدى الثقة التي يعطيها التاريخ لما كتب في تلك العهود من الأناجيل في جو تتعسر فيه النظرة المحايدة. (١)

وفيما يلي عرض لهذه التأثيرات ، ونبدأ بالنزاع الذي حصل بين ما يسمى النصرانية البولسية ، والنصرانية اليهودية - جماعة التلاميذ الصغيرة التي انفصلت عن بولس وتصادمت معه في مجمع اورشليم حول قضية الختان - هذا النزاع كان له أثره في توجيه بولس وأتباعه إلى دعوة غير اليهود . والنصوص التي بين أيدينا اليوم بدأت بعد كثير من التعديلات لكتابات النصراني الأولى حوالي سنة ٧٠ م في العصر الذي كانت فيه الخصومة بين الطائفتين المتنافستين على أشدها . ولما كان النصراني من أصل يهودي هم المسيطرين تقريباً حتى سنة ٧٠ م ، ثم ضعفوا بعد ذلك ، فهذا يفسر لنا كيفية ظهور الأناجيل فيما بين هذا العام وقيل عام ١١٠ م .

ويرى بعض الباحثين ان هذا يعد نوعاً من الاضطهاد ، حيث انه لو لم يكن جو الخصومة المثار من انقسام الفكر البولسي لما وصلت الينا هذه الكتابات التي بين أيدينا .
ويؤكد هذا بما ذكره د. شلي : " ان حركة الاضطهاد والتي كانت موجهة ضد المسيحيين الأصليين خرجت من هذا ظافرة مسيحية بولس ، ومسيحية الفلسفة الإغريقية ، ولما كانت هذه المسيحية قد ابتدعت أشياء لايرضى بها المسيحيون الأصليون كألوهية عيسى ، والقول بينوته وتجسده ، فقدت النصرانية طابعها البسيط السهل ، لا سيما بعد ان فقدت مركزها بعد تدمير إهيكل سنة ٧٠ م ، وامتألت بكثير من الخرافات ممزوجة بالثقافات الوثنية التي كانت تسود الشعوب التي دخلت في النصرانية. (٢)

هذا عن الوضع والانقسام في بداية النصرانية ، وما تعرضت له من اضطهاد فكري ان صح التعبير .

أما عن الاضطهاد الفعلي على يد الرومان فقد نتج عنه الكثير من النتائج ، فقد كانت الأساليب القضائية لدى الرومان تتصف بالقسوة كما ذكرنا ، وكان للاضطهاد آثاره التي

(١) ر . أضواء على المسيحية ٢٧ ، بأهل الكتاب تعالور ١٣٤

(٢) ر . لإسلام وإلديان حلمي ١٩٤ ، ١٩٥ ، الميزان الطهطاري ١٤٦

تجلت في كثرة القتلى ، والذي نتجت عنه أحياناً ضروب من الردّة المؤقتة كما حدث في عهد ديسيوس .

ونقل بلليني عام ١١٢ م ان بعض النصارى نبذوا دينهم من عشرين سنة مضت ، وكان هذا الاضطهاد ينتهي أحياناً إلى حماس ديني ينتشر بين الناس مع المغالاة فيه .^(١)

وقد مرت على النصرانية في تاريخها المبكر هذه الاضطهادات والتي جعلت هذه الديانة تعيش مرحلة التذبذب في العقائد ، لاسيما بعد ان فقدت التلاميذ المخلصين ورجال الدين الأصليين – الجيل الأول الذي عاصر المسيح عليه السلام ونزول تعاليمه – فأصبحت في مهب الريح تذهب بها الأفكار والفلسفات من نقيض إلى نقيض آخر .^(٢)

بل ان الاضطهاد نتج عنه دخول عدد من النصارى في الوثنية ، وهو ما أدى إلى ضعف عام في التدين^(٣) ، فكان ان تشربت النصرانية بعض التيارات التي عاصرتها كالمناوية وغيرها نتيجة المخاطر الحقيقية الناتجة عن اضطهاد السلطات الإمبراطورية .^(٤)

وتميز النصف الثاني من القرن الثالث بفوضى عقديّة سائدة في الأوساط المثقفة إلى جانب بساطة الإيمان في الأوساط الشعبية ، وعمت الفوضى بسبب التأويلات التي نشرها المفكرون النصارى منذ أواسط القرن الثاني بحثاً عن تعبير يلائم بين ما في أيديهم من نصوص مقدسة وبين الثقافات الموجودة في البلاد التي هم فيها . ودانت البلاد المضطّهدة بما يراود فرضه عليها من المذاهب والتصورات .^(٥)

(١) ٢١٥ المسحية نشأتها وتطورها ، والتسامح والتعصب ١٠٦ ، ١٠٧ ، اظهر الحق ٦١٣/٢ ، قصة الحضارة ٣٨٠/١١ ،

١٢٦ The rise

(٢) ر . مذكرات إلهاديان إلهاديان ، تاريخ المسيحية ٤٦/١ ، لإسفار المقدسة ، طعيمة ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، العقائد المسيحية بين

القرآن والعقل ، هاشم جودة ١٢٢ .

(٣) النصرانية من التوحيد إلى التثليث ١١٦

(٤) الفكر الإسلامي ٨٠ .

(٥) الفكر الإسلامي ، ٨٠ ، التعصب ١٠٦

وفي فترة الاضطهادات أبيع ما حُرّم في التشريع النصراني بحجارة للرومان الحاكمين وإستمالتهم للدخول في الدين الجديد . بل ان بعض الكتاب نقل ان بولس مارس مع أتباعه غرس الاعتقاد القائل بأنهم في حماية من الكوارث مما أدى إلى استمرار تقديم القرابين في احتفالات الأعياد كرد فعل لهذه التوقعات .^(١)

وهذه الاضطهادات جعلت كل عمل يقومون به في شئونهم الدينية وخاصة ما كان متصلاً ببيان الشريعة يقومون به سراً لا جهراً ، وفي خفية عن الأعداء المتزقين ، والسرية يحدث في ظلمتها ما يجعل النفس لا تطمئن إلى ما يحكى عما حدث فيها ، ولا مانع من أن يدس على اجتماعاتها ما لم يجر فيها ، ويتسامع الجمهور أموراً ما حدثت في تلك الاجتماعات.^(١)

ورافق هذه السرية صور كثيرة من الانحراف السلوكي والأخلاقي ، بالإضافة إلى الرهينة والتي ظهرت مع تزايد انتشار النصرانية في اليونان وبلاد الشرق ، مما أدى إلى انحطاط المستوى الديني والأخلاقي كما ذكرنا آنفاً ، فكانت الرهينة بمثابة رد فعل على هذا الانحطاط ، حيث كان الرهبان - وبتأثير الاضطهاد - يفرون بدينهم إلى حيث لاتناله يد البطش ، فيبالغون في هذه الرهينة وما تنسم به من السرية .^(٢)

وقد حاول بعض الكتاب^(٣) ان يرد حياة الرهينة إلى حياة المسيح عليه السلام ولكن هذا رده غالبية الكتاب حيث قالوا : ان المسيح عليه السلام أشار إلى الرهينة إلا أنه لم يفرضها ولكن الاضطهادات كانت هي السبب في الانعزال ثم تطورت إلى الرهينة إلى أن أصبحت مدارس منظمة^(٤) تؤكد هذا التأثير البيئي^(٥).

(١) the rise ١٢٦

(٢) محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة ٣٢ ، ٣٣

(٣) الفكر الإسلامي ٨١ ، ٨٢ ، ٨٥ ، قصة الديانات ٤٤١ ، دراسات في إلهيات ٢٢٠

(٤) أسد رستم في كتابه الروم نقلاً عن دعوة التوحيد ٣٢٥

(٥) ر . دعوة التوحيد ٣٢٥

ولم يبدأ القرن الرابع إلا وقد تباينت عقائد الطوائف النصرانية ، واختلفوا في ذلك اختلافاً شديداً ، وحدثت صدامات بين تلك الطوائف ، حيث تنازعوا في حقيقة المسيح ، وظهرت أقوال مبتدعة^(١) .

وهذه البدع التي ظهرت بين النصارى كانت سبباً في انعقاد المجمع للفصل في هذه الأقوال ، وكذلك كانت السبب في انقسام الكنائس ، والتي مثلت المذاهب النصرانية فيما بعد .

ولا يستبعد أن يكون الاضطهاد أثر على ما ثبت من أحداث تاريخية عند النصارى ، مثل ولادة عيسى الخارقة التي آمنوا بها فكانت مثاراً لانطلاق الأخيصة في ظلمات الاضطهاد النازل في كل مكان^(٢) . ولا يستبعد أن يكون قبولهم لما ظهر من عقائد الصلب والفداء والقيامة والحساب من هذه التأثيرات .

وكان من نتائج الاضطهاد الدينية سواء تلك التي وقعت من الرومان أو اليهود على النصارى ، أو من بعض الطوائف النصرانية على الطوائف الأخرى ، كانت سبباً في انقطاع السند ، وضياع الأناجيل ، فقد اعدمت الكتب المقدسة بالإحراق ، حتى انعدمت الصلة بين المسيح عليه السلام وبين ما جاء به^(٣) .

وقد اعترف علماء النصرانية في المناظرات التي كانت بينهم وبين مخالفيهم بأن تلك الاضطهادات والكوارث كانت سبباً في فقد سندها المتصل بصاحب الشريعة ، إذ ضاع الإنجيل الأصلي ، وتعددت الأناجيل التي دونت على الظن والتخمين^(٤) .

(١) ر. المسيحية نشأتها وتطورها ٣٠ ، ماهي النصرانية ١٠٦ ، ١١٤٦ ، مذكرات إلابيان .

(٢) التعصب والتسامح ٩٦

(٣) الفصل ٢١/٢

(٤) ر. دعوة التوحيد ٣٢١ . عقيدتنا التليث والصلب ، موقف الإسلام منهما ، يونس توري ، ١٤٠٢ هـ ماجستير ، جامعة أم

وحتى الاناجيل عندما فكر كاتبوها كتابتها كتبوها في الظلام^(١) ، حيث تحولت الدعوة النصرانية إلى دعوة سرية ، بل ان الاناجيل كتبت تحت الاضطهاد كتبها كاتبوها بلغاتهم الخاصة ، وظلوا يتناقلون نسخها سراً ، وكان الداخل الجديد في النصرانية يأخذ عنهم التعاليم مشافهة بعد ترجمتها إلى لغته الدارجة ، ثم ييئها في بني قومه سراً ، ولم يكن الدعاة يسمحون للأتباع بتملك النسخ أو يطلعونهم عليها خشية على أنفسهم وعلى الكتب أيضاً .

كل ذلك أدى إلى انحصار المصادر الدينية للنصرانية في أيدي فئة قليلة من الناس ، واقتصر شرحها وتأويلها عليهم وحدهم^(٢) .

ورسالتنا يوحنا الثانية والثالثة القصيرتان تشير إلى احتراز الأوساط النصرانية الإلحائية في التبشير وخشيتها من ردود الفعل الوثنية في هذه المقاطعة التي انتشرت فيها عبادة الإمبراطور^(٣) . بل ان هذه الاضطهادات ساعدت على صرف الطائفة النصرانية الجديدة عن الاهتمام بالكتابة والتدوين ، فاكتفت بمعتقداتها في عودة المسيح ، وانتظار الخلاص الوشيك على يديه^(٤) .

وقد ذكرنا ان بعض الأساقفة لجأوا - تحت نيران الاضطهاد - إلى تسليم الكتب المقدسة إلى السلطات الرومانية كما حدث في قرطاج^(٥) .

وهكذا يكاد يجمع الجميع ان الفترات العvisية التي مرت بها النصرانية كانت من أهم الأسباب في فقدان الإنجيل . يقول شارل جينيير : " وأول الصعاب التي تعترضها - أي المسيحية - نجدها في النصوص نفسها التي تمتاز عن سائر النصوص الأخرى بضعف السند والاضطراب وعسر التحقيق ، واقدم هذه النصوص وأهمها هي تلك التي احتواها العهد الجديد^(٦) .

(١) ر . نصرانية عيسى ١٣٩

(٢) ر . العلمانية ١٢٥ ، ١٢٦

(٣) الفكر الإسلامي ٥٨ . ٥٨

(٤) جذور البلاء ٩ ، المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، ٥١

(٥) ر . ص ٨٢

(٦) المسيحية نشأتها وتطورها جنيير ٢٣

ونقل صاحب الفارق بين المخلوق والخالق عن علماء النصارى بان الاضطهادات هي سبب ضياع الإنجيل الصحيح ، وصرحوا في كتبهم أن فساد النصرانية من جراء تلك الاضطهادات التي ظهرت في سنة ٦٤ م ، وتكرر وقوعها في سنة ٦٥ م ، ٩٥ م ، ١٠٧ م ، ١١٨ م ، ٢١٢ م ، ٢٢٥ م ، ٢٥٠ م ، ٢٥٧ م ، ٢٧٤ م ، ٣٠٣ م إلى سنة ٣١١ م حتى استقر الحال على هذه الأناجيل الموجودة حاليا لدى النصارى .^(١)

ويتحدث القاضي عبد الجبار عن ذلك فيقول : " ان دين المسيح وديانات الرسل لم تتغير وتبديل جملة واحدة ، ولكن على مر الأيام تدريجيا حتى يتكامل هذا التغير ، وما زال اهل الحق يقلون واهل الباطل يكثرون حتى غلبوا ومات بهم الحق .^(٢)

(١) الفارق بين المخلوق والخالق ص ١٥ بتصرف يسير . ومن نقل عنهم المعلم مروان بولدن والحكيم كوسون والمعلم قبويس

لادوك والمعلم لادوك والمعلم ستروس والمعلم جالوليون والمعلم بيار .

(٢) تثبت دلالة النبوة ١/١٥٢ ، الميزان الطبعة ٥ ، ٢٣١ ، انظر مذكرات الادنان .

الفصل الثاني

أثر الوثنيات القديمة في تحريف النصرانية

سبق أن ذكرنا أن النصرانية انتشرت في أمم وثنية شرقية وغربية^(١) . وقد كان لهذه الامم تراثها الضخم من الديانات الوثنية ، وقد اشتركت هذه الديانات الوثنية في عقائد كثيرة مشتركة تجمع بينها ظواهر عامة .

وقبل الحديث عن تأثير هذه الديانات الوثنية في الديانة النصرانية ، يجدر بنا توضيح هذه الظواهر العامة التي تخضع لها تلك الديانات ، في اتصالها بعضها ببعض ، وفي تأثرها بالوضع الاجتماعية والسياسية للأمم التي انتشرت فيها هذه الديانات .

الظواهر العامة التي خضعت لها الوثنيات القديمة :

١ - ضياع الاصول العقديّة الصحيحة (الاولى للديانة) :

إن الله سبحانه وتعالى لم يترك خلقه منذ أوجدهم يعيشون بلا دين يتعبدون به لخالقهم ينظمون به أمور حياتهم ، وهذا ثابت بواسطة مصادر لاتقبل الشك بل وبمنهج علمي سليم.^(٢)

لكن البشر اعتادوا النكوص عن الحق وتشويهه ومسخه فجعلوا الدين الواحد ديانات شتى محرفة ، وذلك عن طريق تغيير أصول هذا الدين الصحيح إلى تلك الديانات المتعددة المحرفة ، الا ان الديانات المحرفة - ان جاز هذا التعبير - يبقى بها ما يدل على اشرافها عن هذا الدين الصحيح ، فمهما تحرى المحرفون الدقة في تحريفهم ، ومهما تأول المتأولون والمفسرون فإنه يظل بهذه الديانات المحرفة ما يدل على أصلها الحق .

ولا نرى أكثر دلالة على ذلك من وجود التعدد بجانب التوحيد وهذا شائع في كل الامم . فبعد ان يتحدث كتاب دروس في تاريخ الفلسفة عن التعدد عند البابليين والاشوريين وتقسيمهما الالهة إلى طبقات متفاوتة يقول : هذا الاعتقاد وترتيب الالهة إلى إله أعلى وآلهة

(١) ر.ص ١٢٠٧

(٢) راجع الفصل الاول والثاني من كتاب الانسان في ظل الاديان . د. عمارة نجيب محمد . ، أبطال ألوهية عيسى ص ٢٤

أدنين يدلان على أن البابليين والاشوريين عرفوا التوحيد في الاصل ، وأن الالهة الادنين ماهم
الأسماء للصفات الالهية أو لمظاهر القدرة الالهية في الطبيعة شخصوها فأفسدوا التوحيد كما حدث
عند سائر الشعوب القديمة .^(١)

وإذا كان هذا بالنسبة للبابليين والاشوريين فإنه يظهر أكثر وضوحاً في دين قدماء المصريين
حيث نجد إلى جانب كثرة الالهة تميزاً للإله الاعلى بالقدرة والجبروت يعادل القول بالتوحيد ،
والنصوص كثيرة في هذا المعنى منها ما يذكرونه على لسان كبير الالهة عندهم : " أنا الذي صنع
السماء والارض ورفع الجبال وأوجد ما عليها ، أنا الذي صنع الفلك ووضع فيه نفوس الالهة ، أنا
الذي يأمر فيجري ماء النيل ، أنا الذي لا يعلم الالهة اسمه " ^(٢)

وهذا كلام فيه حق إذ يبرز وحدة الاله الذي فعل ذلك وأن الالهة لا تعرف اسمه بل
ويُسكنها حيث شاء ، وذلك له دلالة أخرى فكونه وكون الالهة - إذا كانت حقيقية - تعلم كل
شيء ، وكون ما سماه إلهة لا تعرف اسمه يدل دلالة واضحة على ان إطلاق لفظ الالهة عليها من
باب التحريف .

٢- ملاءمتها لأهواء البشر :

ان الانسان يقبل ما يلائم فكره ومزاجه ، بل بالاحرى ما يحقق له مصلحته ، ونظر
الانسان للمصلحة يختلف تبعاً لاختلاف معتقده واختلاف ظروفه وفي المجتمع البعيد عن الحق
المنظمس الفطرة يتقبل الناس أي شيء ما دام يحقق لهم في نظرهم شيئاً، وقد كانت العقائد الوثنية مع
ضلالها موافقة لهوى الحكام والمحكومين فقد "كان اتخاذ تأليه الملوك في عقيدة النحل القديمة موافقا
للقياصرة وموافقا للرعايا في وقت واحد فقد كان القياصرة يرضيهم ما يخلعه عليهم الناس من
صفات الربوبية وكانوا يسمعون أن كهان المعبد يعلنون حلول الالهة في أجسام الملوك "
ويرشحونهم للعبادة.....^(١)

والرعايا كانوا ينظرون إلى حكامهم نظرة القداسة والحماية لهم وما هذه الاصفات الالهة ،
وكون إلههم ملكاً أو إمبراطوراً أفضل في نظر البشر من أن يكون حجراً ، ولذا رأينا على مدى

(١) دروس في تاريخ الفلسفة ابراهيم مذكور ويوسف كرم ص ٩ ، ١٠ .

(٢) دروس في تاريخ الفلسفة ص ٩ ، ١٠ ، والشرق الادنى القديم ٣٢٩ .

(٣) عبقرية المسيح ، ٥١

التاريخ القديم أن تأليه الملوك أمر شائع في كثير من الشعوب وهذا ناتج عن الضلال الذي كان البشر يعيشونه في أحلك فتراتهم (١)

٣ - سرعة الانتشار " بين الامم " :

إذا كانت هذه العقائد ملائمة للحكام والمحكومين ، وإذا كانت سياسة الدولة تجاه الديانات والافكار أن تترك لها الزمام طالما لا تتعرض لسلطان الدولة خارجيا أو داخليا ، فإن ذلك قد سمح للديانات الوثنية بأن تجد طريقها للانتشار فتصبح ديانات عالمية .

"ولقد كانت العقائد الوثنية تنتشر في العالم الروماني - وتعرف بديانات الطقوس السرية - حيث تنبع الواحدة منها محلية ثم لا تلبث أن تنتشر مع ما يصاحب ذلك الانتشار من خرافات...." (٢)

٤ - تداخل الديانات :

إذا كانت هذه الديانات كثيرة ، وإذا كانت تنتشر بسرعة ، وإذا كان مجال انتشارها واحدا ، فلا بد أن يحدث التلاقي و التداخل بين هذه الديانات مع كثرتها . وهذا ينتج واحدا من أمرين : إما تنازل إحدى الديانتين عن مكانها للديانة الاخرى أو اندماجهما معا .

وكان هذا التنازل يتم حتى بمجرد الرضا بالاسم الجديد للديانة ، مع عدم تغيير مضمون العبادة وجوهرها ، أو يتم بتغيير الجوهر وبقاء الاسم كما هو ، وتارة يأخذ التنازل صورة الشمول. " فإذا غزت دولة غيرها كان معنى هذا تغير الارباب ، أو تغيير أسمائهم على الاقل ولكن شكل العبادة وروحها يظلان سليمين كما هما " (٣)

ولا يقتصر الامر بالنسبة لذلك على حالة الحروب وما ينتج عنها من الاتصال التام بين الامم ودياناتها ، بل إن التأثير ليقع بسبب تجاور الديانتين دون ما لقاء حربي بين معتنقيهما إذ عندما تزدهر الديانات إحداها إلى جوار الاخرى تنزع إلى التقاط طقوس بعضها من بعض إلى غير

(١) ابطال الوهية عيسى ص ٢٦

(٢) حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ص ٦٩ .

(٣) موجز تاريخ العالم ص ١٦٧

ذلك من الخواص الخارجية ، مثال ذلك أن البوذية في بلاد الصين تملك اليوم نفس نوع المعابد
بكهاتها وأعرافها التي للتاوية التي تتبع تعاليم "لاهوتس" - ومع ذلك فان التعاليم الاصلية للبوذية
والتاوية متضادة تماما . (١)

اما الاتحاد أو المزج بين الدينين وإلتهما فيتم إذا كانا متشابهين لينشأ دين جديد مؤلف من
دينين سابقين ، وهذا ما كان يقع أحيانا عند لقاء دين بأخر فقد " اقتزنت نخله " أيزيس " المصرية
بنخله " مترا " الفارسية ، فسامها اليونان " ديمتر " ونخلوها صفتها المصرية وهى صفة الامومة
الكبرى أو صفة الطبيعة الام ... " (٢) كما اشرنا إلى ذلك من قبل . (٣)

خضوع النصرانية للظواهر العامة التي خضعت لها الوثنيات القديمة:

سبق ان ذكرنا ان النصرانية انتشرت وسط هذه الديانات الوثنية التي عرضنا لها آنفاً ،
حيث نشأت فى ولاية من ولايات الدولة الرومانية بداية ، ثم انتشرت فى الامبراطورية كلها ،
بكل ما يسودها من ديانات وثنية .
ومما لا شك فيه أن النصرانية خضعت لما خضعت له تلك الوثنيات ، وتأثرت بما تأثرت به
فى ظهورها وانتشارها من ظواهر .

ولقد ساعدت الظروف الدينية والسياسة التى عرضنا لها فى الباب الاول على انتشار
النصرانية كبقية الديانات الشرقية فى تلك البلاد ، فقد ترك الحكام الديانات وشأنها وحافظوا على
حرية المعتنقين لها ، حتى ان الباحث لا يجد فارقاً يذكر بين النصرانية بعد انتشارها فى الدولة
الرومانية وغيرها من الديانات الا ما يدعيه معتنقوا النصرانية من صلة عقائدهم بوحى السماء
والنصوص المقدسة .

وإذا لاحظنا النصرانية نجد انها خضعت لما خضعت له الوثنيات السابقة من ظواهر .

(١) موجز تاريخ العالم ص ١٧٨

(٢) ر . عبقرية المسيح ص ٥٣

(٣) ر . ص ١٢

فقد دعا المسيح عليه السلام إلى التوحيد كما ذكرنا ، ثم حرفت ديانتته من التوحيد إلى التعدد والشرك ، الا انها كغيرها من الديانات يوجد وسط المحرف من كتبها الادلة التي لا تقبل النقض الدالة على ما كان فيها من التوحيد الخالص.

يقول " شارل جنير مؤكداً لذلك " ان المسيحية لم تكن تستطيع مدافعة أمام هذه النزعات والشعائر السائدة ، وإذا كانت - أى المسيحية- قد انتصرت فى القرن الثالث على سائر الوان "التأليف" الدينى الوثنى ، فذلك لانها كانت قد تطورت هى الاخرى إلى تأليف دينى تجتمع فيه سائر العقائد الخصبية والشعائر الجوهريّة النابعة من العاطفة الدينية الوثنية ، قامت هى - أى المسيحية - بترتيبها ، وتركيبها ، وأضفت عليها الانسجام الذى تفتقر اليه ، بحيث استطاعت أن تقف بمفردها أمام أشنات المعتقدات والشعائر التي يؤمن بها أعداؤها دون أن تظهر ضعفاً أو نقصاً عنها فى أى من المجالات إلهامة. (١)

وتمت ظاهرة التشرب هذه - وهى من الظواهر الاساسية فى تاريخ المسيحية - فى بطن بطيء معتمدة على الاتصال الدائب بتطور الايمان بين جميع طبقات المجتمع الوثنى ، ذلك المجتمع الذى اختلفت فيه صور الايمان باختلاف بيئاته وباختلاف العهود التى مر بها ... وانها لظاهرة تفسر لنا كيف جاء العصر الذى استطاعت فيه المسيحية أن تكسب عطفاً نشيطاً بين رحاب العالم اليونانى الرومانى . (٢)

ثم ان النصرانية بانحرافها عما دعا إليه عيسى عليه السلام صارت لا تفرق فى قليل أو كثير عن الديانات الوثنية وبعد أن صارت كذلك قبلها الحكام والمحكومون . (٣)

ولقد كان جلوس قسطنطين الذى اعتنق النصرانية على سرير الامبراطورية ٣٠٦م محققاً انتصاراً للنصرانية على الوثنية ، ولكن كما يقول الندوى :

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ص ٢٢٨

(٢) ر. المسيحية نشأتها وتطورها ٢٢٨

(٣) ابطال ألوهية عيسى ٢٨

" انتصر النصارى فى ساحة القتال وانهزموا فى معترك الاديان ، ربحوا ملكا عظيما وخسروا دينا جليلا ، لأن الوثنية الرومية مسخت دين المسيح ومسحه أهله ، وكان أكثر مسخا له وتحريفها هو قسطنطين الكبير حامى دمار النصرانية ورافع لوائها".

وينقل عن "دراير" :

"دخلت الوثنية والشرك فى النصرانية بتأثير المنافقين الذين تقلدوا وظائف خطيرة ومناصب عالية فى الدولة الرومية بتظاهرهم بالنصرانية ، ولم يكونوا يحتفلون بأمر الدين ، ولم يخلصوا له يوما من الايام ، وكذلك كان قسطنطين فقد قضى عمره فى الظلم والفجور ، ولم يتقيد بأوامر الكنيسة الدينية الاقليلا فى آخر عمره سنة (٣٣٧ م) .^(١)

فإن هذا الامبراطور الذى كان عبدا للعقائد الدينية تساوى شيئا عنده ، ولكنه رأى لمصلحته الشخصية ولمصلحة الحزبين المتنافسين - النصرانى والوثنى - أن يوحد بينهما ، حتى ان النصارى الراسخين أيضا لم ينكروا عليه هذه الخطة ، ولعلمهم كانوا يعتقدون أن الديانة الجديدة ستزدهر إذا طعمت ولقحت بالعقائد الوثنية القديمة .^(٢)

ومن ثم فقد نادى النصرانية بالتجسد والتثليث وغير ذلك من العقائد التى بدأت تنتشر مستمدة قوتها من وثنية الرومان وسلطان دولتهم التى باتت ترفع شعار الصليب .

وإذا جئنا إلى الظاهرة الاخيرة للديانات الوثنية وهى ظاهرة التداخل والتلاقح فيما بينها فأننا نجد ان النصرانية قد تداخلت مع الوثنيات الاخرى وتلاقحت معها .

وقد ذكرنا^(٣) سابقا أن الامة اليهودية لم تكن قد وصلت من الانعزال عن العالم الخارجى إلى ما تستطيع به أن تتجنب تماما تأثيرات الشعوب السريانية والكلدانية التى عاشت بجوارها . كما أنها تأثرت ولا شك بصلاتها المستمرة بالفاتحين الرومان يضاف إلى هذا تأثير وفود الحجيج المتفاوتة العدد إلى القدس - فى المواسم والاعياد - من أبناء الجالية اليهودية التى هاجرت إلى بلاد اليونان واستقرت بها . كل ذلك أدى إلى تشرب اليهود بالكثير من الافكار الخارجية ، خلال القرون الثلاثة السابقة للتاريخ النصراني .

(١) ماذا خسروا العالم باخطاط المسلمين ١٨٣ ، ١٦٦

(٢) ماذا خسروا العالم باخطاط المسلمين ١٨٤

وقد أشرنا^(١) إلى تأثير البيئة السورية والفينيقية، والتي كانت مصبا لروافد كثيرة من التيارات الفكرية والعقائدية وللخرافات والاساطير او اثار ديانات القرون الماضية إلى جانب الديانات المعاصرة^(٢). ثم كانت هناك البيئة المصرية، حيث تطورت العبادات المحلية ونمت فيها ونحت نحو آفاق أوسع وأشمل بتأثير الفكر اليونانى. وأخير البيئة الاغريقية من ناحية الشمال، فى الاقليم الذى نسميه اليوم بآسيا الصغرى نجدها أكثر تعقيدا واختلاطا فى الفكر، ولكنها أيضا أكثر خصوبة واثمارا بسبب وضعها كمركز هام للديانات^(٣). وقد انتهى الامر إلى الدمج حتى تكون فى متناول عامة الناس^(٤).

وقد حرص حواريو المسيح عليه السلام على دينهم بل وسعى بعضهم إلى التعريف به، ثم كان ما تعرضوا له من تدمير إلهيكل سنة ٧٠ م وماتلاه سنة ١٣٥، جعل هذه الدعوة تنتقل من أرض اليهود إلى الشعوب الوثنية المحيطة بها كالرومان واليونانيين وغيرهم^(٥).

وقد ذكرنا^(٦) أن النصرانية فى تلك الشعوب طعمت ببعض الطقوس والشعائر التى وجدوها فى تلك الشعوب الوثنية.

وذوبان المسيحية فى غيرها من الديانات يعد دخول الوثنيين فيها امر ظاهر جلى فيما بعد ظهر فى التنازل عن أصولها الثابتة وانتحائها لمبادئ واصول ليست منها كما سنوضح ذلك لتخرج بذلك عن كونها دينا سماويا^(٧).

(١) ر . ص ١٢ ، ١٣

(٢) المسيحية نشأتها وتطورها ص ٤٠

(٣) المسيحية نشأتها وتطورها ص ٤١

(٤) المسيحية نشأتها وتطورها ٤١ ، الفكر الاسلامي ٢٩ . ٢٩

(٥) المسيح، عبود ٨٣ ، ٨٤

(٦) ر . ص ٧٨

(٧) ابطال الوهية عيسى ٢٨

ومن الادلة على تداخل النصرانية مع الديانات الوثنية المختلفة قول القساوسة أنفسهم حين يعترفون بأن النصرانية قد اختلطت بالوثنية القديمة والرومانية والمصرية والشرق أسيوية فهذا هو القس الياس اليسوعي يقول في كتابه : " يسوع المسيح " .

"لقد لقت الكنيسة الفكر المسيحي فحمل مرسلوها إلى اليونان حكمة التوراة واداب الانجيل ، وأخذوا منهم وضوح التعبير ودقة التفكير فنتج عن هذا التلاقح تراث جديد نقلوه إلى روما ، ولقد احترمت الكنيسة تقاليد الشعوب وحافظت على تنوع الطقوس في مختلف الطوائف. (١)

صحيح ان النصرانية ولدت في القدس من فلسطين في اسيا لكنها لم تلبث ان عبرت إلى اوروبا فاستقرت في الدولة الرومانية ذات الحضارة العريقة ، وذات النظام الاجتماعى الذى شكلته الفلسفة اليونانية الوثنية والقانون الرومانى (٢)

وفي هذا الجو بكل قيوده وتحدياته عبرت النصرانية إلى أوروبا ، وتشكلت فى داخل هذا الفكر على النحو الذى قام به بولس منحرفا بها عن نهجها الربانى المنزل من السماء (٣).

وقد اشرنا إلى ما كان من أثر دخول غير اليهود الوثنيين فى الديانة ثم محاولة التوفيق بين ما أثير من مشكلات . (٤)

والاصول الوثنية للعقائد النصرانية الحالية ، لم تعد فرضا علميا أو تخمينيا أو استنتاجا ، فبعد تقدم العلوم النقدية ، واكتشاف الوثائق ، وقراءة المخطوطات والنقوش ، قطع علماء الاديان الغربيون بأن هذه العقائد النصرانية ان هى - فى حقيقة الامر وواقع الحال - الاخرافات واساطير عرفتها الامم الوثنية القديمة ، وسجلتها فى آثارها ، ثم استمدتها النصرانية منها ، ونقلتها بعد ذلك نقلا حرفيا . (٥)

(١) يسوع المسيح ١٩٩ ، مشكلات العقيدة النصرانية ٥٩ ، الله واحد أم نالوث ٨٨

(٢) الاسلام في مواجهة الفلسفات القديمة ١٧٨

(٣) الاسلام في مواجهة الفلسفات القديمة ١٧٨

(٤) ر . ص ٦٣

(٥) ر . العقائد الوثنية ٢٠٢

وقد أفاض العلماء الغربيون في البرهنة على ذلك اعتمادا على الموازنة العلمية بين ما عليه هذه الديانة النصرانية ، وما عرف من أساطير دينية وخرافات وثنية عند الأمم القديمة . وقد وضع اساتذة اللاهوت وعلماء الحفريات مئات الكتب والدراسات التي تثبت هذه الحقيقة ، وهي : وثنية العقائد النصرانية .. (١) . ومع الوثنية لا يستساغ بل لا تصح منهم دعوى التوحيد !!

وكما تذكر مقدمة ترجمة كتاب الاصول الوثنية: اننا إذا قارنا بين النصرانية والوثنية فأنا لن نجد تطابقا كاملا أو دائما . وهذا ما يدفعنا إلى القول بأن بعض الخلافات والفروقات قائمة بالضرورة . ليس هناك من دين ينسخ نسخا كاملا ، أو ينقل عن الدين الوثني الاخر نقلا منتظما حرفيا شاملا لكن العمل الباطني للتصورات والمفاهيم الشعبية هو الذى بدل الاعماق الدينية للمسيحية المعاصرة وجددها .

ومن هنا نستطيع القول أن المسيحية بوجهها العام تبدو تليفقية وثنية ، وانها برغم تنقيحها تبقى تليفقية. (٢)

ولعلنا في الفقرة التالية نقدم الادلة التفصيلية لأثر هذه الديانات الوثنية في انحراف النصرانية عن وضعها الصحيح .

(١) انظر نماذج كثيرة جدا لهذه الكتب في كتاب : (العقائد الوثنية في الديانة النصرانية) .

وانظر ما كتبه الجاحظ في (المختار في الرد على النصارى) وما كتبه ابن حزم في (الفصل) والباقلاني في (التمهيد)

والجويني في (شفاء العليل) والغزالي في (الرد الجميل لإلهه عيسى بصريح الإنجيل) . و (الجواب الصحيح لمن بدل دين

المسيح) لابن تيمية ، والاجوبة الفاخرة للقراني ، و (النصيحة الایمانية في فنيحة الملة النصرانية) ، و (تحفة الاريب) للترجمان ،

وراجع (اظهار الحق) لرحمة الله إلهندي .

أثر الوثنيات القديمة في تحريف العقائد النصرانية :

التجسد :

ومعنى التجسد فى العقائد صيرورة اللاجسد " اللاهوت " جسدا بأن يأخذ صورة جسد أو يحل فى جسد . قال دوان : " ومن عقائد الوثنيين القدماء قولهم بتجسد أحد الالهة ونزوله وسكنه معهم وقد ورد ذكر ذلك على أنواع كثيرة من التصورات والروايات الشرقية ... (١) ولا تكاد الديانات الوثنية تخلو من عقيدة التجسد هذه عن طريق الولادة من عذراء ، وقد تختلف مظاهر هذا التجسد وكيفيته ، إلا أن المضمون والجوهر واحد لا يختلف وقد ذكرنا سابقاً (٢) عند حديثنا عن بولس ان هذه الفكرة مستقاة من أفكار السامريين العبريين ، وذهب بعض الباحثين إلى ان فكرة التجسد هي من رصيد الحلول اللاهوتي الناسوتي الموجود في التلمود حيث ان التلمود ورد فيه القول بالتناسخ .

فهي عقيدة وثنية عامة ظهرت بقوة فى الديانات الوثنية المصرية واليونانية والرومانية وكذلك فى الهندية والاشورية . وكانت هذه العقيدة - عقيدة ولادة الاله من أم بشرية ، أى نزول الاله وتجسده وظهوره بالناسوت - كانت منتشرة بين الرومان واليونان انتشارا كبيرا ، بل كانت معتادة إلى حد كبير ، مما يسر ادخالها فى الديانة النصرانية وذيوعها وانتشارها . (٣)

فالعقيدة تجسد الاله التى يقول بها النصارى قد سبقهم إليها إلهنود . وقد ورد ذكر ذلك على أنواع كثيرة من التصورات والروايات الشرقية ولم يزل كرشنا حتى هذه الساعة الاله المحبوب عند نساء إلهنود ، والفرقة التى تحترمه مشغوفة بعبادته ، وقد نشروا تعاليم يتمسكون بها أشد التمسك وهى أن كرشنا يخالف كل الالهة التى تجسدت لأنها لم يكن فيها الاجزاء من الالوهية أما كرشنا فهو نفس الاله فثنو ظهر بالناسوت . (٤)

وجاء فى بعض كتبهم أن كرشنا قال : " سأجسد فى متواربيت يادوا ، وأخرج من رحم "ذيفاكى" أولد وأموت ، وقد حان الوقت لظهار قوتى وتخليص الارض من حملها " . (٥)

(١) العقائد الوثنية ص ٥٨

(٢) مقدمة العقائد الوثنية ٣٤

(٣) ر . العقائد الوثنية ٩٣ ، واعتراضات على العقيدة المسيحية ٣٩٧

* ر . ١٣٥

(٤) العقائد الوثنية ، ٩٥ .

قال دوان " : والاله بوذا المولود من العذراء مايا الذى ، يعبد بوذيو الهند وغيرهم يقولون عنه أنه ترك الفردوس ، ونزل إلى الارض ، وظهر بالناسوت رحمة بالناس كى ينقذهم من الاثام ويرشدهم صراطا مستقيما ، ويحمل أوزارهم ويفديهم مما يستحقونه من العذاب بأخذه عنهم ما يستحقونه من القصاص . وقد جاء فى الكتاب الصينى المدعو " فوتيهنك " ما نصه : " ولما عزم الاله بوذا على النزول من السماء إلى الارض ليولد عليها نادى ملائكة السماء وسكان الارض قائلا : " يا أيها الاموات زينوا أرضكم لأن " بوذيشومتهو " العظيم سينزل عما قريب من " توسيا " ويولد بينكم فأعدوا كأسين لوقت ظهوره . ويقولون أيضا : أما الرحم الذى يحل فيه الاله بوذا ليتجسد إنما هو كوعاء وضعت فيه ذخيرة وليس احد من البشر يكون الحمل به كما كان بوذا فإنه يحل فيه بغير أفرز .. ولما حملته (بهامايا) لم تعد تشتهى (رجلا) وعاشت عذراء . (١)

قال هوك - أحد المبشرين الفرنسيين - عند تكلمه عن بوذا ما نصه : " والبوذيون يعدونه إلهاً تجسد أى أنه إله ظهر بالناسوت أتى إلى هذا العالم ، ليعلم الناس ويرشدهم ويفديهم ويبنى لهم طريق السلام !! .. (٢) ومثل هذا الاعتقاد نجده عند الصينيين . (٣)

وكمثال على التجسد بدون ولادة من عذراء اعتقاد " ... أن الفرعون المصرى ابن رع من صلبه وتجسّد له على الارض ، ويتضح هذا جليا من الالقاب الرسمية التى كان يتخذها الفرعون ومن الاوسمة التى كان يحملها " (٤)

وكان اليونانيون يدعون ابطالهم فى القرون الماضية آلهة و أولاد آلهة ، وأنهم ظهروا بالناسوت ، ومن جملة أبناء الالهة هرقل " من الاله "المشترى" . وعندهم أن برومسيوس " (٥) إله اتحد لاهوته بناسوته فهو ذو نشأتين إلهية وجسدية فى جسم واحد ، وهو انسان وإله حقيقيان فى وقت واحد . (٦)

(١) العقائد الوثنية ص ٩٥

(٢) العقائد الوثنية ص ٩٦

(٣) ر. العقائد الوثنية ٩٧ .

(٤) ابطال ص ٤٦ / وانظر الديانة فى مصر الفرعونية ، ٤٣ .

(٥) اسم مشتق من كلمة يونانية معناها البصر والعناية الالهية . ر. العقائد الوثنية ١٠٠ .

(٦) ر. العقائد الوثنية ١٠٠ .

وهناك رواية تتعلق بروملوس الذي سميت مدينة روما باسمه ، تقول ان العذراء (ديهيا سلفيا) اغتصبت وولدت توأمين قيل ان اباهما كان (مارس) إله الحرب وانه أثناء عاصفة مفاجئة مر الغيم فوق رأس روملوس واختفى ولم يعد على الارض واعتبر إلهاً وابن إله .
ولقد كان تجسد المسيح كإله موافقا لهذا تماما فهو حمل به من الروح القدس زولد من عذراء هي مريم لتكمل قصة تجسده المزعومة ، وهو ما تؤكد النصوص والمقالات في كتاب اسطورة تجسد المسيح : ان الاساطير والخرافات الوثنية الرومانية واليونانية مليئة باساطير نزول الالهة إلى الارض واختلاطهم بالبشر واتصايلهم بهم احيانا اتصايلًا تراوحيا وان هذه الاساطير التي أوحى للمسيحية بالتجسد الالهي للمسيح ، بل لقد نسب إلى الامبراطور اغسطس الذي ولد المسيح في عهده ان الالهة قد أرسلت اغسطس وانه إله نزل إلى الارض .^(١)
ونكتفي بما ذكرنا من الامثلة ، وللقاريء أن يراجع ذلك في المصادر المشار إليها في الهامش.

الصلب والفداء

ان قصة صلب المسيح وفدائه لبنى البشر من أهم العقائد النصرانية بل لعلها أهمها . وقد اكتسبت هذه القضية أهميتها من حيث انها جعلت اساسا يقوم عليها دين .
ويكفى أن نعرف أن الصليب الذي يعتقدون أن المسيح صلب عليه أصبح رمزا مقدسا عندهم . وهو رمز التثليث ،، وهو عندهم كذلك رمز لأكبر فاجعة وقعت في تاريخ البشرية . وهو كذلك أساس الكنيسة وعماد الانجيل ورمز الحياة الابدية .^(٢)

وقد ذكرنا * عند دراستنا لتقرير بولس لهذه العقيدة في رسائله أنها تقوم على أساس القول بتكفير خطايا البشر وحاجتهم إلى فاد يفديهم من خطاياهم .

والنصارى يستدلون على قصة صلب المسيح لفداء البشرية بما تضمنته رسائل بولس كما ذكرنا من قبل ، وبما تضمنته الاناجيل ، مثل ما ورد في انجيل يوحنا " لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الابدية" ^(٣)

(١) ر. النصرانية ، شاهين ، ٢٧٩ .

(٢) دراسات في النصرانية ، مزروعة ١١٠ ، ١١١ الانجيل والصلب ص ٦

(٣) ١ : ١٦

* ر. ص ١٣٦

هذه هي عقيدتهم فى الصلب والفداء وهى كما ذكرت أهم العقائد عندهم لانهم يقولون ان صلب المسيح كشف لهم أموراً كان يُجهلها الجنس البشرى من لدن آدم حتى جاء المسيح و صلب .

قصة الصليب وفلسفته :

إذا رجعنا لنرى تاريخ نشأة الصليب . ثم تقديسه بعد ذلك فى الاديان الوثنية فأنا نجد ان نشأة الصليب وتقديسه ترجع إلى العصور المتقدمة . ففىما يتعلق بنشأة الصليب يذكر ارثر فندلاى ان اكتشاف النار من أهم الاكتشافات لدى الانسان الاول وأنه يمكن توليدها من احتكاك قطعتين من العصا تدخل احدها فى الاخرى بطريقة تشبه التقاء العصوين فى الصليب ، وعن طريق الاحتكاك بين العصوين تتولد النار فتولدت النار من الصليب فرأى الانسان النار تتولد من هذا الاحتكاك فأثارت فى نفسه الاعجاب والدهشة حتى ادى به إلى عبادة النار ومن هنا نشأ تقديس الصليب من العبادة المقدسة .^(١) هكذا زعم .

وقد انتقلت هذه القداسة إلى الاديان الوثنية المختلفة فيما بعد . ويذكر المسيو كوينيو : أن الهنود يذكرون موت كرشنا بأشكال متعددة أهمها انه مات معلقا على شجرة سمر بها بضربة حربة .^(٢)

وقال دوان : والمقصود من الشجرة (خشبة الصليب) وأن السيد (مور) قد صور كرشنا مصلوبا، كما هو مصور فى كتب إهنود مثقوب اليدين والرجلين ومعلق بقميصه قلب انسان . ومما يذكر عن الاله أندرا ، وهو إله فارسي قديم يعبدونه فى التبت والنيبال : أنه سفك دمه بالصلب ، وثقب بالمسامير كى يخلص البشر من ذنوبهم ، وأن صورة الصلب موجودة فى كتبهم^(٣) .

وكان المصريون يصورون فى يد إلهتهم علامة ترمز إلى الحياة . وكانوا يسمونها (عنخ) وهى قريبة فى تكوينها من علامة الصليب التى اتخذها النصرارى شعارا ورمزا لهم بعد ذلك .

(١) ر . دراسات فى النصرانية ، مزروعة ١١٢ ، القضايا المسيحية الكبرى ، الياس مقار ٣٨٨ ، المسيحية والاسلام ، النفس

ابراهيم ١٧١ محمد فى التوراة والانجيل والقرآن ١٦٣ ، ١٦٤

(٢) العقائد الوثنية ٧٥

(٣) العقائد الوثنية ٧٥

يقول الدكتور صابر صبره : ان كلمة الحياة عند قدماء المصريين ترسم بما يرسم به الصليب، وليس بعيدا ان يكون رسم الصليب مقتبسا من الفكر المصرى .معنى نهاية الحياة التي تلي الصلب .^(١) وبهذا أصبح الصليب رمزا للحياة والتضحية عند الوثنيين فقد شكل مكانة دينية مرموقة فى مصر وأشور وفارس وغيرها.^(٢)

هذا عن تقديس الصليب ووجوده فى الديانات السابقة ، اما عن عتيده الصلب لاجل فداء البشر المتمثلة فى صلب المسيح عند النصارى فما هى الاعقيدة وثنية محضة* ، باعتراف الباحثين الغربيين انفسهم .

فهذا " ول ديورانت " يقول مؤكدا لذلك : لقد كانت مصر وآسية الصغرى وبلاد اليونان تؤمن بالالهة من زمن بعيد ، - تؤمن باوزيريس وأوتيس وديونيس - التى ماتت لتفتدى بموتها بنى الانسان ، وكانت ألقاب " سوتر " (المنقذ) و " أليوثريوس " " Eleutherios " (المنجى) تطلق على هذه الالهة ، وكان لفظ " كريوس Kyrios " (الرب) ، الذى سمي به بولس المسيح ، هو اللفظ الذى تطلقه الطقوس اليونانية السورية على " ديونيشس " الميت المفتدى .^(٣)

وكما يقول جينير : ان جميع ديانات البيئة التى تكونت فيها المسيحية كانت تأخذ بمبدأ التضحية^(٤).

وقد ذكر " آرثر فندلاى فى كتابه (صخرة الحق) ترجمة د . على على راضى ، ستة عشر مخلصا عرفوا قبل مجيء المسيح ، وسمى كل منهم إلهاً مخلصاً وأعطى لقب المسيح هكذا قال وهم :

(١) المسيحية ، شلبى ١٧٧ .

(٢) نحمد فى التوراة ١٦٣ ، ١٦٤ ،

(١) العقائد المسيحية بين القرآن والعقل د . هاشم جودة ، ٢١٤-٢١٥ ، التجسد والصلب بين الحقيقة والافتراء ، حماية ، ص

٩٠ .

(٣) رسائل الرسل . ٦٤٣ . ر . قصة الحضارة .

(٤) ر . المسيحية نشأتها وتطورها ٤٦ .

الاسم	المنطقة	التاريخ
١ - أوزوريس	مصر	١٧٠٠ ق.م.
٢ - بعل	بابل	١٢٠٠ ق.م.
٣ - أتيس	فرجيا	١١٧٠ ق.م. (١)
٤ - ناموسى	سوريا	١١٦٠ ق.م.
٥ - ديوقوس	اليونان	١١٠٠ ق.م.
٦ - كرشنا	إلهند	١٠٠٠ ق.م.
٧ - هيوس	أوروبا	٨٣٤ ق.م.
٨ - أندرا	التبت	٧٢٥ ق.م.
٩ - بيلى	أسيا	٧٢٥ ق.م.
١٠ - أياو	نيبول	٧٢٢ ق.م.
١١ - التيس	فيريا	٦٠٠ ق.م.
١٢ - كويكى لكوت	المكسيك	٥٨٧ ق.م.
١٣ - وتيا	ني فانسكو	٥٥٢ ق.م.
١٤ - بروميتوس	اليونان	٥٤٧ ق.م.
١٥ - كوربتوس	روما	٥٠٦ ق.م.
١٦ - مذرا	الفرس	٤٠٠ ق.م. (٢)

(١) المسيحية نشأتها وتطورها . ٩٣

(٢) ابطال ألوهية عيسى ٤٧ ، محمد فى التوراة والانجيل والقرآن ، ١٦٥

وفى كتاب العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية أمثلة كثيرة جدا مما يشترك فيه النصرانى مع الوثنيين فى عقيدة الصلب من أجل الفداء .

قال دوان : " ان تصور الخلاص بواسطة تقديم أحد الالهة ذبيحة ، فداء عن الخطيئة ، قديم العهد جدا عند الهنود الوثنيين وغيرهم " .

وكان الرومانيون واليونان يقدمون أنفسهم ذبيحة للإلهة استرضاء لها . وكانوا فى مصر يقدمون من البشر ذبيحة ، وتمكنت منهم هذه العادة الشريرة حتى صاروا يقدمون الابن البكر من أحد العائلات الاتانية ذبيحة ، يأخذونه إلى هيكل فى (فستات فى عالوس) ، ويضعون على رأسه اكليلا ثم يذبحونه قربانا للإله ، كما تذبح الانعام .

وقال بونويك Bonwick : " يعد المصريون أوزيريس أحد مخلصى الناس وأنه بسبب جده لعمل الصلاح يلقى اضطهادا ، ومقاومته للخطايا يقهر ويقتل .

وقال مورى : " يحترم المصريون أوزيريس ، ويعدونه أعظم مثال لتقديم النفس ذبيحة لينال الناس الحياة " (١)

وقال "دوان" ما نصه : " ويعتقد الهنود بأن كرشنا المولود البكر الذى هو نفس الاله فشنو ، الذى لا ابتداء له ، ولا انتهاء ، على رأيهم ، قد تحرك - شفقة وحنواً - كى يخلص الارض من ثقل حملها فأتاها وخلص الانسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه " (٢)

ويدعون (بوذا) الطبيب العظيم ، ومخلص العالم والمسوح ، والمسيح المولود الوحيد ، وغير ذلك ، وأنه قدم نفسه ذبيحة ليكفر آثام البشر ، ويجعلهم ورثة ملكوت السموات ، وبولادته ترك كافة مجده فى العالم ليخلص الناس من الشقاء والعذاب كما نذر (٣) .

(١) العقائد الوثنية ٧٤ .

(٢) العقائد الوثنية ٧٥

(٣) المسيحية ، شلبي ١٧٧ ، العقائد الوثنية ٧٧

وقال هوك : ان بوذا في - نظر البوذيين - انسان وإله معا ، وأنه تجسد بالناسوت في هذا العالم ليهدى الناس ويفديهم ، ويبين لهم طريق الامان وهذا التجسد اللاهوتي يعتقدده كافة البوذيين، كما يعتقدون أن بوذا هو ، مخلص الناس .

وقال دوان : كان الفداء بواسطة التألم والموت لمخلص إلهي قديم العهد جدا عند الصينيين . وكان الفرس يدعون "مترا" الوسيط بين الله والناس ، والمخلص الذي بتألمه خلص الناس ففداهم " ويدعونه : " الكلمة " ، و " الفادي " .

ويقول آرثر فندلاي : " حتى سنة ٦٨٠ م لم تكن الفكرة قد تبلورت حول الرمز الذي يعطى لصلب عيسى وقبل ذلك كان يرمز بحمل للمخلص مذرا ، فاستبدل عندئذ بالحمل رجل مربوط إلى الصليب .^(١)

ويقول الاستاذ ابراهيم خليل أحمد - الذي كان قسيسا وراعيا لكل كنائس الوجه القبلي في مصر وهداه الله إلى الحق وأسلم - : " إن الامبراطور قسطنطين هو الذي اتخذ الصليب رمزا للايمان المسيحي ... وعلى هذا يكون الصليب رمزا دينيا قديما جدا لا يمت إلى المسيحية بصله".^(٢) وهكذا شهد شاهد كان منهم أن فكرة تقديس الصليب هي فكرة مبتدعة لم يأت بها عيسى عليه السلام ولم يجعلها أساسا لعقيدته ، وإنما صنع ذلك المنحرفون من بعده بولس وفكرته التي نادى بها وقسطنطين والرمز الذي جاء به .^(٣) وبهذا يتضح تأثير الوثنيات عموما في نشأة الصليب ، وعقيدة الصلب للفداء ، ورمزية الصليب في النصرانية .

ألوهية عيسى وبنوته لله :

تشكل دعوى الوهية عيسى عليه السلام قاعدة الديانة النصرانية ومحورها المركزي الذي تتأسس عليه وتدور حوله منظومة العقائد النصرانية كلها من تجسد وحلول وتثليث وصلب وقيامه... إلى آخره كما ذكرت .^(٤) ورأينا كيف انه بينما كان البعض يراه رسولا مثله كمثل

(١) مشكلات العقيدة النصرانية ١٦٦

(٢) محمد في التوراة والانجيل والقرآن ١٥٨

(٣) مشكلات العقيدة النصرانية ١٦٧

(٤) انظر ص ١٤٥ ، ٢٦٤ ، ٢٨٠

من سبقه من المرسلين والانبياء راه اخرون إلهاً ، ورأى فريق ثالث أنه ابن الله له صفة القدم فهو أكبر من رسول وله صلة خاصة بالله وأنه وسيط بين الله والناس.

وهكذا تباينت نحلهم واختلفت مذاهبهم فى شخص المسيح .^(١) وتحدثنا عن الجامع التى عقدت من أجل اقرار الوهية المسيح وبنوته لله .^(٢)

ولقد كان تأليه الملوك والابطال والشخصيات العظيمة أمرا شائعا فى الديانات الوثنية . وأغلب الديانات الوثنية أصلها عبادات لبشر بلغوا العظمة على وجه ما من الوجوه الشائعة انذاك ، وتاريخ البشرية ملئ بذلك * .

ولم يكن مستغربا فى بلدان الشرق القديم أن يقوم من يزعم أنه " ابن الله " . ففى مصر القديمة نجد الكثيرين ممن يدعى فيهم أنهم أبناء الله ، كأبناء توت وبتاح ورع . ويقال : إن الفاتح الاسكندر الكبير حين دخل معبد سيوه سمع صنم الاله امون يناديه : يا ابنى . بل أننا نجد على احدى حفريات الاسرة الفرعونية التاسعة عشره فى ممفيس وعلى ورق البردى هذه العبارة التى نصف آمون : " هذا الله الذى عمل إلهاً وصار مزدوجاً " .^(٣)

فالمصريون القدماء من أشهر من أطوا ملوكهم ، وملك مصر كان إلهاً فى نظر المصريين^(٤) . وكان الهنود القدماء يقولون : بأن الاله " سافسترى " له ابن هو ابنه الوحيد وأسمه " آتى " وانه مولود غير مخلوق . كذلك كانت الديانة الزرادشتية تقول : بأن للإله : " مئراس " ابن هو : " أهورا " .^(٥)

(١) انظر ص ٢٨٢

(٢) انظر فصل الجامع ص ٢٧٩ .

(*) ولهذا أكد النبي صلى الله عليه وسلم على عدم الغلو فيه سواء بالاطراء فى حياته أو بعد موته أو تعظيم قبره لحماية للمسلمين من أن يقبوا فيما وقع فيه من قبلهم .

(٣) الاصول الوثنية ٣٩ ، العقائد الوثنية ٩٩ ، ١٠٠

(٤) الاصول الوثنية ٣٩ ، العقائد الوثنية ٩٩ ، ١٠٠

(٥) الاصول الوثنية ٣٩

وكان اليونانيون يدعون أبطلهم فى القرون الماضية آلهة واولاد الآلهة ، وأنهم ظهروا بالناسوت ، ومن بعد موتهم انضموا إلى الآلهة .^(١)

وكان قسطنطين امبراطور الرومان يؤمن بأن ابولو (إله الطب عند اليونانيين) هو إله الشمس وان افلاطون ابن الله^(٢) . ولذا أقر ماني النصرانية من دعوى بنوة المسيح لله.

ومن ألهم الرومان " روميلوس " مؤسس رومية كما ذكرنا ويدعونه " ابن الله " ولد من العذراء راسيلفيا ، ويقولون عن يوليوس قيصر أنه ابن الله ، وقالوا أيضا عن أغسطس قيصر أنه انسان وإله ... وقد ألهموا كلوريوس وكانوا يدعون ملوك رومية بهذه الالقاب " ربنا ومعلمنا وسيدنا وإلهنا " ^(٣) .

وقد اعتقد سكان رومية بألوهية سمعان السامرى الملقب " ماغوس " أو " الساحر " وكان معاصرا للمسيح عليه السلام وقالوا انه عمل ايات وعجائب مدهشة ووضعوا صورته مع صور الآلهة المصورين فى تلك المدينة . وقد نقل هذا كذلك المؤرخ يوسيبوس عن جوستين ، ويوجد على الجسر الكائن فوق نهو تبريس هذه العبارة " لسمعان الاله القدوس " .^(٤)

وما ذكرت يؤكد منبع هذه العقيدة الدخيلة - عقيدة الوهية ابن الاله وارساله لهداية البشر فى الديانات - و أن هذه العقيدة وورودها فى الاناجيل لم يكن مصدرها الا ما استورده النصرارى من ديانات وعقائد سابقة وشعوب وثنية ممن دخلوا فى النصرانية فيما بعد.

و خلاصة القول ان مؤرخى الاديان لا يستطيعون الا أن يعترفوا بالاصل الوثنى لعبارة " ابن الله " ، وان هذه العبارة كان لها تأثير كبير فى استقطاب الكثير من الوثنيين إلى الديانة النصرانية ، بل دخل بعضهم فى الدين الجديد بسببها .^(٥)

(١) الديانة اليونانية ١٣٠ ، الاساطير الاغريقية والرومانية ، كرملان ، ترجمة أحمد رضا ، ١٩٩٢ ، ١٤٤ - ١٥٣ .

(٢) النصرانية ، شاهين ٢٢٣

(٣) النصرانية والاسلام ٩٤ ، وانظر العقائد الوثنية ١٠١ ، وابطال ألوهية عيسى ٤٤

(٤) العقائد الوثنية ١٠٣

(٥) الاصول الوثنية ٤٠

التثليث :

من خلال النظر فى المصادر المتاحة يتبين أن عقيدة التثليث عقيدة وثنية محضة وجدت قبل ميلاد المسيح عليه السلام لدى الامم القديمة ، ومن ثم تأثرت بها النصرانية وقبلتها .

فالمتبع لتاريخ الاديان الوثنية يجد أن الثالوث المقدس يعتبر أصلا من أصولها ، ومعقدا من أهم معتقداتها .^(١) وفى هذا يقول الدكتور احمد شلبى : ان موضوع تعدد الالهة موضوع يكاد يكون عاما فى جميع الثقافات القديمة ، قال به المصريون القدماء ، وقال به الاشوريون والبابليون والفرس والهنود والصينيون واليونان ، على اختلاف فى عدد الالهة ومكانتهم ، واختلاف فى تصور صلة الالهة بعضهم ببعض أو صلتهم بالبشر .^(٢)

اما التثليث فلعله كان تحديدا لهذا التعدد ... واصبح الثالوث معبودا معروفا لكثير من الامم ولعل البابليين هم اول من قال بالثالوث ، وذلك فى الالف الرابع قبل الميلاد حيث كانوا يدينون بتعدد الالهة . لكنهم نظموا هؤلاء الالهة اثلاثا ، اى جعلوها مجموعات متميزة المكانة والقدرة ، كل مجموعة ثلاثة .^(٣)

فكانت المجموعة الاولى على رأس الالهة ، وتتكون هذه المجموعة من إله السماء . فإله الارض وإله البحر . اما المجموعة الثانية فإله القمر وإله الشمس ، وإله العدالة والتشريع ... الخ وان التثليث كان معروفا عند قدماء الهنود قبل المسيح باكثر من الف عام .^(٤) ويرى الدكتور وافى ان اول ديانة نشأ فيها عقيدة اللاهوت الثلاثى هى ديانة الهنود القديمة ، والننى كانت تعرف بديانة اليراهمة ، فأن اسفار الفيدا يرجع تاريخها إلى عصر سحيق ، يرجع به بعضهم إلى نحو القرن الخامس عشر قبل الميلاد .^(٥)

(١) الله واحد أم ثلوث ٧٨ وقصة الحضارة ٧٥ والاصول الوثنية ٨٢

(٢) المسيحية ، شلبى ١٣٥ وتاريخ الفلسفة مذكور ٦ - ٩

(٣) المسيحية ، شلبى ١٣٥ وعقيدتا التثليث والصلب ٢٦١

(٤) المسيحية ، شلبى ١٣٥ وعقيدتا التثليث والصلب ٢٦١

ويذكر دارسو الوثنية أن كافة الأبحاث الدينية المأخوذة عن مصادر شرقية لا تخلو من ذكر أحد أنواع التثليث أو التولد الثلاثي (أى : الاب والابن وروح القدس) .

قال موريس : كان عند أكثر الأمم البائدة الوثنية تعاليم دينية جاء فيها القول باللاهوت التالوثي ، أى : أن الاله ذو ثلاثة أقانيم .

وجاء في كتاب (سكان أوروبا الاول) "كان الوثنيون القدماء يعتقدون بأن الاله واحد ، ولكنه ذو ثلاثة أقانيم " .^(١) وهو ما يؤكد علماء النصارى أنفسهم .^(٢)

وفيما يلي ذكر بعض صور التثليث في الوثنيات القديمة ، ونبدأ بأقدمها ، وهي الوثنيات الهندية ، فنحن إذا تصفحنا كتب الهندوس سنجد أن أعظم وأشهر عقائدهم هو القول بالتثليث ، وقد كان للهندوس أكثر من ثالوث . فهو يختلف من طائفة لأخرى ولكننا نجد الثالوث في كل مرة يشبه إلى حد كبير ثالوث النصارى .^(٣)

منها : ما نقله الاستاذ مالغير في كتابه المطبوع عام ١٨٩٥ وترجمه إلى العربية نخله شقوان عام ١١٩٣ عن الكتب الهندية القديمة في شرح عقيدة الهندوس القدماء ما نصه :

تؤمن (سافستري) أى الشمس إله واحد ضابط الكل خالق السماوات والارض وبابنه الوحيد (أنى) أى النار نور من نور مولود غير مخلوق تجسد من (فايو) أى الروح فى بطن (مايا) العذراء وتؤمن (فاليو) الروح المحيى المنبثق من الاب والابن ، الذى هو مع الاب والابن يسجد له ويمجد .^(٤)

وقارىء هذا النص يحس أنه يقرأ وثيقة الايمان التى وضعها مجمع نيقية وتؤمن بها الكنائس على اختلافها . انه تشابه تام بين العقيدتين ، لا اختلاف بينهما الا فى الاسماء ، فبينما يسمى النصارى الاله أبا ، ويسوع المسيح ابنا ، وروح الحياة المنبثقة روح القدس ، نجد قدماء الهندوس يسمون الاب (سافستري) والابن (أنى) والروح (فايو) . وبينما يتجسد يسوع فى بطن مريم العذراء ، يتجسد (فايو) فى بطن (مايا) العذراء عند الهندوس . ونرى هذا الثالوث واضحا فى أكبر دياتنين فى الهند هما : الراهمية والبوذية .^(٥)

(١) العقائد الوثنية ٥٥

(٢) انظر ص ٣٣٢ وما بعدها .

(٣) النصارية من التوحيد إلى التثليث ٢٠٩

(٤) التعصب والتسامح ١٠١ ، الله واحد أم ثالوث ٨١

(٥) . الله العقاد ٧٦

وقال (دوان) :

" إذا أرجعنا البصر نحو الهند نرى أن أعظم وأشهر عباداتهم اللاهوتية هو التثليث أى : القول بأن الاله ذو ثلاثة أقانيم . ويدعون هذا التثليث بلغتهم : (ترى مورتى) ، وهى جملة مركبة من كلمتين سنسكريتيتين : أما (ترى) فمعناها : (ثلاثة) ، و (مورتى) معناها : (هيئات) أو أقانيم وهى (برهما وفشنو وسيفا) ثلاثة أقانيم غير منفكة عن الوحدة ، وهى : الرب والمخلص وسيفا ، وبمجموع هذه الثلاثة الاقانيم : إله واحد .

ويرمزون لهذه الاقانيم الثلاثة بثلاثة أحرف هى : الالف والواو والميم ، ويلفظونها " أوم " ، ولا ينطقون بها الا فى صلاتهم ، ويحترمون رمزها فى معابدهم احتراماً عظيماً .^(١)

وجاء فى (الكبيتا) - احد كتبهم المقدسة الدينية - أن كرشنا قال : " أنا رب المخلوقات جميعها ، أنا سر الالف والواو والميم - أوم - ، انا برهما وفشنو وسيفا . التى هى : ثلاثة آلهة إله واحد " .^(٢)

وكما نجد عند الهنود ثالوثاً مؤلفاً من : برهما وفشنو وسيفا ، نجد ذلك عند البوذيين ، فانهم يقولون : أن بوذا إله ، ويقولون بأقانيمه الثلاثة.^(٣)

وقال دوان :

"البوذيون الذين هم أكثر سكان الصين واليابان يعبدون إلهاً مثلث الاقانيم ، يسمونه : (فو) ، ومتى أردوا ذكر هذا الثالوث المقدس ، يقولون : (الثالوث النقى فو) ، ويصورونه فى هياكلهم بشكل الاصنام التى وجدت فى الهند ، ويقولون أيضاً : (فو) : واحد لكنه ذو ثلاثة أشكال!!^(٤)

وقال أيضاً : " كان الفرس يعبدون إلهاً مثلث الاقانيم ، مثل الهنود تماماً وهم : (أورمزد ، ومتراث وأهرمان) فأورمزد : الخلاق . ومتراث : ابن الله المخلص والوسيط . وأهرمان : المهلك "

(١) العقائد الوثنية ، ٥٥ ، تحقيق ما للهند البيروني ١٣٥ .

(٢) العقائد الوثنية ٥٦ ، ور . الاديان الشرقية القديمة فى الشرق ، رزوف شلي ن بيررت ، دار الشرق ، ط ٢ ، ١٩٨٣ ،

ص ١٠٤ .

(٣) العقائد الوثنية ٥٨

(٤) العقائد الوثنية ٥٨

ويوجد فى كتابات (زورستر) سائن الشرائع الفارسية ، هذه الجملة : الثالوث اللاهوتى
مضى ، فى العالم ، ورأس هذا الثالوث مونات . وكان الاشوريون والفينيقيون يعبدون آلهة مثلثة
الاقانيم . (١)

وقد اتسع موطن هذه العقائد المتضمنة لعقيدة التثليث بعد انتقالها من غرب اسيا إلى بلاد
اليونان وغيرها من المناطق التي خضعت للحكم الروماني بعد ذلك ، فقد كان يقوم بالدعوة إلى
الوثنية دعاة كثيرون يحاولون جذب الناس إلى هذه الديانات .

وقد روع قساوسة النصارى ما وجدوه من اوجه الشبه بين دينهم وبين المثراسبة وقالوا :
ان الثانية قد سرقت هذه العبادات عن النصرانية او انها فى المثراسبة حيل مضللة احتال بها عليهم
الشيطان فى صورة لاهرمن ..

وهو قول وزعم متهافت فقد عرفنا مما مر ان اقليم البحر الابيض كله كانت تسوده عقائد
وثنية قبل ان توجد النصرانية ، وقبل أن تنتشر فى ربوع تلك البلاد . (٢)

وكان اليونانيون - القدماء الوثنيون - يقولون : أن الاله مثلث الاقانيم ، وإذا شرع رجال
دينهم بتقديم الذبائح يرشون المذبح بالماء ثلاث مرات - اشارة إلى الثالوث ، ويرشون المجتمعين
حول المذبح بالماء ثلاث مرات ، ويأخذون البخور من المبخرة بثلاثة أصابع . ويعتقدون أن
الحكماء قد صرحوا أن كل الاشياء المقدسة يجب أن تكون مثلثة . ولهم اعتناء تام بهذا العدد
(الثالوث) فى كافة احوالهم الدينية . وقد جرد الباحث الالماني المعاصر اوزينير أكثر من ١٢٠ إلهياً
مثلثاً فى الاساطير اليونانية القديمة . (٣)

وقد انتقلت كل هذه الظواهر إلى الدولة الرومانية ، التي أصبح لها الحكم فى تلك البلاد
وغیرها .

(١) العقائد الوثنية ٦٥ ، ٦٦

(٢) عقيدتا التثليث والصلب ٢٦٨

(٣) العقائد الوثنية ٦٤ ، ٦٥ ، والاصول الوثنية ٧٠ ، ٧١

أما التثليث عند المصريين القدماء ، فقد أخذوه على حد تعبير وصفى عن الهنود من ٧٠٠ سنة ق . م ^(١) .

وقد كان للدين المصرى القديم تأثير قوى فى النصرانية . ليس فقط فى الشعائر بل فى صورها ورموزها . لدرجة أن الكثيرين يعتقدون أن صورة العذراء التى يصلى أمامها النصارى فى الكنيسة إنما هى مأخوذة عن صورة (ايزيس) المصرية التى كان يرسمها المصريون وهى تحمل طفلها (حورس) وترضعه ^(٢) .

ويقول ويلز - هو أحد علماء مقارنة الأديان فى بلاد الغرب - : أنه بعد الفتح الاغريقى لمصر أصبحت مدرسة الاسكندرية الحديثة مركزا لحياة مصر الدينية بل صارت فى الحق مركز الحياة الدينية للعالم الإلهلىنى كله ، فأقام بطليموس الاول معبدا عظيما هو معبد السرابيوم ، كان يعبد فيه نوع من ثلوث الأرباب مكون من : (١) اوزريس (٢) وايزيس (٣) وهوروس ، ولم يكن الناس يعدونها اربابا منفصلة بل هيئات ثلاث لإله واحد ^(٣)

ومن المؤرخين والمحققين المعاصرين من النصارى أسوق ما قاله الاستاذ زكى شردة حيث يقول : وكان فى معتقدات المصريين ما يجعل فكرة التثليث المسيحية قريبة إلى فهمهم ، فقد كان لكل مدينة هامة من مدنهم ثلوث من الالهة تختص بعبادته والولاء له ، ومن امثلة ذلك ثلوث طيبة ويتألف من امون (الاب) وموث (الام) وخنسو (الابن) وثلوث ابيدوس أو العرابة المدفونة ويتألف من (أوزريس) الاب ، والاعتقاد انه الاله الاكبر العظيم على ولادة الاقنوم الثانى حورس خالق المخلوقات ورب الأرباب والاقنوم الثانى هو (حورس) ويسمى الابن او النطق او الكلمة وهو ابن الاله اوزيريس وهو إله النطق والكلام الاقنوم الثالث هو (ايزيس) الاله وتسمى الام الوالدة والاعتقاد انها ملكة السماء وام الاقنوم الثانى . وكانوا يعتقدون انهم وان كانوا ثلاثة الا انهم يعملون معا) ^(٤) .

فهذا قول شاهد منهم وعليهم بسابقة التثليث المصرى على التثليث النصرانى .

(١) المسيح وصفى ١٤٣

(٢) دراسات فى النصرانية مزروعة ١٠٥ ، النصرانية والاسلام ٣٥ ، الميزان ١٤٥ ، تاريخ المسيحية فى مصر ، د. سليمان نسيم

ص ١٥ .

(٣) النصرانية شاهين ٦١ ، الاصول الوثنية ٧١

(٤) تاريخ الاقباط ١ / ٣٦ ، ٣٧ والله واحد أم ثالث ٧٩ ، ٨٠ المسيحية ، شلى ١٧٧

وبذلك تكون المشابهة قد وضحت بين العقيدتين ، وكلاهما تثليث وانحراف عن عقيدة التوحيد الصحيحة .

والمعروف أن الثالوث المصرى سابق فى الزمن للثالوث النصراني واللاحق يستعير من السابق ، ومن هنا فقد أكد " جارسلان كرينى استاذ الحفريات بجامعة اكسفورد ببريطانيا فى كتابه " ديانة قدماء المصريين " وجوه التماثل والتطابق التام بين الثالوث المسيحى والثالوث الفرعونى، الامر الذى دعاه إلى التقرير بأن الثالوث المسيحى مأخوذ من الثالوث الفرعونى. ^(١)

وهكذا لم يقتصر وجود التثليث على الامم التى ذكرنا فقد وجد عند أمم عديدة ^(٢) وظهر ان عقيدة التثليث عريقة فى الاديان السابقة للنصرانية والمنطقة التى انتشرت فيها كذلك.

ويذكر بعض المؤرخين أن أول من نادى بعقيدة الثالوث واختراعها واستعملها فى الديانة النصرانية هو "ترتليان" فى القرن الثانى الميلادى سنة ٢٠٠ م ، فهى عقيدة دخيلة على دين المسيح وعقيدته الحقة الموحدة . وكان "أثيناغورس" أول من نطق بكلمة "ثالوث" ، لأنه راعى عادات الرومان أصحاب السلطان على الامبراطورية الرومانية وقتئذ ، حيث كانوا معتنقين لديانتهم الوثنية ، وأنه ما كان هؤلاء الرومان ليعتقدوا النصرانية ويتصوروا معنى الالهية بغير ماهو ممتزج بأفهامهم ، وماهو مغروس فى قلوبهم من طقوس الوثنية الشائعة ، وفي ارتكازها على عقيدة الثالوث . ^(٣)

وفى النصوص المصرية القديمة وصف لولادة الابن الالهى يجعلونه احيانا فى حبررس الاله وكيف يقول الاب عن الابن : لسوف يمارس ملكا مباركا فى هذه الارض لانى وضعت روحى فيه . ويقول للابن : انك ابن جسدى الذى انجبت .

وهنا لابد من ان نقارن هذا مع ما ورد فى رسالة بولس إلى العبرانيين : انت ابنى انا اليوم ولدتك . ^(٤) ومع ذلك هناك من النصارى من ينكر ان تكون عقيدتهم فى التثليث مقبسة من الوثنية مع اعترافهم بوجودها عند الوثنيين . ^(٥)

(١) الله واحد أم ثالوث ٨١ المسيحية ، شلبى ١٧٧ والنصرانية والاسلام ١٩٩

(٢) ر . العقائد الوثنية ٥٩ ، ٦٦ المسيح ، صفى ١٤٤ التفكير الدينى ٢٩٤

(٣) ر . النصرانية والاسلام ٣٥ .

(٤) ر . عبرانيين ١ : ٥ وانظر العقائد الوثنية ٨٤

(٥) اناجيل النصارى ٨٧ ، ٨٨

ومن علمائهم من يقرر خلاف ذلك ، إذ يقول القس بولس الياس : " انه فى مفتتح القرن السابع الميلادى كتب البابا غريغوريوس الاول الكبير إلى القديس اوغسطينوس فى بريطانيا يقول :
دع البريطانيين وعاداتهم وابق لهم اعيادهم الوثنية واكتفى بتنصير تلك الاعياد والعوائد ، واضعاً إله
المسيحيين موضع آلهة الوثنيين . (١)

وهكذا نرى ان القس يعترف بتسرب الوثنية إلى النصرانية ويعترف بأن الكنيسة لم تقف فى
وجه الوثنية ، وحافظت على تقاليد الشعوب وابتقت الاعياد والطقوس الوثنية قائمة وآلهة الوثنيين
معبودة ولم تغير الا الاسماء فقط .

وبتنازل النصرانية عن معتقداتها وذوبانها وسط الوثنية وبتنازل بولس عن معتقدات الجماعة
الاولى ، فقد كتب القاضى عبد الجبار يصف الواقع الذى حدث بتنصر الدولة الرومانية فيقول :
إذا تبينت الامر وجدت النصرارى تروموا ورجعوا إلى ديانات الروم ، ولم تجد الروم تنصروا . (٢)
وقد قالها شارل جينيبيير بعد القاضى بقرون : ان الغربيين لم يكونوا قط مسيحيين فى يوم من الايام .
(٣)

والذى لا شك فيه أن النصرانية اخذت خلاصة الاديان الشرقية ثم امتصتها وقضت عليها
وظهرت بشكلها الجديد ، فالنصرانية اخر تشكيل ابتدعه العالم الوثنى القديم .

الكلمة :

ان تسمية الاقنوم الثانى من الثالوث بالكلمة - اى تسمية عيسى ~~الملك~~ بالكلمة - كان اثرا
من آثار العقيدة الوثنية القديمة .

وفيما يلى عرض لاهم الديانات التى ظهر فيها هذا المفهوم للكلمة ، فقد صرح كثير من
علماء المصريات مثل بونويك وبرستيد وغيرهم ان هذا المفهوم مأخوذ من الوثنية المصرية القديمة (٤)
فقال " بونويك " : واغرب عقيدة عم انتشارها فى ديانة المصريين (الوثنيين القدماء) قولهم

(١) الله واحد أن ثالث ٨٨

(٢) المعنى ١٥٨/١

(٣) ص ٢٠٩

(٤) مقدمة العقائد ٣٢

بلاهوت الكلمة ، وان كل شىء ، صار بواسطتها ، وان الكلمة منبثقة عن الله ، وانها الله
ويوجد فى كتبهم المقدسة هذه الجملة " انى اعلم بسر لاهوت الكلمة ، وهى كلمة رب كل
شىء ، وهو الصانع لها " فالكلمة هى الاقنوم الاول بعد الاله ، وهى غير مخلوقة ، وهى الحاكم
المطلق على كافة المخلوقات " (١) .

وسأل توليسو ملك مصر الكاهن تيشوكى ان يخبره هل كان قبله احد اعظم منه ، وهل
يكون بعده اعظم منه ؟ فاجابه الكاهن : نعم يوجد من هو اعظم وهو الله قبل كل شىء ، ثم
الكلمة ، ومعهما روح القدس ، وهؤلاء الثلاثة طبيعة واحدة وهم واحد بالذات وعنهم صدرت
القوة الابدية ، فإذهب يا فانى يا صاحب الحياة القصيرة ، قال صاحب العقائد الوثنية : لا ريب
أن تسميه الاقنوم الثانى من الثالث " كلمة " هو من اصل وثنى مصرى دخل فى غيره من
الديانات كالمسيحية . (٢)

وقال " هيجمين " : كان الفرس يسمون " مترا " الكلمة والوسيط والمخلص وكانت
عقيدة لاهوت الكلمة منتشرة كذلك فى الشرق القديم لدى الاشوريين والكلدانيين (٣) وكان
الاشوريون يدعون " مردوخ " الكلمة ، ويدعونه ايضا ابن الله البكر . كما كان الكلدانيون
يدعون الكلمة " ممرار " واليونانيون ايضا كانوا يدعون " ابولو " الكلمة . وهو الكائن قبل كل
شىء ابن الله البكر ، الخبز السماوى الابدى النائب عن الله ، صورة الله الكاهن ، خالق العوالم ،
الاله الثانى ، قوة الله ، الانسان الوسيط والفادى .. " (٤)

وبهذا يتضح أن الاعتقاد بالكلمة على نحو ما ذكرنا عند المصريين والاشوريين والبابليين
والرومان واليونان هو عين مانادى به النصرارى ، والمقارنة تظهر مدى تأثير تلك الوثنيات فى
النصرانية ، والتطابق فيما بينها فى تلك العقيدة .

(١) العقائد الوثنية ٨٥

(٢) العقائد الوثنية ٨٥

(٣) مقدمة العقائد ٣٢

(٤) اعتقاد المصريين ٢ / ١٦٢ محمود خفاجى نقلًا عن رسائل الرسل

عقيدة قيامة المسيح بعد الموت:

يعتقد النصارى أن المسيح بعد صلبه وموته قام من قبره وارتفع إلى السماء حيث جلس بجوار الاب على كرسى استعدادا لاستقبال الناس يوم الحشر ليدينهم على ما فعلوا ، وان الاله الاب اعطى سلطان الحساب للإله الابن . (١)

وإذا نظرنا إلى اصل هذه العقيدة فاننا نجد ان النصارى قد استوردوا هذه العقيدة من الهنود المصريين واليونان والرومان وغيرهم الوثنيين وطبقوها على شخص المسيح ^{المتن} .

وقد نقل صاحب العقائد الوثنية طائفة من هؤلاء الوثنيين الذين ظهرت عندهم هذه العقيدة: - إذ يعتقد وثنيو الهند بقيام كرشنا من الموت وبصعوده إلى السماء بجسده ، يعتقدون انه سيأتي ثانية في الايام الاخيرة. (٢)

والمخلص ادوني (ويدعى تموز ايضا) بعد ما قتلوه قام من بين الاموات ، وقصة موته وقيامه حكاها جوليس قرمسيوس ، وكان هذا الراوى معاصرا لقسطنطين قال : فى ليلة معينة ، بينما كان القداس جار لتعظيم أدوني ، جازا بتمثال ووضعوه على مهد وشرع القوم يندبون باناشيد الحزن والرثاء ، ومن بعد ذلك جاء الكاهن وصار يسمح افواه المرتلين بزيت وهو يقول : " ثقوا ايها القديسون برجوع إلهكم ، واتكلوا على ربكم الذى قام " من الموت " فبالامه استجلب لنا الخلاص " !! (٣)

وقال الدكتور برتشر د : " كان السوريون يعيدون لادوني فى فصل الربيع ، وكانوا اولاً يندبون موته بحزن عظيم ، ثم يذكرون قيامه من بين الاموات بفرح وابتهاج . " (٤)

(١) النصرانية والاسلام ٥٨ ، ٥٩ ، المسيحية الاصلية ، ج . ر . و . ستوت ص ٥٤ - ٦٥

(٢) العقائد الوثنية ١٦٧ .

(٣) العقائد الوثنية ١٥٨

(٤) العقائد الوثنية ١٥٩

قال الكسندر مورى : " كان اليونانيون القدماء يحترمون عيد قيام ادونى من بين الاموات ويعظمونه جدا ، وكانوا يأتون بصنم على انه ادونى ، ويتلون عليه جناز الموت وهم يكون ويرتلون اناشيد الحزن واليأس ، ومن بعد ذلك ترتفع اصوات الفرح والسرور وينادى بأن ادونى عاد حيا وقام " . واوزيريس المخلص المولود من عذراء قام من بعد موته والمصريون يدعونه " الواحد المبعوث " ، وقال مهامى : " ان محور التعليم الدينى عند الوثنيين فى مصر فى القرون الخالية هو الايمان بقيام الاله ، الوسيط الظاهر بالناسوت والمولود من عذراء من بين الاموات ، وابدية تملكه للملكوت السموات وكانوا يعيدون عيد الفصح بفصل الربيع تذكارا لقيام الاله المخلص ادونى من بين الاموات . (١)

وقال بونويك : ومن العجائب المدهشة ان الامم منذ خمسة الاف سنة وثقوا بأوزيريس المخلص الذى قام من بين الاموات ، واعتقادهم بأنه مخلصهم ، وانهم سيعودون احياء مثله .. وهو اشهر إلهتهم ويحيونه جدا ويقولون : انه الواحد الصالح وحببيهم فى الحياة والمات وحبا بالخير حمل الانام ولذلك غلب وقتل ودفن واصبح قبره ابرك بقعة بمصر يقصدها الزوار ، ودامت هذه الحال مدة الوف من السنين .

واصاب حورس الاله ابن العذراء ايزيس ما اصاب اوزيريس ، اى قتل ثم قام من بين الاموات . والذين يعتقدون فيه يعملون له كما يعمل للذى ذكر سابقا من الحزن والبكاء ، ثم الفرح والزينة يوم قيامه من الموت . (٢)

ومترات مخلص الفرس وهو الوسيط بين الله والناس ، كانت عبادته شائعة فى بلاد الفرس والارمن واسيا الصغرى ، مات قبلا ، ثم قام من بين الاموات ، ويوم عيد قيامه الواقع فى ٢٥ اذار يأتون بشباب يتماوت ردحا قصيرا ، ثم يقوم على انه عاد حيا وما ذلك الا تمثيلا لموته وقيامه وفى يوم عيد قيامه المذكور سابقا تقعد الكهنة على القبر الذى يعملونه فى معابدهم ويكونه ويندبونه فى ظلام الليل ، ثم يشعلون السرج بغته وينادون " افرحوا وتهللوا ايها القديسون المخلصون فقد عاد ربكم الذى بموته والامه واوجاعه نلنا الخلاص " ويعظمون جمعة الحزن . (٣)

(١) العقائد الوثنية ١٥٩ ، ١٦٠

(٢) العقائد الوثنية ١٦٠ والميزان ١٤٦ ، الشرق الادنى القديم ٣٤٤ ، انتصار الحضارة ، برستد ، ٩٣ ، والرمز والاسطورة فى

مصر القديمة ، رندل كلارك

(٣) العقائد الوثنية ١٦١ وقصة الحضارة ٢٧٦

قال في انتصار الحضارة: "وانتقل "مثراس" من آسيا الصغرى إلى أوروبا ، وزاد انتشار عبادته فيما بعد في جميع أنحاء الامبراطورية الرومانية ، وأصبحت بعد ذلك منافسا خطيرا للديانة المسيحية ، لأنه فيما يتعلق بالديانات بالنسبة لكثير من الامور الاخرى أتمت الامبراطورية الفارسية تحطيم الحدود الدولية ، وكان ظهورها بداية فترة طويلة من الزمن تنافست فيها الديانات الرئيسية في الشرق لنيل مركز الصدارة بين جميع الامم".^(١)

ويعتقد الرومان ان هرقل المخلص بن الاله زوس من الام البشرية ، قتل وقام من بين الاموات وصعد إلى السماء على غمامة يحفها الرعد ، وقد بنى المعتقدون بالوهيته هيكلًا في المكان الذي يقال عنه انه صعد منه إلى السماء !!

و"احفار يوس" قام من بين الاموات ، وكان المؤمنون به من اليونانيين يدلون الناس على المكان الذي صعد منه إلى السماء .^(٢)

وهكذا كما قال الوثنيون عن قيام ابناء إلهتهم من بين الاموات ، قالت النصرارى عن يسوع المسيح تماما .

وكما ذكرنا ما قاله الوثنيون بخصوص مجيء ابناء إلهتهم المتحسدين إلى هذا العالم مرة اخرى فقد اقتدى بهم النصرارى ، فقالوا بمجىء المسيح مرة ثانية إلى هذا العالم ، ولم يغادروا شيئا مما قاله الوثنيون عن إلهتهم الا وقالوه بحق يسوع المسيح ظنا منهم ان في ذلك تعظيما لمقامه ~~الذي~~^(٣)

(١) انتصار الحضارة ٢٧٩ ، ٢٨٠ .

(٢) العقائد الوثنية ١٦٢ ، ١٦٨ .

(٣) العقائد الوثنية ١٦٣ ، ١٦٩ .

أثر الوثنيات القديمة في تحريف الشعائر النصرانية :

لم يقتصر اقتباس النصرانية من الديانات الأخرى أو الوثنيات المجاورة على أمور العقيدة فحسب ، بل انه شمل كذلك التأثير في الشعائر وعلى حد تعبير جينيير عن ذلك ان التأثير الوثني في شعائر المسيحية نمت بالتوازي مع العقيدة وبنفس الاساليب .^(١)

وفيما يلي عرض لاهم هذه الشعائر المقتبسة من الوثنيات القديمة :

التعميد :

إن الموازنة بين التعميد كما يجري في الكنيسة وما في الوثنيات السابقة يؤكد ان عدد اليس بالقليل من الطقوس الوثنية يظهر عند النصارى .

يقول لندي فيقول : " إذا تصفحنا التاريخ نرى ان طقس العمادة قديم العهد جدا ، فقد كان أتباع "زورستر" يعمدون أولادهم سواء كانوا أطفالاً أو مراهقين ، وكذلك الفرس القدماء كانوا يأخذون أولادهم إلى إلهياكل بعد الولادة بيضعة أيام ، ويسلمونهم للكاهن عند صنم الشمس ، فيغمسه باناء مملوء ماء ، ثم يسمونه بما يودون من الاسماء .

وقال الدكتور "هيد" كانت العمادة عند القدماء اما غمسا بالماء أو رشا ، ويدعون هذه العمادة الولادة الثانية ، وكان المصريون يعمدون أولادهم المراهقين ويسلمونهم الاسرار الدينية ، الابتدائية ، ويرسمون على جبين المعمد علامة الصليب المقدس .^(٢)

وعند البرهميين عادة دينية قديمة تشابه ما يعمله الفرس والمصريون القدماء ، من طقوس العمادة حيث يصلون ويتوسلون للشمس ، ومن بعد قسم الايمان المغلظة من المعتمد - إذا كان

(١) ص ١٥٩ ، ١٦٠

(٢) ر. العقائد الوثنية ١٢٥ - ١٢٨ .

كبيراً على أداء الطاعة التامة للكهنة ، وحفظ الاسرار - يرشونه بالماء ثلاث مرات ، ويخاطبونه بما يوافق المقام ، ويعدون الرش بالماء (الخلق الجديد) ، ويلبسونه ثوباً خصوصياً ، واكليلاً ، ويرسمون على جبينه صليبا ، ويضعون على صدره صليبا من شكل صليبان (تو) ويسلمونه السر؛ وهو كلمة (اوم) ... الخ^(١)

وفى بلاد اليونان كان يجرى على الطفل الرضيع طقس معين يشبه التعميد فى النصرانية إلى حدما ولكن الامر لم يكن ينطوى على اى فكره لتخليصه .^(٢)

وقال دوان ما نصه : كان الرومانيون الوثنيون يعمدون اولادهم بالماء ويعتقدون ان العمادة واسطة لازالة الخطايا .^(٣)

وقد نقل صاحب كتاب العقائد الوثنية نقولا عدة لعلماء الغرب ثبت تشابه طقس العمادة النصراني مع وثنية امم اخرى.^(٤)

العشاء الربانى

ويرمز إلى عشاء عيسى الاخير مع تلاميذه وحواريه ، إذ يزعم النصارى أن عيسى اقتسم معهم الخبز والنبيد ، والخبز يرمز إلى جسد المسيح الذى كسر لنجاة البشر اما الخمر فيرمز إلى دمه الذى سفك لهذا الغرض ايضا كما ذكرنا .^(٥)

(١) العقائد الوثنية ١٧٩

(٢) الديانة اليونانية ٩

(٣) العقائد الوثنية ١٨٠

(٥) انظر تفصيل العقائد الوثنية ١٨٠ - ١٨١

يقول صاحب الاصول الوثنية : قدمت الاكتشافات الاثرية فهما عميقا جدا للعلاقة الوثيقة بين القداس المسيحي وبين الاسرار فى الديانات الوثنية القديمة . (١)

ومن بين الاثار المكتشفة فى بلاد الفرس والموجودة حاليا فى متحف اللوفر فى فرنسا تمثال لاتباع الاله ميترأ نراهم فيه يتناولون الخبز والنبيد . ويصف الكاتب الفرنسى فرانس كومون فى مجلة علم الاثار لعام ١٩٤٦ هذا الاثر قائلا : نظرا لان لحم الثور كان صعب المنال احيانا فقد اضطر اتباع الاله ميترأ إلى استخدام الخبز والنبيد مكان اللحم . وكانوا يرمزون بذلك إلى لحم معبودهم ميترأ ودمه تماما كما يرمز المسيحيون اليوم إلى لحم المسيح ودمه بالخبز والخمر (٢)

وبعض النصارى يرفضون مثل هذه المقارنات كما ذكرت (٣) ، لكن فقرة واضحة من رسالة بولس إلى اهل كورنثوس لا تدع مجالاً للشك فى المقارنة .

حيث يقول بولس عن اكل اللحوم المذبوحة للالهة عند الوثنيين : "ان ما يذبحه الامم انما يذبحونه للشياطين لا لله فلست اريد ان تكونوا انتم شركاء الشياطين" . (٤)

لكن علماء التاريخ والاديان الذين يرفضون المقارنة بين الوثنيين والنصارى هم قلة بين العلماء .

بل ان علماء الاثار وجدوا نصوصا على ورق البردى من مصر القديمة تدل على ان دم الاله اوزيريس كان يتحول إلى خمر . وكذلك يقول فرانس كومون فى كتابه عن الاديان الشرقية

(١) ص ٦١

(٢) قصة الحضارة ٢٧٥ ، الاصول الوثنية ٦١ ، العتاد ١٧١

(٣) غضب القديس جوستين من هذه المقارنة وقال : ان المقارنة بين القداس المسيحي والذبايح الوثنية اصلا هى مقارنة شيطانية .

ص ٦٤ الاصول الوثنية . وانظر ص ٣٣٤ من البحث

(٥) ا كورنثوس ١٠ : ٢٠ .

القديمة" ان اتباع اتارغاتيس (المعبودة السورية القديمة) كانوا يلتهمون السمك الذى يقدمونه لها ثم ينشدون انهم بذلك يتناولون لحم معبودتهم . وهذا ما يفعله المسيحيون فى القديس ايضا.^(١)

ويذكر احد الرهبان الاسبان انه رأى الهنود يضعون قطعة من الكعك كبيرة جدا على صورة معبودهم (هوتيزيلوبوشيتى)^(٢)

وفى كل عام يصنعون الكعكة على صورته فيكسرونها ويوزعونها بينهم ويأكلونها وهم يعتقدون أنهم يأكلون جسد معبودهم ، وكانوا يقولون وهم يأكلونها : اكلنا ربنا ، ويقولون : انا نحفظ الله ونحرسه حين نأكله.^(٣)

وكذا عند اليونانيين بل ان العشاء - كما يذكر دارسو أصول الوثنية النصرانية - منحدر من كلمة يونانية تعني وجبة الطعام التى كان يتقاسمها الذين كانوا يحتفلون بالقربان او التضحية حيث كان إلههم حاضرا وهو ايضا وجبة مقدسة يأكلون منها طعاما مقدسا ولهذا تعتبر تضحية او قربانا

والقديس فى النصرانية يتضمن كما ذكرنا هذين المعنيين : معنى العشاء ومعنى القربان او التضحية^(٤)

قال صاحب الاصول الوثنية : ومن الواضح ان الكنيسة بتبنيها ذبيحة المسيح المشاركة فى لحمه ودمه كانت تستثير الدفائن العميقة فى النفس البشرية الوثنية : الذبيحة البشرية التى كانت تقدم للآلهة ..^(٥)

ثم قال : ونحن لا نستطيع ان نتجاهل هذه النصوص القربانية الرمزية ، الكعكة التى تشبه خبز القديس ، والاله الذى يتجلى امام الكاهن كما يتجلى المسيح فى القديس .^(٦)

(١) الاصول الوثنية ٦٤

(٢) ذبح الكاهن كوتيز (هوتيزيلوبوشيتى) برمح ، وقد مات الاله هوتيز امام السادن الذى كلمه الاله حقا وظهر امامه وجعل له قربانا وكان هناك اربعة من الشباب الكهنة ومات امامهم فلما مات توزعوا جسده بينهم ص ١٤٤ .

(٣) الاصول الوثنية ١٤٥ .

(٤) الاصول الوثنية ١٢٤ ، ١٢٥ وانظر قصة الحضارة ٢٧٥

(٥) الاصول الوثنية ، ١٤٣ .

(٦) الاصول الوثنية ١٤٥

الرهينة :

ان الباحث في مقارنة الاديان يجد ان النصرارى فى الرهينة اتبعوا المنهاج الهندى دون تحريف فالترهب والتبتل هى سمة واضحة فى الهندوكية والبوذية . (١)

وهذا نفسه ما عرضه ديورانت من تأثير النظرية البوذية وقوانينها الاخلاقية على الرهبان..
ورهبان الشرق بصفة خاصة حسب تسميته طم .

ويشير جينيبير إلى مصدر اخر اثر فى ابتداع الرهينة عند النصرارى وهو المانوية فقد كان
للمانوية دور كبير فى هذا وان كان يصعب تحديد مداه اليوم على حد تعبيره . (٢)

ولكنه يؤكد أن المانوية - وان كانت فشلت كحركة دينية ، وحلت محلها النصرانية فى
ذلك العصر - وأفكارها تشربتها النصرانية أو شملتها ، مع تنسيقها بالدرجة التي تتجاوب فيها
ومختلف طبقات الناس ، بل ان المانوية أثرت تأثيرا عميقا على روح الكنيسة فى تلك الفترة ، وعلى
انشاءاتها فيما بعد . (٣)

ويرى اخرون ان الرهينة جاءت للنصرانية من ديانة الرومان " فستا " التي كانت قبل

المسيح بألف عام لان رملس إله الرومان كان ابن (رياسلفيا) ابنة احد الامراء التي نذرت العفة
وافخرت فى سلك العذارى المقيمات فى هيكل الاله " فستا" للعبادة . (٤)

عبادة الصور والتماثيل وتوافق الاعياد :

مما تجلى فيه تأثير الوثنية فى النصرانية تقديس التماثيل والصور والتي لا يخلو منها دير او
كنيسة برغم تحريم التوراة لذلك ، ونشأت عبادة الصور والتماثيل كأية بدعة اخرى محدودة
النطاق، ثم تمت تدريجيا ولكنها لم تدخل فى صلب الديانة النصرانية بصفة رسمية الا فى مجمع نيقية
الثانى كما ذكرت . (٥)

(١) أديان الهند ، شلي ، ٢٠٧ .

(٢) المسيحية نشأتها وتطورها ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ماني والمانوية ١٣٠ ، ١٣١ ، قصة الحضارة ١١٩

(٣) ر . المسيحية نشأتها وتطورها ٢٥٣ - ٢٥٦ .

(٤) النصرانية والاسلام ٧٣ .

(٥) العلمانية ١٠٠ - ١٠٣ وقد جاء فى الوصايا العشر لذي اليهود " لا تصنع لك تماثلا منحوتا ولا صورة مما فى السماء من فوق

وما فى الارض من تحت وما فى الماء من تحت الارض ، خرج ٢٠ : ٤ ، وانظر ص ٢٩٢ .

وقد نافست النصرانية اكثر الاديان وثنية بكثرة اعيادها وتنوعها ودارس تاريخ الاديان الوثنية والنصرانية لابد ان يلحظ ان الاعياد النصرانية وقتت من قبل الكنيسة فى ايام الاعياد الوثنية نفسها^(١).

ويؤكد هذا ول ديورانت عند تعليقه على اسرار النصرانية : ان المسيحية لم تقض على الوثنية بل تبنتها .^(٢)

وإلى مثل هذا ذهب المؤرخ فيشر إلى مشابهة طقوس الديانة النصرانية واسرارها المقدسة فيما للديانة القديمة من طقوس واسرار .^(٣)

تعقيب :

هناك من يرى ان النتائج التى تثبت اثر الوثنية على النصرانية يعتمد قسط منها على الحدس، وانها ليست قاطعة ، لاسيما وان النصرارى الاوائل ابادوا بعض الكتب الدينية الوثنية كما ورد فى أعمال الرسل من احراقهم للمؤلفات الوثنية فى أفسس اليونانية .^(٤)

الا ان هذا لايعنى فناء جميع المصادر الوثنية الاولى ، فإذا كان النصرارى القدامى قد اترفوا بعضها فقد بقى منها ما يكفى لاثبات هذا التشابه ، فان بعض المؤلفين النصرارى امثال أوريجين حفظوا لنا معلومات نادرة ومختارات من الكتب الوثنية ، وفيها نصوص كثيرة من الوثنيات التى تثبت هذا التشابه .^(٥) فقضية التشابه قائمة ولا يعنى ذلك التماثل من كل وجه.

وكما يقول جينى بير : انه ان تعذر ارجاع كل لون من الوان الطقوس المسيحية إلى الاصل الوثنى الذى نبع منه الا انه لا مجال للشك فى ان الروح الوثنية فى مظاهر العبادات العملية قد فرضت على المسيحية شيئا فشيئا .^(٦)

(١) الاصول الوثنية ٥١

(٢) ص ٢٧٥

(٣) تاريخ اوربا ص ٧ ، ٨ ، دراسات فى الاديان ٢٢٧ ، الله ، العناد ص ١٧٠

(٤) ر . أعمال الرسل ١٩ : ١٩ .

(٥) الاصول الوثنية ٢٤ ، ٢٥

(٦) ص ١٦٠

وقد أثبت علماء مقارنة الأديان والدراسات النصرانية التشابه بين ديانات وعقائد الشعوب البوذية والهندية والفارسية ، والعبادات الشرقية عموماً التي زحفت إلى الإمبراطورية الرومانية ، بما يؤكد أن النصرانية المحرفة تأثرت في وضع معتقداتها وشعائرها بتلك الشعوب.^(١)

ولم تكن الوثنية الرومانية في تلك الفترة - القرون الأولى للميلاد - ذات طابع ثابت ، بل كانت خليطاً عجيباً من المعتقدات والعبادات من مختلف البلاد وشتى الثقافات .^(٢)

ومما يذكر هنا أن القرآن الكريم قد نص على ذلك منذ أربعة عشر قرناً حيث قال الله تعالى عن تبديل عقائد النصارى وتغييرها .

قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ (المائدة / ٧٧) .

وقال عز وجل : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزْيُرُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْنَا اللَّهَ أَنَّى يُولَدُ كُونَ ﴾ (التوبة / ٣٠)

(١) ر . العقائد الوثنية ١٨٥ - ٢٠٠ ، ٢٠٣ - ٢١٨ ، أديان الهند ، شلي ، ٢٠٨ ، مقارنات الأديان ، محاضرات في

النصرانية ، أبو زهرة

(٢) ر . الدولة والكنيسة ، رأفت عبد الحميد ، ص ١٥ ، نقلاً عن دعوة التوحيد ، ص ٢٨٩ .

الفصل الثالث

أثر الفلسفة في تحريف العقيدة النصرانية

تمهيد :

ليس من قصدنا في هذا الفصل أن نقدم دراسة عن المدارس الفلسفية اليونانية التي سادت البيئة اليونانية خلال ستة قرون قبل ميلاد المسيح عليه السلام لبيان مدى تأثيرها في تحريف العقيدة النصرانية ، فليس لفلاسفة هذه المدارس علاقة بالنصرانية التي نشأت فيما بعد.

وليس من قصدنا كذلك أن ندرس في هذا الفصل فلسفة العصور الوسطى ، التي اشتغل بها آباء الكنيسة في تلك العصور ، موفقين بينها وبين العقيدة النصرانية ، ففلسفة العصور الوسطى كانت بعد أن تمت العقيدة النصرانية المحرفة خلال القرون الأولى للنصرانية.

وإنما نعنى في هذا الفصل بعرض آراء الفلاسفة الذين نشأوا في القرون الأربعة الأولى للنصرانية ، تلك التي تكونت فيها العقيدة النصرانية بكل ما لحقها من انحراف عن عقيدة المسيح عليه السلام.

ولا سيما هؤلاء الفلاسفة الذين جمعوا بين دراستهم للفلسفة ، واعتناقهم بعد ذلك للنصرانية، وقاموا خلال هذه القرون إما بتحريف العقيدة النصرانية الصحيحة في بعض جوانبها، أو بتفسير العقائد الموجودة في هذه القرون تفسيراً فلسفياً ، أو بمحاولة التوفيق بين الآراء الفلسفية والعقائد النصرانية ، أو بالتأثير على بعض دعاة النصرانية الأوائل عن طريق الاتصال بهم ، كما حدث بين فيلون الاسكندري وبولس كما أشرنا ^(١)، وكما سنوضحه في هذا الفصل ، أو بانتشار مذهبهم الفلسفي في البيئة النصرانية ، وإن لم يعتنق الديانة كما حدث لأفلوطين الاسكندري ، صاحب فلسفة الافلوطينية الحديثة ، إلى غير ذلك من مظاهر التأثير في العقيدة النصرانية.

أولاً- بداية دخول الفلسفة اليونانية في الفكر النصراني :

بدأت النصرانية كفرقة يهودية اضطهد اليهود دعواتهم كما ذكرنا^(١)، ولم تكن في بادئ الامر تلتفت إلى آراء الفلاسفة ، لأن دعوتها دين إلهي يقوم على الايمان بالله تعالى وحده ، ولذلك لم تدخلهم العلوم الفلسفية ولا الجدل اليوناني .

وبقيت النصرانية صافية من هذه الشوائب يوم كانت دعوة خاصة ببني إسرائيل زمن عيسى عليه السلام ، ولكن بعد أن انتشرت الديانة النصرانية في أرجاء الدولة الرومانية - بعد بدء فكرة عالمية النصرانية على يد بولس كما ذكرنا -^(٢) دخلت إلى العالم الوثني ، فدخلت معركة الوثنية من جهة ، - كما ذكرنا^(٣) - ومع الفلسفة من جهة أخرى ، وانتشرت وتسربت بغض الافكار والعلوم إلى هذه الديانة الناشئة المضطهدة ، فتأثرت بهذه الافكار وخاصة الفكر اليوناني ، وذلك لأسباب منها :

- دخول أصحاب الاهواء والمنافقين ممن تأثروا بالفلسفة أمثال بولس في الديانة في عصر مبكر من تاريخ النصرانية ، حيث أمكنهم أن ينشروا أفكارهم ومعتقداتهم الضالة ، ولم يكن للنصارى الصادقين إمكانية الرد عليهم وقمعهم من خلال دولة تحمي دين المسيح عليه السلام من تحريف الضالين الجاهلين وأصحاب الاهواء .

- دخول بعض فلاسفة اليونان في الديانة النصرانية ، وقد كان كثير من كبار قساوسة النصرانية تنصروا بعد فلسفة ، بل تعمقوا في الفلسفات الوثنية ، فكان من الطبيعي أن يصدروا عن معارفهم وأفكارهم السابقة وثقافتهم في مجال تبين عقيدتهم ، مثل " بوستن " وحاووا أن يسدوا الثغرات التي يجدونها في الديانة النصرانية بمزيج من الفلسفات التي كانوا عليها ، بل يمكن القول إن اليوناني بقي يونانيا بعد دخوله في النصرانية .^(٤)

- تسامح رجال الدين النصراني مع الداخلين في الديانة لأجل استقطاب أكبر عدد منهم فكان المرء يدخل في النصرانية اسما فقط ، وأفكاره كلها منح ما كان يعتقد من قبل ، كحال جميع

(١) انظر فصل الإضطهاد ص ٣٠٢ وما بعدها .

(٢) انظر ص ١٥٥ .

(٣) انظر ص ٣١٢ وما بعدها .

(٤) ر. الديانة اليونانية ، ١٧١ ، نجر الاسلام ٢٨ ، تاريخ الفكر المسيحي ، ٨٤ ، ٨٥ ، عقيدتنا التثليث والصلب

الذين دخلوا في النصرانية ، لأن النصرانية لم تكن لها دولة تحميها ، بل كانت مضطهدة تحت الدولة الرومانية ، لذلك لجأت إلى التسامح ، وعض النظر عن الافكار الدخيلة^(١)

ب- أهم الفلاسفة الذين تأثر بهم النصارى :

فيلون :

ولد فيلون في الاسكندرية نحو عام ٢٠ أو ٣٠ ق.م ، ومات بعد عام ٥٤ من القرن الاول الميلادي ، أي في زمن الحواريين ، وكان كبير المنزلة بين أبناء جنسه ، وطائفته اليهود ، حتى أرسل على رأس وفد إلى رومة ممثلاً لها لدى الامبراطور "كاليغولا" ، وكان ذلك بعد أن تجاوز الستين من عمره .

وهو فيلسوف إسكندري في آرائه الفلسفية والدينية ، وقد درس الفلسفة اليونانية وسائر الفلسفات ، التي كانت الاسكندرية تموج بها في عصره .

وقد بلغ من علو مرتبته في الفلسفة الاغريقية أنه كان يلقب "بالافلاطوني" أو "بأفلاطون اليهود" ، ذلك بأن فلسفته كانت تقوم بعد التوراة والتفكير اليهودي على فلسفة أفلاطون والمذاهب الافلاطونية عامة ، وقد جعل هدفه التوفيق بين الكتاب المقدس ، وعادات اليهود من جهة ، والاراء اليونانية وبخاصة آراء أفلاطون من جهة أخرى.

ومع هذا لم تخل فلسفته وآراؤه من التأثر ببعض التفكير الشرقي ومذاهبه ، ومن ثم كان لفلسفته - وهذه مصادرها - الاثر الذي لاينكر في الافلاطونية المحدثه ، والنصرانية الحالية ، وكان ذلك بفضل دعاة النصرانية الاوائل ، وهذا هو السر في أن فيلون قد شغل أول الامر المؤرخين الذين يبحثون عن أصول النصرانية .

وقد ازدهر نشاط فيلون العقلي في الاربعين سنة الاولى من القرن الاول النصراني ، فقد كتب آخر مؤلفاته في عام ٤١ م .

(١) ر. أهم عوامل انحراف النصرانية ، ٦٥ ، موجز تاريخ الشرق الادنى ، فيليب حتي ، ١١٩ .

وقد أسهم على غير علم منه في تكوين اللاهوت النصراني ، ويستبين ذلك من عرض بعض آرائه ونظرياته الفلسفية والدينية ، والتي تكررت بهيئتها في العقائد والتعاليم النصرانية .^(١)

أفلوطين :

ولد في مدينة أسيوط عام ٢٠٤ ، وتوفي عام ٢٧٠م. تتلمذ في مدرسة الاسكندرية ، ثم رحل إلى فارس والهند ، فاطلع على المعارف الصوفية الهندية ، والتعاليم البوذية والبرهمية... الخ. ثم عاد إلى الاسكندرية ، وفي جعبته خليط من ألوان الثقافات ، فراح يدرسها.

وكان أساس تعاليمه أموراً ثلاثة :

- ١- الكون نشأ عن الخالق الأزلي الأول الذي لاتحده الافكار .
- ٢- الارواح شعب لروح واحدة تتصل بالخالق الأزلي عن طريق العقل ، المنبثق عن الخالق الأزلي الأول .
- ٣- العالم كله في تديره وتكوينه وتحركه يخضع لهذه الثلاثة : المنشيء الأزلي الأول ، العقل المنبثق عنه ، الروح التي هي مصدر تشعب عنها الارواح جميعا .

ويشرح أفلوطين نظريته الثلاثية فيقول : عن المنشيء الأول صدر العقل ، وليس صدوره كالولادة ، ولكنه انبثاق من العقل انبثقت الروح التي هي وحدة أساس الارواح كلها . وهذه الثلاثة المنشيء الأول ، والعقل والروح أساس لتوالد العالم وتواجد تكوينه .^(٢)

ج- فلاسفة النصارى في القرون النصرانية الاولى وآراؤهم الفلسفية :

يوستينيوس

ولد سنة ١٠٠ أو ١٠٥ من أبوين وثنيين ، وتربى على الديانة الوثنية ، وتعلم الفلسفة

(١) ر. عقيدتا التليث والصلب ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

(٢) ر. تاريخ الفلسفة ، إبراهيم مذكور ، ٦٥ ، مشكلات العقيدة النصرانية ، ١٤٤ ، فجر الاسلام ، ٢٨ .

الرواقية^(١)، ثم درس فلسفة الاكاديميين^(٢) والفيثاغوريين^(٣)، ولكن كل هذه الدراسات لم تشبعه، حتى وجد - حسب زعمه - في المسيحية الفلسفة الحقيقية .
وقد كرس حياته للدفاع عن المسيحية ، الا انه لم يتخل عن دراساته الفلسفية السابقة . وقد حكم عليه بالاعدام سنة ١٦٥م في روما .

آراؤه العقيدية:

يعرض القس حنا الخضري آراءه الاعتقادية فيقول : يرى يوستينيوس أن "اللوجوس" هو القنطرة التي ألقيت على إلهأوية الفاصلة بين الله والانسان ، فدور هذه القنطرة أو اللوجوس هو الوساطة بين الله والانسان . والله لا يتصل بالعالم الا عن طريق اللوجوس ، فهو الوسيط الذي عن طريقه يعلن الله ذاته ، ثم يقود النفوس إلى الرب .

ولقد حاول ان يشرح اصل اللوجوس ، فقال بأنه كان ساكنا في الله كقوة ، وهذه القوة انبثقت أو خرجت من الله قبل الخليقة ، ولقد قام اللوجوس بعملية الخلق ، ولكي يوضح عملية انبثاق اللوجوس من الاب استعمل بعض التشبيهات والصور .
ومع أنه يعتقد بأن اللوجوس انبثق من الله ، لكنه مؤمن بأنه يتمتع بوجوده الذاتي والتميز بالطبيعة عن الله السامي .

وقد كان أهم المواضيع التي عالجها موضوع اللوجوس ، وفي شرحه لهذه العقيدة يرى بعض الروابط التي تربط المسيحية بالوثنية .

وعلى الرغم من دراساته العميقة ومعرفته بالكتاب المقدس فإن التعاليم الافلاطونية تركت تأثيرا عميقا عليه . وفي كتاباته يلحظ التأثير الوثني ، لاسيما في تعليمه عن اللوجوس ، وطريقة

(١) الفلسفة الرواقية : سميت رواقية لأن أصحابها كانوا يجتمعون في رواق ، وهي فلسفة أخلاقية ، وتقول عن الله بأنه خالق

كل شيء وهو منبث في هذا الكون . ر . الموسوعة الفلسفية ، ٢١٤ .

(٢) الأكاديمية نسبة إلى المدرسة التي أنشأها أفلاطون ، وسماها أكاديميا . وكانت تدرس الفلسفة اليونانية . ر . الموسوعة

الفلسفية ، ٦٠ .

(٣) الفيثاغورية : نسبة إلى فيثاغورس اليوناني ومدرسته فلسفية ، وفيها مبادئ فلسفية تتصل بالزهد ، وهم يرون تحريم أكل

اللحوم ، ويقولون بتناسخ الأرواح . ر . موسوعة الفلسفة ٢٢٨/٢ .

الانبثاق ، فإن خروج اللوجوس من الاب يشبه إلى حد ما خروج بعض الارواح من الاله الاعظم في المفهوم الوثني الغنوصي .

وهو يعتقد بأن الابن أدنى من الاب ، وأن الروح القدس أقل من الابن ، وعندما يتكلم عن الثالث يضع الله في المرتبة الاولى ، والمسيح في المرتبة الثانية ، والروح القدس في المرتبة الثالثة .

قال صاحب الكتاب في آخر حديثه عنه : ومما لاشك فيه أن الدراسات الفلسفية الكثيرة التي درسها يوستينيوس تركت في تعاليمه بعض الآثار الوثنية .^(١)

تاتيانوس :

ولد سنة ١١٠ في سورية ، من عائلة وثنية ، ثم ترك سورية ، واتجه إلى بلاد اليونان لكي يدرس أفكارهم وفلسفتهم ، وبعد أن أقام في اليونان فترة من الزمن انطلق إلى روما لكي يستقي من فلسفتها . وفي روما تقابل مع يوستينيوس ، فتعلم على يديه . وقد خالف أستاذه في أنه ضرب عرض الحائط بكل العلوم والفلسفات الاخرى غير المسيحية .

آراؤه العقديّة :

من تعاليمه أن اللوجوس كان غير موجود في زمن ما ، في زمن بعيد جدا في الازل . وفي هذا يقول القس حنا الحضري معلقا : وهنا نلاحظ ظهور التربة التي ستتمو فيها فيما بعد أنواع كثيرة من الهرطقات المختصة بشخص المسيح وعدم أزليته . واللوجوس عنده كان محتفيا في الله ، فقبل الخليقة كان لا يمكن تمييزه عن الله ، وفي المرحلة الثانية يبدأ بالخليقة عندما يخرج اللوجوس عاملا ، وبعوره في هذه المرحلة يصبح الخارج من الاب ، وهنا يبدأ عمله في تنظيم المادة المختلطة بالعالم .^(٢)

(١) ر. تاريخ الفكر المسيحي ٤٤٤ - ٤٥٣ .

(٢) ر. تاريخ الفكر المسيحي ٤٥٤ - ٤٥٧ .

أثيناغورس :

كان معاصرا لتاتيانوس ، ومن أبلغ المدافعين عن المسيحية ، وكان يحب الفلسفة والشعر .

آراؤه العقديّة :

وعن آرائه فقد تابع يوستينيوس فيما يختص بالدور الذي قام به اللوجوس في الخليقة ، وهو يحاول أن يثبت ان اللوجوس كان يعمل هو أيضا خالقا في أثناء الخليقة .

وقد حاول بتعاليمه أن يزيل الحاجز الذي أقامه أتباع يوستينيوس بتعليمهم اللوجوس هو فكرة إلهية ، وأبدية الكلمة في وقت الخليقة ولأجلها ، فهو يعتقد بأن اللوجوس كان منذ الابد في الله ، فهو الفكرة والقول والحكمة الذي يفهم ، والارادة والطاقة الذي ينفذ ، وأن خلق العالم ماهو النتيجة هذا الفكر والنشاط الالهي .

ولقد ظل اللوجوس بعد الخليقة على ماكان عليه قبلها ، أي أنه الفكر والنشاط والطاقة الالهية الذي يحكم العالم ، ويرشد البشر . يقول القس حنا الخضرى معلقا : وهي نظرية تعرض شخصية اللوجوس للإختلاط ، بل للتلاشي في الله .^(١)

ثيوفيلوس الانطاكي :

يذكر يوسيبوس في كتابه تاريخ الكنيسة أنه كان الاسقف السادس لكنيسة أنطاكيا . ولد بالقرب من الفرات من والدين وثنيين ، وكانت ثقافته ثقافة يونانية وثنية ، وبعد الدراسة الطويلة للكتب المقدسة ، والتأمل العميق تجدد - أي دخل في النصرانية - ويحتمل أنه توفي بعد سنة ١٨٠ م .

آراؤه العقديّة :

ثيوفيلوس هو أول شخص استعمل كلمة الثالوث في تاريخ العقيدة النصرانية ، ولقد استعمل هذا الاصطلاح في صيغة غريبة ، وهي ثلوث الله ، كما أنه يرى في الايام الثلاثة السابقة لخلق الشمس إشارة إلى الثالوث .

وهو يحاول أن يشرح بأن اللوجوس أو الكلمة كان في الله ، في حضن الله ، وهو مايسميه الكلمة في الداخل ، أي أن اللوجوس (الكلمة) كان في الله في داخل الله ، ولكن عندما نطق الله هذا الكلمة هذا اللوجوس خارجا عنه فهو الكلمة المنطوق ، أو الخارج من الله .

(١) ر. تاريخ الفكر المسيحي ٤٥٩ - ٤٦٢ .

(٢) ر. تاريخ الكنيسة ، يوسايبوس ، تاريخ الفكر المسيحي ٤٦٢ - ٤٦٤ .

وهو عندما يتكلم عن طبيعة اللوجوس يثبت أن الحكمة أو الابن ولد للإشتراك في عمل الخليقة .

كما يلاحظ في تعاليمه الخاصة بالمسيح نوعا من التبعية أو الثانوية - عقيدة أن الابن أقل من الاب أو تابع له - ومع ذلك فقد قال بأن الكلمة أو اللوجوس لم يفرغ نفسه أو يخلي نفسه من اللاهوت عندما صار كلمة منطوقا خارجا عن الله . (١)

أكليمندس الاسكندري :

ولد في آثينا ، من أبوين وثنيين سنة ١٥٠م ، وتاريخ اعتناقه المسيحية مجهول . التحق في الاسكندرية بالمدرسة اللاهوتية التي كانت تدعى مدرسة التعليم المسيحي ، وآلت إليه رئاسة المدرسة بعد بانتيوس .

وقد كان ملما بعلوم الفلسفة والشعر والاثريات والاساطير والاداب ، توفي سنة ٢١٧م

آراؤه العقديّة :

هناك تشابه كبير بينه وبين يوستينيوس ، وبنوع خاص موقفهما من العلوم والفلسفات الوثنية ، فإن كان يوستينيوس يؤمن بوجود بذور اللوجوس في تعاليم وفلسفات اليونان ، فإن أكليمندس قارن فلسفة اليونان بالعهد القديم نفسه عندما كانت تعد البشرية لمحيء المسيح - حسب زعمهم - ، وقد ركز على أن الفلسفة لاتستطيع أن تحل محل الوحي الالهي .

وفي شرحه لعقيدة اللوجوس يبدأ بظهورات اللوجوس في العهد القديم ، وقد كانت كل هذه الظهورات تعد للظهور الاعظم أي التجسد ، ففي خلال فترة العهد القديم كان اللوجوس يظهر نفسه بطرق مختلفة ، على أن هذا الظهور الاخير أي التجسد يختلف تماما عن الظهورات السابقة ، فهو شيء جديد من نوعه ، فكما أن الله اختار شعبا جديدا وعهدا جديدا ، فإنه يظهر هذه المرة لشعبه بطريقة جديدة .

واللوجوس لا يبدأ بهذه الظهورات التي يتكلم عنها العهد القديم ، بل هو الذي خلق هذا العالم ، كل ما يوجد في الكون به وله قد وجد ، وهو أيضا الذي مع الاب والروح القدس يكون الثالوث الالهي ، وهو الذي عن طريقه يعرف الاب . (٢)

(١) ر. تاريخ الكنيسة ، يوسابيوس ، تاريخ الفكر المسيحي ٤٦٢ - ٤٦٤ .

(٢) تاريخ الفكر المسيحي ٥٠٠ - ٥١٢ .

وأكليمندس يعترف بنوع من المساواة في العظمة بين الاب والابن . وهو يتمسك بقول يوحنا " والكلمة صار جسدا " (١) . وهذا الكلمة هو نفسه الذي ولد من الاب قبل كل الدهور (لوغوس) واحد مولود من الاب ، وهو أيضا صورة الاب ، ولم يصبح صورة الاب بفضل التجسد وبسببه ، بل منذ الازل وقبل كل بداية كان صورة الله غير المنظور . فاللوجوس الذي هو صورة الله ، هو أيضا سيد هذا الكون والمشرع للبشرية ، كما أنه المخلص للجنس البشري ، والمعطي للحياة الجديدة .

وقد شدد كثيرا على لاهوت المسيح ، ونادى بأفكار تشبه إلى حد كبير الافكار الغنوصية . ولقد تركت الرواقية تأثيرا لا يستهان به على تعاليمه ، لاسيما في مفهومه لمشكلة الام المسيح ، فهو يرى أن القوة الالهية حلت فيه محل الدوافع البشرية ، واللاهوت سيطر عليه بطريقة كلية ، لدرجة أن المشاعر والعواطف والتأثيرات الحسية لم يعد لها أي سلطان عليه . وبالرغم من تشديده على لاهوت المسيح فإنه لم يهمل الكلام عن ناسوته ، فهو يؤمن بأن اللوجوس المتجسد هو الله وإنسان ، بل إن اللوجوس عنده سابق لكل وجود ، وهو نفسه الذي سكن في شخص يسوع المسيح التاريخي ، وهو نفسه أيضا الذي حل في الجسد وارتبط به .

وقد حاول أن يوفق بين التعاليم الغنوصية الوثنية ، وبين الغنوصية المسيحية ، وفي هذه المحاولة شدد كثيرا على اللاهوت معطيا له الاولوية العظمى .

ومما لاشك فيه أن أكليمندس كان يحتفظ في داخله بجزء من أكليمندس الفيلسوف اليوناني الذي درس الفلسفات اليونانية الوثنية بمذاهبها المختلفة المتنوعة ، وإن لم يعمم هذا على كل مبادئه . (٢)

ترتليانوس :

ولد في حوالي سنة ١٥٥ - ١٦٠ من والدين وثنيين في قارطجنة ، وفي هذه المدينة نشأ وتردد على مدارسها ، وتلمذ على أيدي معلمها ، ثم توجه إلى روما ودرس الحقوق ونجح

(١) يوحنا ١ : ١٤ .

(٢) ر . تاريخ الفكر المسيحي ٥٠٠ - ٥١٢ .

فيها نجاحا ملحوظا. ودرس بجانب دراسته للحقوق الاداب ، واللاتينية واليونانية والفلسفات المختلفة في عصره .

آراؤه العقديّة :

كتب الكثير عن شخص المسيح ، عن (اللوجوس) عن ابن الله ، مدافعا عن الثالوث

وكان يدافع عن عقيدة التجسد محاولا أن يشرح هذه العملية للدخلاء من الوثنية وللوثنيين أنفسهم ، وضد اليهود الدخلاء وغير الدخلاء ، الذين لم يروا في المسيح الا مجرد إنسان ، وكان يناضل ضد جماعة أخرى من اليهود رأت في لاهوت المسيح تهديدا عظيما لوحدة اللاهوت، وهي جماعة " وحدة الله " ، ولهذا السبب فقد حاول أن يبتدع مصطلحات جديدة وعديدة لكي تعبر عن تعاليمه اللاهوتية دون أن يتعد عن المكتوب .

ونادى بوحدة الله ، ولكن هذه الوحدة هي وحدة الاقانيم ، فإن الله هو أب ، وابن ، وروح قدس ، هؤلاء الثلاثة أقانيم هم إله واحد ، الله الواحد المثلث الاقانيم من جوهر واحد . فهو يقول : أؤمن بأنه يوجد جوهر واحد في الثلاثة . وهو أول كاتب لاتيني يستعمل الاصطلاح " التثليث " . وفي كلامه عن التثليث كان أول شخص أيضا استعمل الاصطلاح (PERSONA) الذي يمكن أن نسميه أقتوما . هذا الاصطلاح الذي سيلعب دورا هاما جدا فيما بعد في المناقشات والمجادلات العقائدية في أثناء انعقاد المجالس المسكونية .^(١)

وهو يعتقد بأن ظهور أو ميلاد اللوجوس بدأ بالتدرج ، وهو يميز بين الميلاد الاول لهذا الاقنوم (الحكمة) قبل الخليقة ، وبين الميلاد الكامل في لحظة الخليقة ، عندما نطق الله هذا اللوغوس وأصبح الكلمة ، في هذه اللحظة أصبح الكلمة منظورا وكاملا ، فعندما قال الله ليكن نور ، كان هذا هو الميلاد الكامل للكلمة الذي خرج من الله ، الذي انبثق منه ، فإن هذا الكلمة كان ساكنا في الله ، كحكمة كفكر ، ولكن عند عملية الخليقة خرج هذا الحكمة ، وظهر هذا الكلمة اللوجوس من الله ، أو أن الله أخرج أو أبتق منه هذا الكلمة ، فإن الكلمة قد انبثق من الله لكي يعمل معه في خلق العالم ، وبهذه العملية - أي عملية انبثاق أو خروج اللوغوس أو الكلمة من الله - أصبح الله الاب أبا ، وأصبح اللوجوس المنبثق منه أو المولود منه ابنا ، فهو الابن البكر ،

(١) ر. تاريخ الفكر المسيحي ، ٥١٤ - ٥٣٠ .

لأنه ولد قبل كل خليقته ، بل إنه الابن الوحيد، إذ أنه الوحيد الذي ولد من الله ، فالابن كابن ليس أزليا .

وبما أن الابن انبثق أو خرج من الاب فهذا الأخير هو الجوهر الكامل أو الكلّي ، وبناء على ذلك فإن الابن هو سيل من هذا الكل ، الاب هو كلي الجوهر بينما الابن هو جزء من هذا الكل .

وتظهر فكرة التبعية أو أولوية الاب وسموه على الابن في التشبيهات الكثيرة التي أعطاهها لشرح هذه العقيدة ، فمع أنه أعطى المكانة الأولى في الثالوث للآب ، والمكانة الثانية للآبْن ، والمكانة الثالثة ، للروح القدس ، إلا أنه أكد كثيرا وبشدة على حقيقة أن هؤلاء الثلاثة من جوهر واحد ، يكونون الله المثلث الاقانيم .

وقد شدد بوضوح على وجود الطبيعتين في شخص المسيح ، الالهية والبشرية ، اتحاد الالهية بالبشري ، وفي هذا الاتحاد الالهية البشري " اللوجوس " يسوع احتفظت كل طبيعة بمميزاتها الخاصة بها .^(١)

أوريجانوس :

ولد أوريجانوس في حوالي سنة ١٨٥ ، في مدينة الاسكندرية ، ولم يكن وثنيا ، فقد عرف أبوه الكتب المقدسة ، وفي الوقت نفسه كان مثقفا ومطلعا على كتابات الوثنيين . عين مديرا للمدرسة الاسكندرية اللاهوتية ، ومات ودفن في صور سنة ٢٥٣ .^(٢)

آراؤه العقديّة :

شدد على حقيقة أن الله هو الاول ، فهو الخالق الذي عن طريق الكلمة خلق كل الاشياء، فهو يعمل وينتج عن طريق الكلمة أي " اللوجوس " الذي يستخدمه في عملية الانتاج والخلق .

وعملية الخلق كما يراها أوريجانوس عملية طويلة ، فالله هو الاول وهو الخالق الذي كان منذ الابد خالقا ، فكل ما هو موجود خلقه الله عن طريق كلمته أي " اللوجوس " ، والله خلق

(١) ر. تاريخ الفكر المسيحي ٥١٤ - ٥٣٢ ، دراسات في الفلسفة القديمة والعصور الوسطى ، ٣٦٧ .

(٢) ر. تاريخ الفكر المسيحي ، ٥٣٩ - ٥٥٠ .

في البداية عنصرين هامين جدا ساهما في تكوين العالم ، ومنهما تكون العالم الحالي ، العنصر الاول هو الارواح ، ولقد دعا هذه الارواح للاتحاد مع كلمته ، أي "اللوجوس" ، وعن طريق اتحادها مع اللوجوس تتحد أيضا مع الله . أما العنصر الثاني الذي تكون منه العالم فهو المادة ، فالمادة خليفة الله .

وهو يعتقد أنه من المستحيل أن تتحد الطبيعة الالهية بجسد بشري ، ولكي تتم هذه العملية - عملية الاتحاد الالهي البشري- كان لابد من وجود وسيط ، والوسيط الذي يلجأ اليه هو الروح البشرية والمخلوقة قبل خلق الجسد ، وعملية الاتحاد التي تمت بين اللوجوس وروحه البشرية قد تمت بعد الخليقة مباشرة ، وظلت هذه الروح ساكنة في السماء ومتحدة باللوجوس ، ولذلك عندما جاء ملء الزمان ، وعندما أرسل الله ابنه مولودا من امرأة ، فإن هذه الروح التي كانت متحدة باللوجوس قبل التجسد صارت روحا للانسان يسوع بعد التجسد .

وهذه الروح هي نفسها حلت في الانسان يسوع ، وبعبارة أخرى صارت الروح البشرية ليسوع الناصري ، وهذه الروح أصبحت الوسيط بينه وبين جسد يسوع الذي سكن فيه اللوجوس .

وعندما سكن اللوجوس في هذا الجسد ، في يسوع الناصري ، وهو إنسان كامل من ناحية تكوينه أي روح وجسد ، كان اللوجوس ابن الله يعمل في الانسان يسوع لكي يرفعه ويسمو به . وكان اللوجوس يرفع ويؤله تدريجيا الروح التي اتحد بها ، وكانت الروح ترفع وتؤله هي أيضا بدورها الجسد الذي سكناه .^(١)

ومع أنه في شرحه للنصوص يؤكد على ناسوت المسيح ، إلا أنه يقول في بعض كتاباته وفي أماكن عديدة بتأليه جسد المسيح . ومن هذا يتضح كما يقول القس حنا الخضرى أن المعلم الذي نشأ في بيئة تشبعت بالغنوصية كان يريد أن يعمل من الغنوصية الوثنية غنوصية مسيحية . ومع أنه يستعمل العبارة "إنسان الله" عندما يتكلم عن المسيح ليشير إلى لاهوته وناسوته ، لكن وردت منه التصريحات التي تبين أنه يريد أن يرفع جسد هذا الانسان إلى درجة اللاهوت ، وهذا خطر عظيم - على حد تعبير القس - .

(١) ر. تاريخ الفكر المسيحي ، ٥٣٩ - ٥٥٠ .

وفي تعاليمه لا يكاد يرى الاللاهوت ، أو ناسوتا في طريقه إلى التثالة . وهو يرى بأن اللوجوس انبثق من الاب ، وهذا الانبثاق لا يعد تقسيما في ذات الله ، بل إن هذه العملية هي عملية روحية ، فالابن هو صورة الله غير المنظور ، وهو أيضا حكمة الله ، وهذا الابن هو ابن أزلي لابداية له ، فإنه موجود منذ الازل ولا يوجد وقت ما لم يكن الابن موجودا فيه :

وبما أن الحكمة (الكلمة أو اللوجوس) انبثق من الله ، فهو الله ، ومولود من جوهر إلهي ، ولكي يعبر بطريقة صحيحة وواضحة ، فقد صاغ الاصطلاح الذي لعب دورا كبيرا في تاريخ العقيدة المسيحية ، وخاصة في مجمع نيقية ، وهو " أموزيوس " (omoousios) ، والذي يعني أن طبيعة الابن من طبيعة الاب ، فبحسب هذا التعبير الابن من نفس جوهر الاب .

وهكذا أدخل أوريجانوس في التعاليم اللاهوتية الشرقية عقيدة روح المسيح ، ورأى في شخص المسيح المخلص والفادي ، وقد تطرف في فهم نظرية الخلاص ، إذ أنه ظن بأن عملية الخلاص مقدمة للكون كله ، والفرصة متاحة للشياطين أيضا .
وخلاصة القول كما يقول القس حنا الخضري أنه كان له تأثير عميق على كنيسة القرون الاولى . (١)

أغسطينوس :

ولد سنة ٣٥٤م في مدينة سقسطة في الجزائر ، وتوفي سنة ٤٣٠م . تميزت سنوات شبابه بالصراع العقلي والأدبي فقد جذبته الفلسفة الثنائية لجماعة المانويين ، وصار تابعا أمينا للعقيدة المانوية وفلسفتها ، ثم ضاق بالمانوية ، وصار اهتمامه بالافلاطونية الحديثة والذي من خلاله صار يعتبر نفسه مسيحيا ، ثم خلع عنه فيما بعد حياة المجون والفساد ، واستقبل الحياة النصرانية ، وبرز فيها إلى أن صار أسقفا لهيو في منطقة تونس ، إلى أن توفي ، وصار من أعظم قادة الكنيسة بعد بولس . (٢)

أثرت أفكار الافلاطونية الحديثة على تعاليمه ، كما يقول جون لوريمر ، وكانت معالجته للأوجه الرسمية الخاصة بالفكر اللاهوتي متأثرة بخلفيته عن الافلاطونية الحديثة . (٣)

(١) ر . تاريخ الفكر المسيحي ٥٣٩ - ٥٦١ ، دراسات في الفلسفة القديمة والعصور الوسطى ، ٣٧٣ .

(٢) ر . تاريخ الكنيسة ، جون لوريمر ، ١٨٦/٣ - ١٨٩ .

(٣) ر . تاريخ الكنيسة ، جون لوريمر ١٨٦/٣ - ٢٠٠ .

د- بعض ملامح التأثير الفلسفي في العقائد النصرانية :

إن تأثير الفلسفة اليونانية واضح كل الوضوح في الديانة النصرانية ، وإن انتماءها إليها أكثر من انتمائها إلى المسيح عليه السلام ، وإن الناظر في الديانة النصرانية يتحقق من تأثير الفلسفة فيها في نواح عديدة ، من أهمها :

أولاً - إن النصرانية اقتبست من الأديان الوثنية والفلسفات اليونانية الواسطة بين الخالق والمخلوق ، وإن مما هو معلوم أن أهم مميزات الدين السماوي هو وصل المخلوق بالخالق بدون وسائط ، وأهم مميزات الوثنية عموماً هو ادعاء الواسطة بين الخالق والمخلوق ، ومن هنا نرى أن بولس وهو اليهودي في الاصل قد تأثر بفيلون اليهودي في دعوى الواسطة ، فنرى التطابق بين رأييهما ، فقد ادعى فيلون وسيطا بين الاله الاعلى والانسان ، وفي ذلك يقول بولس : " يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الانسان يسوع المسيح " .^(١)

وهكذا نجد أن كل تصور عن الله أو الوسطاء في فلسفة أفلاطون المترجمة بالرواقية قد انتقل إلى النصرانية عن طريق بولس أو يوحنا في الاعم الاغلب بواسطة فيلون اليهودي الذي صاغ هذه الفلسفة في صورة جديدة مبنية في أغلب الاحيان على الرمز والتأويل بما يتلاءم والكتاب المقدس .

ودعوى النصراني في الكلمة أو اللوجوس بمعنى الواسطة بدا واضحا في الانجيل الرابع (إنجيل يوحنا) ، وهو قول مأخوذ من فلاسفة اليونان ، فهو مزيج بين فلسفة أفلاطون ، حيث يدعي أنه في البدء جاء الصانع فصنع النفس الكلية ، ومن الاخرة صنع الانسان وبقية الاشياء^(٢) وهي عند الرواقين الاله الاكبر ، وهي منتشرة وحالة في سائر المخلوقات ، وهي غير مخلوقة .^(٣)

فجاء فيلون اليهودي ، وحاول الربط بين هذه الاشياء مع موروثاته الدينية اليهودية ، فادعى أن الواسطة بين الخالق والخلق هي الكلمة واللوجوس الصادر عن الله ، والذي هو صفة من صفات الله ، وهو يعتبر ولد الله وابن الله ، وهي عنده التي تحفظ جميع الاشياء ، وهي موجودة في ماهية الله ، وتكاد تعد أقنوما من أقانيم الله - تعالى الله عن قولهم - .

(١) اتيمنارس ٢ : ٥ .

(٢) ر. موسوعة الفلسفة ، ١٧٤/١ ، وأديان العالم ، ٣١٤ ، ٣١٥ .

(٣) ر. موسوعة الفلسفة ٢٢٤/٢ .

وهذا القول ظهر واضحا في إنجيل يوحنا بادعاء أن المسيح هو الكلمة ، ودعوى أن الكلمة هي الله وابن الله وبها كان كل شيء . ولذا صرح عبدالرحمن بدوي بأن فكرة الكلمة قد لعبت دورا خطيرا في المسيحية عن طريق الانجيل الرابع ، ولسنا ندري على وجه التدقيق في أي وقت كتب ، وإن كان الأرجح أن يكون قد كتب في القرن الثاني تحت تأثير فيلوني صرف .^(١)

ثانياً - إن التثليث وهو رأس العقيدة النصرانية هو مزيج مستورد من الوثنية والفلسفة وخاصة الافلاطونية ، فنجد أن أفلاطون في كلامه عن الاله جعله ثلاث طبقات :
أولاً : الصور الحي بذاته .
ثانياً : الصانع الذي يصنع الوجود على غرار الصور والحي بذاته ، وهو عنده النفس الكلية التي صنعها الخالق الاول .

ثالثاً : الكون أو العالم ثم أرواح الكواكب .^(٢)

وهذا التثليث ظهر أيضا بعد في كلام أفلوطين رأس الافلاطونية المحدثه على نحو من كلام أفلاطون ، فادعى التثليث ، وجعل الاله ثلاثة أقانيم كما ذكرنا سابقا .

وإذا نظرنا إلى ثالث النصارى وجدناه يحوم حول هذه المعاني التي عرضها أفلوطين ، وكأنه مشتق منها لأنه حددها بذوات معلومة معروفة ، وخالف بين أدوارها ، فعندهم الاب وهو الاصل والمبدأ ، والابن وهو كلمة الله وعقل الله ، وهو صادر عن الاب ، وهو الذي خلق العالم وأوجده ، ويتصرف فيه ويدبره . وروح القدس وهو صفة الحياة للإله الاب والابن ، وهو منبثق عن الاب كما هو قول الارثوذكس ، ومنبثق عن الاب والابن كما هو قول الكاثوليك وعمله التطهير للنصارى .

ويقرر ليون جوتيه في كتابه المدخل لدراسة الفلسفة الاسلامية تحت عنوان التثليث ليس من المسيحية ، أن الثالث الافلوطيني والثالث المسيحي كلاهما يرجع إلى الفلسفة الاغريقية^(٣)

(١) ر. موسوعة الفلسفة ٢/ ٢٢٣ .

(٢) ر. موسوعة الفلسفة ١/ ١٨٧ .

(٣) ر. تاريخ الفلسفة اليونانية ٢٩٧ .

النصارى، حتى إن أوغسطين يردد كل ما انتهجه أفلوطين . وفي الوسع أن نقول بأنه عن طريق فيلون ويوحنا وبولس وأفلوطين وأوغسطين غلب أفلوطين أرسطو ، وتعمق في أغوار اللاهوت الكنسي ، وأخذت الثغرة القائمة بين الفلسفة والدين تضيق شيئا فشيئا .^(١) .

ثالثاً- إن المصطلحات الدينية لدى النصارى مثل الاب والابن والروح القدس والكلمة والتجسد والصلب والفداء والتعميد فسرت بتفسيرات فلسفية ، استخدم أصحابها فيها أساليب الفلاسفة ليتم إقناع الناس بتلك المصطلحات ، التي لم يرد فيها عن المسيح ^{الصلب} شيء البتة ، مما يدل دلالة واضحة على أن الفلسفة كانت مطيعة للنصارى في شرح ديانتهم.

كما أن استخدام الفلسفة في شرح تلك المصطلحات أدى إلى ظهور الفرق الكثيرة بين النصارى ، وذلك للتفاوت الكبير بين تلك الشروحات ، وذلك كما حدث في تفسير البنوة ، حيث فسرها البولسيون بأنها بنوة حقيقية ، وتعني اتحادا بين الاب والابن . أما الاريسيون ففسروها على أنها بنوة النعمة ، وبنوة المكانة الرفيعة لدى الاب .

ونفس الامر حدث عند الحديث عن الروح القدس ، فمنهم من ادعى أنه مخلوق ، ومنهم من ادعى أنه إله ويشكل أقنوما من أقانيم الاله لديهم ، ومنهم من زعم صدره عن الاب وحده ، ومنهم من زعم صدره عن الاب والابن معا .

وهكذا كانت الآراء التي خرجت وطرحت في الجامع حصيلة آراء صاغتها الفلسفات المنتشرة ، وكانت أهم قضية طرحت في هذا المجال كما أسلفنا ما يرتبط بمفردات الثالوث ، وأقنومية كل فرد منها ، واقترح كل مناصر رأيه في هذا المجال في الوصول إلى مصطلحات تؤدي الغرض الذي سعوا إليه في تحديد الاقنومية وطبيعتها . وقرر أنصار الثالوث أن هذا سر يصعب تعقله .

فلا شك بعد هذا كله من أن الديانة التي جاء بها المسيح ^{الصلب} لم يكن فيها شيء من التعقيد والفلسفة ، بل كانت دعوة بسيطة وجهها إلى بسطاء الناس من بني إسرائيل ، لأنها لاتعدو أن تكون وعظا وتذكيرا وضرب أمثلة من واقع الناس وحياتهم اليومية ، فتابعه من تابعه من أولئك البسطاء ، وكان جلهم من الفلاحين وصيادي السمك وفقراء الناس . وكفر به من كفر من اليهود، لأن تلك الدعوة لم تكن تدور في فلك أهوائهم .

(١) ر . تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام ، ١٧٥ ، عقيدتنا التثليث والصلب ، ٢٦١ .

أما ما عليه النصرانية اليوم فهي نصرانية غاية في العسر واستحالة الفهم ، وكل من آمن فعليه ان يلغي عقله جانبا حتى يمكنه أن يقبل ذلك المزيج بين الدين والفلسفة ، والاديان الوثنية ، وهو مزيج النسبة المرتفعة فيه لصالح الفلسفة الوثنية .

الفاتحة

الخاتمة

أسأل الله حُسنها والقبول

وبعد

بحمد الله وتوفيقه استطعت بما توفر لدي من قدرات التعرف على كثير من جوانب الإنحراف في النصرانية وأسبابه . وبالإمكان القول أن البحث يحوي بعض المعلومات المهمة والجديدة ، والنتائج التي قد تضيف شيئاً ما للدراسات الخاصة بالنصرانية .

ولكن ينبغي الاعتراف بأن البحث في مثل هذه الموضوعات عسير وصعب ولا يخلو من القصور . ولكن الذي يعزيني في ذلك أنني حارلت جهدي ، وبذلت ما في وسعي في حدود الطاقة والوقت ، حيث إن الموضوع يتطلب الكثير من الوقت والجهد .

وقد توصلت بحمد الله إلى نتائج أعتقد أنها مهمة ، وأرجو أن تكون قد أجابت على كثير من التساؤلات المطروحة في مقدمة هذا العمل ، كما أرجو أن تكون تلك النتائج مثاراً لمزيد من البحث والاستقصاء .

وإني أخلص أهم النتائج التي توصلت إليها في ثنايا البحث وهي كما يلي :

أولاً- أن المسيح عليه السلام رسول لبني إسرائيل، جاءهم بالهدى والنور، وآتاه الله الإنجيل هدى ونور . وقام عليه السلام بالدعوة إلى الدين الحق الذي دعا إليه الأنبياء قبله، لا يختلف في شيء من ذلك عنهم . ولكن بني إسرائيل لم يقبلوا دعوته، بل ردوا دعوته ، وحاولوا قتله، ولكن الله أنجاه منهم، ورفعهم إليه .

ثانياً- أنّ طائفة من بني إسرائيل قد قبلت دعوته وأمنت به، وأخلصت لها وهم الحواريون، وكانوا معه في حياته أنصاراً لله، وكانوا بعد رفعه على طريقته ومنهجه، وسار

على دربهم طائفة من أتباعهم وهم من يعرفون بالموحدين إلى ان انقرضت هذه الطائفة،
واندرست معالم دعوة المسيح الحقبة بفعل مؤثرات عديدة .

ثالثاً- أن بولس (شاؤول اليهودي) يعتبر أخطر العوامل المؤثرة في تحريف رسالة المسيح
التيثية ، والذي جعله بهذه المثابة كونه يهودياً ، من اليهود المعادين للمسيح التيثية ، بل كان من
أشدهم عداوة له ، ومن هنا تظاهر بالدخول في الديانة ليتمكن من هدمها من الداخل ،
واستخدم ثقافة عصره الفلسفية لجذب الناس إلى دعوته .

وكان ذا نشاط متميز وجد متواصل لتحقيق غايته ، وهي هدم رسالة المسيح ، وبناء
النصرانية باسمه . ثم إنه دخل في ديانة المسيح في عصر مبكر جداً مما مكنه من تحقيق غايته ،
وهي تحريف النصرانية ، قبل أن تنتشر الديانة الحقبة ، وتثبت قدمها على الأرض .

أضف إلى ذلك أنه وجه دعوته بما حوت من عقائد مخالفة لدعوة المسيح التيثية إلى أمة
وثنية جاهلة بتلك الدعوة ، وفي نفس الوقت فإنه لم يجد مقارمه من الحواريين لأنه وجه
دعوته إلى منطقة بعيدة عنهم، كما أن الحواريين لم يكن لديهم القوة التي يمكن أن توقف أهل
البدع التحريفية ، وتمنعهم من الدعوة إليها.

رابعاً- أن بولس هو أول من نادى بالعقائد المنحرفة في الديانة النصرانية مثل بنوة المسيح
والوهيته والصلب للفداء والتعميد والعشاء الرباني ، كما فصل بين شريعة موسى التيثية وما
جاء به عيسى التيثية بتحريمه العمل بالعهد القديم وإلغائه للختان وقوله بعموم رسالة المسيح .

كما وضع بذور التثليث وسائر الانحرافات التي قلبت ديانة المسيح التيثية رأساً على
عقب واصبحت ديانة لا تمت إلى المسيح التيثية بأدنى صلة وبذا تخلص إلى نتيجة مهمه وهي أن
بولس هو المؤسس الحقيقي للديانة النصرانية الحالية .

خامساً - إن فقدان إنجيل عيسى التيثية وهو النص الأصلي للنصرانية يعتبر من أهم
العوامل المؤثرة في تحريف رسالة المسيح التيثية فضياعه ضياع المصدر الصحيح للديانة كما أنه
ضياع للأصل الذي يمكن أن يرجع إليه عند الخلاف في شأن أي عقيدة من العقائد أو شعيرة

الشعائر. ولاعجب بعد هذا أن يجري التحريف للعقائد والشعائر النصرانية دون أن يكون هناك ما يرجع إليه في معرفة مدى هذه التحريفات والعمل على تصحيحها .

سادساً- أن أتباع المسيح واجهوا عدوين لدودين وهما اليهود الحاقدون والرومان الوثنيون وكلاهما مارس اضطهاد النصارى في جميع مظاهر حياتهم الإجتماعية والسياسية والدينية ، وهو الأمر الذي كان له أثر خطير على دعوة المسيح وتلاميذه وذلك بمنعهم من نشر الحق والدعوة إليه والمجادلة عنه ، وكان سبباً في ضياع الإنجيل ، وماتبعه من تحريفات عقديّة ، وفي نشوء الفرق الضالة وشيوع ضلالاتها ، وظهور الرهبنة ، وماتبع ذلك كله من تحريفات عقديّة وتشريعية .

سابعاً- أن النصارى استبدلوا بإنجيل المسيح الإنجيل أناجيل أربعة ضمنوها أشياء من سيرة المسيح الإنجيل وأقواله ، وادعوا أنها كتبت بتأييد إلهي ، وهي كتب لا يعرف على التحقيق كتابها ولا تاريخ كتابتها ، فضلاً عن امتلائها بالأخطاء والتناقضات ، كما أن أصولها مفقودة كما أثبتنا . وهذا فتح الباب لإثبات العقائد المنحرفة في تلك الكتب مما أدى بالتالي إلى رسوخها وثبوتها في الديانة النصرانية تبعاً لمنزلة تلك الأناجيل عند النصارى .

ثامناً- أن تعاطف الدولة الرومانية مع النصارى بعد دخول قسطنطين في الديانة النصرانية كان له أثر في تثبيت الانحرافات العقديّة التي دعا إليها بولس ، وذلك لأن قسطنطين كان وثنياً فنصر من أقواله ما يتناسب مع تصوراته وعقائده الوثنية كدعوى الوهية المسيح وبنوته لله .

تاسعاً- أن الجامع النصرانية ثبتت الانحرافات التي دعا إليها بولس والتي كانت حصيلة آراء صاغتها الفلسفات والوثنيات ، وأضفت على كل ذلك هالة من التقديس والتعظيم وحمتها بما أصدرت من قرارات كان لها الدور الأكبر في أخراج الديانة النصرانية من التوحيد إلى التثليث رسمياً .

عاشراً- أن البيئة الوثنية المحيطة بالنصارى ساهمت في تحريف دين المسيح الإنجيل ، وهي التي انطلقت إليها ومنها دعوة بولس حيث انتهى البحث إلى إثبات أن العقائد والشعائر التي عليها النصارى الآن لها أصول وثنية محضة .

حادي عشر :- أن الفلسفات المحيطة بالبيئة النصرانية ، والتي دخلتها على أيدي الفلاسفة المنتصرين ، أو الذين تتلمذ عليهم دعاة النصرانية قد ثبت تأثيرها القوي في تحريف الديانة النصرانية ، ويمكن ملاحظة هذا التأثير القوي في الاعتقاد بوساطة المسيح بين الله والخلق ، واعتقاد أنه الكلمة التي انبثقت منها الوجود ، وكذلك القول بالتثليث وماتبع ذلك من التفسيرات والتأويلات المطولة والمعقدة - للعقائد النصرانية - التي هي سمة الفلسفة ، والتي أخرجت دين المسيح عليه السلام من البساطة إلى التعقيد ومن الوضوح إلى اللبس والغموض .

ثاني عشر :- إن المحصلة النهائية لنتائج هذا البحث والتي أبرزنا أهمها في هذه الخاتمة هي تأكيد القول بأن مايزعمه النصارى الآن ديناً للمسيح عليه السلام هو في واقع الأمر مجرد تأثيرات وثنية وفلسفية ، وتحريفات عقديّة لدعاة النصرانية ، وعلى رأسهم بولس ، ونتيجة للإضطهاد الواقع على النصارى ، واختلاف فرقههم الدينية ، ولا تمت إلى رسالة المسيح عليه السلام بأدنى صلة .

وفي ضوء ما تقدم أوصي بما يلي :

- الحث على إجراء مزيد من الأبحاث في مجال أصول النصرانية ، وقواعد وأهداف النصارى في دعواتهم وما ييشرون به .

- هناك العديد من الدراسات التي تخدم المسلمين في دعوتهم ومواجهتهم للنصارى فيما يروجون له ، وقد وقفت عليها في ثنايا المصادر الأجنبية التي اعتمدها ، حيث قام أصحابها بدراسات علمية نقدية جادة بعيدة عن الترويج لديانة ما أو التأويل ، فأوصي بالوقوف على تلك الدراسات وترجمتها ونشرها ومتابعتها .

هناك بعض الموضوعات - والتي تكشفت لي من خلال البحث - يمكن للباحث أو المدارس في الأديان أن يكتب فيها وهي :

* العقائد النصرانية بين الفكر والواقع .

* قانونية الأناجيل الأربعة .

* مؤلفوا الأناجيل الأربعة ومنزلتهم في النصرانية .

ثالث عشر :- وخير ما ختم به هذه النتائج ذلك النداء الرباني في قول الله ﷻ :

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً

وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾

(آل عمران آية ٦٤) .

الفهارس

الفهارس

أولاً فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية	السورة	الآية
١٥	الأعراف	اجْعَلْ لَنَا آيَةً
٤٩	المائدة	إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يُعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ
٤٧	آل عمران	إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ
٢٤٦	البقرة	أَلَمْ تُسْرِ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ
٤٠٣، ٢٠١	آل عمران	أَلَمْ يَلِدْ وَلاً لَإِلَهِ هُوَ
٥٢	الشعراء	أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ
٤٦	آل عمران	إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا
٥٢	آل عمران	وَإِنَّ اللَّهَ مَرِيئٌ وَمُرِيئٌ لَكُمْ فَاعْبُدُوهُ
٤٨	آل عمران	إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ
٤٨	مريم	ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ
٤٧	مريم	فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلَةً
٥٣	النساء	فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
٤٧	آل عمران	فَحَمَلَتْهُ فَاتَّبَعَتْ بِهِ مَكَانًا
٥٠	آل عمران	فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ
٥٢	مريم	قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَنِي الْكِتَابَ
٣٤٣	المائدة	قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ سَوَاءَ السَّبِيلِ
٥٣	المائدة	لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا
٥٥	البقرة	لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَرَى اللَّهَ جَهَنَّمَ
٥٢	المائدة	مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ
٥٣	النساء	وَمَا يَتَّبِعُ الْكُفْرَ إِلَّا الضَّلَالَةَ

٤٩	المؤمنون	وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً
٥٢، ٤٩	آل عمران	وَمُرْسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ
٥٢	المائدة	وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ
٥٣	التوبة	وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ
٣١	التوبة	وَقَالَتِ الْيَهُودُ ابْنُ مَرْيَمَ
٤	يوسف	وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ
١٧٨، ٥٠	المائدة	وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ
٥١	النساء	وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا
٥٣	الزخرف	وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ
٥٣	النساء	وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ
٥٢	آل عمران	وَمَصَدَقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ
٥٠	الصف	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ

ثانياً - فهرس الأحاديث النبوية

٥٦ " ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي "

ثالثاً - فهرس الأعلام

رقم الصفحة	العلم
٣	ابراهيم الخليل
٣٢٣	ابراهيم خليل أحمد
٢٠٧،٢٠٢	ابراهيم سعيد
٢٥٤	ابراهيم بن عزرا
١٨٤	ابراهيم لوقا
٢٦٦	أبيون
٢٨٦	ابو ليناريوس
١٣	آتون
١٧٩	ايتين دينيه
٢٩٧،٢٨٥،٢٦٩،٩٤	اثنا سيوس الاسكندري
٣٥٠،٣٣١	اثناغورس
٢٧٥-١٨٧	أحمد شلبي
١٨٩	أحمد طاهر
٢٢٤،١٨١	أحمد عبد الغفور عطا
٢٦٩	أحمد عبد الوهاب
٢٩٥	ادريان انطونيوس
٨٦،٧٤	ادريانوس
٢٢٤	آدم كلارك
٤٥	ادوار سيوس
٢٥٧	ادوار ديونج
١٩٢،٤٥	ادولف هرنك
١٣	أدوني
١٣	أدونيس
٢٦٨	آريتمون
٣٢٣،٣٢٠،٢٠٩	أرثر فندلاي
٨	ارخيلالوس
٣٦٠،٨٨	ارسطو

رقم الصفحة	العلم
٢٢٢،١٨١	اريناوس
٢١٢	ارثيوس
٢٨٤،٢٧٣،٢١٠،١٩٦،١٨٦	ارينيوس
٢٨٠،٢٧٠،٢٦٩،٢٦١،٨٥	اريوس
٢٨٥،٢٨٤،٢٨٣،٢٨١	
٢١٣	استادلن
١٠٩،٦٠	استفانوس
٤،٣	اسحق
٣	اسماعيل
٢٦٩	اسكندر
٣٢٤،٦	الاسكندر المقدوني
١٢١	اسكوتس الخامس (البابا)
٢٥١،٢٣	اشعيا
٢٠٥	اشلاير ماخر
٦٢،٦١	أغريباس الاول
٣٢٥	أغسطس مثير
٣٥٧،٣٣٢،٢٤١،٩٤	اغسطينوس
١٨١،٧٩،٧٤	اغناطيوس (الاسقف)
٣٥٨،٣٤٧،٣٢٥،٢٩٥،١٣٥	افلاطون
٣٦٠،٣٤٧،٣١٤،٢١٢	أفلاطين الاسكندري
٣٥٢،٣٥١،٢٨٤،٩٤،٧٩	اكلمنيديس
١٨٩،١٧٢	اكهارت
٢٨٠	الكسندروس
٣٣٥	الكسندر موري
٢٥٧،٢٣٢،١٥٩	الياس مقار
٣١٣	الياس اليسوعي (القس)
٢٧٢	اليان
٩٤	امبروزيوس
٢٦٥	أمونيوس الستاص

رقم الصفحة	العلم
٢٥٦	اميل لودفيغ
١٣٥	انبا ذوفليس
٧	انتيباس
٣١٩	اندرا
٣٦	اندر اوس
٢٢٤	اندريا (الحواري)
١٠٢	انطاكيوس
٣٢٥	اهورا
٣٢٠	أويتس
٨٠	أوروسيوس
١٣	أوروفوس
٣٤٢،٢٢٠	أوريجين
٣٥٧،٣٥٥،١٢٩،٩٤	أوريجانوس
٣٢٩	اوزينير
٣٣٦،٣٣٥،٣٢٢،٣٢٠	اوزيس
٢٨٥،٢٨٠	اوسابيوس
٣٦٠،٢٠٠،٩١	اوغسطين
٣٣٠،٣١٠،١٢	ايزيس
٦	بابل الكلداني
٢٥٤	باروخ سبينوزا
٩٤	بازيليوس القيصري
٢٧٢،٢٧١	باسيليديس
٣٥١	بانيتوس
٣٢٤	بتاح
٦	بختنصر
٢٢٢	البرت شينيدر
٢٣٥	برتشرد
٣٦	برثولماوس

رقم الصفحة	العلم
٢٢٤	برثلموس
٣٣٣	برستد
٣١٧	برومسيوس
١٢٢،١٢١،١٢٠،٦٣،٦١	برنابا
٢٢٤،١٩٤،١٢٥،١٢٤،١٢٣	
٢٦١،٢٤١،	
١٧٧،٧٠،٦٠،٥٨،٣٦،٢٢	بطرس
٢٠١،١٩٨،١٩٧،١٩٦،١٩٤	
٢،٢٢٤،٢٢٢،٢٢١،٢٢٠،٢١٦،	
٢٩٣،٢٧١،٢٦١،٣٦	
٢٦٨،٢٠٢،١٩٧،١٨٦،١٤٤	ابن البطريق
٢٩٠،٢٨٨،٢٨٥،٢٨١،	
٣٣٠	بطليموس
٢٦٥ -	بلاجيوس
٣٠٢	بلليني
٩١	بنيامين
٣٢١	بنبول
٣١٧	بهامايا
٢٢٥	بيباس
٣٣٤	البيروني
٢٥٢،٤٤٤،٨	بيلاطس البنطي
٢٥٩	بينوا
٣٢٢،٣١٧،٣١٦،٣٣	بوذا
١٦٣	بوركست
٣٤٦	بوستن الشهيد
٢١٠،٢٠٩،٢٠١،١٩٧،١٨٧	بوست
٢٠٢	بوكاي
٢٣٢،١٨١	بولس الياس اليسوعي
٢٨٢،٢٦٨	بولس الشمشاطي

رقم الصفحة	العلم
٨٣	بوليانس
٢١٢،٢١٠	بوليكارب
٢٢٢،١٨١	بوليكربوس
٢٣٢	بومار
٦	بومي
٣٣٦،٣٣٣،٣٢٢	بونويك
٣٥٠،٣٤٩،٢٣٠	تاتيانوس
٢٣٦	تاستس
٢٤١	تاكتيوس
٣٧	تداوس
٢٧١،٧٤	تراجان
٣٥٣،٣٣١	تريكيانوس
٢١٧	تشارلزبوتر
٢٢٣	تلامس
٣٣٣	تنيشولي
٢٢٤	تهودوشن
٣٣٣	توليو
٢٤٢،٢٢٤،٧٠،٢٦	توما
٨٢،٣٣	تويبي
٢٤١،٧١،٥٧	تيطس (القائد الروماني)
٢٤١،١٩٧،٧٣	تيموثارس
٣٢٤	توت
٢٠٣	ثاوفيلس
٢٠٤	ثاوفيلس
٢٦٨	ثيودوتس
٢٨٦،٩٠	ثيودوسيوس
٨٩	ثيوفيلوس
٣٥١،٣٥٠	ثيوفيلوس الانطلكي
٣٣١	جارسلان كريبي

رقم الصفحة	العلم
١٧	جاسون
٨٢	جالينوس
١١٨	جامس ماك كينون
٢١٦، ١٩٨	ف.س. جرانت
١٣٣	الجرجاني
١٩٣	الجرمني
١٠٩، ١٠٦	جمالايل
١٥٨	جوستاف لوبون
٢٥١	جون روبنسون
١٨٨، ١٤٢	جون فتون
٣٥٧	جون لوريمر
٢١٥	جون مارش
٢٠٩	الجويني
١٨٩	جيرمان كويل
٢٠٤، ١٩٠، ١٨٦	جيروم
٧١	جيسوس قلوروس
١٠٨، ١٠٤، ١٠٢، ٤٢، ٣٣	شارل جينير
٢٣٥، ١٦٩، ١٦٣، ١٤٦، ١٤٣	
٣، ٣٤١، ٣٣٣، ٣٢٠، ٣١١، ٣٠٥	
٤٣	
٢٥٢، ٢٤٨، ٢٤٣، ٢٤٢	الملك جيمس
٢٥٨، ٢٥٣، ٤٤	حبيب سعيد
٢٧٣، ٢٠٩، ١٩٦	ابن حزم
٣٦	ابن حلفي
١٩٧	حلمي
٢٤٤	حمية
١٨	حنانيا
٣٥٦، ٣٥٠، ٣٤٩، ٣٤٨، ٢٨٣	حنا الخصري
٣٥٧	

رقم الصفحة	العلم
٢٠٢	ابن خلدون
٩٤	داماسيوس الروماني
٢٣٤، ١٢٣	دانيلو (الكاردينال)
٣١٢	دراير
٢٣٩، ٨٣، ٨٢	دقلديانوس
٣٢٨، ٣٢٣، ٣٢٢، ٣١٩، ٣١٦	دوان
٣٣٨،	
٨٥، ٨٤	دوناتس
٢٠٦	دوميتان
١٩١	ديدات
١٨٩	ديدون
٣٠٢، ٨١.	ديسيوس
٢٢٣	ديصان
١٢٧	دين انج
٨٢	ديونسيوس
٢٩١، ٢٦٤	رءوف شلي
٥	رحبعام
٢٥٥	رحمت الله الهندي
٣٢٤، ٣١٧	ابن رع
٢٢٢	روجرس
٣٢٥	راسيلفيا
٣١٧	روملوس
٣٢٥	روميليوس
	رينان
٢١٥، ٢٠٩، ٢٠٦، ٣٦	ابن زيدي
٢٧٢، ١٤	زرادشت
٣٣٠	زكي شنوده
٢١٠، ٢٠٩، ١٩٠، ١١٩، ١٠٨	ابو زهره
٢٩٨، ٢٧٤، ٢٧٣، ٢٧٢،	

رقم الصفحة	العلم
٢٨١	سابليوس
٢٧١	ساتورينيوس
٢٣٦	سالست
٨١،٨٠	سافيروس
١٠٢	سترابون
٢٥٨،١٩٨	سعود عبد العزيز الخلف
١٣٥	سقراط
٢٧٣،٢٥٦	سلس
٤٠،١٧،٨،٥	سليمان
٧٤	سمعان
٣٢٥	سمعان السادي
٣٦	سمعان النشيط
١٣٥	سمعان ماعوس
	سيجموند فرويد
٢٦٦	سير نيش الفريسي
٨٤،٨٥	سيسليانس
٢٧١	سيمون السامر السامري
٤٥	سيمون السيريناري
٩٧	شارلمان
٦٢،٦١،٥	شاؤول
١٣١	الشرفى
١٣٠	شريف هاشم
٣٠١،٣٠٠،٢٧٢	شلي
٢٠	شماي
١٨٧	شنودة
٢٧٤	الشهرستاني
١٩٨	شوثرز
٢٣٦	شيشرون
٣١٩	صابر صيرة

رقم الصفحة	العلم
٢٠١، ١٩٧، ١٩٣	صابر طعيمة
٢٨٦	صابليوس
١٧	صدون
٥	طلالوت
٢١٨	طاهر
٣٤٤٩	طياربوس
٢٤٤٤، ٢٤٣، ٢٣٢	عبد الأحد داود
٣٥٩	عبد الرحمن بدوي
١٧٥	عبد الله بن سبأ
١٨٧	عبد الله الترجمان
١٤٤	عبد المنعم عثمان
١٩٩	عبد الوهاب طويلة
١٥٦	عزت الطهطاوي
١٨٧	عثمان عبد المنعم
٢٣٥	علي بن ربن
٣٢٠	علي علي راضي
٢٧٩، ٢٣٩، ١٧	عمر الفاروق
٤٥	عوض سمعان
٨٣	غاليريوس
٩٧، ٩٤	غريفورس الينسي
١٩١	الغزالي
٢٢٤	فابري سيوس
٨٢	فاليريان
٢٧٢، ٢٧١	فالتينوس
١٥	فتحي الزغبى
٣٣٩	فرانز كومون
١٣٠	فردنيناند كرسيتيان
١٤	فرنند
٢٣٦، ٢٠٦، ٢٠٢	د. فريدريك كلفتن

رقم الصفحة	العلم
١٧٤	فورد
٢٩٣،٢٩٢	فوسسيوس
٢٢٨،٢٠٥،١٨٣،١٣٠،٤	فهيم عزيز
١٣٥	فيثاغورس
٣٢١	فيريا
٣٤٢	فيشر
٢٦٨	فكتور
١٩١،٦٢،٣٦	فيلبس
١٢٦	فيلكس (الوالي)
٢٤١	فيلمون
٣٤٥،٣٤٤،٢١٦،١٥٤،٢٢	فيلون (الفيلسوف)
٣٥٩،٣٥٨،٣٤٦	
٢٢٤،٧	فيليب
٣٣٢،٣٠٦	القاضي عبد الجبار
٢٨٠،٢٦٤،٩٠،٨٥،٨٤،٨٣	قسطنطين
٣٢٥،٣١٢،٢٨٥،٢٨٣،٢٨١	
٢٩٢،٢٦٤	قسطنطين الخامس
٩٠	قسطنطيوس
٦	فورش
١٨	قيافا
٢٧٧	قيصر (الملك)
٨١	كارا كلا
٨٢	كالس
٣٤٦	كاليجولا
٢٠٢	كانتجسر
٢٧١،٢٦٥	كربو كراتس
٧٤	كردونوس (البطريك)
٣١٩،٣١٦	كرشنا

رقم الصفحة	العلم
۳۲۵	کلوریوس
۳۱	کلنمیت
۲۴۲	کوفردال
۲۴۰، ۲۱۴، ۲۰۲	کولمان
۳۱۹	کوینیو
۹۴	کیرلس الاسکندري
۳۱۰	لاہوتس
۳۳۸	لندي
۷۱	لوسباسیانوس (الامبراطور)
۸۳	لوقیانوس
۲۴۸، ۱۴۶	لوی سیجو
۲۷۵	لویس جردیه
۱۲۶	لیسیاس
۹۶	لیون الثالث
۳۶۰	لیون جوتیه
۳۲۷	نخله شقوان
۳۱۱	الندوي
۲۸۸، ۲۸۷، ۲۷۵، ۲۷۴، ۲۷۲	نسطور
۲۸۹،	
۲۷۴، ۲۶۸	النشار
۲۵۳، ۱۹۳	نورتن
۳۱۹	نیبال
۲۰۱، ۱۲۷، ۱۲۶، ۶۹	نیرون (الامبراطور)
۱۹۹، ۱۹۶	نینهام
۲۷۴	المأمون
۲۷۲، ۲۰۵	مارسیون
۹۴	مارتینوس
۳۲۵	ماغوس
۸۰	مارکوس اوریلیوس

رقم الصفحة	العلم
٢٨١	ماري سليمان
٣٢٧	مالفير
٢٢٣	مائي
٣١٦	مايا
٣٢٥	متراس
٢٢٤٠٧٠٠٣٧٠٣٦	متياس
٣١٠٠١٢	مترا
٢٠٩٠١٨٦٠١٤٤٠١٤٣٠١٠٧	محمد أبو الغيط الفرت
٢١١٠١٦٣٠١٣٤	محمد تقي العثماني
١٥٨٠١٤٤٠١٤٢٠١٢٦	محمد الشرقاوي
١٨٦	محمود حماية
٢٨٢٠٢٧٢٠٢٢٣	مريقيون
١٩٩	مريم المجدلية
٢٧٠	ملتوس (قيس)
٢٨٦٠٢٧٣٠٩٠	مقدونيوس الأريوسي
٨٣٠٨١	مكسيمانوس
٣١٩	مور
١٩٧٠١٩٥٠١٩١٠١٨٥٠٣٢	موريس بوكاي
٢٤٠٠٢٢٥٠٢١٤٠٢١٠٠٢٠٦	
٣٣٠٠٣٢٧٠٣٢٢٠٢٧٤٠٢٤٥	
٤٦	موسيهيم
٣١٧	هرقل
٢٤١	هرمس
٢٠	هليل
١٩٠	هنري واسكاف
٢١٩	هوارد مارشال
٢٢٢٠٢٢١٠٢٠٩٠٢٠١٠١٨٨	هورن
٣٢٣٠٣١٧	هوك
١٦٢	هيام ماكوبي

رقم الصفحة	العلم
٣٣٣	هينجمي
٣٣٨	هيد
٢٥٢،٦١،٣٢،٢٧،١٠،٨،٧	هيرودوس الكبير
٩٤	هيلاريوس
٣٢٧،٢٦٦،٢٠٧	وافي
٢٧٤،١٢	واند
٢٢٢	وارد
١٥،١٣،٠،١٢٧،١٠،٠،٣٣،٩	ول ديوارنت
٧	
٣٢٠،٢٦٢،١٩٥،١٩١،١٥٨	
٣٤٢،٣٤١	
٢٤٢	وليام تندال
١٨٨	وليم آدي
١٩٨،١٦٨،١٢٢	وليم باركلي
١٢١-	وهيب البكري
١٤٠،١٠٢	ويلز
٢١،٥٦،٣٣،٢٤،٢٣،٢٢،٩	يحيى بن زكريا (يوحنا النعمدان)
٦	
٢٢٢،٢٢١،٧٤،٥٩،١٧،٣	يعقوب
٢٧١،٢٢٤	
٣٧	يعقوب بن ملفي
٢٠٦،٣٦	يعقوب الكبير
٢٨٩،٢٧٦	يعقوب البراذعي
٦١	يعقوب الزبدي
٢٢٠،٣٦	يعقوب الصغير
١،١١٨،٧٤،٥٨،٢٣،٢٢،٤	يعقوب العدل
٢٥	
١٧٧	
٢٢٠،٤٤٤،٣٧،٣٦	يهوذا الحواري

رقم الصفحة	العلم
٣٦٠٣٢٠٢١٠١٧٠١٤٠٦٠٥	ينهوذا
٢٢٢٠٢٢١٠٧٧٠٣٧	
٧٣	يوحنا الإنجيلي
٩٤	يوحنا فم الذهب
٢٩١٠٢٧٧	يوحنا ماردن
٣٧	يوستس
٢٩٥	يوسف الدبس
٣٣٠٣٢	يوسف النجار
٣٦	يوسف بارسابا
٣٤٩٠٣٤٨٠٢٢٩٠١٦٣٠١٠٤	يوسستينوس (جاستين) (جوستين)
٣٥١٠٣٥٠	
١٩٨٠١٢٩٠١٢٧٠٨١٠٧٠	يوسيبوس (المؤرخ)
٣٥٠٠٣٢٥٠٢٨٣٠٢٣٣٠٢٢٢	
٤٥٠٢٧٠٢٣٠٢٢	يوسيفوس المؤرخ
٩٠	يوليان
٣٢٥	يوليوس قيصر

رابعاً: فهرس الفرق والجماعات

رقم الصفحة	اسم الفرقة أو الجماعة
٢٧٣	الأبولناريون
٩٨	أبيقورية
٢١	الجماعة الايونية
٢٦٧، ٢٦٦، ١٩٠	الأيونيون
٢٩٠، ٢٨٩، ٢٧٧، ١٧٤، ٩١	الأرثوذكس
٢٩٤، ٢٩٣	
٢٨٨	الأرمن
٢٨٤، ٢٧٤، ٢٧٠، ٨٥	الأريوسية
٦	الاسباط
٣٣، ٢٤، ٢٣، ٢٢، ١٥	الآسينيون
٤٠، ٣٠، ٨، ٤٠، ١٦، ٦	الاشوريون
٣٣٤، ٣٣٣، ٣٢٩، ٣٢٦، ٣١٦	
٤٩، ٤٦، ٣٧، ٣٣، ١٨	آل عمران
٢١٣، ٤٠، ١١	الاعريق
٣٤٤، ٢٩٥، ١٥٤، ٩٨، ٨٨	الافلاطونية الحديثة
٣٦٠، ٣٤٧	
٣٥٩، ٢١٦	الافلاطونية
٢٨٨	الاقباط
٣٤٨	الأكاديميون
٢٢٢، ٢١٠	ألوجين
٣٣٤، ٣٢٦، ٣٠٨، ٤٠	البابليون
٤٥	البيسليديون
٢٧٢	البرابرية
٣٤٧، ٣٢٨، ٣٢٧	البراهمة - البرهمية

٢٥٢، ٢٥١، ٢٤٩، ٢٤٨، ٢٢٢	البروتستانت
٣٣٢	البريطانيون
٣٤٧، ٣٤١، ٣٣٤، ٣١٧	البوذية - البوذيون
٢٧٠	البولسية
٢٦٨	البوليفانيون
٩٤	البيلاجيانية
١٨	الحاصدية
١٨٢، ١٨١، ٦٠، ٥٧، ٥٦، ٥٠	الحواريون
٢٦١، ٢٢٢، ٢٠٥، ١٩٥، ١٨٥	الخلقدونيون
٩٣	الدوناتيون - الدوناتية
٩٤ ، ٨٥	الرواقية
٢١٢، ١٥٧، ١٠٣، ٩٨، ١٣، ١٢	الرومان
٣٥٩، ٢٧١	الزرادشنية
٦٣، ٤١، ٤٠	السامريون
٣٢٥	الساميون
٣١٦، ١٧٩، ١٨١، ١٧، ١٦، ١٥	السيريتون
٧	الشعوب السريانية - السريان
٤٥	السلوقية
٣١٢ ، ٢٨٨ ، ٩٣ ، ١١	السنهدرين
١٧	الشمشاطيون
٦٠ ، ٢٦ ، ٨	صابئون
٢٦٨	الصدوقيون
٢٣٤	
٢١١٨، ١٥، ١٠	
٥٧، ٤٣، ٤٢، ٣٩، ٤	
١١٠	
٣٢٦، ٣٢٣، ٣١٧	الصينيون

رقم الصفحة	اسم الفرقة أو الجماعة
٣٣٢، ١٧٧	العبرانيون
٩٦	الغساسنة
٣٥٦، ٣٥٣، ٢١٦، ٨٨، ٨٧، ١٧	الغنوصية
٢٧٢، ٢٧١	الغنوصية الباطنية
٩	الغيورون
٤٠، ٦	الفراعنة
٣٢٣، ٣٢١، ٩٥، ٤٠، ٢٩، ٦، ٣	الفرس
٣٣٩، ٣٣٣	
٢١، ٢٠، ١٩، ١٨، ١٦، ١٥، ٩، ٨	الفريسية - الفريسيون
٥٧، ٤٢، ٣٩، ٣٨، ٣٦، ٣٣، ٢٥	
١٩٣، ١٠٣، ١٠١، ٦٠	
١١٠، ١٠٩، ١٠٦	
٢٥	فقهاء الشريعة
٣٤٨، ٢٤، ١٢	الفيثاغورية
٣٢٩، ٣	الفيثاقيون
٢٣، ٢١، ١٦، ١٥	القمرانيون
٢٤٧، ١٧٤، ١٧٣، ١٥٩، ٩١	الكاثوليك
٢٨، ٢٨٧، ٢٧٧، ٢٥٥، ٢٥١، ٢٤٩	
٢٩٣، ٢٩٢، ٢٩٠، ٢٨٩، ٨	
٢٥	الكتبة
٣٣٣، ٣١٢، ١١، ٣	الكنعانيون
٩٦	اللخميون
١٢٩	الليريكون
٢٠٤	مارسيوني
٢٩٤، ٢٩٢، ٢٧٧	المارونية

رقم الصفحة	اسم الفرقة أو الجماعة
٣٥٧،٣٤١	المانوية
٩٨	المثرائية
٢٧٢،٨٨	المرقيونية
٣٣٤	المجوس
،٣٢٦،٣٢٤،٣١٩،٣٠٨	المصريون
٣٣٤،٣٣١،٣٣٠	
٢٧٧،٢٧٦،٩٣	المقدونيون
٢٤	المنذرون
٢٨٦،٢٦٧،٢٦٥،٨٤	الموحدون
٨٨	الموتانية
٢٤	النذريون
، ٢٧٤،٢٧٥،٩٦،٩٣	نساطرة - النسطورية - النسطوريون
٢٩١ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧	
٢٧١	النصرانية المثلثة
،٣٢٧،٣٢٦،٣٢٥،٣١٩،٣١٦	الهنود
٣٣٠	
٣٤١	الهندوكية
، ٢٧٧ ، ٢٧٦ ، ٩٦ ، ٩٣	اليعاقبة - اليعقوبية - اليعقوبيون
٢٨٩	
٤٠	جماعة وادي قمران

خامساً - فهرس المدن والبلدان

رقم الصفحة	البلد
٣٥١،١٠٢،٧٣	أثينا
٢٨٩	أثيوبيا
٧٠،٤١،٣٤،٤٤،٣	الأردن
٨٥	أرل
٤	أريحا
٧٣	أزمير
٢١٨،٩٦	اسبانيا
٨،٨٢،٨٠،٧٥،٧٣،٦٦،٦١،١٢	الاسكندرية
١٥٤،١٠٧،١٠٤،٩١،٨	
٢٧،٢٧٠،٢٦٩،٢١٣،٢١٠،١٩٥	
٢٩٤،٢٩٢،٢٨١،٢٧٦،٢٧٢،١	
٣٥٥،٣٤٧،٣٤٦،٣٣٠	
٣٤٧،٢٧٠	اسيوط
٢،٢٧٦،٢٠٦،١٢٥،٩١،٧٩،٧٣	أفسس
٢٨٨،٨٧	
٧	الأناضول
٩٧	الاندلس
٨،٧٩،٧٥،٧٣،٦٣،٦٢،٦١،١٧	أنطاكية
١٢٥،١١٤،١٠٧،٩٢،٧	
٢٨،٢٧١،٢٦٩،٢٦٨،١٦٤،١٤٠	
٣٥٠،٢٩٧،٢٩٢،٢	
٣٣١	اكسفورد
١٩١	انكلترا
٢٣٩،٩٧	ألمانيا
٩٧	ايران
٩٦	ايرلندا
٢٠٠،١١	ايطاليا

رقم الصفحة	البلد
٣٢١٠٦	بابل
٢٨١	بثينة
٣٣٢٠٣٣١٠٢٣٩٠٩٧٠٩٦	بريطانيا
٢٠٦	بطمس (جزيرة)
٩٣	البلقان
٢	بيت لحم
٢٤٧	بيروت
٧٠	بيلا
٣٢١٠٣١٩	التبت
٧	تركيا
١٧٨	تسالونيكى
٣٥٧	تونس
٣٥٧	الجزائر
٠٣٤٠٣٣٠١٢٠١١٠٨٠٧٠٥٠٢	الجليل
٢٠٦٠٤١٠٣٧٠٣٥	
٢٤٢	جنيف
٢٨٩٠٩٣	الحبشة
٩٦	الحجاز
٠٢٩١٠٢٨٨٠٢٧٧٠٢٧٦٠٩١	خلقدونية
٢٩٤	
٦٠	دمشق
٢٩٣	روسيا
٩٠٨٥٠٧٠٠٦٩٠٦٦٠١٢٠١٠	روما
٠١٩٦٠١٩٥٠١٨١٠٩٣٠٩١٠٠	
٢٧١٠٢٦٨٠٢٦٧٠٢٢٩٠١٩٧	
٣٠٢٩٤٠٢٩٣٠٢٩٢٠٢٩٠٠٢٨٧٠	
٣٥٣٠٣٤٨٠٣٢٥٠٣٢١٠١٧	
٦٢٠١٦٠٨٠٧٠٣	السامرة

رقم الصفحة	البلد
٣٥٧	سقسطة
٢٩٧	سميرنا
٢٠٥٠٩٦٠٩٢٠٦٦٠٦٢٠١٥	سوريا
٣١٣٠٢٩٥٠٢٩٤٠٢٩١٠٢٧١	
٣٤٩٠٣٢١٠٣٢٠٠	
٤	سيناء
٣٢٤	سيوه
٩٧	صقلية
٣٥٥٠٢٨٥٠٣	صور
٢٠٦٠٣	صيدا
٣١٠	الصين
٧٠٢	طبرية
١٠٥٠١٠٤٠١٠٣٠١٠٢٠١٠١	طرسوس
١٢٥٠١٢٤٠١١٤٠١٠٧٠	
٢٦٦٠٩٦	العراق
٣	غزة
١٠٩	غلاطيه
٢٤١	الفانيكان
٣٤٧٠٩٦٠٩٣	فارس
٣٣٩	فرنسا
٣٥٠	الفرات
٣٢١	فرجيا
١٧٠١٦٠١٥٠١١٠٠٠٩٠٨٠٧	فلسطين
٢٠٩٦٠٦٥٠٦١٠٣٢٠٢٦٠٢٢	
٢٧٠٠٦٧	
٣١٣	فينيقية
٢٩٤	القاهرة

رقم الصفحة	البلد
٦٢	قبرص
٢٠١٧٠١٢٠١١٠٩٠٨٠٦٠٥٠٢	القدس (بيت المقدس - اورشليم)
٠٥٧٠٥٥٠٤٣٠٤١٠٣٣٠٢٣٠٢٢٠١	
١٠٨٦٠٧٤٠٧١٠٧٠٠٦١٠٦٠٠٥٩	
١٢٦٠١٢٥٠١٢٤٠١٢٠٠١١٨٠٠٧	
٢٠٢٠١٠١٨٨٠١٨١٠١٦٥٠١٢٩٠	
٣١٢٠٣٠٦٠٢٦٧٠٢٦٢٠٥٣	
٣٥٣٠٣٠٥٠٨٤٠٨٠٠٧٣	قرطاجة
٢٨٠٢٧٩٠٢٧٠٠٩٦٠٩٣٠٩٠	القسطنطينية
٠٢٩٣٠٢٩٢٠٢٩١٠٢٩٠٠٢٨٦٠٥	
٢٩٤	
١٢٦	قيصريه
١٠١	فيليقه
٢	كفرناحوم
١٢٥	كورنثوس
١٩٧	كولوسي
٢	لبنان
٢٨٦	اللاذقية
١٩٦	لندن
٧٣	ليون
٢	مجدل
٢٧٠٠١٢٥٠٦٦	مقدونيه
٣٢٤٠٣٢٠	مصر
٣٢١	المكسيك
٢٨٠٠٨٣	ميلانو
٦٢٠٥	نابلس
٣٤٠٣٣٠٧٠٢	الناصره
٢	ناين
٩٦	نجران

رقم الصفحة	البلد	تجمع حمادي
٥٨		نيقيه
٩٠٩٤٠٩٢٠٩٠٠٠٨٨٠٨٥٠٥٥		
٠٢٦٤٠٢٦٣٠٢٢١٠٢١٣٠٢١١٠٨		
٢٨٠٢٨١٠٢٧٩٠٢٧٣٠٢٧٠٠٠٢٦٧		
٠٢٩٥٠٢٩٢٠٢٨٦٠٢٨٥٠٢٨٤٠٣		
٣٤٢٠٢٩٧٠٢٩٦		
٣٥٧		هيو
٣٤٧٠٣٢٩٠٣٢١٠٣١٦		الهند
٤٠٠٢٣٠٢١		وادي قمران
٣		يافا
٩٦		اليمن
		اليهودية (منطقة)

سادساً- ثبت المصادر والمراجع

- ١- أبحاث في الفكر اليهودي .
حسن ظاظا . (بدون بيانات نشر)
- ٢- إبطال ألوهية عيسى عليه السلام وإثبات بشريته من نصوص من الإنجيل .
محمد عبد المقصود . د . محمد عبد المجيد . القاهرة - جامعة الأزهر .
- ٣- الآثار الباقية عن القرون الخالية .
أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي . بيروت - دار صادر . د.ت .
- ٤- الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة .
القراقي (- ٦٨٤) . تحقيق : د . بكر زكي عوض . ط ٢ . القاهرة - مكتبة وهبة .
١٤٠٧ هـ .
- ٥ - الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة .
القراقي . تحقيق ناجي محمد داود . دكتوراة . جامعة أم القرى . ١٤٠٥ .
- ٦- الإختلاف والإتفاق بين إنجيل برنابا والأنجيل الأربعة .
محمد عبد الرحمن عوض . ط ٢ . القاهرة - دار البشير . د.ت .
- ٧- إختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية .
أحمد عبد الوهاب . ط ١ . القاهرة - مكتبة وهبة . ١٤٠٧ هـ .
- ٨- أدلة الوجدانية في الرد على النصرانية .
القراقي (- ٦٨٤) . تحقيق : عبد الرحمن دمشقية . ط ١ . ١٤٠٨ هـ .
- ٩- الأديان السماوية .
ناصر الحسين بانافع . ط ١١ . الرياض - مؤسسة الجريسي . ١٤١١ هـ .
- ١٠ - الأديان الشرقية القديمة .
رعوف شلبي . ط ٢ . بيروت . دار الشروق . ١٩٨٣ .
- ١١- أديان العالم .
حبيب سعيد . القاهرة - دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية . د.ت .
- ١٢- الأديان في القرآن .
محمود بن الشريف . ط ٤ . القاهرة - دار المعارف . ١٩٨٠ م .

- ١٣ - الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة .
عبدالقادر شيبه الحمد . مطبوعات الجامعة الإسلامية .
- ١٤ - أديان وفرق .
أمين القضاة ، محمد الخطيب ، محمد الهزايمة . ط ١١ . عمان - دار عمار ١٤١١ هـ .
- ١٥ - إذا كان المسيح إلهًا فكيف تألم ومات .
القس عبد المسيح بسيط . ط ٢ . القاهرة - مطبعة المصريين ١٩٩٤ م .
- ١٦ - الأساطير الإغريقية والرومانية .
د . كوبلان . ترجمة : أحمد رضا محمود رضا . مراجعة : محمود خليل النحاس . القاهرة .
الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢ م .
- ١٧ - إسرائيل حرفت الأناجيل والأسفار المقدسة .
أحمد عبدالوهاب . ط ١ . القاهرة . مكتبة وهبة . ١٩٧٢ .
- ١٨ - الأسفار المقدسة قبل الإسلام " دراسة لجوانب الاعتقاد في اليهودية والمسيحية " .
د. صابر طعيمة . ط ١ . بيروت - عالم الكتب ١٤٠٦ هـ .
- ١٩ - الأسفار المقدسة .
علي عبد الواحد واني . القاهرة - دار نهضة مصر . د. ت .
- ٢٠ - الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة .
أنور الجندي . بيروت - الشركة العالمية للكتاب ١٩٨٧ م .
- ٢١ - الإسلام والأديان الأخرى .
أحمد عبد الوهاب . القاهرة - مكتبة التراث الإسلامي . د. ت .
- ٢٢ - الإسلام والأديان .
محمد عبد الرحمن عوض . القاهرة - دار البشير . د. ت . ز
- ٢٣ - الإسلام والأديان دراسة مقارنة .
د . مصطفى حلمي . ط ١ . الإسكندرية - دار الدعوة ١٤١١ هـ .
- ٢٤ - الإسلام والنصرانية في ضوء العلم والمدنية .
الشيخ محمد عبده . ط ٦ . القاهرة . دار المنار ١٣٦٣ م .
- ٢٥ - الإسلام والمسيحية في الميزان .
شريف هاشم . ط ١ . بيروت - مؤسسة الوفاء ١٤٠٩ هـ .
- ٢٦ - أصلح الأديان للإنسانية .
أحمد عبد الغفور عطار . مكة المكرمة ١٤٠٠ هـ .

- ٢٧- الأصول الوثنية للمسيحية .
 أندريه نايتون ، ادغارويند ، كارل غوستاف يونغ . ترجمة : سميرة عزمي الزين . منشورات
 المعهد الدولي للدراسات الإنسانية . ط ١ . ١٤١١ .
- ٢٨- أطلس الكتاب المقدس .
 تحرير رولي . بيروت . دار النشر المعمدانية . ١٩٨٣ م .
- ٢٩- إظهار الحق في الأديان والفرق .
 محمد مختار المغني ، موسى أبو الريس . ط ١ . عمان - دار الإسرائ ١٤١٢ هـ .
- ٣٠- إضمحلال الإمبراطورية الرومانية .
 إدوارد جيون . نقله إلى العربية : محمد علي أبو درة . راجعه وقدم له : نجيب هاشم .
- ٣١- أضواء البيان .
 الشنقيطي . مكتبة ابن تيمية . د.ت .
- ٣٢- أضواء على المسيحية .
 رؤوف شلي . بيروت - المكتبة العصرية ١٩٧٥ م .
- ٣٣- إظهار الحق .
 رحمة الله الهندي . تحقيق : محمد ملكاوي . ط ٢ . القاهرة - دار الحديث . القاهرة - دار
 الحرمين ١٤١٣ هـ .
- ٣٤- الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات
 نبوة محمد عليه الصلاة والسلام .
 القرطي . تحقيق : أحمد حجازي السقا . القاهرة - دار التراث العربي . د.ت .
- ٣٥- الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام .
 القرطي . تحقيق فايز عزام . دكتوراة . جامعة أم القرى . ١٤٠٥ .
- ٣٦- أقانيم النصارى .
 أحمد حجازي السقا . ط ١ . القاهرة - دار الأنصار ١٣٩٧ هـ .
- ٣٧- الإله الذي لا وجود له .
 أحمد ديدات . ترجمة : رياض أحمد باهيري . د.ت .
- ٣٨- آلهة في الأسواق . دراسة في النحل والأهواء القديمة في الشرق .
 رؤوف شلي . ط ٢ . الكويت - دار القلم ١٤٠٣ هـ .
- ٣٩- الألوهية وصلتها بالعالم في الديانة الهندية القديمة .
 محمد ضياء الدين الكردي . ط ١ . القاهرة - مطبعة السعادة ١٤٠٣ هـ .

- ٤٠ - الإمتاع والمؤانسة .
- أبو حيان التوحيدي . (بدون بيانات النشر) .
- ٤١ - الأمور المتيقنة عندنا هذا مانؤمن به وهذا ما نبشر به .
القس كارلس وليمز الكبير . الإسكندرية - مطبعة ومكتبة إيزيس . د.ت .
- ٤٢ - الأنجيل " دراسة مقارنة " .
أحمد طاهر . القاهرة - دار المعارف . د.ت .
- ٤٣ - إنجيل يوحنا في الميزان .
محمد علي زهران . ط ١ . القاهرة . دار الأرقم ز ١٤١٢ .
- ٤٤ - انتصار الحضارة .
برستد . نقله إلى العربية : أحمد فخري . القاهرة . مكتبة الأنجلو . د.ت .
- ٤٥ - الإنتصارات الإسلامية .
نجم الدين البغدادي الطوفي الحنبلي (٧١٦) . تحقيق : أحمد حجازي السقا . القاهرة -
مطبعة دار البيان . د.ت .
- ٤٦ - الإنسان في ظل الأديان .
عمارة نجيب محمود . (بدون بيانات النشر) .
- ٤٧ - إنجيل برنابا .
ترجمة : د . خليل سعادة . القاهرة - دار الفتح للإعلام العربي . د.ت .
- ٤٨ - إنجيل يوحنا في الميزان .
د . محمد علي زهران . ط ١ . القاهرة . دار الأرقم . ١٤١٢ .
- ٤٩ - الإنجيل والصليب .
عبد الأحد داود . القاهرة ١٣٥١ .
- ٥٠ - الإنجيل كيف كتب وكيف وصل إلينا .
القس عبد المسيح بسيط أبو الخير . ط ١ . القاهرة - مطبعة المصريين ١٩٩٤ م .
- ٥١ - إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم .
د . حسن عز الدين الجمل . ط ١ . بيروت - دار الكتاب العربي . د.ت ز
- ٥٢ - أهم عوامل انحراف النصرانية .
إبراهيم خلف التركي . رسالة ماجستير . الجامعة الإسلامية . ١٤٠٦ .
- ٥٣ - أوروبا العصور الوسطى .
سعيد عبدالفتاح عاشور . ط ٧ . القاهرة . مكتبة الإنجلو المصرية . ١٩٩٤ م .

٥٤- الإيمان .

محمد عبد الله الشرقاوي . ط ١ . القاهرة - مكتبة الزهراء ١٤٠٩ هـ .

٥٥- الإيمان المسيحي هل هو معقول .

ناشد حنا . ط ٢ . القاهرة - لوجوس برنت سنتر . د.ت .

٥٦- إيماني أو " القضايا المسيحية الكبرى " .

القس إلياس مقار . القاهرة - دار الثقافة . د.ت .

٥٧- البدء والتاريخ .

ابن طاهر المقدسي (٥٠٧) . القاهرة - مكتبة الثقافة الدينية . د.ت .

٥٨- البداية والنهاية .

ابن كثير . بيروت - مكتبة المعارف . د.ت ز

٥٩- البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح .

زيادة بن يحيى النصب الراس (٦٦١ هـ - ١٢٦٣ م) . مخطوطة عن طريق مركز الملك فيصل

. رقم : ٣٤٦٢ / ٧٠٦ ف ، ٥٨ لوحة .

٦٠- بذل المجهود في إفحام اليهود .

الحكيم السموعل بن يحيى بن عباس المغربي (٥٧٠) . تحقيق : عبد الوهاب الطويلة . دمشق

- دار القيم . بيروت - الدار الشامية . د.ت .

٦١ - البراهين الإنجيلية على أن عيسى عليه السلام داخل في العبودية ولاحظ له في

الألوهية .

محمد تقي الدين الهلالي . ١٩٩٣ . (بدون بيانات النشر) .

٦٢- البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان .

عباس بن منصور التريبي السكسكي الحنبلي (- ٦٨٣) . تحقيق : د . بسام العموش . ط ١

. الأردن - مكتبة المنار ١٤١٨ هـ .

٦٣- بشرية المسيح ونبوة محمد ﷺ في نصوص كتب العهدين .

محمد أحمد ملكاوي . ط ١ . الرياض - مطبعة الفرزدق ١٤١٣ هـ .

٦٤- بنو إسرائيل وموقفهم من الذات والإلهية والأنبياء .

عبد الشكور محمد أمان . ١٤٠٢ هـ . (رسالة دكتوراة . جامعة أم القرى .

٦٥- بولس الرسول قراءة في حياة عملاق .

القمص بيشوي وديع . ط ١ . طنطا - مكتبة كاتدرائية الشهيد مار جرجس ١٩٩٤ م .

٦٦- بولس وتأثيره في المسيحية .

بحث مكمل لنيل درجة الماجستير . إعداد وهيب أحمد بكري . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٥ هـ .

٦٧- بين القرآن الكريم والعهدين القديم (التوراة) والجديد (الإنجيل) .

ياسين الخطيب . ط ١ . مكة المكرمة - مطابع الصفا ١٤١١ هـ .

٦٨- بين الإسلام والمسيحية .

أبو عبيدة الخزرجي (٥٨٢) . تحقيق : د . محمد شامة . ط ٢ . القاهرة - مكتبة وهبة .

. د. ت.

٦٩- تأثر اليهودية بالأديان الوثنية .

د . فتحي محمد الزغيبي . ط ١ . القاهرة - دار البشر ١٤١٤ هـ .

٧٠- تاريخ الأقباط .

زكي شنودة (بدون بيانات النشر) .

٧١- تاريخ أوروبا في العصور الوسطى .

فيشر . ترجمة محمد زيادة وزميله . القاهرة . دار المعارف - ١٩٥٠ .

٧٢ - تاريخ أوروبا للعصور الوسطى .

الباز العربي . بيروت . دار النهضة العربية .

٧٣ - تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم .

محمد عزة دروزة . بيروت . المكتبة العصرية - ١٣٨٩ .

٧٤- تاريخ سورية .

المطران يوسف الدبس . راجعه الدكتور مارون رعد دار نظير عبود ١٩٩٤ م .

٧٥- تاريخ العالم .

أورو سيوس . ترجمة : د . عبد الرحمن بدوي . ط ١ . بيروت - المؤسسة العربية للدراسات

والنشر ١٩٨٢ م .

٧٦- تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام .

د . مصطفى شاهين . القاهرة - دار الثقافة . د. ت .

٧٧- تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام .

د . محمد علي أبو ريان . ط ٢ . بيروت - دار النهضة العربية ١٩٧٦ م .

٧٨- تاريخ الفكر المسيحي .

القس حنا الخضري . ط ١ . القاهرة - دار الثقافة . د. ت .

- ٧٩- تاريخ الفكر السياسي .
جان توشار .ترجمة : د . علي مقلد . ط ٢ . بيروت - الدار العالمية للطباعة والنشر
١٤٠٣ هـ .
- ٨٠- تاريخ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك .
أبو جعفر محمد بن جرير الطبري . ط ٣ . بيروت - دار الكتب ١٤١١ هـ .
- ٨١- تاريخ الفلسفة في الإسلام .
ت . ج . دي بور . ترجمة : محمد عبد الهادي أبو زيدة . ط هـ . القاهرة - مكتبة النهضة
المصرية . د.ت .
- ٨٢- تاريخ الفلسفة .
إبراهيم مدكور . يوسف كرم . القاهرة / مطبعة لجنة التأليف والنشر . ١٩٤٠ .
- ٨٣- تاريخ الفلسفة اليونانية .
يوسف كرم . ط ٤ . القاهرة - مكتبة النهضة . د.ت .
- ٨٤- تاريخ الفلسفة " الفلسفة الهلنستية والرومانية " .
أميل برهية . ترجمة : جورج طرايش . ط ١ . بيروت - دار الطليعة للطباعة والنشر
١٩٨٢ م .
- ٨٦- تاريخ الفلسفة اليونانية .
يوسف كرم . (بدون بيانات النشر) .
- ٨٧- تاريخ الكنيسة .
يوسابيوس القيصري . تعريب : القمص مرقس داود . د.ت .
- ٨٨- تاريخ الكنيسة .
جون لوريمر . القاهرة - دار الثقافة . د.ت .
- ٨٩- تاريخ المسيحية .
حبيب سعيد . القاهرة - دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية . د.ت .
- ٩٠- تاريخ المسيحية (المسيحية في العصور الوسطى) .
جاد المنفلوطي . القاهرة - دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية . د.ت .
- ٩١- تاريخ المسيحية في مصر .
سليمان نسيم . (بدون بيانات النشر) .
- ٩٢- تاريخ النصارى في الأندلس .
عبادة كحيلة . ط ١ . القاهرة - المطبعة الإسلامية الحديثة ١٤١٤ هـ ، ١٩٩٣ م .

٩٣- تاريخ مختصر الدول .

العلامة غريغوريوس الملطي المعروف بابن العبري . ط ١ . بيروت - المطبعة الكاثوليكية .

. د. ت .

٩٤- التاريخ اليهودي العام .

صابر طعيمة . ط ٣ . بيروت - دار الجليل ١٤١١ هـ .

٩٥- التاريخ اليهودي .

يوسيفوس . (بدون بيانات النشر) .

٩٦- تثبيت دلائل النبوة .

القاضي عبدالجبار . (بدون بيانات النشر) .

٩٧- التثليث بين الوثنية والمسيحية .

. د . محمود حماية . ط ٢ . القاهرة . د. ت .

٩٨- التجسد والصلب بين الحقيقة الإفتراء .

. د . محمود حماية . ط ٢ . مصر - دار المعارف . د. ت .

٩٩- تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب .

عبد الله الترحامة الميورقي (٨٣٢) . تحقيق : عمر و فيق الداعون . ط ١ . بيروت - دار

البشائر الإسلامية ١٤٠٨ هـ .

١٠٠- تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب .

تحقيق : د . محمود حماية . ط ٣ . القاهرة - دار المعارف . د. ت .

١٠١- تحقيق ماللهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة .

البيروني . بيروت . عالم الكتب . د. ت .

١٠٢- التزوير المقدس .

عبدالودود شلي . ط ٢ . القاهرة . دار الشروق . ١٤٠٧ .

١٠٣- تطور العقائد .

شارل جينيير . ترجمة : د . محمد محمد حسانين . القاهرة - دار مايا للطباعة والنشر

. ١٩٩١ م .

١٠٤- التعريفات .

الشريف علي بن محمد الجرجاني . دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ

١٠٥- التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام .

محمد الغزالي . القاهرة - دار الكتب الحديثة . د. ت .

- ١٠٦- تفسير الألوسي . " روح البيان في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني " الألوسي (- ١٢٧٠) . بيروت . دار الفكر . ١٩٧٨ م .
- ١٠٧- تفسير أبي السعود . " إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم " أبو السعود العمادي (-٩٨٢) . بيروت . دار إحياء التراث . د.ت .
- ١٠٨- تفسير الطبري . ابن جرير الطبري . بيروت . عالم الكتب .
- ١٠٩- تفسير القاسمي . " محاسن التأويل " . القاسمي (-١٣٣٢) ، محمد جمال الدين . تحقيق فؤاد عبد الباقي . ط ١ . مصر . مطبعة مصطفى البابي الحلبي . ١٣٧٦ .
- ١١٠- التفسير الكبير " مفاتيح الغيب " . الرازي ، فخر الدين محمد بن عمر . ط ١ . بيروت . دار الفكر . ١٩٨١ م .
- ١١١- تفسير ابن كثير . " تفسير القرآن العظيم " . ابن كثير . بيروت . دار المعرفة . ١٩٦٩ م .
- ١١٢- تفسير المنار . " تفسير القرآن الحكيم " . محمد رشيد رضا ، ط ٤ . مصر . دار المنار . ١٣٧٣ .
- ١١٣- تفسير المراغي . المراغي (- ١٣٧١) . ط ٣ . مصر . مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده . ١٩٧٤ م .
- ١١٤- التفسير الحديث للكتاب المقدس . العهد الجديد سفر أعمال الرسل . هوارد مارشال . ترجمة : نجيب جرجور . ط ١ . القاهرة - دار الثقافة . د.ت .
- ١١٥- تفسير العهد الجديد . وليم باركلي . (رسالة رومية) . ترجمة القس : منيس عبدالنور . ط ١ . القاهرة . دار الثقافة المسيحية . ١٩٧٥ م .
- وليم باركلي . (أعمال الرسل) . ترجمة : جوزيف صابر . ط ١ . القاهرة . دار الثقافة المسيحية . ١٩٧٥ م .
- ١١٦- التفكير الديني في العالم قبل الإسلام . د . أورانج كاي رحمت بن داتو ترجمة : رؤوف شلي . الدوحة - دار الثقافة . د.ت .
- ١١٧- تلخيص الأجوبة الجليلة في دحض الدعوات النصرانية . زيادة بن يحيى الدمشقي . تحقيق : أحمد حجازي السقا . القاهرة - مكتبة الإيمان ١٤١٢ هـ .

- ١١٨- التصير خطة لغزو العالم الإسلامي .
 الترجمة الكاملة لأعمال المؤتمر التبشيري الذي عقد في مدينة جلين إيرى ١٩٧٨م ونشر
 بعنوان : The Gospel and Iban .
- ١١٩- التوحيد والتنزيه في سورة مريم .
 عبد الحميد طهماز . ط ١ . دمشق - دار القلم . بيروت - الدار الشامية ١٤١٠ هـ .
- ١٢٠- تمهيد لدراسة الأناجيل الأربعة وإنجيل برنابا .
 د . السيد محمد عقيل المهدي . ط ١ . القاهرة - دار الحديث ١٤١٤ هـ .
- ١٢١- التمهيد .
 الباقلائي . بيروت . عالم الكتب .
- ١٢٢- التوراة والإنجيل والقرآن في سورة آل عمران .
 عبد الحميد طهماز . ط ١ . بيروت - الدار الشامية . دمشق - دار القلم ١٤١٠ هـ .
- ١٢٣- التوراة السامرية .
 ترجمة الكاهن السامري : أبو الحسن إسحق الصوري . نشرها وعرف بها أحمد حجازي
 السقا . ط ١ . القاهرة . دار الأنصار . ١٣٩٨ .
- ١٢٤- التوراة بين الوثنية والتوحيد .
 سهيل ديب (بدون بيانات النشر) .
- ١٢٥- ابن تيمية وموقفه من أهم الفرق والديانات في عصره .
 د . محمد خيرى . ط ١ . بيروت - عالم الكتب ١٤٠٧ هـ .
- ١٢٦- الجامع لأحكام القرآن .
 القرطبي . بيروت . عالم الكتب .
- ١٢٧- الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي .
 د . محمد البهي . ط ٦ . القاهرة - مكتبة وهبة ١٤٠٢ هـ .
- ١٢٨- جذور البلاء .
 عبد الله التل . ط ٣ . بيروت - المكتب الإسلامي ١٤٠٨ هـ .
- ١٢٩- جوهر الإيمان في صحيح الأديان ، أهل الكتاب (اليهود واليهودية) .
 صلاح العجماي . ط ١ . القاهرة - دار صفا للطباعة والنشر ١٤٠٨ هـ .
- ١٣٠- الجواب الفسيح لما لفته عبد المسيح .
 الإمام الألوسي البغدادي . تحقيق : أحمد حجازي السقا . ط ١ . القاهرة - دار البيان العربي
 ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م .

- ١٣١- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح .
ابن تيمية (٧٢٨) . أحمد بن عبد الحلیم . تحقيق : د . علي بن حسن بن ناصر ، د . عبد
العزيز العسكر . د . حمدان الحمدان . ط ١ . الرياض - دار العاصمة ١٤١٤ هـ .
- ١٣٢- ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان .
د . محمود علي حمایة . ط ١ . القاهرة - دار المعارف ١٩٨٣ م .
- ١٣٣- حقائق أساسية في الإيمان المسيحي .
القس فايز فارس . ط ٢ . القاهرة - دار الثقافة المسيحية . د.ت .
- ١٣٤- حقيقة لبشیر بين الماضي والحاضر .
الغزالي . القاهرة . دار الفضيلة .
- ١٣٥- حقيقة عيسى المسيح .
د . محمد علي الخولي . ط ١ . عمان - دار الفلاح للنشر والتوزيع ١٤١٠ هـ .
- ١٣٦- حقيقة النصرانية من الكتب المقدسة .
علي الجوهری . دار الفضيلة . أحمد حجازي السقا . دار الفضيلة . د.ت .
- ١٣٧- كلمة من الله .
د . توحيد الزهيري . ط ١ . ١٩٩٣ م .
- ١٣٨- حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح .
د . عبد الودود شلي . ط ١ . جدة - الدار السعودية للنشر ١٤١٣ هـ .
- ١٣٩- حياة بولس .
ف . ب . ماير . تعريب : القمص مرقس داود . القاهرة - مكتبة المحبة . د.ت .
- ١٤٠- حياة الحقائق .
جوستاف لوبون .
- ١٤١- حياة مريم .
محمود شلي . ط ٣ . بيروت - دار الجيل ١٤٠٩ هـ .
- ١٤٢- حياة المسيح .
محمود شلي . ط ٢ . بيروت - دار الجيل ١٤٠٩ هـ .
- ١٤٣- حياة يسوع .
د . تيرس سميث . تعريب : حبيب سعيد . ط ٣ . القاهرة - دار الثقافة . د.ت .
- ١٤٤- الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله ﷺ .
مايكل هارت . ترجمة : أنيس منصور . ط ٧ . القاهرة - الزهراء للإعلام العربي ١٩٨١ م .

- ١٤٥- خطر اليهودية الصهيونية على النصرانية والإسلام .
 الأب طانيوس منعم . ط ٢ . بيروت - مؤسسة موناشا . د.ت .
- ١٤٦- دائرة معارف القرن العشرين .
- ١٤٧- دائرة المعارف البريطانية .
- ١٤٨- دائرة المعارف .
 بطرس البستاني .
- ١٤٩- دراسات في الأديان .
 د. سعود بن عبدالعزيز الخلف . المدينة المنورة . مكتبة العلوم والحكم . ١٤١٤ هـ .
- ١٥٠- دراسات في إنجيل متى .
- ١٥١- دراسات في الفلسفة القديمة والعصور الوسطى .
- ١٥٢- دراسات في الملل والنحل (أصول المسيحية الهلينية) .
 د . محمد عبد الله الشرقاوي . ط ١ . القاهرة - مطبعة المدينة ١٤١٤ هـ .
- ١٥٣- دراسات في إنجيل متى عن مجلة كنوز الكتاب المقدس .
 (Bible Treasury) تعريب : وهيب ملك . القاهرة - مطبعة كنيسة الأخوة . د.ت .
- ١٥٤- دراسات في الكتاب المقدس . العهد القديم و العهد الجديد .
 د . محمود حماية . (بدون بيانات النشر) .
- ١٥٥- دراسات في النصرانية .
 محمود مزروعة . (بدون بيانات النشر) .
- ١٥٦- دراسة تحليلية لإنجيل مرقس تاريخياً وموضوعياً .
 د . محمد عبد الحليم مصطفى أبو السعد . ط ١ . مصر - مطبعة الجبلأوي ١٤٠٤ هـ .
- ١٥٧- دراسة في التوراة والإنجيل .
 د . كامل سعفران . القاهرة - دار الفضيلة . د.ت .
- ١٥٨- دروس في تاريخ الفلسفة .
 إبراهيم مدكور ، يوسف كرم . القاهرة . مطبعة لجنة التأليف والنشر . ١٩٤٠ .
- ١٥٩- دعوة الحق أو الحقيقة بين المسيحية والإسلام .
 منصور حسين عبد العزيز . ط ٢ . مكتبة علاء الدين ١٣٩٩ .
- ١٦٠- دعوة التوحيد في المسيحية قبل الإسلام وأثرها في تأسيس الفرق المسيحية .
 عرفة سالم حسن . جامعة الأزهر . رسالة دكتوراه ١٤١٢ هـ .
- ١٦١- دور اليهود في إفساد العقيدة الإلهية .
 حسن محمد إبراهيم . رسالة ماجستير . جامعة أم القرى - ١٤٠٥ .

- ١٦٢- الدولة والكنيسة .
 رأفت عبد الحميد . (بدون بيانات النشر) .
- ١٦٣- الديانات والعقائد في مختلف العصور .
 أحمد عبد الغفور عطار . ط ١ . مكة المكرمة . ١٤٠١ هـ .
- ١٦٤- الديانة في مصر الفرعونية .
 ١٦٥- الديانة اليونانية القديمة .
 هـ . ج . روز . ترجمة رمزي عبده جرجس . القاهرة - دار نهضة مصر ١٩٦٥ م .
- ١٦٦- الديــــــــــــن .
 محمد عبد الله دراز . ط ٢ . الكويت - دار القلم ١٣٩٠ هـ .
- ١٦٧- الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد ﷺ .
 علي بن ربن الطبري . تحقيق : عادل نويهض . ط ٢ . بيروت - دار الآفاق ١٩٧٧ م .
- ١٦٨- الدين المقارن .
 محمود أبو الفيض المنوفي الحسيني . القاهرة - دار نهضة مصر . د.ت .
- ١٦٩- رحلة بين أرجاء الكتاب المقدس .
 مديحة خميس . القاهرة - دار الفكر العربي . د.ت .
- ١٧٠- الرد الجميل لألوهية عيسى بصريح الإنجيل .
 أبو حامد الغزالي . تحقيق : محمد الشرقاوي . ط ٣ . بيروت - دار الجليل . القاهرة - مكتبة
 الزهراء ١٤١٠ .
- ١٧١- الرد الجميل .
 رومير الشدياق . ترجمة وتحقيق عبدالعزيز عبدالحق حلمي . الأزهر . مجمع البحوث .
 ١٣٩٢ .
- ١٧٢- الرد على النصارى .
 أبو البقاء صالح بن الحسين الجعفري . تحقيق : محمد محمد حسنين . ط ١ . القاهرة - مكتبة
 وهبة ١٤٠٩ هـ .
- ١٧٣- رد على اليهودية واليهودية المسيحية .
 ندره اليازجي . ط ٢ . دمشق - طلاس للدراسات والترجمة والنشر ١٩٨٢ م .
- ١٧٤- رسائل الرسل في العهد الجديد وأثرها في إنخراط المسيحية .
 سعيد سراج . ماجستير . جامعة أم القرى ١٤٠٦ هـ .

- ١٧٥- الرسالة السبعية بإبطال الديانة اليهودية .
الحبر إسرائيل بن شموئيل الأورشليمي . تخرّيج وتعليق : عبد الوهاب طويلة . ط ١ . دمشق —
دار القلم ١٤١٠ هـ .
- ١٧٦- الرمز والأسطورة في مصر القديمة .
رندل كلارك . ترجمة : أحمد صليحة . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢ م .
- ١٧٧- الروح القدس .
فهيم عزيز . (بدون بيانات النشر) .
- ١٧٨- السامريون واليهود .
د. سيد فرج راشد . الرياض . دار المريخ . د. د. ت .
- ١٧٩- سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس .
عبد الله العلمي . ط ١ . ١٣٩٠ هـ .
- ١٨٠- السلطة السياسية التشريعية بين الإسلام والنصرانية .
كامل صفى محمد عيسى . ماجستير . جامعة الأزهر ١٤١٣ هـ .
- ١٨١- سنن الترمذي .
الترمذي . بيروت . عالم الكتب .
- ١٨٢- سيرة بولس الرسول .
حبيب سعيد . ط ٣ . القاهرة — دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية . د. د. ت .
- ١٨٣- الشرق الأدنى القديم مصر والعراق .
عبد العزيز صالح . ط ٤ . القاهرة — مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٤ م .
- ١٨٤- شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل .
إمام الحرمين الجويني عبد الملك بن عبد الله بن يوسف (٤٧٨) . تحقيق : أحمد حجازي
السقا . القاهرة — مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٩ هـ .
- ١٨٥- صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري .
البخاري . تحقيق محب الدين الخطيب . القاهرة . دار الريان . ١٤٠٧ .
- ١٨٦- صحيح مسلم .
مسلم النيسابوري . بيروت . عالم الكتب .
- ١٨٧- الصلب وهم أم حقيقة .
أحمد ديدات . ترجمة : ابراهيم خليل أحمد . ط ١ . القاهرة — دار المنار ١٤١٠ هـ .
- ١٨٨- صيحة تحذير من دعاة التنصير .
محمد الغزالي . ط ١ . القاهرة — دار الصحوة ١٤١٢ هـ .

- ١٨٩- طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون .
 أحمد عبد الوهاب . ط ١ . القاهرة - مكتبة وهبة ١٤٠٠ هـ .
- ١٩٠- العبادة المسيحية .
 الأشمندریت إلياس . طرابلس . مكتبة السائح . ١٩٨٥ .
- ١٩١- عبقرية المسيح .
 عباس محمود العقاد . القاهرة - دار نهضة مصر . د.ت .
- ١٩٢- عصمة الأنبياء بين اليهودية والمسيحية والإسلام .
 د . محمود ماضي . الإسكندرية - مكتبة الإيمان . د.ت .
- ١٩٣- العقائد المسيحية بين القرآن والعقل .
 هاشم جودة . ط ٢ . القاهرة . المركز العربي للنشر .
- ١٩٤- العقائد الوثنية في الديانة النصرانية .
 محمد طاهر التنير البيروتي . تحقيق : محمد عبد الله الشرقاوي . ط ١ . بيروت - دار عمران
 القاهرة - مكتبة الزهراء ١٤١٤ .
- ١٩٥- عقيدة الصلب والفداء .
 محمد رشيد رضا . القاهرة - الفتح للإعلام العربي ١٩٩١ - ١٤١١ هـ .
- ١٩٦- العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية .
 د. سعد الدين صالح . ط ٢ . جدة . مكتبة الصحابة . القاهرة . مكتبة التابعين . ١٤١٦ .
- ١٩٧- عقيدتا التثليث والصلب في المسيحية وموقف الإسلام منهما .
 محمد أبو الغيط الفرت . دكتوراه . جامعة الأزهر ١٣٩١ هـ .
- ١٩٨- عقيدتا التثليث والصلب وموقف الإسلام منهما .
 يونس توري . ماجستير . جامعة أم القرى . ١٤٠٢ .
- ١٩٩- عقيدتا رفع عيسى ونزوله بين الإسلام والنصرانية .
 محمد حسين موسى محمد . ماجستير . جامعة الأزهر ١٩٨٢ م .
- ٢٠٠- علم اللاهوت النظامي .
 إصدار دار الثقافة المسيحية للهيئة القبطية الإنجيلية . مطبعة دار الجليل . ١٩٧١ م .
- ٢٠١- العلمانية نشأتها وتطورها .
 سفر الحوالي . ط ١ . القاهرة - مؤسسة قرطبة ١٤٠٢ هـ .
- ٢٠٢- الفارق بين المخلوق والخالق .
 عبد الرحمن بن سليم البغدادي الشهير بياحه جي زاده . دار الكتاب الإسلامي . د.ت .

- ٢٠٣- فتح الباري شرح صحيح البخاري .
ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني (٨٥٢) . تحقيق : محب الدين الخطيب . ط ١ . القاهرة
- دار الريان ١٤٠٧ هـ .
- ٢٠٤- فتح القدير .
الشوكاني . (بدون بيانات النشر) .
- ٢٠٥- فجر الإسلام .
أحمد أمين . ط ١١ . ١٩٧٥ م .
- ٢٠٦- الفصل في الملل والأهواء والنحل .
علي بن أحمد (ابن حزم ٤٥٦) . تحقيق : د . محمد نصير ، د . عبد الرحمن عميرة . ط ١
جدة - شركة مكتبات عكاظ للنشر ١٤٠٢ هـ .
- ٢٠٧- الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه .
د . حسن ظاظا . ط ٢ . دمشق - دار القلم . بيروت - دار العلوم والثقافة ١٤٠٧ هـ .
- ٢٠٨- الفكر الإسلامي منابعه وآثاره
M.M. SHARIF . ترجمة : أحمد شلي . ط ٨ . القاهرة - مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٦ م .
- ٢٠٩- الفكر الإسلامي في الرد على النصارى .
عبد المجيد الشرفي . تونس - الدار التونسية للنشر . الجزائر - المؤسسة الوطنية للكتاب
١٩٨٦ .
- ٢١٠- الفكر اللاهوتي في رسائل بولس .
- ٢١١- فلسفة العصور الوسطى .
عبد الرحمن بدوي . القاهرة - مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٩ م .
- ٢١٢- فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية .
لويس غردية ، ج قنواطي . نقله إلى العربية : د . صبحي الصالح ، د . فريد جبر . ط ٢ .
بيروت - دار العلم ١٩٧٩ م .
- ٢١٣- الفهرست .
ابن النديم . بيروت - دار المعرفة . د . ت .
- ٢١٤- فهرس الموضوعات الكتابية .
ط ٢ . القاهرة - دار الثقافة المسيحية ، مطبعة دار الجيل ١٩٧٠ م .
- ٢١٥- فهرس الكتاب المقدس .
جورج بوست . ط ٨ . القاهرة - دار الثقافة . د . ت .

- ٢١٦- في العبادات المسيحية . " دراسة نقدية " .
 محمود حماية . (بدون بيانات النشر) .
 ٢١٧- في علم الكلام .
 أحمد محمود صبحي . ط ٥ . بيروت - دار النهضة العربية ١٤٠٥ هـ .
 ٢١٨- في مقارنة الأديان بحوث ودراسات .
 محمد عبد الله الشرفاوي . ط ٢ . بيروت - دار الجيل . القاهرة - مكتبة الزهراء ١٤١٠ هـ .

هـ .

- ٢١٩- في موكب التاريخ عشرون قرناً .
 حبيب سعيد . القاهرة . مكتبة المحبة .
 ٢٢٠- قاموس أكسفورد .
 ٢٢١- قاموس الكتاب المقدس .
 تحرير : بطرس عبد الملك ، جون الكسندر طمسن ، ابراهيم مطر . القاهرة - دار الثقافة . د. ت .
 ٢٢٣- القديس بولس .
 القس حارث قريصة . ط ٣ . القاهرة - دار الثقافة . د. ت .
 ٢٢٤- القديس بولس الرسول حياته لاهوته أعماله .
 الأب متى المسكين . ط ١ . القاهرة - مطبعة دير القديس أنبا مقار . د. ت .
 ٢٢٥- القرآن الكريم والتوراة والإنجيل . (دراسة في الكتب المقدسة في ضوء المعارف

(الحديثة)

- موريس بوكاي . القاهرة - دار المعارف . د. ت .
 ٢٢٦- قصة الحضارة (المجلد الأول - الجزء الأول نشأة الحضارة) .
 ول ديورانت . ترجمة : زكي نجيب محمود . بيروت - دار الجيل . د. ت .
 ٢٢٧- قصة الحضارة (المجلد السادس - الجزء الحادي عشر قيصر والمسيح أو الحضارة الرومانية الجزء الحادي عشر عصر الإيمان . المجلد السابع - الجزء الرابع عشر ، عصر الإيمان) .
 ترجمة : محمد بدران . بيروت . دار الجيل .
 ٢٢٩- قصة الديانات .
 سليمان مظهر . القاهرة - دار الوطن العربي للطباعة والنشر . د. ت .

- ٢٣٠- القضايا المسيحية الكبرى .
إلياس مقار . (بدون بيانات النشر) .
- ٢٣١- القوى الخفية لليهودية العالمية الماسونية .
داود عبد العفو سنقرط . ط ١ . عمان - دار الفرقان . د.ت .
- ٢٣٢- قيام أم انتعاش .
أحمد ديدات . ترجمة : رياض أحمد باهيري . د.ت .
- ٢٣٣- الكتاب المقدس . (الطبعة البروتستانتية)
٢٣٤- الكتاب المقدس . (الطبعة الأرثوذكسية)
٢٣٥- الكتب السماوية وشروط صحتها .
عبد الوهاب عبدالسلام طويلة . جدة . دار القبلة . بيروت . مؤسسة علوم القرآن . ١٤١٠ .
- ٢٣٦- الكتاب المقدس في الميزان .
عبدالسلام محمد . ط ١ . القاهرة . مطابع الوفاء . ١٤١٢ .
- ٢٣٧- الكتاب المقدس في الميزان .
إدوارد . يونج . ط ٢ . دار الثقافة المسيحية . ١٩٧٧ .
- ٢٣٨- الكتاب المقدس هل هو كلمة الله .
القس عبد المسيح بسيط أبو الخير . ط ١ . القاهرة - مطبعة الأخوة المصريين ١٩٩٢ .
- ٢٣٩- كشف اصطلاحات الفنون .
محمد بن علي التهانوي . بيروت - دار صادر . د.ت .
- ٢٤٠- الكشاف .
- ٢٤١- الكنز المرصود في قواعد التمود .
محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨) . بيروت - دار المعرفة . د.ت .
- ٢٤٢- الكنز المرصود في فضائح التلمود .
د . محمد عبد الله الشرفاوي . القاهرة - مكتبة الوعي الإسلامي . د.ت .
- ٢٤٣- كنت نصرانياً وأسلمت .
إعداد : محي الدين عبد الحميد . ط ٢ . جدة - مكتبة الخدمات الحديثة ١٤١٤ هـ .
- ٢٤٤- اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر .
الأب سليم بترس . ط ١ . بيروت - منشورات المكتبة البوليسية ١٩٨٥ .

- ٢٤٥- اللّهُه . (ضمن موسوعة العقاد الإسلامية توحيد وأنبياء) .
العقاد . ط ١ . بيروت - دار الكتاب العربي ١٩٧٠ .
- ٢٤٦- اللّهُه واحد أم ثلاث .
محمد مجدي مرجان . القاهرة - دار النهضة . د.ت .
- ٢٤٧- ما أصل الإنسان .
د . موريس بوكاي . ط ١٢ . ١٩٨٥ . الرياض - مكتبة التربية العربي لدول الخليج ١٤٠٦
- ٢٤٨- ماذا خسر العالم بالمخطاط المسلمين .
أبو الحسن الندوي . ط ٩ . الكويت - دار القلم ١٣٩٣ .
- ٢٤٩- الماسونية ذلك العالم المجهول .
صابر طعيمة . ط ٥ . بيروت - دار الجيل ١٤٠٦ .
- ٢٥٠- الماسونية .
محمد علي الزغبى . بيروت - المكتبة الثقافية . د.ت .
- ٢٥١- ما كانت آية يونان النبي .
أحمد ديدات . ترجمة : رياض أحمد باهري . د.ت .
- ٢٥٢- ماني والمناوية .
جيو وايسر نفرين . ترجمة : د . سهيل زقار . ط ١ . دار حسن للطباعة ١٤٠٦ .
- ٢٥٣- ماهي النصرانية .
محمد تقي العثماني . تعريب : نور عالم الأميني . كراتشي - مكتبة العلوم ١٤٠٣ هـ .
- ٢٥٤- مباحث برينة في الإنجيل .
مصطفى أحمد الرفاعي . القاهرة . المطبعة السلفية . د.ت .
- ٢٥٥- المجامع النصرانية وأثرها على اعتقاد النصارى .
إعداد : الجليلي محمود يوسف الكباش " ماجستير " جامعة الإمام محمد بن سعود
١٤٠١ هـ .
- ٢٥٦- المجمع المسكوني الثاني للفتاوي . المنعقد في الفترة ١٩٦٢ - ١٩٦٥ . الطبعة
الثانية لوثائق المجمع .
- ٢٥٧- مجموعة الشرع الكنسي أو قوانين الكنيسة المسيحية الجامعة .
حنانيا إلياس كساب . بيروت - منشورات النور ١٩٧٥ .
- ٢٥٨- مجموع الفتاوى .
ابن تيمية . القاهرة . مكتبة ابن تيمية . د.ت .

- ٢٥٩- محاضرات في مقارنة الأديان .
 ابراهيم خليل أحمد . القاهرة - دار المنار ١٤١٢ هـ .
- ٢٦٠- محاضرات في النصرانية .
 محمد أبو زهرة . ط ٣ . القاهرة - دار الفكر العربي ١٣٨١ .
- ٢٦١- محمد في التوراة والإنجيل والقرآن .
 ابراهيم خليل أحمد . القاهرة - دار المنار ١٤٠٩ هـ .
- ٢٦٢- محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن .
 محمد عزت الطهطاوي . القاهرة - مكتبة النور . د. ت .
- ٢٦٣- المختار في الرد على النصارى .
 الجاحظ .
- ٢٦٤- مختصر دراسة للتاريخ .
 أرنولد توينبي . ترجمة : فؤاد شبل . ط ١ . القاهرة - مطبعة لجنة التأليف والترجمة ١٩٦٠ .
- ٢٦٥- مختصر تاريخ الكنيسة (من البداية إلى القرن العشرين) .
 أندرو ميلر . ط ٣ . القاهرة - مكتبة كنيسة الأخوة ١٩٩٣ .
- ٢٦٦- مختصر الصواعق المرسله .
 ٢٦٧- المدخل إلى العهد الجديد .
 د . القس فهميم عزيز . القاهرة - دار الثقافة . د. ت .
- ٢٦٨- مروج الذهب ومعادن الجوهر .
 أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي . تحقيق قاسم الرفاعي . ط ١٠ . بيروت - دار
 القلم ١٤٠٨ هـ .
- ٢٦٩- مسالك النظر في نبوة سيد البشر .
 سعيد بن حسن الإسكندراني . تحقيق : د . محمد عبد الله الشرفاوي . القاهرة - مكتبة
 الزهراء . د. ت .
- ٢٧٠- المسيح ————— ح .
 زكي شنودة . القاهرة - مكتبة المحبة . د. ت .
- ٢٧١- المسيح عيسى بن مريم .
 عبد الحميد جودة السحار . مكتبة مصر - دار مصر للطباعة . د. ت .
- ٢٧٢- المسيح في الإنجيل بشر .
 ممدوح جاد . القاهرة . المطبعة الفنية . ١٩٩٣ .

- ٢٧٣- المسيح في الأناجيل أو الكنيسة والنقد الكتابي الحديث .
 ف. كيزيتش . تعريب الأب ميشال نجم . بيروت . منشورات النور . د.ت .
 ٢٧٤- المسيح في مصادر العقائد المسيحية .
 أحمد عبدالوهاب . ط ٢ . القاهرة . مكتبة وهبة . ١٤٠٨ .
 ٢٧٥- المسيح في نبوات العهد القديم .
 الشماس الدكتور أميل ماهر إسحق . ط ١ . القاهرة - مطبعة الأنباروزيس الأوفست ١٩٩٢ .
 ٢٧٦- المسيح إنسان أم إله .
 محمد مجدي مرجان . حققه : عبد الرحمن دمشقية . د.ت .
 ٢٧٧- المسيح بين الإنجيل والقرآن .
 الشيخ محمود البرشومي . القاهرة - مؤسسة روزا اليوسف . د.ت .
 ٢٧٨- المسيح إله أم إنسان .
 القس حنا جرجس الحضري . ط ١ . القاهرة - دار الثقافة . د.ت .
 ٢٧٩- المسيح في البشائر .
 صليب عبد السيد ميخائيل . القاهرة - مطبعة دار الجيل . ١٩٨٨ م .
 ٢٨٠- المسيح والمسيحية والإسلام .
 عبد الغني عبود . ط ١ . دار الفكر العربي ١٩٨٤ .
 ٢٨١- المسيح بين الحقائق والأوهام .
 محمد وصفي . القاهرة - دار الفضيلة . د.ت .
 ٢٨٢- المسيحية .
 أحمد شلبي . ط ٨ . القاهرة - مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٤ .
 ٢٨٣- المسيحية الأصيلة .
 ج.ر.و. ستوت . تعريب ريد زخاري . دار منشورات النضير .
 ٢٨٤- المسيحية بين التوحيد والتثليث وموقف الإسلام منها .
 إعداد : عبد المنعم فؤاد عثمان " ماجستير " . جامعة الأزهر كلية أصول الدين والدعوة
 بأسبوط ١٤٠٨ هـ .
 ٢٨٥- المسيحية نشأتها وتطورها .
 شارل جنيير . ترجمة : محمد عبد الحليم محمود ، منسوب إلى والده د . عبد الحليم محمود
 ١٩٨١ م .

٢٨٦- المسيحية بين النقل والعقل .

د . عبد الفتاح أحمد الفاوي . ط ١ . القاهرة - المطبعة الإسلامية الحديثة ١٩٩٢ .

٢٨٧- مشكلات العقيدة النصرانية .

د . سعد الدين السيد صالح . ط ٣ . القاهرة - دار الأرقم للطباعة والنشر ١٩٩٢ .

٢٨٨- معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى .

محمد سعيد عمران . ط ٢ . بيروت . دار النهضة . د.ت .

٢٨٩- معالم تاريخ الإنسانية .

ويلز .

٢٩٠- معاول الهدم والتدمير في النصرانية والتبشير .

ابراهيم الجبهان . ط ٥ . دار المجتمع للنشر والتوزيع ١٤٠٩ .

٢٩١- معجم الألفاظ العسرة في الكتاب المقدس .

موريس جدعون . حنا حلو . غسان خلف . بيروت . دار النشر المعمدانية . د.ت .

٢٩٢- معجم الحضارات السامية .

هنري س . عبودي . لبنان . جروس برس . ط ٢ . ١٤١١ هـ .

٢٩٣- المعجم الفلسفي .

عبد المنعم الحفني . ط ١ . القاهرة - الدار الشرقية ١٤١٠ هـ .

٢٩٤- المعجم الوسيط .

٢٩٥- مع العقيدة والحركة والمنهج .

د . علي عبد الحميد محمود . الرياض - مطابع جامعة الإمام ١٣٩٨ .

٢٩٦- المعمودية والأفخارستيا والكهنوت .

بيان ليما . تعريب : الأب ميشال نجم . بيروت - منشورات النور . ١٩٨٤ .

٢٩٧- المغنــــــــــــي .

القاضي عبد الجبار الأسد آبادي (٤١٥) . تحقيق : محمود الحضري . القاهرة - المؤسسة

المصرية العامة للتأليف .

٢٩٨- المغني الأكبر . (قاموس : إنجليزي - عربي) .

حسن سعيد الكرمي . بيروت . مكتبة لبنان . ١٩٨٨ م .

٢٩٩- مفتريات أهل الكتاب حول الذات الإلهية في العهد القديم والجديد والرد عليها .

محمد عبد البصير حصيري . جامعة الأزهر ١٤١٢ هـ .

- ٣٠٠- المعوقون للدعوة الإسلامية في عهد النبوة وموقف الإسلام منهم .
 سميرة جمجوم . جدة - دار المجتمع للنشر والتوزيع ١٤٠٧ .
- ٣٠١- مقارنة الأديان .
 عوض الله حجازي .
- ٣٠٢- مقارنات الأديان " الديانات القديمة " .
 محمد أبو زهرة . القاهرة - دار الفكر العربي . د.ت .
- ٣٠٣- مقارنة الأديان " أديان الهند الكبرى " .
 أحمد شلبي . ط ٨ . القاهرة - مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٦ .
- ٣٠٤- مقامع الصليبان .
 أحمد عبد الصمد الخزرجي (٥٨٢) . تحقيق : عبد المجيد الشرفي . تونس - الشركة التونسية
 لفنون الرسم ١٩٧٥ .
- ٣٠٥- مقدمة ابن خلدون .
 (بدون بيانات النشر) .
- ٣٠٦- الملة والنحلة في اليهودية - المسيحية - الإسلام .
 حمدي عبد العال . ط ١ . الكويت - دار القلم ١٤٠٩ .
- ٣٠٧- مناظرة بين الإسلام والنصرانية .
 مجموعة من رجال الفكر من الديانتين الإسلامية والنصرانية . ط ٢ . الرياض - مكتبة ابن
 خزيمة ١٤١٢ .
- ٣٠٨- مناظرة في الر على النصرارى .
 الرازي . بيروت . دار الغرب . ١٩٨٦ .
- ٣٠٩- المناظرة الكبرى في مقارنة الأديان . بين القس سويجارت والشيخ ديدات .
 تقديم ودراسة وتعليق : د . محمود حماية . د.ت .
- ٣١٠- المناظرة الأولى .
 علي الجوهري . القاهرة - مكتبة التراث . د.ت .
- ٣١١- المنتخب الجليل من تحجيل من حرّف الإنجيل .
 أبو الفضل المالكي السعودي . من علماء القرن العاشر الهجري . تحقيق : د . بكر زيمي
 عوض . ط ١ . ١٤١٤ هـ .
- ٣١٢- المنجد في اللغة والأعلام .
 المطبعة الكاثوليكية . ط ٢٢ . بيروت . دار المشرق . ١٩٧٣ م .

- ٣١٣- منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب .
 عبد العزيز بن حمد بن ناصر آل معمر . ط ١ . القاهرة - شركة فن الطباعة ١٣٥٨ .
- ٣١٤- من دحرج الحجر بعيداً .
 أحمد ديدات . ترجمة : رياض أحمد باهيري . د.ت .
- ٣١٥- منظومة الإمام الأبو صيري في الرد على النصارى واليهود .
 محمد بن سعد بن حماد الأبو صيري (٦٩٦) . تحقيق : أحمد حجازي السقا . ط ١ . القاهرة
 - مكتبة المدينة المنورة ١٣٩٩ .
- ٣١٦- منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى .
 عبدالراضي بن محمد عبدالمحسن . ط ١ از مكتبة التربية الإسلامية ١٤١٢ .
- ٣١٧- موجز تاريخ العالم .
 هـ . ج . ويلز . ترجمة : عبد العزيز جاويد . القاهرة - مكتبة النهضة المصرية . د.ت .
- ٣١٨- موجز تاريخ العالم .
 جماعة من المؤرخين السوفيات . اشراف : البروفسور أ . مانفرد . ترجمة : محمد عتياني .
 ط ١ . بيروت - دار الفارابي ١٩٨٩ .
- ٣١٩- موجز تاريخ الشرق الأدنى .
 د . فيليب متى . ترجمة : د . أنيس فريجة . بيروت - دار الثقافة . د.ت .
- ٣٢٠- موجز الحياة الدينية من الفرعونية حتى المسيحية .
 ٣٢١- المورد (إنجليزي - عربي) .
- منير البعلبكي . ط ٢٩ . بيروت . دار العلم . ١٩٩٥ .
- ٣٢٢- الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية .
 عبد المنعم الحفني . ط ١ . بيروت - دار السيرة ١٤٠٠ .
- ٣٢٣- موسوعة الفلسفة .
 عبد الرحمن بدوي . ط ١ . بيروت - المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٨٤ .
- ٣٢٤- موقف الرسول ﷺ من أهل العقائد الأخرى .
 د . عبد اللطيف محمد العبد . ط ١ . القاهرة - مطابع مذكور ١٣٩٧ .
- ٣٢٥- موقف اليهود والنصارى من دعوة المسيح عليه السلام .
 سارة العبادي . رسالة دكتوراة . جامعة أم القرى . ١٤١٣ .
- ٣٢٦- الميزان في مقارنة الأديان .
 محمد عزت الطهطاوي . ط ١ . دمشق - دار القلم . بيروت - الدار الشامية ١٤١٣ .

- ٣٢٧- النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام .
 أحمد عبد الوهاب . ط ٢ . القاهرة - مكتبة وهبة ١٤١٣ .
- ٣٢٨- نشأة الطوائف المسيحية .
 المطران اسحق سعد . القاهرة - دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية . د.ت .
- ٣٢٩- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام .
 علي سامي النشار . الجزء الأول . ط ٧ . القاهرة - دار المعارف . د.ت .
- ٣٣٠- النصرانية والإسلام .
 د. سعود عبدالعزيز الخلف . المدينة النبوية . دار البخاري . ١٤١٦ .
- ٣٣١- النصرانية والإسلام .
 محمد عزت الطهطاوي . ط ٢ . القاهرة . مكتبة النور . ١٤٠٧ .
- ٣٣٢- نصرانية عيسى عليه السلام في التوراة والإنجيل والقرآن ومسيحية بولس في الكتاب المقدس .
 صلاح العجماري . ط ١ . الإسكندرية - لواء الحمد للنشر والإعلان ١٤٠٩ .
- ٣٣٣- النصرانية في ضوء العلم والكشوف الأثرية .
 للشيخ محمد المجذوب . محاضرة ضمن كتاب " محاضرات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٣٩٣هـ " . جدة - مطابع البنوي .
- ٣٣٤- النصرانية والتنصير أم المسيحية والتبشير .
 د . محمد عثمان صالح . ط ١ . المدينة المنورة - مكتبة ابن القيم ١٤١٠ هـ .
- ٣٣٥- النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية .
 نصر بن يحيى بن عيسى بن سعيد المتطبب (١٤٦هـ) . تحقيق : محمد الشرقاوي . القاهرة - دار الصحوة . د.ت .
- ٣٣٦- النصرانية من التوحيد إلى التثليث .
 محمد أحمد الحاج . ط ١ . دمشق - دار القلم . بيروت - الدار الشامية ١٤١٣ .
- ٣٣٧- نظام الزواج في الشرائع اليهودية والمسيحية .
 محمد شكري سرور . ط ١ . القاهرة . دار الفكر العربي . ١٩٧٨ م .
- ٣٣٨- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى .
 محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (٧٥١) . تخريج وتعليق : مصطفى الشليبي . ط ٢ . جدة - مكتبة الوادي ١٤١٠ .

- ٣٣٩- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى .
 تحقيق : أحمد حجازي السقا . القاهرة - دار الريان ، دار المطبعة السلفية . د.ت .
 ٣٤٠- هل الكتاب المقدس كلام الله .
 أحمد ديدات . ترجمة : رياض أحمد باهيري . د.ت .
 ٣٤١- هل صلب المسيح حقاً وقام .
 القس عبد المسيح بسيط أبو الخير . ط ١ . المطبعة العربية ١٩٩٣ .
 ٣٤٢- واقعنا المعاصر .
 محمد قطب . ط ٢ . جدة - مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر ١٤٠٨ هـ .
 ٣٤٣- الوحي والملائكة في اليهودية والمسيحية والإسلام .
 أحمد عبد الوهاب . ط ١ . القاهرة - مكتبة وهبة ١٣٩٩ .
 ٣٤٥- يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء " دراسة مقارنة الأديان " .
 رؤوف شلي . مصر - دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية . د.ت .
 ٣٤٦- يسوع كما في مرقس .
 الفرد هافنت / جوزف هليط . بيروت - منشورات المكتبة البوليسية ١٩٨١ .
 ٣٤٧- يسوع المسيح .
 بولس إلياس اليسوعي . القاهرة . مكتبة المحبة .
 ٣٤٨- اليهودية .
 أحمد شلي . ط ٨ . القاهرة - مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٨ .
 ٣٤٩- اليهود تاريخ وعقيدة .
 د . كامل سعفان . القاهرة - دار الإعتصام . د.ت .
 ٣٥٠- اليهودية والمسيحية .
 د . محمد ضياء الرحمن الأعظمي . ط ١ . المدينة المنورة - مكتبة الدار ١٤٠٩ هـ .

الدوريات :

- ٣٥١- " الأسس المشتركة بين الديانتين في المعتقدات ومواطن الالتقاء في ميادين الحياة " -
 مقال صادر عن مجلة (إسلاميات مسيحية) (٢) - إصدار المعهد البابوي للدراسات العربية -
 روما ١٩٧٦ م .
 ٣٥٢- " البابا بولس تهنئك مقبولة ولنا معكم كلام " . المجتمع - عدد ١٢٦ - شوال

- ٣٥٣- " بولس وتأثيره " بيار - عدد ٧ - رجب ١٤١٢ - كتبه : جيرالد ياشيل . ترجمه : أحمد سليم الفيقي .
- ٣٥٤- البراهين الإنجيلية على أن عيسى داخل في العبودية ولاحظ له في الألوهية . محمد الحديدي الطير . الأزهر . سنة ١٤٠٥/٥٧ . ج ٤ .
- ٣٥٥- " تاريخ الإنجيل والكنيسة " أحمد أدرب - دار الحراء - مكة - ١٩٨٧ .
- ٣٥٦- " تطور الإعتقاد بألوهية المسيح " - المنار - ج ٩ - مج ٢٩ - ١٣٤٧ - شعبان .
- ٣٥٧- " حقيقة المسيح ودعوته " مقال الأزهر - سنة ٥٧ - رجب - ١٤٠٠ .
- ٣٥٨- دين الله دين القوة . أحمد حسن الزيات . الأزهر . ج ٢ . سنة ٢٨ . ١٣٨٦ .
- ٣٥٩- درس العقائد المسيحية " المشرق - السنة الثامنة - عدد ١١ - للأب أوزياس تورين اليسوعي .
- ٣٦٠- كيف وصل إلينا الكتاب المقدس . محاضرة أقيمت بكنيسة ماري جرجس . ١٩٨٤ .
- لجنة النشر للثقافة القبطية الأرثوذكسية .
- ٣٦١- لمحة تاريخية عن الإنقسام الكنسي . إبراهيم خليل أحمد . المنهل . عدد ٥ . ١٣٩٨ .
- ٣٦٢- " مستقبل الحوار الإسلامي " - أرض الإسرائ - عدد ١١٥ - رجب - ١٩٨٨ - كامل الشريف .

المراجع الأجنبية :

1-According to the scriptures -C.H.D odd .New York . 1953 .

(وفقاً للكتاب المقدس - النظام الفرعي لعلم اللاهوت الجديد . تشارلز دود)

2- Le Christ - Geneber . sharl . paris . 1948 .

(المسيح - شارل جينيير)

3- Eusebius as church historian - Robert .M . Grant . London . 1980 .

(يوسيبوس مؤرخاً للكنيسة . روبرت جرانت)

4- History and thought of the early church . Henry Chadwick . London . 1982 .

(تاريخ وفكرة الكنيسة القديمة . هنري تشادوك)

5- History of dogma - Adolf .Harnack . New York .
1958

(تاريخ العقيدة . أدولف هارناك)

6- A history of the early church - J . W . C . Wand
London . 1957 .

(تاريخ الكنيسة في العهود الأولى حتى عام ٥٠٠ م . واند)

7- Jesus - Geneber . sharl . paris . 1984 .

(عيسى . شارل جينبير)

8- The cambridge history of the bible - G.W.H.Lampe.

9- The crucible of christianity - Arnold .Toynbee .

(بوتقة النصرانية . ارنولد توينبي)

10- The Gospels ,Their origin and their growth . faber
and faber . - F.C.Grant . New York . 1957 .

(الأناجيل نشأتها وتطورها . جرانت)

11- The parables of the king dom - C.H.Dodd. London .
1935 .

(أمثال الملكوت . تشارلز دود)

12- The rise of christianity - W.H.C.Frend . 1984 .

(نشأة الكنيسة . فرند)

13- Long man Dictionary of conemporany english -
Long man group . 1990 .

14- Objections to christian belief - D.M.Mackinnon
(and others) . 1964 .

(إعتراضات على العقيدة المسيحية . ماكينون وآخرون)

15- Orthodoxy and heresy in earliest christianity -
Walter . Bauer . New York . 1971 .

(الأرثوذكسية والهرطقة في النصرانية القديمة . والتر باور)

16- Astudy of early christianity - Joseph . Tyson . New
York. 1973.

(دراسة عن الكنيسة القديمة . تايسون)

17- Smith,s bible dictionary .West wood. Newjersey.

فهرس الموضوعات

الصفحة	العنوان
ج	المقدمة
١	الباب الأول : المسيح <small>عليه السلام</small> وتاريخ النصرانية حتى سنة ٨٧٩ م .
٢	تمهيد - تعريف كلمة نصرانية الفصل الأول : بنو إسرائيل عند مبعث المسيح <small>عليه السلام</small> .
٢	١ - الوطن والأمة .
٧	٢ - الحالة السياسية والاجتماعية .
١٠	٣ - الحالة الفكرية والدينية .
١٥	٤ - الطوائف اليهودية عند ظهور المسيح .
١٦	- السامريون .
١٧	- الصدوقيون .
١٨	- الفريسيون .
٢١	- القمرانيون .
٢٣	- الآسينيون .
٢٤	٥ - الهيكل ورجال الدين .
٢٩	الفصل الثاني : حياة المسيح <small>عليه السلام</small> وقيامه بدعوته .
٣٠	١ - البشارة بالمسيح <small>عليه السلام</small> وولادته ونشأته .
٣٤	٢ - بعثته <small>عليه السلام</small> وقيامه بدعوته .
٤٠	٣ - موقف اليهود من المسيح <small>عليه السلام</small> دعوته .
٤٣	٤ - نهاية أمر المسيح <small>عليه السلام</small> .
٤٦	٥ - المسيح <small>عليه السلام</small> في القرآن الكريم والمصادر الإسلامية .

الفصل الثالث : النصراني والنصرانية من رفع عيسى عليه السلام حتى سنة ٨٧٩ م . ٥٥

أولاً - المرحلة الأولى : (من رفع المسيح عليه السلام إلى تدمير القدس سنة ١٣٥ م) ٥٥

- ٥٦ ١ - الجماعة الأولى بعد عيسى عليه السلام :
- ٥٦ أ - حوار عيسى عليه السلام .
- ٥٧ ب - تلاميذ المسيح عليه السلام في كلام النصارى .
- ٥٩ ٢ - بداية اضطهاد اليهود للجماعة النصرانية الأولى .
- ٦١ ٣ - تزايد حملات الاضطهاد وفرار المضطهدين وظهورهم كطائفة مستقلة .
- ٦٣ ٤ - بدء الصراع بين بولس وأنصاره والجماعة الأولى وانفصاله عنهم .
- ٦٥ ٥ - سرعة انتشار النصرانية وبداية المواجهة مع السلطات الرومانية .
- ٧١ ٦ - تدمير الهيكل سنة ٧٠ م على يد الرومان ونتائجه .
- ٧٢ ٧ - الوضع السياسي بعد تدمير الهيكل
(من ٧٠ م إلى تدمير القدس سنة ١٣٥ م)
- ٧٥ ٨ - العقائد النصرانية في المرحلة الأولى من وجهة نظر النصارى
- ٨٠ ثانياً - المرحلة الثانية : (من تدمير القدس ١٣٥ م إلى مجمع نيقية ٣٢٥ م) .
- ٨٠ ١ - بداية تقلص وتلاشي كنيسة بيت المقدس .
- ٨٠ ٢ - الوضع السياسي في هذه المرحلة .
- ٨٤ ٣ - اضطهاد النصارى بعضهم لبعض .
- ٨٥ ٤ - العقائد النصرانية في هذه الفترة .
- ٩٠ ثالثاً - المرحلة الثالثة : (من مجمع نيقية ٣٢٥ م إلى المجمع المسكوني الثامن ٨٧٩ م)
- ٩٠ ١ - الوضع السياسي في تلك الفترة .
- ٩٢ ٢ - الوضع الديني في تلك الفترة .
- ٩٩ الباب الثاني : العوامل الداخلية وأثرها في تحريف رسالة المسيح عليه السلام .
- ١٠٠ الفصل الأول : بولس وأثره في تحريف النصرانية .
- ١٠٠ أولاً - شخصيته ودخوله في النصرانية ودوره في الدعوة إليها .
- ١٠٠ ١ - اسمه .
- ١٠١ ٢ - مولده .
- ١٠١ ٣ - جنسيته .
- ١٠٢ ٤ - بيئته ونشأته العلمية والدينية
- ١٠٨ ٥ - موقفه في يهوديته من النصارى

- ١١٠ - ٦ - اعتناق بولس النصرانية
- ١١٣ - ٧ - أسباب تنصره .
- ١١٦ - ٨ - بولس بعد تنصره وقبل لقائه بالتلاميذ
- ١١٩ - ٩ - بولس مع تلاميذ المسيح
- ١٢٣ - ١٠ - انفضاض التلاميذ عن بولس
- ١٢٣ - ١١ - نشاط بولس في تأسيس نصرانيته الجديدة
- ١٢٤ - ١٢ - أعماله الدعوية .
- ١٢٦ - ١٣ - محاكمته ووفاته
- ١٢٨ - ١٤ - رسائل بولس ومكاتها العقديّة والتشريعية في النصرانية .
- ١٣١ ثانياً - عقائد بولس المحرفة ودوافعه إليها .
- ١٣٢ - ١ - عقيدة تجسد الإله وحلوله في المسيح .
- ١٣٥ - ٢ - عقيدة صلب المسيح للفداء وتكفير الخطايا .
- ١٤١ - ٣ - نسبة بنوة المسيح لله .
- ١٤٥ - ٤ - القول بالوهية المسيح .
- ١٥١ - ٥ - عقيدة بولس في الروح القدس ، ومدى صلته بعقيدة التثليث .
- ١٥٥ ثالثاً - شرائع بولس المحرفة ودوافعه إليها .
- ١٥٥ - ١ - القول بعموم الرسالة أو بعالمية النصرانية
- ١٥٩ - ٢ - العشاء الرباني أو القربان المقدس
- ١٦٣ - ٣ - إلغاء الختان واستبدال المعمودية به .
- ١٦٦ - ٤ - التعميد .
- ١٧٠ - ٥ - تحليل لحم الخنزير والخمر
- ١٧١ - ٦ - تفضيل التبتل وتحريم الطلاق
- ١٧٧ الفصل الثاني : فقدان النصوص الأصلية للنصرانية وأثره في الإنحراف العقدي .
- ١٧٨ أولاً - إنجيل عيسى الكنعاني .
- ثانياً - أناجيل العهد الجديد ، وأثر فقدان إنجيل عيسى الكنعاني
- ١٨٣ في تحريفاتها العقديّة .
- ١٨٣ تمهيد .

- ١٨٤ - ١ - التعريف بأناجيل العهد الجديد .
- ١٨٥ - إنجيل متى .
- ١٩٤ - إنجيل مرقس .
- ٢٠٠ - إنجيل لوقا .
- ٢٠٥ - إنجيل يوحنا .
- ٢٢٥ - ٢ - تأخر كتابة الأناجيل ، وأسباب ذلك .
- ٢٢٧ - ٣ - تاريخ قانونية أناجيل العهد الجديد عند النصارى .
- ٢٣٣ - ٤ - أخطاء نساخ و مترجمي الأناجيل .
- ٢٣٨ - ٥ - ضياع النسخ الأصلية للأناجيل ، وأثره فيما وقع فيها من تحريف .
- ٢٤١ - ٦ - تعدد طبعات وترجمات الكتاب المقدس ، وأثره في التحريف .
- ٢٥٣ - ٧ - فقدان إنجيل عيسى وأثره في تحريفات الأناجيل وتناقضاتها .

٢٦١ الفصل الثالث : الفرق النصرانية وأثرها في تحريف النصرانية.

٢٦١ تمهيد :

٢٦٤ عصور ظهور الفرق في النصرانية إجمالاً .

٢٦٤ - عصر التوحيد

٢٦٤ - عصر التثليث .

٢٦٥ - العصر الأخير (عصر الإنقسام)

٢٦٥ أولاً : عصر التوحيد

٢٦٥ أ : الموحدون

٢٦٦ ١ - الأبيونيون

٢٦٧ ٢ - جماعة الموحدين لله .

٢٦٨ ٣ - الشمشاطيون

٢٦٩ ٤ - الأريوسيون .

٢٧٠ ثانياً : المنحرفون

٢٧٠ ١ - البولسية

٢٧٠ ٢ - الغنوصية الباطنية .

٢٧١ ٣ - المرقيونية .

- ٢٧٢ ٤ - البربرانية
 ٢٧٢ ٥ - فرقة أليان
 ٢٧٣ ثانياً : عصر التثليث .
 ٢٧٣ ١ - الأبوليناريون .
 ٢٧٤ ٢ - النسطورية .
 ٢٧٦ ٣ - اليعقوبيون أو اليعاقبة
 ٢٧٦ ٤ - الملكانيون
 ٢٧٧ ٥ - المارونية .

٢٧٩ الفصل الرابع : المجامع النصرانية المسكونية وأثرها في تحريف العقائد .
 ٢٧٩ تمهيد .

- ٢٨٠ ١ - مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م
 ٢٨٦ ٢ - مجمع القسطنطينية الأول ٣٨١ م
 ٢٨٨ ٣ - مجمع أفسس الأول ٤٣١ م
 ٢٨٨ ٤ - مجمع خلقدونية ٤٥١ م
 ٢٩١ ٥ - مجمع القسطنطينية الثاني ٥٥٣ م
 ٢٩٢ ٦ - مجمع القسطنطينية الثالث ٦٨٠ م
 ٢٩٢ ٧ - مجمع نيقية الثاني ٧٨٧ م
 ٢٩٢ ٨ - مجمع القسطنطينية الرابع ٨٦٨ م
 ٢٩٣ ٩ - مجمع القسطنطينية الخامس ٨٧٩ م

٣٠١ الباب الثالث : العوامل الخارجية وأثرها في تحريف رسالة المسيح عليه السلام .

٣٠٢ الفصل الأول : أثر الإضطهاد في تحريف النصرانية

٣٠٩ الفصل الثاني : أثر الوثنيات القديمة في تحريف النصرانية

٣٠٩ أولاً- الظواهر العامة التي خضعت لها الوثنيات القديمة :

- ٣٠٩ ١ - ضياع الأصول العقيدية الصحيحة
 ٣١٠ ٢ - ملاءمتها لأهواء البشر
 ٣١٠ ٣ - سرعة الإنتشار بين الأمم

٣١١

٤ - التداخل بين الديانات

ثانياً- خضوع النصرانية للظواهر العامة التي خضعت لها الوثنيات

٣١٢

القديمة

٣١٧

ثالثاً- أثر الوثنيات القديمة في لعقائد النصرانية :

٣١٧

١ - التجسد

٣٢٠

٢ - الصلب والفداء .

٣٢٠

- قصة الصليب وفلسفته .

٣٢٥

٣ - ألوهية عيسى وبنوته لله .

٣٢٨

٤ - التثليث

٣٣٥

٥ - الكلمة .

٣٣٦

٦ - عقيدة قيامة المسيح لحساب الناس .

٣٣٩

رابعاً- أثر الوثنيات القديمة في الشعائر النصرانية :

٣٣٩

١ - التعميد

٣٤١

٢ - العشاء الرباني

٣٤٣

٣ - الرهينة

٣٤٣

٤ - عبادة الصور والتماثيل وتوافق الأعياد

٣٤٦

الفصل الثالث : أثر الفلسفة في تحريف العقيدة النصرانية .

٣٤٦

تمهيد .

٣٤٦

أولاً - بداية اتصال الفلسفة اليونانية بالفكر النصراني ، وأسباب ذلك .

٣٤٧

ثانياً - أهم الفلاسفة الذين تأثر بهم النصارى .

٣٤٧

- فيلون .

٣٤٨

- أفلوطين الإسكندري .

٣٤٩

ثالثاً - فلاسفة النصارى في القرون النصرانية الأولى ، وآراؤهم الفلسفية .

٣٤٩

- يوستينيوس

٣٤٩

- آراؤه العقديّة .

٣٥٠

- تاتيانوس .

٣٥٠

- آراؤه العقديّة .

٣٥٠

- أثيناغورس .

- ٣٥١ - آراؤه العقديّة .
- ٣٥١ - ثيوفيلوس الأنطاكي .
- ٣٥١ - آراؤه العقديّة .
- ٣٥٢ - أكليمندس الإسكندري .
- ٣٥٢ - آراؤه العقديّة .
- ٣٥٣ - ترتليانوس .
- ٣٥٣ - آراؤه العقديّة .
- ٣٥٥ - ٧ - أوريجانوس .
- ٣٥٥ - آراؤه العقديّة .
- ٣٥٧ - ٨ - أغسطينوس .
- ٣٥٧ - آراؤه العقديّة .
- ٣٥٧ - رابعاً - بعض ملامح التأثير الفلسفي في العقائد النصرانية .
- ٣٦٤ - الخاتمة
- ٣٦٩ - الفهارس
- ٣٧٠ - أولاً - فهرس الآيات القرآنية .
- ثانياً - فهرس الأحاديث النبوية .
- ٣٧٢ - ثالثاً - فهرس الأعلام .
- ٣٨٦ - رابعاً - فهرس الفرق والجماعات .
- ٣٩١ - خامساً - فهرس المدن والبلدان .
- ٣٩٦ - سادساً - ثبت المصادر والمراجع .
- ٤٢٥ - فهرس الموضوعات .